

المجلد الثوب الفقهاء

في القرن الثاني الهجري



بقلم
عبد الستار الشيخ

المجلد الثاني

دار القضاء
دمشق

المجلد الثامن والعشرون
في القرن الثاني الهجري

أسّسها:
محمد بن عبد الله بن قسّاب
سنة ١٢٨٧هـ - ١٩٦٧م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٢٨ ص.ب: ٤٥٢٢

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٢/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤





الأوزاعيُّ

(٥٨٨هـ - ١٥٧هـ)



اسمه ونسبه ونسبته:

عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمِد، الأوزاعيُّ، الشاميُّ، الدمشقيُّ،
الإمام العَلَم، الفقيه الحافظ المشهور.

والأوزاعيُّ: نسبةٌ إلى الأوزاع، والأوزاع: بطنون من العرب من قبائل
شتى، نزلوا قرية بدمشق قرب باب الفَراديس - باب العَمارة حالياً -
فُنسبت المحلَّة إليهم، ونُسب الإمام الأوزاعي إليهم لسكناه فيهم.

والأوزاعيُّ: عربيُّ، جَميريُّ، سَيبانيُّ، وهو ابن عمِّ يحيى بن أبي
عمرو السَّيبانيِّ لَحاً.

قال البخاري: (عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعيُّ، ولم يكن منهم، كان
نزل فيهم، والأوزاع من جَمير)^(١).

وقال الهيثم بن خارجة: سمعتُ أصحابنا يقولون: (ليس هو من
الأوزاع، هو ابن عمِّ يحيى بن أبي عمرو السَّيبانيِّ لَحاً، إنما كان يَنزل قرية
الأوزاع). قال الهيثم: (قرية بدمشق إذا خرجتَ من باب الفَراديس)^(٢).

(١) التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، التاريخ الأوسط ٩٧/٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٥٤/٣٥. ومعنى (ابن عمه لَحاً): أي لاقق النسب، ونصب (لَحاً) على الحال.

وقال أبو أحمد الحاكم في كتاب «الكنى»: (أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي السَّيباني، ابن عمِّ يحيى بن أبي عمرو السَّيباني، والأوزاع من جَمَيْر، وقد قيل: إن الأوزاع قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفَراديس، وعرضتُ هذا القول على أحمد بن عمير - وكان علامةً بحديث الشام وأنساب أهلها - فلم يَرْضه، وقال: إنما قيل: أوزاعي، لأنه من أوزاع القبائل)^(١).

وقال ضَمْرَة بن ربيعة: (الأوزاعي جَمَيْري، والأوزاع من قبائل شتى).

وقال أبو سليمان بن زَبْر: (سمعتُ أبا بكر بن أبي خَيْثمة، وذكره في كتاب «التاريخ»، قال: الأوزاع بَطْن من هَمْدان. ولم يَنْسب هذا القول إلى أحد، وليس هو بصحيح، وقول ضمرة أصحُّ، لأنه اسمٌ وقع على موضع مشهور بِرَبِض دِمَشق يُعرف بالأوزاع، سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى).

وقال الأَضْمَعِيُّ: (الأوزاع: الفِرَق، تقول: وزَعْتُ الشيءَ على القوم إذا فرَّقته عليهم، وهذا اسم جمع لا واحد له).

وقال الرياشي: (والأوزاع بَطُون من العرب، يَجْمَعُهُم هذا الاسم).

قال أبو سليمان بن زَبْر: (وهذا تصديقٌ لما قاله ضَمْرَة بن ربيعة).

وقال العباس بن الوليد: (إنما سُمِّي الأوزاعي لأنه كانت هجرته معهم فَنَسِب إليهم، وهو سَيباني من بني سَيبان)^(٢).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٥٣/٣٥، مختصره ٣١٤/١٤، تهذيب الكمال ٣١٢/١٧. وأحمد بن عمير: هو

ابن جَوْضَا، الإمام الحافظ محدث الشام. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/١٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٥٤/٣٥ - ١٥٥، مختصره ٣١٤/١٤، تهذيب الكمال ٣١٢/١٧ - ٣١٣. والكلام

في هذا طويل، وفيما ذكرناه كفاية.

كنيته:

يكنى أبا عمرو، كناه بها الجميع، وخاطبه بها الناس.

صفته وحليته:

قال أبو مُسَهر: حدثنا صدقة بن خالد، قال: (رأيتُ على الأوزاعيِّ قلنسوة سوداء، في أيام ابن سُرَاقَة)^(١).

وقال محمد بن عبد الرحمن السُّلَمي: (رأيتُ الأوزاعيِّ وكان فوق الرِّبْعَة، خفيفَ اللِّحية، به سُمرة، وكان يَخْضِبُ بِالْحِجَاءِ)^(٢).

وقال الوليد بن مَزَيْد: (رأيتُ الأوزاعيِّ يَعْتَمُّ، فلا يُرْخي لها شيئاً)^(٣).

سيرته وشمائله:

عاصر الأوزاعي الدولتين الأموية والعباسية، وشهد عهود جماعة من خلفاء بني أمية وبني العباس، وعايَنَ زوالَ عرش الأمويين وإقبالَ أيام العباسيين، وعاش ما اعتَوَّرَ الحكم من تقلبات، وما وقع في زمن الدولتين من فتن وحروب، ومدِّ وجَزْر، ورفع وخَفْض، وكان له في ذلك مواقفُ تنبئ عن جلاله العالم المسلم وثباته ومناصحته وقوله بالحق.

وامتازت الحقبة التي عاشها الأوزاعي بالازدهار العلمي والحضاري المدني، وتمثل ذلك بكثرة العلماء من بعض صغار الصحابة، وأكابر

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٣، ٧٢٤. وابن سُرَاقَة: هو عثمان بن عبد الأعلى بن سُرَاقَة، كان أمير دمشق في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك. انظر: مختصر ابن عساکر لابن منظور ١٠٤/١٦ - ١٠٥.

(٢) تاريخ ابن عساکر ١٥٨/٣٥، مختصره ٣٦٥/١٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣٢/٧.



التابعين وأئمة أتباع التابعين، ونبوغ جماعة من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأدباء والكتّاب، وانتشار التدوين، وحركة التعريب، مع ازدهار العمران والإدارة، وغير ذلك مما يميز ذاك العصر.

نشأ الأوزاعي يتيماً، فرعته أمّه وربّته في حَجْرها، ثم تولاه صديق لأبيه، فَحَدَب عليه وأحسّن كفالتة، وضمّه للديوان، ثم خرج في بعث إلى اليمامة، فالتقى هناك بشيخه الجليل الإمام الحافظ يحيى بن أبي كثير، الذي لم يملك أن يكتّم إعجابه بهذا الفتى، فحرص عليه، ونفّحه من علمه، وحضّه على اللحاق بالبصرة للسمع من الحسن البصري وابن سيرين.

واتجهت همة الشاب إلى العلم، وتعلّقت نفسه بالعبادة، وتطلعت روحه إلى معالي الأمور، فأخذ من ذلك بالنصيب الأوفر، فجمع بين العبادة والعلم والورع والزهد والقول بالحق، وقد شبّهه مَنْ رآه يصلي بأن صلّاته تشبه صلاة عمر بن عبد العزيز، وإذا وقف بين يدي ربه كأنه أعمى من الخشوع، وبعد الفراغ من صلّاته يُقبل على الذكر والدعاء، ولربما اجتمع بإخوانه وتلامذته فيفيض معهم في ذكر المعاد، ويجتهد في العبادة حتى إنه وهو في طريق الحج كان لا يضطجع في المحمل، ويكثر من النوافل وتلاوة القرآن والحج.

وجمع الأوزاعي إلى ذلك كله: السخاء والكرم، والتواضع والحلم، والرفقة بالناس واللين لهم، والتواضع لتلاميذه وطلاب العلم، وإرادة الخير لكل أحد، حتى إنه كتب إلى أحد الأمراء بشأن ذمّي ليزفّع الحرج عنه.

وتميّزت سيرته مع الخلفاء والأمراء بالصفاء والنقاء، والجرأة

والإقدام، والنصيحة الصادقة الخالصة، بعيداً عن المخاتلة والمواربة، أو التزلف والمُداهنة، ومجانبة المناوأة والخروج، وهذا هو المنهج الأحمد والطريق الأقوم.

فاتجهت إليه القلوب، وتعلقت به النفوس، وأصغى إليه الخلفاء والولاة، وطلبوا منه المناصحة، واستجابوا لتوجيهاته وآرائه، وأرسلوا إليه بالأعطيات والجوائز، فترفع عنها، ولربما قبلها إبقاءً على كرامة الخلفاء، لكنه ما أدخلها بيته بل وضعها في الفقراء والمحاييج.

ومن خصائص سيرة هذا الإمام: صلابته في عقيدته، وتمسكه بالسنة، وبُغده عن الأهواء، ومقارعته للبدع، ومحاجته لأصحابها، وحضه الناس على التمسك بهدي الصحابة الذين تربوا على عين رسول الله ﷺ، فمن اقتدى بهم فقد اهتدى.

أحب الأوزاعي الخلفاء والأمراء، وفحّموا أمره، ورَفَعوا شأنه، وأرادوه على القضاء فاستعفى، وندّبوه للفتيا فأجاب مدة من الزمن.

واشتهر ببلاغته، ورفعة بيانه، وفصاحة لسانه، وعلو أسلوبه، فكان من الكتاب المترسّلين، وممن يُضرب ببيانه وفصاحته المثل. وله مواعظ وأقوال ورسائل تُؤثّر، هي غاية في دقة البيان وروعة التعبير وسمو المعاني وشدة التأثير، لأنها صدرت من قلب مصدّق بها عامل بمضمونها، فالكلمة تستمد تأثيرها من قلب صاحبها لا من قلمه.

رُئيت له رؤى ومنامات تبشّر بمآل كريم وخاتمة سالحة إن شاء الله، هو بها حقيق وجدير، فلقد كان الأوزاعي من رجال الدهر وأئمة الإسلام الكبار.

بداية أمره:

قال العباس بن الوليد بن مَزِيد: (سمعتُ أبي، يقول: كان مولدُ الأوزاعي ببعلبَك، ومنشؤه بالبِقَاع، ثم نقلته أمُّه إلى بيروت، فما رأيتُ أبي يتعجب من شيء مما رآه في الدنيا، تعجبه منه، فكان يقول: سبحانك تفعلُ ما تشاء! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حَجْر امرأة تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حُكْمك فيه بأن بلغته حيث رأته. ثم يقول: يا بني، عجزتِ الملوك أن تؤدّب أنفسها وأولادها أدبَه في نفسه، ما سمعتُ منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيتُه ضاحكاً حتى يُقهقه، ولا يلتفت إلى شيء إلا باكياً، ولقد كان إذا أخذ في ذِكر المَعَاد أقول في نفسي: أترى في المجلس قلبٌ لم يبكِ؟! ولا يُرى ذلك فيه)^(١).

وقال الفَسَوِيُّ: سمعت عباس بن الوليد بن مَزِيد عن شيوخهم قالوا: قال الأوزاعي: (مات أبي وأنا صغير، فذهبتُ ألبُ مع الصَّبِيان، فمرَّ بنا فلان - وذكر شيخاً من العرب جليلاً - قال: ففرَّ الصَّبِيان حين رأوه، وثبتُّ أنا، فقال: ابن من أنت؟ فأخبرته، فقال: ابن أخي، يرحمُ الله أباك. فذهب بي إلى بيته، فكنْتُ معه حتى بلغْتُ، فألحقني في الديوان، وضرب علينا بعثاً إلى اليمامة، فلما قدمتُ اليمامة ودخلنا مسجدَ الجامع، فلما خرجنا قال لي رجل من أصحابنا: رأيتُ يحيى بن أبي كثير مُعجَباً بك، يقول: ما رأيتُ في هذا البعث أهياً من هذا الشاب، قال: فجالسته وكتبتُ عنه أربعة عشر كتاباً، أو ثلاثة عشر، فاحترق كله)^(٢).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٥٧/٣٥ - ١٥٨، مختصره ٣١٥/١٤، وفي مقدمة الجرح والتعديل الجزء الأخير منه، ص ٢١٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٠٩/٢، تاريخ ابن عساكر ١٥٨/٣٥.

عبادته وخشيته، ورقته وبكاؤه:

** قال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: (رأيتُ الأوزاعي يَثْبُتُ في مصَلَّاهُ يذكرُ اللهَ حتى تطلعَ الشمسُ، ويُخبرنا عن السَّلَفِ: أن ذلك كان هَدْيَهُمْ، فإذا طلعتِ الشمسُ قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا في ذِكْرِ اللهِ، والتفقَهُ في دينه)^(١).

قال عبد الملك بن محمد الصَّنْعَانِيُّ: (كان الأوزاعي لا يُكَلِّمُ أحداً بعد صلاةِ الفجر حتى يذكرَ اللهَ، فإن كَلَّمَهُ أحدٌ أجابَهُ)^(٢).

وقال العباس بن الوليد بن مَزَيْد: سمعتُ عبيدة بن عثمان، يقول: (مَنْ نظر إلى الأوزاعي اكتفى بما يرى عليه من أثرِ العبادة، كنتَ إذا رأيته قائماً يصلي كأنما تنظرُ إلى جسدٍ ليس فيه روح)^(٣).

وقال إبراهيم بن سعيد الجَوْهَرِيُّ: حدثنا بِشْرُ بن المنذر، قال: (رأيتُ الأوزاعيَّ كأنه أعمى من الخشوع)^(٤).

** قال إسحاق بن خالد: سمعتُ أبا مُسَهْرٍ، يقول: (ما رُئي الأوزاعيُّ باكياً قطُّ، ولا ضاحكاً حتى تبدوَ نواجذُهُ، وإنما كان يتبسم أحياناً، كما روي في الحديث^(٥)، وكان يُحيي الليل صلاةً وقرآناً وبكاءً)^(٦).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨٥/٣٥، سير أعلام النبلاء ١١٤/٧.

(٢) الحلية ١٤٣/٦، تاريخ ابن عساكر ١٩٦/٣٥، صفة الصفوة ٢٥٧/٤. وعبد الملك بن محمد الصَّنْعَانِيُّ: من أصحاب الأوزاعي، ونسبته إلى صنَّعاء دمشق، وهو من رجال التهذيب.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٨.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٩٦/٣٥، مختصره ٣٢٦/١٤، وهو في الحلية ١٤٣/٦، وصفة الصفوة ٢٥٧/٤، من طريق بشر بن الوليد.

(٥) يريد ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم مُسْتَجْمِعاً قطُّ ضاحكاً حتى أرى منه لَهَوَاتِهِ، إنما كان يتبسم). أخرجه البخاري؛ حديث ٤٨٢٨، ٦٠٩٢، ومسلم؛ حديث ٨٩٩، وغيرهما.

(٦) تاريخ ابن عساكر ١٩٧/٣٥، مختصره ٣٢٧/١٤.

قال عُمير بن عفان: حدثتني أُمِّي، قالت: (دخلتُ على امرأة الأوزاعي، فرأيتُ الحصرير الذي يصلِّي عليه مبلولاً، فقلت: يا أختي، أخافُ أن يكون الصبيُّ بالَ على الحصرير، فبكتُ وقالت: ذلك دموعُ الشيخ)^(١).

وقال العباس بن الوليد بن مَزَيْد: حدَّثني إسحاق بن حماد الثُميري، عن أمِّه، وكانت تداخلُ أهلَ الأوزاعي، قالت: (دخلتُ عليها بعد صلاة الصبح، وإذا في المسجد بللٌ، قلت: جُورية! ثكَلتُك أمُّك، أراكِ غفلتِ عن بعض الصَّبيان حتى بالَ في مسجد الشيخ، فشُغلت عني، فكررتُ عليها المسألة، فلما كررتُ عليها قالت: هكذا يُصبح كل يوم)^(٢).

ورآه شيخُه يحيى بن أبي كثير وهو قائم يصلِّي، فأعجبته صلاتُه، فقال يحيى لجلسائِه: (ما رأيتُ مُصلِّياً قطُّ أشبهَ صلاةَ بعمر بن عبد العزيز من هذا الفتى)^(٣).
قلت: وصلاةُ عمر بن عبد العزيز قد أثنى عليها أنسُ بن مالك، وشبَّهها بصلاةِ النبي ﷺ.

** قال صفوان بن صالح المؤدِّن: كان الوليد بن مُسلم يقول:
(ما رأيتُ أكثرَ اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي)^(٤).

وقال العباس بن الوليد بن مَزَيْد، أخبرني أبي، قال: (كان الأوزاعيُّ من العبادة على شيءٍ لم يُسمع بأحدٍ قوِّيَ عليه، ما أتى عليه زوالٌ قطُّ إلا وهو فيه قائم يصلِّي)^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٩٦/٣٥، مختصره ٣٢٦/١٤.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٨، تاريخ ابن عساكر ١٩٦/٣٥ - ١٩٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٦، تاريخ ابن عساكر ١٥٩/٣٥.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٩٥/٣٥.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٩٤/٣٥، مختصره ٣٢٦/١٤.

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: سمعت عُقْبَةَ بن عُلْقَمَةَ، يقول: (لقيته - يعني الأوزاعي - يوم الجمعة راتحاً إلى الجمعة على باب المسجد، فسَلَّمْتُ عليه، ثم دخل فاتبعته، فأحصيتُ عليه قبل خروج الإمام صلاته أربعاً وثلاثين ركعةً، كان قيامه وركوعه وسجوده حَسَناً كُلَّهُ)^(١).

وقال سَلَمَةُ بن سَلَامٍ: (نزل الأوزاعي على أبي، ففرشنا له فراشاً، فأصبح على حاله، ونزعتُ خَفِيَّه، فإذا هو مبطنٌ بئعالب)^(٢).

وقال محمد بن سَمَاعَةَ الرَّمْلِيُّ: سمعت ضَمْرَةَ بن ربيعة، يقول: حَجَجْنَا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيتُه مُضْطَجِعاً على المَحْمِلِ في ليلٍ ولا نهارٍ قَطُّ، كان يصلي، فإذا غَلَبَه النوم استند إلى القَتَبِ)^(٣).

وقال عَوْنُ بن حكيم: (حَجَجْتُ مع الأوزاعي، وكان حَجَّاجاً)^(٤).

حلمه وتواضعه وسخاؤه، وتمسكه بالحق، وأشياء أخرى من كريم أخلاقه:

**** قال أبو أسامة حماد بن أسامة:** (رأيتُ الأوزاعيَّ وسفيانَ الثوري يطوفان بالبيت، فلو قيل لي: اخترَ أحدَ الرجلين للأمة، لاخترتُ الأوزاعي، لأنه كان أحلمَ الرجلين)^(٥).

وقال الوليد بن مُسَلِّم: سمعتُ صَدَقَةَ بن عبد الله، يقول: (ما رأيتُ أحداً أحلمَ ولا أكملَ ولا أجملَ فيما حَمَلَ من الأوزاعي)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٩٥/٣٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٩٥/٣٥. والمحمل. شيقان على البعير يُحمل فيهما العديلان.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٦٩/٣٥ وهو طرف من خبر سيأتي بطوله.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠٦، تاريخ ابن عساكر ١٧٤/٣٥.

(٦) تاريخ ابن عساكر ١٧٧/٣٥، مختصره ٣٢٠/١٤.

وقال عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين: (قلتُ لمحمد بن شعيب بن شابور: أنشدك الله ومقامك بين يديه، لقيت أفة في دين الله من الأوزاعي؟ قال: اللهم لا. قلت: فأورع منه؟ قال: لا. قلت: فأحلّم منه؟ قال: لا)^(١).

** قال أبو إسحاق الفزاري: (ما رأيتُ أحداً كان أشدّ تواضعاً من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل ليُناديه، فيقول: لبيك)^(٢).

وقال الوليد بن مسلم: (شيّعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ، يصعب عليك المشي على كبر السن، فقال: امشوا واسكتوا، لو علمتُ أن لله طبقة أو قوماً يباهي الله بهم، أو أفضل منكم؛ لمشيتُ معهم وشيّعتهُم، ولكنكم أفضل الناس)^(٣).

وروى إسحاق بن حماد الثميري البيروتي، عن محمد بن شعيب أنه قال: (ما رأيتُ ولا جلستُ إلى مثل الأوزاعي قط، إن كان آخر مجالسبه لكأولها، وذلك لم أراه في أحد قط. فقال الثميري: يا أبا عبد الله، وكانت فيه ثم خلّة، قال: وما هي؟ قال: ولا فارقة جليستُ له إلا وهو يرى أنه كان أحظى أهل المجلس عنده، قال: صدقت، كذلك كان)^(٤).

وقال أبو عمير ابن النحاس الرّملي: قال ضمرة بن ربيعة: (صليتُ إلى جانب الأوزاعي بمكة، فلما قام حرّكني، فذهبتُ معه إلى منزله، فأتانا

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٧٢/٣٥ - ١٧٣، مختصره ٣٢٠/١٤.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٩١/٣٥. والفرسخ: يقدر بثلاثة أميال، أو ٥٥٤٤ متراً.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٩٤/٤.

بشريدٍ عليه فول مسلوق، فلما خرجنا قال لي: غاب الشفق؟ قلت: يا أبا عمرو، أي شيء الشفق؟ قال: بقية بياض النهار^(١).

وقال الوليد بن مُسلم: (رأيتُ الوليدَ بنَ سليمان بن أبي السائب، أتى الأوزاعيَّ مُسلماً عليه في منزل عون بن حكيم، فلما رآه الوليدُ نَهَضَ إليه، فرأيتُ الأوزاعيَّ يعزم عليه ألا يفعل، إجلالاً له)^(٢).

** قال أبو هزّان: (كان الأوزاعيُّ من أسخى الناس، وإن كان الرجل ليعرّض بالشيء، فينقلب الأوزاعي، فيعالج الطعام فيدعوه)^(٣).

وقال العباس بن الوليد بن مزّيد: سمعتُ أصحابنا، يقولون: (صار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار - يعني من السلطان - من بني أمية وبني العباس، فلما مات ما خلف إلا سبعةً دنانير، بقيةً من عطائه، وما كان له أرض ولا دار). قال العباس: (نظرنا فإذا هو أخرجها كلها في سبيل الله والفقراء)^(٤).

وقال العباس بن الوليد بن مزّيد: سمعت أبي وعقبة بن علقمة يذكران، قالاً: (ما رأينا أحداً أسرع رجوعاً إلى الحق إذا سمعه من الأوزاعي)^(٥).

** عن موسى بن أعين قال: قال لي الأوزاعيُّ: (يا أبا سعيد، كنا نمزح ونضحك، فأما إذ صرنا يُقتدى بنا، ما أرى يسعنا التبسم)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٤٤٦.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٩٩/٣٥، مختصره ٣٢٨/١٤.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٩٨/٣٥، مختصره ٣٢٧/١٤.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٣ - ٢٠٤، تاريخ ابن عساكر ١٧٦/٣٥ - ١٧٧.

(٦) الحلية ١٤٣/٦، تاريخ ابن عساكر ٢٠٦/٣٥، صفة الصفوة ٢٥٧/٤.

وقال محمد بن شعيب بن شابور: (مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ الْأَوْزَاعِيِّ يَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ كَلَامٍ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ أَطْوَلَ سَكُوتًا مِنْهُ) ^(١).

** قال العباس بن الوليد بن مَزِيد البَيْرُوتِيُّ: سمعت إبراهيم بن أيوب، يقول: (أَقْبَلَ الْأَوْزَاعِيَّ مِنْ دِمَشْقَ يَرِيدُ السَّاحِلَ - أَوْ أَقْبَلَ مِنَ السَّاحِلِ يَرِيدُ دِمَشْقَ - فَنَزَلَ بِأَخٍ لَهُ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا وَهِيَ الْكَرْكُ، فَقَدَّمَ الرَّجُلَ عَشَاءً، فَلَمَّا وَضَعَ الْمَائِدَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَدَّ الْأَوْزَاعِيَّ يَدَهُ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ، قَالَ الرَّجُلُ: كُلْ يَا أَبَا عَمْرُو، وَاعْذِرْنَا فَإِنَّكَ أَتَيْتَنَا فِي وَقْتٍ ضَيْقٍ، فَرَدَّ يَدَهُ فِي كُمَّه، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ، فَأَبَى، فَلَمَّا طَالَ عَلَى الرَّجُلِ رَفَعِ الْمَائِدَةَ، وَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَاً، وَتَبِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرُو، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ وَاللَّهِ مَا أَفَدْتُ بِعَدِكَ مَالاً، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَالُ الَّذِي تَعْرِفُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ طَعَاماً قَلَّ شُكْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ كُفِّرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ. وَكَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَائِماً. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي فَلَمْ يُفْطَرْ) ^(٢).

وقال العباس بن الوليد: حدثني عبد الغفار بن عفان، قال: (نَزَلَ الْأَوْزَاعِيَّ بِالْبَقَاعِ ^(٣) بِأَهْلِ بَيْتٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَرَفَّقُوا بِهِ فَحَدَّمُوهُ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: فَشَكَا إِلَيْهِ مَا أَلْزَمَ مِنَ الْخَرَاجِ، فَكَتَبَ لَهُ إِلَى عَامِلِ الْخَرَاجِ وَهُوَ ابْنُ الْأَزْرَقِ، وَكَانَ غَلَاماً لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَى الْخَرَاجِ. قَالَ: فَلَمَّا دَفَعْتُ إِلَيْهِ، وَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ: حَاجَتِكَ؟ فَذَكَرَهَا، فَقَضَاهَا لَهُ. فَلَمَّا انصرفت ذكر لامراته، فقالت: وَيْحَكَ! أَهْدِي لَهُ هَدِيَّةً، وَكَانَ صَاحِبَ

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٧.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٠. وأبو محمد هو ابن أبي حاتم.

(٣) هكذا في مقدمة الجرح والتعديل، ولعل الصواب: (بِالْبِقَاعِ)، ويؤيد ذلك أن النصراني طلب من الأوزاعي أن يكتب إلى والي بَغْلَبَك. والبِقَاعُ: أرض واسعة بين بَغْلَبَك وحمص ودمشق.

نَحَلَ، فملاً قُمُماً له من نحاسٍ شَهِدًا، وأقبل به إلى الأوزاعي، فلما رآه الأوزاعي قال: أَلَك حاجةٌ؟ قال: فأمر بقبضه، وسأله عن خِراجِه، فأخبره أنه قد بقي عليه ثمانيةُ دنانير، قال: فتجدُها؟ قال: قد عَسُرَتْ عليَّ في أيامي هذه، قال: فدَخَلَ الأوزاعي منزله، وأخرج إليه الدنانير، فقال: اذْهَبْ حتى تُؤدِّيها عنك، فأبى، قال: فَخُذْ قُمُمَكَ، قال: يا أبا عَمْرُو، وأيُّ شيءٍ ذاك؟ إنما ذاك من نحلي، قال: أنت أعلم، إن شئتَ قَبِلنا منك وقَبِلتَ منا، وإلَّا رَدَدْنَا عليك كما رَدَدتَ علينا، قال: فأخذ النصراني الدنانير، وأخذ الأوزاعي القُمُماً^(١).

** قال عُقْبَةُ بن عَلْقَمَةَ: سمعت موسى بن يَسَار - وكان صَحْبَ مكحولاً أربع عشرة سنة - يقول: (ما رأيتُ أحداً أَبْصَرَ ولا أَنْفَى لِلغِلِّ عن الإسلام أو السُّنَّة من الأوزاعي)^(٢).

وقال محمد بن عَجْلان: (ما أعلمُ مكانَ أحدٍ أنصحَ للمسلمين من الأوزاعي)^(٣).

جهاده ورباطه:

قال خيثمة بن سُليمان: حدثنا العباس بن الوليد، قال: سمعت أبي، يقول: سمعت الأوزاعي، يقول: (جئتُ إلى بيروت أرابِطُ فيها، فلقيتُ سوداءً عند المقابر، فقلت لها: يا سوداء، أين العِمارةُ؟ فقالت لي: أنت في العِمارة، وإن أردتَ الخرابَ فبين يديك).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٠ - ٢١١، وأسد الحكاية مختصرة: أبو نعيم في الحلية ١٤٣/٦،

وابن عساكر من طريقه: ١٩٨/٣٥ - ١٩٩.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٦، تاريخ ابن عساكر ١٧٨/٣٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٧٩/٣٥، مختصره ٣٢١/١٤.

وفي رواية: (فقلت: إن أردت العمارة فهي هذه - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فأمامك - وأشارت إلى البلد - فعزمتُ على الإقامة بها)^(١).

وقال العباس بن الوليد بن مزيّد: حدثني ابنُ أخي امرأة الأوزاعي، قال: (لما قدّم أبو جعفر أمير المؤمنين الشام يريد بيت المقدس، كتب إلى الأوزاعيّ يلقاه بدمشق، فلما نزل أبو جعفر دمشق استبطأه، وقدّم الأوزاعيّ إلى دمشق، فترك إتيان أبي جعفر وأتى ابنه المهدي، فسلم عليه، وهنأه بما أسند إليه، ودعا له، وحدثه بالحديث عن رسول الله ﷺ: (إنكم ستُجندون أجناداً وتُفتح لكم مدائنٌ وحصونٌ، فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه في حصن من تلك الحصون فليعمل)، وقد حبست نفسي في بعضها، ورجوت أن يُدركني أجلي فيها، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين ألقاه، ولست أدري كيف يكون التخلص منه إن لقيته، ولكني رأيتُ في لقائك خلفاً من لقاؤه، وفي إذنيك خلفاً من إذنيه، قال: وتري ذلك؟ قال: نعم، قال: فأمر له بجائزة)^(٢).

قال ابن عساكر: (كان يسكن دمشق خارج باب الفَراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحوّل إلى بيروت فسكنها مُرابطاً إلى أن مات بها)^(٣).

وقال ابن كثير: (لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً)^(٤).

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٠٣/٣٥، مختصره ٣٢٩/١٤، البداية والنهاية ١١٨/١٠.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢١٤، وللخبر تنمة.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٤٧/٣٥.

(٤) البداية والنهاية ١٢٠/١٠.

جرأته وصلابته وهيبته، ومواقفه من الخلفاء والأمراء، ورسائله إليهم، ونصائحه لهم:

مع عبد الله بن علي^(١):

قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن الغمّر الطبراني: حدثني أبو سعيد هاشم بن مَرْدَد (٢)، قال سمعتُ أحمد بن الغمّر، يقول: سمعتُ عبد الله بن أبي السائب، يقول: (قلتُ لأبي عمرو الأوزاعي: يا أبا عمرو رضي الله عنك، أخبرني عن تفسير حديث رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ، المتمسكُ فيه بدينه كالقابض على الجَمْر» متى هو؟ قال الأوزاعي: إن لم يكن زماننا هذا فلا أدري متى هو. قال أبو سعيد: فقلت لأبي عبد الله أحمد بن الغمّر: يا أبا عبد الله، أخبرني عن قول الأوزاعي: زماننا هذا وما بعده أشدُّ منه كما جاءت به الآثار. قال: لَمَّا جاءتِ المحنةُ التي نزلتُ به - لَمَّا نزل عبدُ الله بن علي حماةً - بعث إلى الأوزاعي، فأشخص إليه، قال: فنزل على ثور بن يزيد الحمصي، قال الأوزاعي: فلم يزل ثورٌ يتكلم في القدر من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى أن طلع الفجر - والأوزاعي ساكتٌ ما أجابه بحرفٍ - فلما انفجر الفجر، قام فتوضأ لصلاة الصبح، ثم صلّى وركب، فأتى حماةً، فدخل الأذن، فأذن للأوزاعي. قال: فدخلتُ على عبد الله وهو على سريره، وفي يده خيزُرانة ينكتُ بها الأرض، وحوله المسوّدة بالسيوف المصلّطة، والعمد الحديد، والسيف والنّطع بين يديه، فسلمتُ، فنكتت في الأرض، ثم رفع رأسه إليّ ثم قال: يا أوزاعي، أتعدُّ

(١) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، عم السفاح والمنصور.

(٢) في مختصر ابن عساکر: (مزید)، وهو تصحيف. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣، توضيح

مقامنا هذا - أو مسيرنا - رباطاً؟ فقلت: جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِمَرْأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، أَوْ دُنْيَا يُصِيبُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

قال: فَتَكْتِ بِالْخَيْرِزَانَةِ نَكْتًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ النِّكَتِ الْأُولَى، وَجَعَلَ مَنْ حَوْلَهُ يَعْضُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَوْزَاعِي، مَا تَقُولُ فِي دِمَاءِ بَنِي أُمِّيَّةَ؟ قُلْتُ: جَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ: «لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الزَّانِي بَعْدَ إِحْصَانٍ، وَالْمُرْتَدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ».

فَتَكْتِ بِالْخَيْرِزَانَةِ نَكْتًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، وَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَوْزَاعِي، مَا تَقُولُ فِي أَمْوَالِ بَنِي أُمِّيَّةَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ كَانَتْ لَهُمْ حَرَامًا فَهِيَ عَلَيْكَ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا فَمَا أَحَلَّهَا اللَّهُ لَكَ إِلَّا بِحَقِّهَا. قَالَ: فَتَكْتِ بِالْخَيْرِزَانَةِ نَكْتًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، وَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا أَوْزَاعِي، هَمِمْتُ أَنْ أَوْلِيَّكَ الْقَضَاءَ، فَقُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، وَقَدْ كَانَ انْقِطَاعِي إِلَى سَلْفِكَ وَمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَكَانُوا بِحَقِّي عَارِفِينَ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَسْتَتِمَ مَا ابْتَدَأَهُ آبَاؤُهُ فَلْيَفْعَلْ، قَالَ: كَأَنَّكَ تَرِيدُ الْإِذْنَ؟ فَقُلْتُ: إِنْ وَرَائِي لِحُرْمًا بِهِمْ حَاجَةٌ إِلَى قِيَامِي بِهِمْ، وَسْتَرِي لَهُمْ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَرَكِبْتُ دَابَّتِي وَانصرفت، قَالَ: فَلَمْ أَعْلَمْ حِينَ وَصَلْتُ إِلَى بَيْرُوتٍ إِلَّا وَعُثْمَانُ عَلَى الْبَرِيدِ، قَالَ: قُلْتُ: بَدَا لِلرَّجُلِ فَيٍّ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ غَفَلَ عَنِ جَائِزَتِكَ، وَقَدْ بَعَثَ لَكَ بِمِثْتِي دِينَارًا).

قال أحمد: قال ابن أبي العشرين - يعني عبد الحميد -: (فلم يبرح الأوزاعي مكانه حتى فرَّقها في الأيتام والأرامل والفقراء، ثم وضع الرسائل في ردِّ ما سمع من ثور بن يزيد في القدر)^(١).

(١) تاريخ ابن عساکر ٢١٠/٣٥ - ٢١١، مختصره ٣٣٢/١٤ - ٣٣٣، سير أعلام النبلاء ١٢٢/٧ - ١٢٣.

وقال سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى: حدثنا أبو خُلَيْد عُثْبَةَ بن حَمَّاد القارئ، حدثنا الأوزاعي، قال: (بعث إليَّ عبد الله بن علي، فأعْظمني ذلك واشتدَّ عليَّ، قال: فقدمتُ عليه، فدخلتُ عليه، والناس سَمَاطان قيام في أيديهم الكافركوبات، قال: فأدْناي، ثم سألتني قال: يا عبد الرحمن، ما تقول في مَخْرَجِنَا هذا وما نحن فيه؟ فقلتُ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ، قد كان بيني وبين داود بن علي^(١) مودَّة، قال: لَتُخْبِرْنِي، قال: فتفكَّرت، ثم قلت: والله لأُصدِّقَنَّهُ، فاستبسلتُ للموت، فقلت له: حدِّثني يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم، عن عَلْقَمَةَ بن وقاص، سمع عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «الأعمالُ بالنيَّة، وإنما لامرئٍ ما نَوَى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو امرأة يتزوَّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». قال: وبِيدِهِ قَضِيْبٌ يَنْكُثُ به الأرض، ثم قال: يا عبد الرحمن، ما تقول في قَتْلِ أَهْلِ هذا البيت؟ قال: فَوَرَدَ عَلَيَّ أَمْرٌ عَظِيمٌ، واستبسلتُ للموت، فقلت: والله لأُصدِّقَنَّهُ، فقلت: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ، قد كان بيني وبين داود مودَّة، قال: فقال: هِيْه، لَتُحَدِّثْنِي، فقلتُ: حدِّثني محمد بن مروان، عن مُطَرِّفِ بن الشَّخِيرِ، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ قَتْلُ المُسْلِمِ إلا في ثلاث: التاركُ لِدينِهِ، أو رجلٌ قَتَلَ نَفْساً فَيُقْتَلُ بها، أو رجلٌ زَنَى بعد إحصان». قال: ثم أَطْرَقَ هَوْنًا، ثم قال: أَخْبِرْنِي عن الخلافة، وصيةٌ لنا من رسول الله ﷺ؟ فَوَرَدَ عَلَيَّ أَمْرٌ عَظِيمٌ، واستبسلتُ للموت، فقلت: لأُصدِّقَنَّهُ، فقلت: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ، كان بيني وبين داود مودَّة، ثم قلت: لو كانت وصيةٌ من النبي ﷺ، ما تَرَكَ

(١) هو أخو عبد الله بن علي، روى عنه الأوزاعي وغيره، وهو من رجال التهذيب.

علي بن أبي طالب أحداً يَتَقَدَّمُهُ. قال: ثم سكت سكتةً، فقال: ما تقول في أموال بني أمية، أحلالٌ هي لنا؟ قال: فاستبسلتُ إلى الموت، ثم قلت: والله لأصدقته، فقلت: أصلح الله الأمير، قد كان بيني وبين داود مودَّة، قال: لَتُخْبِرْتَنِي، قلت: إن كانت لهم حلالاً، فهي عليك حراماً، وإن كانت عليهم حراماً، فهي عليك أَحْرَمٌ. ثم أمر بي، فَأُخْرِجْتُ^(١).

قلت: قد كان عبد الله بن علي ملكاً جبَّاراً، عَسُوفاً، صعبَ المِرَاسِ، وأبَادَ خَلْقاً، وزرع الرعب والخوف بين يديه لمن يدخل عليه، كما وَصَفَ الأوزاعي ذلك، ومع هذا فإن هذا الإمام العظيم يَسْتَبْسِلُ للموت، وَيَصْدَعُهُ بمرِّ الحق، ويقولُه دونما مواربةٍ أو مُدَاهِنَةٍ أو تَزْلَفٍ أو مُخَادَعَةٍ لا كجماعةٍ كثيرة من علماء السوء، الذين يزيّنون للحاكم الباطل، ويحسّنون له ما يتفحّم به من ظلم وعسْف وجَبْرٍ، بل يَقلِّبون الحقَّ باطلاً، ويتلاعبون بآياتِ الله وحديثِ نبيِّه، فَبُعْدًا لهم وسُحْقًا، فهَلَّا سكتوا إن جَبُّوا عن قولِ الحقِّ.

مع أبي جعفر المنصور:

قال عبد الوهاب بن نَجْدَةَ الحَوْطِيّ: حدثنا أبو الأسوار محمد بن عُمر التَّوْحِيّ، قال: (كتب أبو جعفر أمير المؤمنين إلى الأوزاعي: أما بعد، فقد جعلَ أميرُ المؤمنين في عُنقك ما جعلَ الله لرعيته قبلك في عُنقه، فأطْلِعْهُ طَلْعَهُم، واكْتُبْ إليه بما رأيتَ فيه المصلحةَ لهم، وبما أَحْبَبْتَ وبَدَأَ لك.

(١) تاريخ ابن عساكر ٢١١/٣٥ - ٢١٢، سير أعلام النبلاء ١٢٤/٧ - ١٢٥. وخبر الأوزاعي مع عبد الله بن علي له روايات كثيرة، انظر: مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١١ - ٢١٤، الحلية ١٤١/٦، الإرشاد في علماء الحديث ٤٥٧/١، البداية والنهاية ١١٨/١٠. قوله (سماطان): أي صفان. (الكافركوبات): جمع الكافركوب، وهي المقرعة. (استبسلت للموت): وطنت نفسي عليه.

قال فكتب إليه الأوزاعي: أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين، يُعلمني أنه قد جعل في عُقبي ما جعل الله لرعيته في عُنقه، ويأمرني أن أُطلِّعه طُلْعَهُمْ، وأكتب إليه بما رأيتُ فيه المصلحةَ لهم، وبما أحببتُ وبدًا لي. فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله وطاعته، وتواضع يزفَعَكَ اللهُ يوم يَضَعُ المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حقَّ الله عليك إلا عِظْمًا، ولا طاعته إلا وجوبًا، ولا الإياس فيما خالف ذلك منه إلا إنكارًا، والسلام^(١).

قال أحمد بن علي الأَبَّار: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا الحواري بن أبي الحواري، قال: (دخل الأوزاعي على أبي جعفر، فلما أراد أن ينصرف، استعفى من لبس السواد، فأجابه. فلما خرج الأوزاعي، قال أبو جعفر للربيع: الحقُّ فأسأله لِمَ استعفى من لبس السواد، ولا يعلم أنني أمرتك. فَلَحقه الربيع، فقال: يا أبا عمرو، رأيتك استعفيت أمير المؤمنين من السواد، فما بأش بالسواد؟ قال: يا بن أخي، لم يُحرم فيه مُحْرَمٌ قَطُّ، ولا يُكْفَنُ فيه ميت قَطُّ، ولم تُزَيَّنْ فيه عروس قَطُّ، فما أصنع بلبسه؟!^(٢).

وقال سلم بن جُنادة: حدثنا أبو سعيد الثعلبي، قال: (لما خرج إبراهيم ومحمد على أبي جعفر المنصور، أرادَ أهلَ الثغور أن يُعينوه عليهما، فأبوا ذلك، فَوَقَعَ في يدِ ملك الروم الألوْفُ من المسلمين أسرى، وكان ملك الروم يُحب أن يُفادي بهم، ويأبى أبو جعفر. فكتب الأوزاعي إلى أبي جعفر كتابًا:

(١) تاريخ ابن عساكر ٢١٣/٣٥، مختصره ٣٣٣/١٤. وأطلِّعه طُلْعَهُمْ: أعلمه أمرهم.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢١٩/٣٥، سير أعلام النبلاء ١٢٦/٧. والربيع هو ابن يونس، حاجب المنصور ثم وزيره.

أما بعدُ، فإنَّ الله تعالى استرعاك أمرَ هذه الأمة لتكونَ فيها بالقِسطِ قائماً، وبنبيِّه ﷺ في خَفْضِ الجَنَاحِ والرَّافَةِ متشَبِّهاً، وأسألُ الله تعالى أن يُسَكِّنَ على أمير المؤمنين دَهْمَاءَ هذه الأمة، ويرزُقَه رَحْمَتَهَا، فإن سائِحةَ المشركين غَلَبَتْ عامَ أول، وموطئهم حريمَ المسلمين، واستنزاهم العَوَاتِقِ والذَّراري من المَعَاقلِ والحِصونِ، وكان ذلك بذنوبِ العِبَادِ، وما عَفَا اللهُ عنه أكثرُ، فبِذُنُوبِ العِبَادِ اسْتُنزِلَتِ العَوَاتِقُ والذَّراري من المَعَاقلِ والحِصونِ، لا يَلْقَوْنَ لهم ناصراً، ولا عنهم مُدافعاً، كاشفاتٍ عن رؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومَسْمُوعٍ وحيث يَنْظُرُ اللهُ إلى خَلْقِهِ، وإِعْرَاضِهِمْ عنه، فَلْيَتَّقِ اللهُ أميرُ المؤمنين، ولْيَتَّبِعْ^(١) بِالْمُفَادَاةِ بِهِمْ من الله سبيلاً، وَلْيَخْرُجْ من مَحَجَّةِ اللهُ تعالى؛ فإنَّ اللهُ تعالى قال لِنبيِّه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ ﴿وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٧٥، ٩٨]^(٢). والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذٍ فيءٌ موقوف، ولا ذِمَّةٌ تُوَدِّي خَرَجاً إلا خاصةَ أموالهم، وقد بَلَّغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأسمعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ خَلْفِي في الصلاة، فَأَتَجَوَّزُ فيها، مخافةً أن تُفْتَنَنَّ أمُّه»^(٣)، فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوِّهم، يمتهنونهم، ويتكشِّفون منهم ما لا نستحلُّه نحن إلا بنكاح؟! وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك ومستوفٍ منك، يوم تُوضَعُ ﴿الْمُوزِنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]! فلما وصل إليه كتابه أمر بالفداء^(٤).

(١) في الحلية: (وليتبع)، وفي تاريخ الإسلام: (وليسع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) هكذا جاء في الحلية وتاريخ الإسلام، وفيه مزج بين الآيتين ٧٥ و ٩٨ من سورة النساء.

(٣) أخرجه البخاري: حديث ٧٠٩، ومسلم: حديث ٤٧٠، والترمذي: حديث ٣٧٦، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) الحلية ١٣٥/٦ - ١٣٦، تاريخ الإسلام، ص ٤٩٣.

قال محمد بن مصعب القرظساني: حدثني الأوزاعيُّ عبد الرحمن بن عمرو، قال: (بعث إليَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل، فلما وصلتُ إليه وسلَّمْتُ عليه بالخلافة، ردَّ عليَّ، واستجلَّسني، ثم قال:

ما الذي بطأ بك عنَّا يا أوزاعيُّ؟

قلت: وما الذي تُريد يا أمير المؤمنين؟

قال: أريد الأخذ عنكم، والاقْتباسَ منكم.

قلت: فانظُرْ يا أمير المؤمنين ألا تجهلَ شيئاً مما أقول لك.

قال: وكيف أجهلُهُ، وأنا أسألك عنه، وفيه وجَّهْتُ إليك، وأقدمتُك له؟!!

قلت: أن تسمعه ولا تعملَ به.

يا أمير المؤمنين، مَنْ كَرِهَ الْحَقَّ فَقَدِ كَرِهَ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

فصاح بي الربيع، وأهوى بيده إلى السيف، فانتَهَره المنصور وقال: هذا مجلسٌ مثوبةٌ لا مجلسٌ عقوبة. فطابت نفسي، وانبسطتُ في الكلام، فقلت:

يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول، عن عطية بن بسر^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ اللَّهِ فِي دِينِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيِّقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا يُشْكِرُ، وَإِلَّا كَانَتْ حِجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِيَزِدَادَ بِهَا إِثْمًا، وَيَزِدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ سُخْطًا».

يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول، عن عطية بن بسر قال: قال

رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا وَالٍ بَاتَ غَاشًا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

(١) صحابي صغير ﷺ.

يا أمير المؤمنين، من كره الحقَّ فقد كره الله وَيَكِلُ، إن الله هو الحق المبين.
يا أمير المؤمنين، إن الذي لَتِنَ قلوب أمتكم لكم، حين ولؤوكم
أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ، فقد كان بهم رؤوفاً رحيماً، مواسياً
لهم بنفسه في ذات يده وعند الناس؛ لتحقيق أن يقوم له فيهم بالحق، وأن
يكون بالقِسْط له فيهم قائماً، ولعوراتهم ساتراً، لم تُغْلَق عليه دونهم
الأبواب، ولم تُقْم عليه دونهم الحُجَاب، يَبْتَهج بالنعمة عندهم، ويَبْتَس
بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين، قد كنت في شغلٍ شاغلٍ من خاصة نفسك عن عامة
الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم،
فكلُّ له عليك نصيبٌ من العدل، فكيف بك إذا اتبعك منهم فئام^(١) وراء
فئام، ليس منهم أحدٌ إلا وهو يشكو شكوة - أو: يشكو بليّة - أدخلتها
عليه، أو ظلامه سُقَّتْها إليه؟!

يا أمير المؤمنين، حدّثني مكحول، عن عروة بن رُويم^(٢) قال: «كانت
بيد رسول الله ﷺ جريدة^(٣) رطبة يَسْتَاكُ بها، ويَزِدُّعُ بها المنافقين، فاتاه
جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك،
وملأت بها قلوبهم رُعباً؟!». فكيف بمن شَقَّقَ أبشارهم^(٤)، وسَفَكَ
دماءهم، وخرَّبَ ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغَيَّبَهم الخوفُ منه؟!

يا أمير المؤمنين، حدّثني مكحول، عن زياد بن جارية، عن حبيب بن

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

(٢) من صغار التابعين، ثقة، يرسل كثيراً.

(٣) الجريدة: سعة طويلة رطبة.

(٤) البشرة: هي ظاهر الجلد، وجمعها: بَشْر، وجمع الجمع: أبشار.

مَسْلَمَةٌ^(١): «أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خَدَشَةَ خَدَشِهَا أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَارًا وَلَا مَتَكَبِّرًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَعْرَابِيَّ، فَقَالَ: اقْتَصِرْ مِنِّي، فَقَالَ الْأَعْرَابِي: قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَمَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَوْ أَتَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِي، فَدَعَا اللَّهَ لَهُ بِخَيْرٍ».

يا أمير المؤمنين، رُضْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، وَخُذْ لَهَا الْأَمَانَ مِنْ رَبِّكَ، وَارْعَبْ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

يا أمير المؤمنين، إِنْ الْمُلْكُ لَوْ بَقِيَ لِمَنْ بَقِيَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، وَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لغيرِكَ.

يا أمير المؤمنين، تَدْرِي مَا جَاءَكَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ^(٢): ﴿مَالٍ هَذَا أَلْكَيْتَ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَهَا﴾ [الكهف: ٤٩]؟ قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك. فكيف بما عملته الأيدي وأحصته الألسن؟!

يا أمير المؤمنين، بَلَّغْنِي أَنْ عَمَرَ بِنُ الْخَطَابِ قَالَ: لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ضَيْعَةً، لَخَفْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهَا، فَكَيْفَ بِمَنْ حُرِّمَ عَدْلُكَ وَهُوَ عَلَى بِسَاطِكَ؟!

يا أمير المؤمنين تَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]؟ قال:

(١) صحابي صغير ﷺ.

(٢) يعني: عبد الله بن عباس ﷺ.

يا داود، إذا قعد الخصمان بين يديك، فكان لك في أحدهما هوى، فلا تَتَمَنِينَ في نفسك أن يكون الحقُّ له، فَيَفْلُجْ (١) على صاحبه، فأمحوك من نبوتِي، ثم لا تكون خليفتي، ولا كرامة. يا داود، إني إنما جعلتُ رسلي إلى عبادي رِعاءَ رِعاءِ الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، لِيَجْبُرُوا الكَسِيرَ، وَيَدُلُّوا الهَزِيلَ على الكَلِّ والماء.

يا أمير المؤمنين، إنك قد بُليتَ بأمرٍ عظيم، لو عُرض على السموات والأرض والجبال لأُتِيَنَّ أن يَحْمِلَنَّهُ، وأشفقنَ منه.

يا أمير المؤمنين، حدثني يزيد بن جابر (٢)، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَةَ الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة، فراه بعد أيام مُقيماً، فقال له: ما مَنَعَكَ من الخروج إلى عمك؟ أما علمتَ أن لك مثلَ أجر المجاهد في سبيل الله؟! قال: لا، قال عمر: وكيف ذلك؟ قال: لأنه بَلَغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمور الناس، إلا أُتِيَ به يوم القيامة، يده مغلولة إلى عنقه فيوقف على جسر في النار، فينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد، فيحاسب؛ فإن كان محسناً نجاً بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر، فهوى به في النار سبعين خريفاً». فقال له عمر: مَمَّنَ سمعتَ هذا؟ قال: من أبي ذَرٍّ وسَلْمان، فأرسل إليهما عمر، فقالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ. فقال عمر: واعمرَاه! من يتولاها بما فيها؟ فقال أبو ذر: مَن سَلَّتْ (٣) الله أنْفَهُ، وألصقَ خده بالأرض.

(١) أي: يظفر ويفوز.

(٢) هو يزيد بن يزيد بن جابر، ووقع في «الحلية»: (يزيد بن يزيد عن جابر)، و(مزيد) تحريف (يزيد)، و(عن) تحريف (بن).

(٣) سَلَّتْ الله أنْفَهُ: أي: جَدَّعه وقطعه.

قال: فأخذ أبو جعفر المُنديل، فوضعه على وجهه، ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قد سأل جَدُّكَ العباسُ رسولَ الله ﷺ إمارة على مكة أو الطائف، فقال له النبي ﷺ: «يا عباسُ، يا عمَّ النبي، نفسُ تُنَجِّبُهَا خَيْرٌ من إمارة لا تُحْصِيهَا»، نصيحةً منه لعمِّه، وشفقةً منه عليه، وأنه لا يُغْنِي عنه من الله شيئاً؛ إذا أُوحي إليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا عباسُ عمَّ النبي، يا صفيَّةُ عمَّة النبي، ويا فاطمة بنت محمد، إني لستُ أُغْنِي عنكم من الله شيئاً، لي عملي، ولكم عملكم».

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يُقِيمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ، أَرِيبُ الْعُقْدَةِ^(١)، لا يُطَلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، ولا يَخْنِقُ عَلَى جِرَّة^(٢)، ولا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لائِمٌ.

وقال علي رضي الله عنه: السلطان أربعة أمراء: فأمير ظَلَفَ نَفْسَهُ^(٣) وعمَّالَه، فذلك كالمجاهد في سبيل الله، يدُ الله عليه باسطة بالرحمة. وأمير ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَزْتَعَ عَمَّالَهُ لضعفه، فهو على شَفَا هلاك، إلا أن يرحم الله. وأمير ظَلَفَ عَمَّالَهُ وَأَزْتَعَ نَفْسَهُ، فذلك الحُطْمَةُ^(٤) الذي قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ الرُّعَاءِ الحُطْمَةُ»، فهو الهالك وحده. وأمير أَزْتَعَ نَفْسَهُ وَعَمَّالَهُ، فهلكوا جميعاً.

(١) الحصيف: المُخَكَّم العقل. الأريب: العاقل. والعُقْدَةُ: المراد بها هنا: الرأي والتدبير.

(٢) أي: لا يحقد على رعيتيه.

(٣) أي: منعها عن هواها واما لا يَجْمَلُ بها.

(٤) هو العنيف برعاية الإبل في الشوق والإيراد والإضرار، ضربته مثلاً لوالِي السوء.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين، أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار، فوضعت على النار لتسعر إلى يوم القيامة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل، صِف لي النار، فقال: إن الله أمر بها، فأوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرَّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مُظلمة لا يُضِيء لَهَبُهَا ولا جَمْرُهَا. والذي بعثك بالحق، لو أن ثوباً من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً^(١) من شرابها ضُبَّ في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله عز وجل وُضِع على جبال الأرض لذابت وما استقلت^(٢)، ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه. فبكى النبي صلى الله عليه وسلم، وبكى جبريل لبكائه، فقال: أتبكي يا محمد، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، ولمّ بكيت يا جبريل، وأنت الروح الأمين أمينُ الله على وحيه؟! قال: أخاف أن أبتلّي بمثل ما ابتلّي به هاروث وماروث، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمّنت مكرّه. فلم يزالا يبكيان، حتى نُودي من السماء: أن يا جبريل ويا محمد، إن الله قد أمّنكما أن تعصياه فيعذبكما.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين، أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أنّي أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد؛ فلا تُمهّلني طرفة عين.

(١) الذنوب: الدلو العظيمة.

(٢) أي: وما ارتفعت.

يا أمير المؤمنين، إن أشدَّ الشدة القيامُ لله بحقِّه، وإن أكرمَ الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العزَّ بطاعة الله رَفَعَهُ اللهُ وأعزَّهُ، ومن طلبه بمعصية الله أذَلَّهُ اللهُ ووضعهُ.

وهذه نصيحتي، والسلام عليك.

ثم نهضتُ، فقال لي: إلي أين؟

فقلت: إلى البلد والوطن بإذن الله وإذن أمير المؤمنين إن شاء الله.

قال: قد أذنتُ لك، وشكرتُ لك نصيحتك، وقبلتها بقبولها، والله الموفق للخير والمعينُ عليه، وبه أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل. فلا تُخَلِّني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبولُ القول، غيرُ المُتَّهم في النصيحة.

قلت: أفعُلُ إن شاء الله.

قال محمد بن مصعب: فأمر له بمالٍ يستعين به على خروجه، فلم يقبله، وقال: أنا في غناء، وما كنتُ لأبيعَ نصيحتي بعرضٍ من أعراض الدنيا كلِّها.

وعرف المنصور مذهبَه، فلم يجدْ عليه في رَدِّه^(١).

مع أمير الساحل:

قال عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين: (لَمَّا سَوَّيْنَا عَلَى الْأَوْزَاعِيِّ تَرَابَ قَبْرِهِ، قَامَ وَالِي السَّاحِلِ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ

(١) الحلية: ١٣٦/٦ - ١٤٠؛ تاريخ ابن عساکر: ٢١٣/٣٥ - ٢١٨؛ مختصره: ٣٣٤/١٤ - ٣٣٨؛ العقد

أبا عَمْرُو، فوالله لقد كنتُ لك أشدَّ تقيَّةً من الذي ولَّاني، فمن ظَلِمَ
بعذك فَلَيتُصَبِّرْ^(١).

قلت: للإمام الأوزاعي رسائل كثيرة مشحونة بالعطف على المسلمين،
والرأفة بهم، والإشفاق على صغارهم وكبارهم، وهي غاية في أدب
المناصحة مع الخلفاء والولاة والأمراء، وتَسْمُ بِالْجِرَاءِ وَالصَّلَابَةِ وَعَدَمِ
المداهنة، مع التذكير بالمصير والوقوف بين يدي الله، والمسؤولية التامة
عند الحساب لمن قَصَّرَ فِي حَقِّ الرعية، أو فَرَطَ فِي أَمْرِ الأمة.

وقد ساق طرفاً من ذلك الإمام ابن أبي حاتم رضي الله عنه، في مقدمة كتابه
العظيم «الجرح والتعديل»^(٢).

عقيدة الأوزاعي:

** قال أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، أخبرني محمد بن
علي الجَوْهَرِيُّ، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم، أخبرنا محمد بن كثير
المِصْبِيصِيُّ، سمعت الأوزاعي، يقول: (كُنَّا وَالتَّابِعُونَ متوافرون نقول: إنَّ
الله تعالى فوق عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بما وردتْ به السُّنَّةُ من صفاته)^(٣).

وسأل الوليد بن مُسلم الإمامَ أبا عَمْرُو الأوزاعي عن أحاديثِ
الصِّفَاتِ، فقال: (أَمَرُوهَا كما جاءت)^(٤).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٧، تاريخ ابن عساكر ٢٢٠/٣٥.

(٢) انظر: مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٧ - ٢٠٢.

(٣) الأسماء والصفات، ص ٤٠٨، سير أعلام النبلاء ١٢٠/٧ - ١٢١، مختصر العلو ١٣٧، تذكرة
الحفاظ ١٨١/١ - ١٨٢، وقال الذهبي هنا: هذا إسناد صحيح.

(٤) مختصر العلو ١٣٨، وانظر: جامع بيان العلم ١١٨/٢.

وروى أبو إسحاق الثعلبي المفسر، قال: (سئل الأوزاعي عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقال: هو على عرشه كما وصف نفسه^(١)).

وقال أبو إسحاق الفزاري: قال الأوزاعي: (اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل. وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدق العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله: فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله؛ لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين)^(٢).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: حدثنا أبي، قال: سمعت الأوزاعي، يقول: (عليك بأثار من سلف وإن رقصك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم)^(٣).

*** قال الأوزاعي: (ما ابتدغ رجل بدعة إلا سلب الورع)^(٤).

(١) مختصر العلو، ص ١٣٨. والآية في غير سورة من التنزيل الحكيم.

(٢) الحلية ١٤٣/٦ - ١٤٤. وانظر قولاً طويلاً للأوزاعي في «الإيمان»، في الحلية ٢٥٤/٨ - ٢٥٥، ترجمة أبي إسحاق الفزاري.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢٥٠/٣٥، سير أعلام النبلاء ١٢٠/٧، مختصر العلو، ص ١٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢٥/٧.

وروى ابن المبارك، عن الأوزاعي قال: (قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كل شيء، قال: فهل تأتونهم من قِبَل الاستغفار؟ فقالوا: هيئات، ذاك شيء قُرِنَ بالتوحيد، قال: لأبئنَ فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه. قال: فَبِتَّ فيهم الأهواء^(١)).

وروى ضمرة بن ربيعة، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَانِيَّ قال: قال لي الأوزاعي: (يا أبا زُرْعَةَ، هَلَكَ عِبَادُنَا وخيارُنَا في هذا الرَّأْيِ؛ يعني: القَدْر)^(٢).

وروى الهيثم بن عمران، عن الأوزاعي قال: (قَدِمَ علينا إسماعيل بن عبید الله بيروت مُرابطاً زمنَ مروان، قال الأوزاعي: فقال لي: لعلك منهم؟! قلت: لا يا أبا عبد الحميد؛ يعني: قَدْرِيًّا)^(٣).

وقد مرَّ أنه سمع ثور بن يزيد الحمصي ينادي بالقدر، فكتب الرسائل في الرد عليه.

وناظر غيلانَ القَدْرِيَّ، وأقام عليه الحُجَّةَ وغَلَبَهُ، فَضَرَبَ هشامُ بن عبد الملك رأسَ غيلان هذا^(٤).

تمسكه بالسُّنَّةِ وآثار الصحابة وحبُّه لهم:

** قال سليمان بن داود الشاذكوني: سمعتُ سفيان بن عُيينة، يقول: (اجتمع الأوزاعيُّ والثوريُّ بمِنَى، فقال الأوزاعيُّ للثوريِّ: لِمَ لا ترفع

(١) سنن الدارمي: حديث ٣٠٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣٩٠/٢ - ٣٩١. وأبو زرعة كنية يحيى بن أبي عمرو.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٥٤، وإسماعيل بن عبید الله هو ابن أبي المهاجر، من شيوخ الأوزاعي.

(٤) انظر ترجمة غيلان في: مختصر ابن عساكر ٢٤٤/٢٠ - ٢٤٦، والخبر طريف، وفيه قوة حجة الأوزاعي.

يديك في خفض الركوع ورفعِهِ؟ فقال الثوري: حدثنا يزيد بن أبي زياد^(١)، فقال الأوزاعي: أروي لك عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ، وتعارضني بيزيد بن أبي زياد؟! - يريد: رجلٌ ضعيفُ الحديث، وحديثه مخالفٌ للسنة - قال: فاحمرَّ وجه سفيان الثوري. فقال الأوزاعي: كأنك كرهت ما قلت، قال الثوري: نعم، فقال الأوزاعي: قُمْ بنا إلى المقام نلتعنُ أينا على الحق. قال: فتبسَّم الثوري لما رأى الأوزاعي قد احتدَّ، وقال: أنت المُقَدِّم^(٢).

وقال عامر بن يساف: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (إذا بَلَغَكَ عن رسول الله ﷺ حديثٌ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ بغيره، فإنه كان مبلِّغاً عن الله)^(٣).

وقال بَقِيَّةُ بن الوليد: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (ندورُ مع السنة حيثما دارتُ)^(٤).

وروى أبو إسحاق الفزاري^(٥)، عن الأوزاعي قال: (اضْبِرْ نَفْسَكَ على السنة، وَقِفْ حيث وَقَفَ القومُ، وَقُلْ فيما قالوا، وَكُفَّ عما كُفُّوا، واسئلك سبيلَ سلفِكَ الصالح، فإنه يَسْعُكَ ما يَسْعُهُم)^(٦).

(١) وتمة الحديث: (عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن البراء: أن رسول الله ﷺ كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب من أذنيه، ثم لا يعود). أخرجه أبو داود: حديث ٧٤٩، ٧٥٠. والحديث ضعيف لضعف يزيد.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٧٠/٣٥، مختصره ٣١٩/١٤. والخبر ضعيف، فيه الشاذكوني.

(٣) تذكرة الحفاظ ١٨٠/١، تاريخ الإسلام ٤٩١.

(٤) مقدمة الكامل لابن عدي، ص ٨٨، تاريخ ابن عساكر ٢٠٠/٣٥.

(٥) في تاريخ ابن عساكر: (الفراوي) تصحيف.

(٦) تاريخ ابن عساكر ٢٠٠/٣٥، مختصره ٣٢٨/١٤، وهو في الحلية بأطول منه، وقد سقناه في

•• قال بَقِيَّةُ بن الوليد: قال لي الأوزاعيُّ: (يا بَقِيَّةُ، العلمُ ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يَجِئْ عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم. يا بَقِيَّةُ، لا تَذْكَرُ أحداً من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلا بخير، ولا أحداً من أمتك، وإذا سمعتَ أحداً يَقْعُ في غيره، فاعلم أنه إنما يقول: أنا خيرٌ منه)^(١).

وروى بَقِيَّةُ، والوليد بن مَرْزُودٍ، عن الأوزاعي قال: (لا يجتمعُ حُبُّ عليّ وعثمانَ إلا في قلب مؤمن)^(٢).

خوفه من القضاء:

حاول بعض خلفاء بني أمية أن يولّوا الأوزاعيَّ القضاء فأبى، فألْحُوا عليه فجلس مجلساً واحداً، ثم استعفى فأعفي. وجاء بنو العباس فأرادوه على القضاء، فأبى عليهم واعتذر إليهم، فتركوه.

عن أبي مُشْهَرٍ، عن سعيد بن عبد العزيز: (أنَّ يزيد بن الوليد وُلِّيَ عبد الرحمن بن عَمْرٍو الأوزاعيَّ بعد موت الحارث بن محمد، فَجَلَسَ مجلساً واحداً، ثم استعفى فأعفي)^(٣).

وقال عُبيد بن أبي السائب: سمعت أبي يذكر: (أن مكحولاً أخذ بيدي وأنا في الأسطوان الثاني، فقال: ما أَحْرَصَ ابنَ أبي مالكٍ على القضاء، لو خَيْرْت بين القضاء وبين ضَرْبِ عُنْقِي؛ لا خَيْرْتُ ضَرْبِ عُنْقِي، قال: فَقَدِمَ علينا الأوزاعي، وقد بُعث إليه ليولِّي القضاء، قال: فذَكَرْتُ له قولَ

(١) جامع بيان العلم ٣٦/٢، تاريخ ابن عساکر ٢٠١/٣٥.

(٢) تاريخ ابن عساکر ٢٠١/٣٥، مختصره ٣٢٨/١٤.

(٣) أخبار القضاة ٢٠٧/٣، سير أعلام النبلاء ١١٦/٧.

مكحول، ثم لقيته بعد ذلك، وقد رُزق العافية، قال: فقال لي: إن كنت ممن سَدَّدَ لي رأيي، قال: فظننتُ أنه قد أجمع لما كان أجمع به^(١).

وقد مرَّ أنفاً أن عبد الله بن علي أراد أن يولي الأوزاعي القضاء، فاعتذر الأوزاعي عن ذلك، واستعفى فأجيب.

قال سليمان بن عبد الرحمن: قال عُقْبَةُ بن عُلْقَمَةَ: (أرادوا الأوزاعي للقضاء، فامتنع وأبى، فتركوه. قال: فقلتُ لعقبة: هُم كانوا يُكْرَهُونَ الناسَ على ما يريدون، فكيف لم يُكْرَهُوا الأوزاعي؟! فقال: هَيْهَاتَ، إنه كان في أنفسهم أعظمَ قَدْرًا من ذلك)^(٢).

فصاحته وترسله، ومواعظه ونصائحه، وحكمه وأقواله:

** قال العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرني أبي، قال: (ما سمعتُ من الأوزاعي كلمةً قَطُّ إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها)^(٣).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: سمعتُ أبي، يقول: (ما سمعتُ كلامَ متكلمٍ إلا وإذا كررته خَلَقَ، غيرَ كلامِ الأوزاعي؛ فإنك كلما كررتَ النظرَ فيه زادَ حلاوةً)^(٤).

وقال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِي: (كان الأوزاعي فصيحاً، وكانت صنعته الكتابة والترسل، فَرَسَائِلُهُ تُؤَثَّرُ)^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٠٥/٣٥، وبنحوه في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٧٢٤. وابن أبي مالك: هو يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، الفقيه قاضي دمشق، من رجال التهذيب.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٠٥/٣٥ - ٢٠٦، مختصره ٣٣٠/١٤.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٧٧/٣٥.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٥.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٥٥/٣٥، تهذيب الكمال ٣١٣/١٧.



وروى منصور بن أبي مَزَاحم، عن أبي عُبيد الله كاتب المنصور قال: (كانت تردُّ على المنصور من الأوزاعي - رَحِمَهُ اللهُ - كُتُبٌ يتعجَّب منها، وَيَعْجَزُ كُتَابُهُ^(١)) عن الإجابة، فكانت تُنسخ في دفاتر، وتوضع بين يدي المنصور، فيكثر النظرُ فيها استحساناً لألفاظها. فقال لسليمان بن مجالد - وكان من أحظى كتَّابه عنده، وأشدَّهم تقدُّماً في صنعته -: ينبغي أن تُجيبَ الأوزاعيَّ عن كتبه جواباً تاماً، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحسنُ ذلك، وإنما أردُّ عليه ما أحسنُ، وإنَّ له نظماً في الكُتُب لا أظنُّ أحداً من جميع الناس يَقدرُ على إجابته عنه، وأنا أستعينُ بألفاظه على مَنْ لا يعرفها ممَّن نُكاتِبُهُ في الآفاق)^(٢).

وفي ثنايا الترجمة طَرَف من رسالة البليغة، وكلامه العالي، وبيانه السامي.

من مواعظه ونصائحه:

قال يحيى بن عبد الملك بن حُميد بن أبي غَنِيَّة^(٣): كُتِبَ الأوزاعي إلى أخ له: (أما بعدُ، فإنه قد أُحيطَ بك من كلِّ جانب، واعلم أنه يُسارُ بك^(٤) في كل يوم وليلة، فاخذِرِ الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام)^(٥).

وروى أبو صالح كاتب الليث، عن الهِثْل بن زياد، عن الأوزاعي،

(١) في تاريخ الإسلام، ص ٤٨٨: (ولعجز كتابته)، وهو تصحيف، وما أكثره في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٩٠/٣٥، مختصره ٣٢٤/١٤، سير أعلام النبلاء ١١٥/٧.

(٣) في صفة الصفوة: (عتبة)، تصحيف.

(٤) في مختصر ابن عساكر: (يشار بك)، تصحيف.

(٥) الحلية ١٤٠/٦، تاريخ ابن عساكر ٢٠٧/٣٥ - ٢٠٨، مختصره ٣٣٠/١٤، صفة الصفوة ٢٥٥/٤.

أَنَّهُ وَعَظَ فَقَالَ فِي مَوْعِظَتِهِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، تَقَوُّوا بِهَذِهِ النُّعْمِ الَّتِي أَصْبَحْتُمْ فِيهَا عَلَى الْهَرَبِ مِنْ ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ ﴿ الهزمة: ٦، [٧]، فَإِنَّكُمْ فِي دَارِ الشَّوَاءِ فِيهَا قَلِيلٌ، وَأَنْتُمْ فِيهَا مَرَّحُونَ، خَلَّافٌ بَعْدَ الْقُرُونِ الَّتِي اسْتَقْبَلُوا مِنَ الدُّنْيَا أَنْفُسَهَا وَزَهْرَتَهَا، فَهَمَّ كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَمَدَ أَجْسَامًا، وَأَعْظَمَ آثَارًا. فَجَدَّدُوا الْجِبَالَ، وَجَابُوا الصَّخُورَ، وَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ، مُؤَيِّدِينَ بِيَطَشٍ شَدِيدٍ، وَأَجْسَادٍ كَالْعِمَادِ، فَمَا لَبِثَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي أَنْ طَوَّتْ مَدَّتْهُمْ، وَعَقَّتْ آثَارَهُمْ، وَأَخَوَتْ مَنَازِلَهُمْ، وَأَنْسَتْ ذِكْرَهُمْ، فَمَا تُحِجُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(١)، كَانُوا يَلْهَوُ الْأَمَلَ آمِنِينَ، وَلَمِيقَاتِ يَوْمِ غَافِلِينَ، وَلَصَبَاحِ قَوْمٍ نَادِمِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِي نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بَيَاتًا مِنْ عَقُوبَةِ اللَّهِ وَعَذَابِ، فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ، وَأَصْبَحَ الْبَاقُونَ يَنْظُرُونَ فِي آثَارِ نِقْمَةٍ وَزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَمَسَاكِنَ خَاوِيَةٍ، ﴿ فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات: ٣٧]، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى. وَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي أَجْلِ مَنْقُوصٍ، وَدُنْيَا مَقْبُوضَةٍ، فِي زَمَانٍ قَدْ وَلَّى عَفْوُهُ، وَذَهَبَ رِخَاؤُهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا حُمَةٌ شَرٌّ، وَضَبَابَةٌ كَدْرٌ، وَأَهَاوِيلُ غَيْرٌ، وَعَقُوبَاتٌ عِبرٌ، وَأَرْسَالٌ فِتْنٌ، وَتَتَابِعُ زَلَّازِلٌ، وَرُذَالَةٌ خَلْفٌ، بِهِمْ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَلَا تَكُونُوا أَشْبَاهًا لِمَنْ خَدَعَهُ الْأَمَلُ، وَغَرَّهُ طَوْلُ الْأَجَلِ، وَتَبَلَّغَ بِالْأَمَانِيِّ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَإِيَّاكُمْ مَمَّنَّ وَعَى نُذْرَهُ، وَانْتَهَى، وَعَقَلَ مَثْوَاهُ، فَمَهَّدَ لِنَفْسِهِ^(٢).

(١) الرکز: الصوت الخفي، وقيل: هو الصوت ليس بالشديد، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ هَلْ تُحِجُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾، سورة مريم، الآية: ٩٨.

(٢) تاريخ ابن عساکر ٢٠٨/٣٥ - ٢٠٩، مختصره ٣٣١/١٤، سير أعلام النبلاء ١١٧/٧ - ١١٨. وانظر مواضع ونصائح أخرى في: المعرفة والتاريخ ٣٩١/٢ - ٣٩٢، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٨ - ٢١٩.

من أقواله وحِكَمِهِ:

روى عمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي قال: (مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ كَفَّاهُ الْيَسِيرَ، وَمَنْ عَلِمَ أَنْ مَنَاطِقَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ)^(١).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي، يقول: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَّحَ عَلَيْهِمُ الْجَدَلَ، وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ)^(٢).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: سمعتُ أبي، يقول: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ قَلِيلًا وَيَعْمَلُ كَثِيرًا، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَقُولُ كَثِيرًا وَيَعْمَلُ قَلِيلًا)^(٣).

قال أحمد بن أبي الحواري: (سمعت مروان بن محمد الطاطري، يقول: قال الأوزاعي: (مَنْ أَطَالَ قِيَامَ اللَّيْلِ، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقُوفَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ). قال أحمد: قال لي مروان: (مَا أَحْسَبُ^(٤) الأوزاعي أخذهُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا • إِنَّكَ هَتُولَاءٌ يُجَبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧])^(٥).

وقال عطاء بن مسلم الخفاف: سمعت الأوزاعي، يقول: (لُؤْمٌ بِالرَّجُلِ وَدِنَاءَةٌ نَفْسٍ يَفُوتُهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ بِكَسْبِ دَانِقٍ)^(٦).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرني أبي، قال: سمعتُ الأوزاعي،

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٨، الحلية ١٤٣/٦، ابن عساكر ٢٠٦/٣٥ - ٢٠٧، مختصره ٣٣٠/١٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٠١/٣٥ - ٢٠٢، مختصره ٣٢٨/١٤.

(٣) الحلية ١٤٢/٦، تاريخ ابن عساكر ٢٠٦/٣٥، مختصره ٣٣٠/١٤.

(٤) في تاريخ ابن عساكر: (ما أحب)، تصحيف.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٩٥/٣٥، مختصره ٣٢٦/١٤، صفوة الصفوة ٢٥٧/٤ - ٢٥٨.

(٦) تاريخ ابن عساكر ٢٠٨/٣٥، مختصره ٣٣١/١٤.

يقول: (ليس ساعةً من ساعات الدنيا إلا وهي معروضةٌ على العبد يوم القيامة، يوماً فيوماً، وساعةً فساعةً، ولا تمرُّ به ساعةٌ لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعتْ نَفْسُهُ عليها حسراتٍ، فكيف إذا مرَّ به ساعةٌ مع ساعةٍ، ويومٌ مع يومٍ، وليلةٌ مع ليلةٍ؟!)(١).

وقال الأوزاعي: (العافيةُ عشرة أجزاء، تسعةٌ منها صمّت، وجزءٌ منها الهرب من الناس)(٢).

وروى زافر بن سليمان، عن مُستلم بن سعيد، عن الأوزاعي قال: (لا يكون في آخر الزمان شيءٌ أعزَّ من أخٍ مؤنسٍ، أو كسبٍ درهمٍ من جلّه، أو سنةٍ يُعمل بها)(٣).

رؤى وبشائر:

** قال الحَكَم بن موسى: حدثنا الوليد بن مُسلم، قال: (ما كنتُ أحرصُ على السماع من الأوزاعي، حتى رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقبل لي: إنه هاهنا في غار - أو شبه غار - فدخلتُ، فإذا رسول الله ﷺ، والأوزاعي جالسٌ إلى جنبه، فقلت: يا رسول الله، عمّن أحملُ العلم؟ قال لي: «عن هذا»، وأشار إلى الأوزاعي)(٤).

وقال عمرو بن أبي سلمة: سمعت الوليد بن مسلم يحدث، قال: (رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فسلمتُ عليه، وإذا شيخٌ جالسٌ إلى جنب النبي ﷺ، وإذا الشيخُ قد أقبل على النبي ﷺ يحدثه، والنبي ﷺ مُقبلٌ

(١) الحلية ١٤٢/٦، صفة الصفوة ٢٥٥/٤ - ٢٥٦.

(٢) صفة الصفوة ٢٥٧/٤.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢٠٢/٣٥، مختصره ٣٢٩/١٤، وفي صفة الصفوة ٢٥٨/٤ من وجه آخر بنحوه.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٩١/٣٥ - ١٩٢، مختصره ٣٢٤/١٤.

على الشيخ يَسْمَعُ حديثه، فسَلَّمْتُ على النبي ﷺ، فردَّ عليَّ السلام، ثم جلست إلى بعض جلسائه، فقلتُ للذي جلستُ إليه: مَنْ الشيخ الذي قد أقبل عليه النبي ﷺ وهو يَسْمَعُ حديثه؟ قال: وما تعرفُ هذا؟ قلت: لا، قال: هذا عبد الرحمن بن عمرو، قلت: إنه لَدُو منزلَةٌ من رسول الله ﷺ، قال: أجل. ثم حانتُ مني التفاتةٌ، فإذا أنا بالأوزاعي قائم في مصلى النبي ﷺ^(١).

وقال يونس بن عبد الأعلى: حدثنا بشر بن بكر، قال: (رأيتُ في النوم أنني دخلتُ الجنة، فرأيت الأوزاعيَّ وسفيانَ الثوري، ولم أر مالك بن أنس، فقلتُ: فأين مالك؟ قالوا: وأين مالك؟! وأين مالك؟! رُفِعَ مالكُ، قال: فما زال يقول: وأين مالك، رُفِعَ مالك، حتى سقطتُ قلنسوته)^(٢).

وقال العباس بن الوليد: حدثني محمد بن عبد الرحمن السُّلَمي، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأوزاعي، قال: قال لي أبي: (يا بُني، إني أريد أن أحدثك بحديثٍ أسرُّك به، ولا أفعلَ حتى تعطيني مؤثفاً أنك لا تُحدِّثُ به ما كنتُ حياً، قال: فقلتُ: أفعلُ يا أبتِ، قال: إني رأيتُ كأنني واقفتُ على باب من أبواب الجنة، وإذا أحدٌ مِصْرَاعِي الباب قد زالَ عن موضعه، وإذا برسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - يُعالجون رَدَّهُ، فَرَدُّوه ثم تَرَكُوهُ، فزالَ، ثم أعادُوهُ ثم تَرَكُوهُ، فزالَ، فلما كان في الثالثة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الرحمن، ألا تُمَسِّكُ معنا؟»! فأمسكتُ معهم حتى رَدُّوه وثبتَ).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٩، تاريخ ابن عساكر ١٩٢/٣٥، مختصره ٣٢٤/١٤ - ٣٢٥.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٨، وبأخصر منه في: تاريخ ابن عساكر ٢٢٨/٣٥، مختصره

٣٤٠/١٤، وفيه: (بشر بن أبي بكر)، خطأ.

وفي رواية بنحوه، وفي آخره: قال العباس بن الوليد: (ونرى ذلك ممّا كان يذُبُّ عن السُّنَّة) ^(١).

قال عمرو بن ابي سلّمة التَّنَسِي: حدثنا الأوزاعي، قال: (رأيتُ كأنَّ مَلَكَئِنِ عَزَّجَا بي، وأوقفاني بين يدي ربِّ العزّة، فقال لي: أنتَ عبدي عبْدُ الرحمن الذي يأمرُ بالمعروف ويَنْهَى عن المنكر؟ فقلت: بعزَّتِكَ أي ربِّ أنتَ أعلمُ. قال: فهبَّطَا بي حتى ردَّاني إلى مكاني).

وزُويت الحكاية من وجه آخر بنحو ذلك، وفي آخرها: (فقلتُ: يا ربِّ أمِئْتَنِي على الإسلام، فقال: وعلى السُّنَّة) ^(٢).

علمه:

رَحَلَ الأوزاعي في طلب العلم، وسمع من أهل الشام والحجاز والكوفة والبصرة، وأخذ عن أئمة الحديث وأوعية العلم، كعطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب وقتادة والزهري ويحيى بن أبي كثير، وجدَّ واجتهد، وتعب في الطلب، فحصل علماً غزيراً، ووعى حديثاً كثيراً، مع التحري في الأخذ والأداء، والضبط لما حمل، والإتقان لما روى، حتى عدَّه النقاد من الحفاظ الذين يدور عليهم الإسناد، وحديثه من أصحَّ الأسانيد، وأصحَّ أسانيد الشاميين.

وتكلَّم الأوزاعي في الرجال جرحاً وتعديلاً، وله كلام قيم في عدد من أنواع علوم الحديث، ونقل من صنَّف من الأئمة في هذا الباب أقواله وحفظوها واحتجَّوا بها.

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، تاريخ ابن عساكر ١٩٣/٣٥ - ١٩٤، مختصره: ٣٢٥/١٤.

(٢) الحلية ١٤٢/٦، تاريخ ابن عساكر ١٩٢/٣٥ - ١٩٣، مختصره ٣٢٥/١٤، صفة الصفوة ٢٥٨/٤.

وجَمَعَ إلى ذلك فقهَ الحديث والآثار، وعَدَّه الشافعي من فقهاء المحدثين، ولا ريبَ في هذا، وآراؤه وأقواله الفقهية كثيرة جداً، فقد ذكروا أنه أجاب في ثمانين ألف مسألة، وكان له مذهبٌ مستقلٌ عمِلَ به الناس في الشام والأندلس قرابةً مئتي سنة، ثم فني، وبقيت أقواله مدونةً في كتب الفقه الكبيرة.

وتولَّى منصب الإفتاء مدةً من الزمن، وله فضل السَّبِق في التدوين، فهو أول من دوّن العلم بالشام، وصنّف الكتب في السُّنن والفقه، وجلس للناس يحدّثهم ويُفقههم، ونشّر علماً طيباً مباركاً فيه، وتكاثرت عليه طلبه العلم وأئمة الرواية، وحمل عنه خلق كثير، وجمع أصحابه علمه وحديثه ودوّنوه ونقلوه لمن بعدهم.

وغدا الأوزاعي أحدَ كبار أئمة الإسلام وفقهاء الأمة، وأثنى عليه الكبار في هذا، وهو من الرؤوس الذين أنزّوا الفقه الإسلامي، ويعدّ مع أبي حنيفة والثوري ومعر ومالك ومن في هذه الحلبة، رضي الله عنهم، وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

طلبه العلم:

** قال الحسن بن جرير: حدثني محمد بن أيوب بن سُويد، عن أبيه: (أنَّ الأوزاعيَّ خرج في بَعْثٍ إلى اليمامة، فلما وصل إليها دخل مسجدها، فاستقبل سارية يصلّي إليها، وكان يحيى بن أبي كثير قريباً منه، فجعل يحيى ينظرُ إلى صلاته، فأعجبته، وقال: ما أشبه صلاة هذا الفتى بصلاة عمر بن عبد العزيز. قال: فقام رجل من جلساء يحيى، فانتظر حتى إذا فرغ الأوزاعي من صلاته، أخبره بما قال يحيى، فجاء الأوزاعي حتى جلس

إليه، فسأله عن بلده وعن حاله، وجرى بينهما كلام، فترك الأوزاعي الديوان، وأقام عند يحيى مدة يكتب عنه، ويسمع منه، فقال له يحيى: ينبغي لك أن تُبادر إلى البصرة، لعلك أن تُدرك الحسنَ البصري ومحمد بن سيرين، فتأخذَ عنهما. فانطلقَ إليهما، فوجد الحسنَ قد مات قبل دخوله بشهرين، وابن سيرين حي، فأخبرنا الأوزاعي: أنه أتى بابَه وهو مريض، قال: فكنا ندخل فنعودُه ونحن قيام لا نتكلم، وهو أيضاً لا يتكلم، فلبثنا أياماً، فخرج إلينا الرجل الذي كان يوصلنا إليه، فقلنا له: ما خبر الشيخ؟ قال: تركته قد لَزِقَ لسانُه بحنكِه، وهو يقول: لا إله إلا الله. ومات من يومه ذلك، وكان به البَطْنُ^(١).

وفي رواية عن الأوزاعي قال: (فجالستُ يحيى بنَ أبي كثير، وكتبتُ عنه أربعةَ عشر كتاباً - أو ثلاثةَ عشر - فاحترق كلُّه)^(٢).

قال ابن سعد: (وكان مكتبه باليمامة، فلذلك سمع من يحيى بن أبي كثير وغيره من مشايخ أهل اليمامة)^(٣).

وروى محمد بن كثير، عن الأوزاعي قال: (رحلتُ إلى الحسن وابن سيرين، فوجدتُ الحسن قد مات، ووجدتُ محمد بنَ سيرين مريضاً، فدخَلنا عليه نعودُه، فمكثَ أياماً ثم مات)^(٤).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٥٩/٣٥، مختصره ٣١٥/١٤ - ٣١٦، وجاء مختصراً في مقدمة الجرح والتعديل ١٨٦. والبَطْن: هو داء البَطْن.

(٢) مَرَّ بتمامه ص ٥٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧، وانظر: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥١٦.

(٤) مقدمة الكامل لابن عدي، ص ٨٩، الرحلة في طلب الحديث: رقم ٧٠. وانظر رواية أخرى في تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، ٧٢٢ - ٧٢٣.

** روى محمد بن كثير، عن الأوزاعي قال: (جالستُ القاسمَ بنَ مُخَيَّمِرَةَ حين احتلمتُ)^(١).

وقال الوليد بن مُسلم: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (كنا نسمعُ الحديثَ فنعرضه على أصحابنا كما يُعرض الدرهم الزئفُ على الصَّيارفة، فما عَرَفوا أخذنا، وما تركوا تركنا).

وفي رواية: (فما عَرَفوا منه أخذنا، وما أنكروا منه تركنا)^(٢).

قال أحمد: حدثنا محمد بن مصعب، قال: سمعت الأوزاعي، يقول: (كان عطاء أسودَ مُمَزَّجاً، فكنا إذا جئناه نهابُ أن نسأله، حتى يَمَسَّ عارضِيه أو يلتفت أو يتنحج، قال: فندنو منه حينئذٍ ونسأله)^(٣).

وروى عُمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي قال: (دَفَعَ إليَّ يحيى بن أبي كثير صحيفةً فقال: ازوها عني، ودَفَعَ إليَّ الزهري صحيفةً فقال: ازوها عني)^(٤).

وروى عباس الدُّوري، عن يحيى بن معين قال: (الأوزاعي يُقال: إنه أخذ الكتاب من الزُّبيدي كتاب الزهري، وسمعه من الزهري)^(٥).

** قال الوليد بن مُسلم: حدثنا الأوزاعي، قال: (سألتُ الزهري: أيُّ

(١) التاريخ الأوسط ٤٠١/١، التعديل والتجريح ٩٧١/٢.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠/٢ - ٢١، تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٢٦٥، ٧٢٢.

(٣) العلل برواية عبد الله: رقم ١١٤١. قوله (مُمَزَّجاً): رجلٌ مَزَّاجٌ ومَمَزَّجٌ؛ لا يثبت على خلُقٍ، إنما هو ذو أخلاق.

(٤) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٢٦٥، ٤١٥، ٧٢٣، المحدث الفاصل: رقم ٥٠٥، جامع بيان العلم ٢١٩/٢.

(٥) تاريخ الدوري ٣٥٣/٢، الجرح والتعديل ٢٦٧/٥.

أزواج النبي ﷺ استعاذت منه؟ قال: أخبرني عروة، عن عائشة ؓ: أن ابنة الجون لما أُدخِلت على رسول الله ﷺ، ودنا منها، قالت: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فقال لها: «لقد عُذتِ بعظيم، الحَقِّي بأهلك»^(١).

وقال الوليد بن مُسلم: أخبرني أبو عمرو - يعني الأوزاعي - (أنه سأل الزهري عن صلاة رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، قال: أخبرني عروة، عن عائشة قالت: فَرَضَ اللهُ ﷻ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ أَوَّلَ مَا فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَمَّتْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَأُفِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْفَرِيضَةِ الْأُولَى)^(٢).

** روى ضُمرة بن ربيعة، عن الأوزاعي قال: (حَجَجْتُ، فَلَقَيْتُ عَبْدَةَ بْنَ أَبِي لُبَابَةَ بِمِنَى، فَقَالَ لِي: هَلْ لَقَيْتَ الْحَكَمَ؟ قَالَ: قَلْتُ: لَا، قَالَ: فَادْهَبْ فَالْقُهُ، فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَفْقُهُ مِنْهُ، قَالَ: فَلَقَيْتُهُ، فَإِذَا بَرَجِلٍ حَسَنٍ السَّمْتِ مَقْنَعٍ).

زاد في رواية: (فسألته عن صَيْدِ الْمِعْرَاضِ، فَقَالَ: مَا خَزَقَ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: وَنَحْنُ نَأْكُلُ مَا خَزَقَ وَمَا لَمْ يَخَزِقْ)^(٣).

(١) أخرجه البخاري: الفتح ٣٥٦/٩ حديث ٥٢٥٤ والنسائي ١٥٠/٦، وابن ماجه: حديث ٢٠٥٠، وابن حبان: حديث ٤٢٦٦.

(٢) أخرجه النسائي بهذا اللفظ ٢٢٥/١، ومن غير طريق الأوزاعي: البخاري: الفتح ٤٦٤/١ حديث ٣٥٠، ومسلم: حديث ٦٨٥، وأبو داود: حديث ١١٩٨. وانظر أسئلة أخرى سألها شيخه الزهري: سنن الدارمي: حديث ٩١٨، ٩١٩، ١١٨٠.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥٠٢٤، المعرفة والتاريخ ٧٩٤/٢، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٢٩٦، تاريخ ابن عساكر ١٦٠/٣٥. والحكم: هو ابن عتبية الحافظ الفقيه. قوله (مقنع): يقال: فلان مقنع في العلم وغيره أي رضا. والمعراض: سهم بلا ريش ولا نصل، وإنما يُصيب بعرضه دون حده. وانظر روايات الحديث في: جامع الأصول ٢٤/٧، وشرحه في الفتح: ٥٩٩/٩، أول كتاب الذبائح والصيد.

المحدث:

روى عن:

إبراهيم بن طريف الشامي، وأسامة بن زيد اللثبي، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وأسيد بن عبد الرحمن الخثعمي، وبُزْد بن سنان، وبلال بن سعد، والحارث بن يزيد الحضرمي، وحسان بن عطية، وحضن الدمشقي، وحفص بن عنان اليمامي، والحكم بن عتيبة، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وربيعه بن يزيد، وسليمان بن حبيب المحاربي، وسليمان بن مهران الأعمش، وسليمان بن موسى الدمشقي، وشداد أبي عمار^(١)، وعبد الله بن عامر الأسلمي، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبدة بن أبي لبابة، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن ضهيب، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، وعلقمة بن مزند، وعمرو بن سعد الفدكي، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن قيس السكوني، وعمير بن هاني، وغيلان بن أنس، وقتادة بن دعامة، وقرة بن عبد الرحمن بن حيويل، ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن الوليد الزبيدي، والمطلب بن عبد الله بن حنطب، ومكحول الشامي، ونافع مولى ابن عمر، ونهيك بن يريم، وهارون بن رثاب، والوليد بن هشام المعيطي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن أبي عمرو السيباني، ويحيى بن أبي كثير،

(١) في تاريخ الإسلام، ص ٤٨٤: (شداد بن عمار)، وفي الوافي ٢٠٧/١٨ (شداد، وأبي عمار)، وكلاهما خطأ.

ويعيش بن الوليد بن هشام المُعَيْطِيّ، وأبي كثير السُّحَيْمِيّ، وأبي يسار القرشيّ، وخلق كثير.

وحدث عنه:

قتادة بن دِعامَة، ومحمد بن مُسلم بن شهاب الزهريّ، ويحيى بن أبي كثير، وهؤلاء من شيوخه.

وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفَزَارِيّ، وإسماعيل بن عبد الله بن سَماعة، وإسماعيل بن عِيَّاش، وأبو ضَمْرَة أنس بن عياض اللَّيْثِيّ، وبِشْر بن بَكْر التَّنِيسِيّ، وبقية بن الوليد، والحارث بن عطية، ورفدة بن قُضاعة الغَسَّانِيّ، وسعيد بن عبد العزيز، وسفيان بن حبيب البَصْرِيّ، وسفيان الثوريّ، وسَلَمَة بن كُثُوم، وسَهْل بن هاشم البَيْرُوتِيّ، وشعبة بن الحجاج، وشُعيب بن إسحاق الدَّمَشْقِيّ، والضَّحَّاك بن مَخْلَد، وضَمْرَة بن ربيعة، وعبد الله بن كثير القارئ، وعبد الله بن المبارك، وعبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعبد الرزاق بن هَمَّام، وأبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخَوْلَانِيّ، وعُبَيْد الله بن موسى العَبْسِيّ، وعُقبة بن علقمة البَيْرُوتِيّ، وعُمارة بن بِشْر، وعُمَر بن عبد الواحد السُّلَمِيّ، وعمرو بن أبي سَلَمَة التَّنِيسِيّ، وعيسى بن يونس، وفُدَيْك بن سُليمان، ومالك بن أنس، ومُبَشَّر بن إسماعيل الحَلَبِيّ، ومحمد بن حرب الخَوْلَانِيّ، ومحمد بن شُعيب بن شابور، ومحمد بن كثير المِصْبِيّ، ومحمد بن مصعب الفَرَقَسَانِيّ، ومحمد بن يوسف الفُزْيَابِيّ، ومَخْلَد بن يزيد الحَرَّانِيّ، ومِسْكين بن بُكير الحَرَّانِيّ، والمُعَافَى بن عمران المَوْصِلِيّ، والمُفَضَّل بن يونس الجُعْفِيّ، وموسى بن أعين الجَزْرِيّ، والهَقْل بن زياد، ووَكيع بن الجَرَّاح، والوليد بن مَزِيد

البَيروتيُّ، والوليد بن مُسلم الدمشقيُّ، ويحيى بن حمزة الحَضْرَميُّ،
ويحيى بن سعيد القطان، ويزيد بن السَّمط الصَّنْعاني، وأمّ سواهم.
وحديثه في كتب السُّنَّة كلها.

درجة حديثه في بعض شيوخه:

** قال عثمان بن سعيد الدَّارميُّ: (سألت يحيى عن الأوزاعيِّ، ما حاله
في الزهريِّ؟ فقال: ثقة. قلتُ له: أين يقع من يونس؟ فقال: يونس أسنَدُ
عن الزهريِّ، والأوزاعيُّ ثقة، ما أقلَّ ما روى الأوزاعي عن الزهري) (١).

وقال ابن الجُنَيْد: (سُئِلَ يحيى بن مَعِين، وأنا أسمعُ: مَنْ أثبت مَنْ روى
عن الزهريِّ؟ فقال: مالك بن أنس، ثم مَعْمَر، ثم عُقَيْل، ثم يونس، ثم
شُعَيْب، والأوزاعيُّ، والزُّبيديُّ، وسفيان بن عُيينة، وكل هؤلاء ثقاتُ).
قلت ليحيى: (أيُّهما أثبتُ: سفيان أو الأوزاعي؟ فقال: سفيان ليس به بأسُ،
والأوزاعيُّ أثبتُ منه، والزُّبيديُّ أثبتُ منه؛ يعني: من سفيان بن عُيينة) (٢).

- قال علي بن المَدِيني: (أثبتُ الناس في الزهريِّ: سفيان بن عُيينة،
وزياد بن سَعْد، ثم مالك، ومَعْمَر، ويونس من كتابه، والأوزاعيُّ
مُقارِب الحديث) (٣).

** قال يحيى بن مَعِين: (ليس أحدٌ في يحيى بن أبي كثير مثل هشام
الدُّسْتوائيِّ والأوزاعيِّ، وعليُّ بن المبارك بعد هؤلاء) (٤).

(١) تاريخ الدارمي: ترجمة ٢٢، ٢٣.

(٢) سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٥٦، ١٥٧، وانظر: ٥٤٥، وتاريخ ابن عساکر ١٨٠/٣٥، ١٨١.

(٣) المعرفة والتاريخ ١٣٨/٢، تاريخ ابن عساکر ١٨٣/٣٥.

(٤) تاريخ الدوري ٦١٨/٢.

- وقال زكريا السَّاجِيّ: حدثني أحمد بن محمد، قال: (سمعت أحمد بن حنبل، وذَكَر أصحاب يحيى بن أبي كثير، فقال: هشامٌ يَرجع إلى كتاب، والأوزاعيُّ حافظ. وذكر غيرهما)^(١).

- وقال أبو حاتم: (سألتُ علي بن المَدِينِي: مَنْ أثبت أصحاب يحيى بن أبي كثير؟ قال: هشام الدَّسْتَوَائِي. قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم الأوزاعيُّ، وحُسَيْن المعلم، وحجَّاج الصَّوَّاف. وأراه ذكر علي بن المبارك)^(٢).

- وقال أبو عُبَيْد الأَجْرِيّ: (سألتُ أبا داود عن أصحاب يحيى بن أبي كثير، أعني مَنْ أعلاهم عن يحيى؟ فقال: هشام الدَّسْتَوَائِي، والأوزاعي)^(٣).

أصحابه وأثبتهم فيه^(٤):

قال الأَجْرِيّ: (سألتُ أبا داود عن أصحاب الأوزاعيِّ، فقال: هَقْل، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: ليس أحدٌ يتقدَّم هَقْل بن زياد. قيل لأبي داود: بقيَّة في الأوزاعيِّ؟ قال: لا. ثم قال: أصحاب الأوزاعي: ابن سَمَاعَةَ، والوليد بن مَزَيْد، وعُمَر بن عبد الواحد، قيل له: محمد بن شُعَيْب في الأوزاعي؟ قال: ثبت. قلت لأبي داود: فابنُ كثير، أعني المِصْبِيّ؟ قال: ابن كثير دون بقيَّة. قيل لأبي داود: فابنُ المبارك؟ قال: ابنُ المبارك وأبو إسحاق الفَرَارِيّ في الغُرباء من عِلِّيَّتِهِمْ)^(٥).

(١) مقدمة الكامل لابن عدي، ص ٨٨، تاريخ ابن عساكر ١٧٩/٣٥، ولكن المحقق ضبطه هكذا:

(فقال هشام: نرجع إلى كتاب الأوزاعي حافظ)، وهو خطأ!

(٢) المرح والتعديل ٦٠/٩ - ٦١.

(٣) سؤالات الأَجْرِيّ: رقم ١٠٤٣.

(٤) للحافظ أبي زُرعة الدمشقي كتاب «تسمية أصحاب الأوزاعي». انظر: تاريخه، ص ٧٦.

(٥) سؤالات الأَجْرِيّ: رقم ١٥٩٨.

- قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ: (سَأَلْتُ أَبَا مُسْهَرٍ، قُلْتُ: مَنْ أُنْبَلُ أَصْحَابِ الْأَوْزَاعِيِّ؟ قَالَ: الْهَقْلُ بْنُ زِيَادٍ. قُلْتُ: فَابْنُ سَمَاعَةَ؟ قَالَ: بَعْدَهُ)^(١).

وقال مروان بن محمد الطَّاطِرِيُّ: (كان أعلم الناس بالأوزاعيِّ وبمجلسه وحديثه وفتياه عشرة أنفس، أولهم هِقل بن زياد)^(٢).

- وقال أبو حاتم: حدثنا دُحَيْمٌ، قال: (كان أبو مُسْهَرٍ يُقَدِّمُ يَزِيدَ بْنَ السَّمُطِ وَيَزِيدَ بْنَ يَوْسُفَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَوْزَاعِيِّ)^(٣).

- وقال أحمد بن أبي الحَوَّارِي: قال لي مروان بن محمد: (إذا كَتَبْتَ حَدِيثَ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ؛ فَمَا تُبَالِي مَنْ فَاتَكَ)^(٤).

إرساله، والقول في سماعه من نافع:

** قال ابن حِبَّانَ: (لم يَسْمَعِ الْأَوْزَاعِيَّ مِنْ ابْنِ سَيْرِينَ شَيْئاً)^(٥).

وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: (الأوزاعيُّ دَخَلَ عَلَى ابْنِ سَيْرِينَ فِي مَرَضِهِ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ)^(٦).

** قال ابن معين: (لم يَسْمَعِ الْأَوْزَاعِيَّ مِنْ نَافِعٍ، وَقَدْ سَمِعَ الْأَوْزَاعِيَّ مِنْ عَطَاءٍ)^(٧).

(١) تاريخ أبي زرعة، ص ٣٨٣، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٨٩.

(٢) الجرح والتعديل ١٢٣/٩.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٨٨.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٣٨٤، وبنحوه في الجرح والتعديل ١٧/٩.

(٥) الثقات ٦٣/٧.

(٦) سنن الدارقطني ٦٤/١، جامع التحصيل ٢٧٤.

(٧) تاريخ الدوري ٣٥٤/٢.

وقال أبو زُرعة الدمشقي: (لا يَصِحُّ عندنا للأوزاعي عن نافع شيءٌ. وقد سمعتُ أبا مُسهر، يقول: حدّثني ابن سَماعة، قال: أخبرنا الأوزاعي، قال: حدّثني رجلٌ، عن نافع)^(١).

قلت: وقد ردَّ جماعةٌ من الأئمة ذلك، وصحّحوا سماعَ الأوزاعي من نافع، وأخرج له البخاري في «صحيحه» عن نافع، وهو لا يكتفي بمجرّد المعاصرة، وقال الكلاباذيُّ في ترجمته: (سمع الزهريُّ، ونافعاً، وعطاءً، وإسحاقَ بن عبد الله بن أبي طلحة، ويحيى بن أبي كثير)^(٢).

- أخرج البخاري في «كتاب الاستسقاء» بإسناده: (عن ابن المبارك، عن عُبيد الله بن عُمر، عن نافع، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: (أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «صَيِّباً نافعاً». ثم قال البخاريُّ: تابَعَه القاسمُ بن يحيى عن عُبيد الله، ورواه الأوزاعيُّ وعُقَيْلٌ عن نافع)^(٣).

وأخرجه النَّسائي في «عمل اليوم والليلة»^(٤) من طريق الوليد بن مُسلم، عن الأوزاعي قال: حدّثني نافع، عن القاسم بن محمد، عن عائشة. وكذا أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»^(٥)، وفيه تصريح الوليد بالسماع من الأوزاعي، والأوزاعي من نافع.

وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن أبي العشرين قال: (حدّثنا الأوزاعيُّ، أخبرني نافع، أن القاسمَ أخبره)^(٦).

(١) تاريخ أبي زرة، ص ٧٢٣.

(٢) رجال صحيح البخاري ٤٥٠/١

(٣) الفتح ٥١٨/٢ حديث ١٠٣٢.

(٤) السنن الكبرى: حديث (١٠٦٨٨)، وانظر كتابي «الأوزاعي»: ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٥) السنن الكبرى ٣/٣٦١.

(٦) سنن ابن ماجه: حديث ٣٨٩٠.

وقد روى هذا الحديث جماعة عن الأوزاعي فذكروا بينه وبين نافع واسطة: فرواه بعضهم عن الأوزاعي عن رجل عن نافع، ورواه آخر: عن الأوزاعي عن الزبيدي عن نافع، ورواه ثالث: عن الأوزاعي عن الزهري عن نافع^(١). وهذا لا يطعن في سماع الأوزاعي من نافع، حيث يكون أخذه عنه بواسطة، ومن دون واسطة، ونظائر هذا كثير معروف.

قال ابن التركماني بعد استعراض ما أورده البيهقي عن سماع الأوزاعي من نافع: (وبهذا يظهر ضعف كلام ابن معين، ولو صحَّ الطريق الذي فيه الوسطة؛ لا يلزم من ذلك عدم سماع الأوزاعي منه، بل يُحمل على أنه سمعه منه، ثم من رجل عنه)^(٢).

ونَصَرَ ذلك الحافظ في «الفتح» و«تغليق التعليق»^(٣).

حفظه وإتقانه وتحريه:

قال عمرو بن علي: (الأوزاعي ثبت لما سمع).

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: (قلت لأبي: كان الأوزاعي يحفظ القرآن؟ قال: ثكلتك أمك! وأي شيء كان لا يحفظ الأوزاعي؟!)^(٤).

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثني الوليد بن عتبة، قال: (قلت للفريابي: كان الأوزاعي يحفظ؟ قال: نعم)^(٥).

(١) تغليق التعليق ٣٩٥/٢.

(٢) الجوهر النقي بهامش السنن الكبرى ٣٦٢/٣.

(٣) الفتح ٥١٩/٢، شرح الحديث (١٠٣٢)، تغليق التعليق ٣٩٤/٢ - ٣٩٦.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٤.

(٥) تاريخ أبي زرعة، ص ٢٦٦، ٧٢٤.

وقال عمرو بن أبي سلمة: (قلتُ للأوزاعيِّ: يا أبا عمرو، الحسنُ أو رجلٌ عن الحسن؟ قال: رجلٌ عن الحسن. قلت: فنافعٌ، أو رجلٌ عن نافع؟ قال: رجلٌ عن نافع. قلت: فعمرو بنُ شعيب، أو رجلٌ عن عمرو بن شعيب؟ قال: عمرو بن شعيب)^(١).

قلت: يعني أنه أخذ عن نافع والحسن بواسطة، وقوله في حديثه عن نافع محمول أن بعضه بواسطة وبعضه مباشرة، كما بيّنا سابقاً.

قال الهيثم بن عمران: (سمعتُ الأوزاعي، وسأله مُنيب فقال: أكلُّ ما جاءنا عن النبي ﷺ نَقْبَلُهُ؟ فقال: نَقْبَلُ فِيهِ مَا صَدَّقَهُ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ، فهو منه، وما خالفه فليس منه. قال له مُنيب: إنَّ الثقاتِ جاؤوا به، قال: فإنَّ كان الثقاتِ حَمَلوه عن غير الثقاتِ؟!)^(٢).

الأوزاعيُّ أَحَدُ من يدور عليهم الإسناد، وحديثه من أصح الأسانيد:

قال علي بن المديني: (نظرتُ فإذا الإسنادُ يدور على ستة: الزهريُّ، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبو إسحاق الهمداني، والأعمش، ثم صار علمُ هؤلاء الستة من أهل الشام إلى عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي)^(٣).

قال الحاكم وتابعه عدد من العلماء: (أثبتُ أسانيدَ الشاميين: الأوزاعيُّ، عن حسان بن عطية، عن الصحابةِ رضي الله عنهم)^(٤).

(١) تاريخ زرعة، ص ٢٦٥ - ٢٦٦، ٧٢٣.

(٢) تاريخ أبي زرعة، ص ٢٧١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٧، وبأطول منه في جامع بيان العلم ٢/٢٠٥ - ٢٠٦. وله روايات أخرى ذكرنا بعضها في ترجمة الأئمة الستة المذكورين.

(٤) معرفة علوم الحديث، ص ٥٦، نكت الحافظ على ابن الصلاح ١/٢٥٨، تدريب الراوي ١/٨٤.

كثرة حديثه، وسعة علمه، وقوة حجته:

** قال الإمام الذهبي: (ذكر بعض الحفاظ أن حديث الأوزاعي نحو الألف، يعني المسند، أما المرسل والموقوف فألوف. وهو في الشاميين نظير معمر لليمانيين، ونظير الثوري للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين، ونظير الليث للمصريين، ونظير حماد بن سلمة للبصريين)^(١).

قال العباس بن الوليد بن مزيد: سمعت أبا مُشهر، يقول: (لقد حرصت على جمع علم الأوزاعي، حتى كتبت عن إسماعيل بن سماعة ثلاثة عشر كتاباً، حتى لقيت أباك فوجدت عنده علماً لم يكن عند القوم)^(٢).

وقد جمع حديث الأوزاعي ابن جَوْصَا^(٣)، كما أفاد الكتاني في «ثبته» عند ترجمته لأبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السَّمِيسَاطِي^(٤).

** قال عبد الرحمن بن القاسم: (جئت يوماً إلى منزل مالك بن أنس، فوجدت سفيان الثوريّ وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعيّ خارجين من عنده، فدخلت إلى مالك فقلت له: أبا عبد الله، لقيت الساعة الأوزاعي والثوري خارجين من عندك، فقال لي: أما أحدهما فمن الراسخين في العلم، يريد: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ١٣٢/٧.

(٢) الجرح والتعديل ١٨/٩.

(٣) الإمام الحافظ محدث الشام أحمد بن غمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصَا، توفي سنة (٣٢٠هـ).

(٤) ثبت عبد العزيز الكتاني، مطبوع مع «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير» ص ٣٥٩ «وفيات ٤٥٣». وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧١/١٨.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٦٨/٣٥، مختصره ٣١٨/١٤.

وروى يحيى بن سعيد القطان: (عن مالك بن أنس قال: اجتمع عندي الأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة، فقلت: فأئهم وجدته أكثر علماً؟ قال: كان أرجحهم الأوزاعيُّ)^(١).

قال القاسم بن سلام: أخبرني عبد الرحمن بن مهدي، قال: (ما كان بالشام أحد أعلم بالسنة من الأوزاعي)^(٢).

وقال ابن مهدي أيضاً: (كان الأوزاعي إماماً في السنة)^(٣).

* قال العباس بن نجیح: حدثنا عون بن حكيم، قال: (خرجت مع الأوزاعي حاجاً، فلما أتينا المدينة، أتى الأوزاعي المسجد، وبلغ مالكا مقدمه، فأتاه مسلماً عليه، فجلسا من بعد صلاة الظهر يتذاكران العلم، فلم يذكرنا باباً من أبوابه إلا غلب الأوزاعي عليه فيه، ثم حضرت صلاة العصر، فصلياً، ثم جلسا وعاودا المذاكرة، كل ذلك يغلب عليه الأوزاعي فيما يتذاكران، فلما اصفرت الشمس، ناظره في باب المكاتب والمدبر، فخانقه^(٤) مالك بن أنس فيه).

وفي رواية: قال عون بن حكيم: (حججت مع الأوزاعي وكان حجاً جاً...) وفي آخرها: (فلما صلينا المغرب، قلت لأصحابه: كيف رأيتم صاحبنا مع صاحبكم؟ فقالوا: لو لم يكن في صاحبكم إلا سمته؛ لأقررنا بفضلته)^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٦٧/٣٥، مختصره ٣١٨/١٤.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٤.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٣.

(٤) في رواية: (فخالفه).

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٤ - ١٨٥، تاريخ ابن عساكر ١٦٩/٣٥، مختصره ٣١٨/١٤.

من أقواله وآرائه في علوم الحديث:

- قال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي، يقول: (كان هذا العلم سنياً^(١) شريفاً إذ كان من أفواه الرجال؛ يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكُتُب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله).

وفي رواية: عن ابن المبارك، عن الأوزاعي قال: (ما زال هذا العلم عزيزاً يتلقاه الرجال، حتى وَقَعَ في الصُّخْفِ، فحمَلَه - أو دخل فيه - غيرُ أهله)^(٢).

- قال عمرو بن أبي سلمة: (قلتُ: للأوزاعي في المُناوَلَة، أقول فيها: حدَّثنا؟ قال: إن كنتُ حدِّثُكَ فقل. فقلت: أقول: أخبرنا؟ قال: لا. قال: قلت: فكيف أقول؟ قال: قل: قال أبو عمرو، وعن أبي عمرو)^(٣).

- قال الوليد بن مسلم: قال الأوزاعي في كُتُب الأمانة - يعني المُناوَلَة: (يُعمل به، ولا يُتحدَّث به)^(٤).

- قال عمر بن عبد الواحد: (دَفَعَ إليَّ الأوزاعيُّ كتابي، بعدما نَظَرَ فيه، فقال: ازوِه عني؟)

وفي رواية: (دَفَعَ إليَّ الأوزاعي كتاباً...)^(٥).

(١) في جامع بيان العلم وتقييد العلم: (شيثاً)، وهو تصحيف.

(٢) سنن الدارمي: حديث ٤٦٧، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٣٦٤، الكامل لابن عدي، ص ٨٩، جامع بيان العلم ٨١/١، تقييد العلم ٦٤، علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٤، ٧٢٣، المحدث الفاصل: رقم ٥٠٢، جامع بيان العلم ٢١٨/٢.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٤، المحدث الفاصل: رقم ٥٠٣، تاريخ ابن عساكر ١٨٧/٣٥، وبنحوه في تاريخ الدوري ٣٥٤/٢.

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٤، ٧٢٣، المحدث الفاصل: رقم ٥٠٤، وانظر: رقم ٤٨٨.

- قال العباس بن الوليد بن مزيد: حدّثني أبي، قال: (قلتُ للأوزاعي: ما قرأته عليك، وما أجزّته لي، ما أقول فيهما؟ فقال: ما أجزّثُ لك وخذك فقلّ فيه: «خَبَّرني»، وما أجزّته لجماعةٍ أنت فيهم فقلّ فيه: «خَبَّرنا»، وما قرأت عليّ وخذك فقلّ «أخَبَّرني»، وما قرأ في جماعةٍ أنت فيهم فقلّ فيه: «أخَبَّرنا»، وما قرأته عليك وخذك فقلّ فيه: «حدّثني»، وما قرأته على جماعةٍ أنت فيهم فقلّ فيه «حدّثنا»^(١)).

- روى بقية، عن الأوزاعي قال: (مثلُ الذي يكتب ولا يُعارضُ مثل الذي يدخلُ الخلاء ولا يَسْتنجي)^(٢).

- قال عُقبة بن علقمة: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (ما أذهب العلمَ ذهابُ الإسنادِ)^(٣).

- قال الوليد بن مُسلم: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (لا بأسُ بإصلاح الخطأ واللحن والتصحيح في الحديث)^(٤).

وقال الوليد مُسلم: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (أعربوا الحديث، فإنَّ القومَ كانوا عرباً)^(٥).

وقال بشر بن بكر التَّيْسِي: (سُئِل الأوزاعي فقيل: يا أبا عمرو، الرجلُ يسمعُ الحديثَ عن النبي ﷺ فيه لحنٌ، أَيْقِيْمُهُ على عَرَبِيَّتِهِ؟ قال: نعم، إنَّ رسولَ الله ﷺ لا يتكلَّم إلا بعربي)^(٦).

(١) المحدث الفاضل: رقم ٤٨٩، وبأخصر منه: رقم ٥٠١.

(٢) جامع بيان العلم ٩٣/١. وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٩١.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٣١٧.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٥، ٧٢٢، المحدث الفاضل: رقم ٦٦٣، جامع بيان العلم

٩٤/١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٠٦٧، ١٠٦٨.

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٥، ٧٢٢، المحدث الفاضل: رقم ٦٦٣، جامع بيان العلم ٩٤/١.

(٦) تاريخ ابن عساكر ١٩٠/٣٥، مختصره ٣٢٣/١٤.

علمه بناقله الآثار ورواة الأخبار وكلامه فيهم:

قال ضمرة بن ربيعة: قال الأوزاعي: (خُذْ دِينَكَ عَمَّنْ تَثِقُ بِهِ وَتَرْضَى بِهِ)^(١).

وروى أيوب بن تميم القاري، عن الأوزاعي: (أنه كان إذا حَدَّثَ عن إسماعيل بن عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: وَكَانَ مَأْمُونًا عَلَى مَا حَدَّثَ)^(٢).

وقال الوليد بن مُسْلِمٍ: سَمِعْتُ الأَوْزَاعِيَّ، يَقُولُ: (مَا أُصِيبَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِأَعْظَمَ مِنْ مَصِيبَتِهِمْ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جِدَارِ العُذْرِيِّ، وَبِأَبِي يَزِيدِ العَوْثِيِّ^(٣)، وَبِالمُطْعِمِ بْنِ المِقْدَامِ الصَّنْعَانِيِّ).

قال ابن أبي حاتم: (فَقَدْ بَانَ بِأَنَّ الأَوْزَاعِيَّ رَضِيهِمْ، إِذْ وَصَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرْنَا)^(٤).

قال خالد بن نزار: (قَلْتُ لِلأَوْزَاعِيَّ: حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ مَنْ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: مِثْلُ حَسَّانَ كُنَّا نَقُولُ لَهُ: عَنْ مَنْ؟!)^(٥).

وقال الأوزاعي: (مَاتَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ يَوْمَ مَاتَ؛ وَهُوَ أَرْضَى أَهْلَ الأَرْضِ عِنْدَ النَّاسِ)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٩٢/٢.

(٢) الجرح والتعديل ١٨٣/٢، تقدمته، ص ٢٠٥.

(٣) في الجرح والتعديل ٩١/٢: (وبأبي مرثد الغنوي)، وهو خطأ وتصحيح فاحش، فهذا صحابي من رجال التهذيب، «وما أثبتته من من مقدمة الجرح، ص ٢٠٤، وهو الصواب، انظر: الجرح والتعديل ٤٥٩/٩، والتاريخ الكبير «الكنى» ٨١/٨.

(٤) الجرح والتعديل ٩١/٢ ت ٢٣٧، تقدمته، ص ٢٠٤.

(٥) مقدمة الكامل لابن عدي، ص ٨٨.

(٦) المعرفة التاريخ ٧٠٢/١، وبنحوه في تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٧٢١.

وقال الأوزاعي: (ما أذهنَ ابنُ شهابٍ لملكٍ قطَّ دَخَلَ عليه، ولا أدركتُ خلافةَ هشامٍ أحداً من التابعين أفقه منه)^(١).

وقال عمر بن عبد الواحد: (قلتُ للأوزاعي: حَدَّثنا عن عطاءِ الخُراساني أنه صلَّى خلف عمر بن عبد العزيز، وأنه كَبَّر يوم النحر، فقال الأوزاعي: إنَّ عطاءً لثقةً، وما أعرف هذا)^(٢).

وقال الوليد بن مُسلم: (سمعت الأوزاعي يُفضِّل محمد بن الوليد الزُّبيديَّ على جميع مَنْ سمع من الزهري)^(٣).

وقال خالد بن نزار: (سألني الأوزاعي فقال لي: أنت من أهل أَيْلَة، أين أنت عن أبي يزيد - يعني يونس بن يزيد الأَيْلي -؟! وَحَصَّنِي عليه)^(٤).

الفقيه:

قال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقول، وسُئِل عن الأوزاعي فقال: (الأوزاعي فقيه متَّبِع لِمَا سَمِع)^(٥).

وقال أبو زُرعة الدَّمشقي: (إليه فَتَوَى الفِقه لأهلِ الشام، لفضله فيهم، وكثرة روايته)^(٦).

وروى رجاء بن أبي سلَمة، عن أبي رَزِين اللَّخمي قال: (أول ما سُئِل

(١) المعرفة والتاريخ ٦٣٩/١، تاريخ أبي زُرعة الدمشقي، ص ٤١٠.

(٢) تاريخ أبي زُرعة الدمشقي، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٣٦١، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٥.

(٤) الجرح والتعديل ٢٤٨/٩، تقدمته، ص ٢٠٦.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٦.

(٦) تاريخ ابن عساكر ١٥٥/٣٥.

الأوزاعي عن الفقه سنة ثلاث عشرة ومئة، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، ثم لم يزل يُفتي بعد ذلك بقيَّة عُمُرِه، إلى أن توفي رَحَلَهُ^(١).

وقال أبو مُسْهَر: حدَّثني هِجَل بن زياد، قال: (أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، أو نحوها)^(٢).

وفي رواية عن الهِجَل بن زياد قال: (أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، وسئل يوماً عن مسألة فقال: ليس عندي فيه خبر - أي أن الذي أفتيتها كلها كان عندي أخبار -)^(٣).

قال أبو مُسْهَر: (لمَّا تَوَفِّي مَكْحُول جَلَسُوا إلى يزيد بن يزيد بن جابر، وكان طويلَ السكوت، فلما رأوا سُكُوتَه جَلَسُوا إلى سُليمان بن موسى، فلما توفي سُليمان بن موسى جلسوا إلى العلاء بن الحارث، فلما وُلِّي ابن سُراقَة قال: مَنْ فقيهُ الجند؟ قالوا: قَيْس الأعمى، قال: لقد ضاع جندٌ فقيهها قيس الأعمى، قال: فَبَعَث إلى الأوزاعي، فأَقْدَمَه من بيروت، فكان يُفتي بها - يعني بدمشق -)^(٤).

وقال الإمام الحافظ أبو يَعْلَى الخَلِيلِي: (أجاب الأوزاعي عن ثمانين ألف مسألة من الفقه من حفظه)^(٥).

(١) المعرفة والتاريخ ٤٠٨/٢ - ٤٠٩، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٢، ٧٢١، تاريخ ابن عساكر ١٦١/٣٥ - ١٦٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٤٣/١ - ١٤٤، ٤٠٨/٢، تاريخ أبي زرعة، ص ٢٦٣، ٧٢١، مقدمة الجرح والتعديل ١٨٤، تاريخ ابن عساكر ١٦٢/٣٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٦٢/٣٥، مختصره ٣١٨/١٤.

(٤) المعرفة والتاريخ ٣٩٣/٢، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٣٨٣، مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٧.

(٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١٩٨/١.

مذهبه وانتشاره:

**** قال الربيع بن سليمان:** سمعت الشافعي، يقول: (ما رأيت رجلاً أشبهه فقهه بحديثه من الأوزاعي)^(١).

قال إبراهيم الحزبي: (سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس، فقال: حديث صحيح ورأي ضعيف. وسئل عن الأوزاعي، فقال: حديث ضعيف، ورأي صحيح. وسئل عن الشافعي، فقال: حديث صحيح، ورأي صحيح. وسئل عن آخر، فقال: لا رأي ولا حديث).

قال البيهقي: (قوله في الأوزاعي «حديث ضعيف»، يريد به بعض ما يحتج به، لا أنه ضعيف في الرواية، والأوزاعي ثقة في نفسه، لكنه قد يحتج في بعض مسائله بحديث من عساه لم يقف على حاله، ثم يحتج بالمراسيل والمقاطيع، وذلك بين في كتبه)^(٢).
وأجاب الذهبي^(٣) بمثل قول البيهقي.

**** وكان للأوزاعي مذهبٌ مستقلٌ، استمرَّ بعد وفاته زهاء قرنين، وانتشر انتشاراً واسعاً في بلاد الشام: سورية ولبنان، والأردن، وفلسطين، وعمل الناس به في بلاد المغرب والأندلس، ثم فني القائلون به، وانتشر مكانه مذهب مالك والشافعي.**

قال الذهبي في ترجمته في «السير»: (وله مسائل كثيرة حسنة ينفرد بها، وهي موجودة في الكتب الكبار، وكان له مذهبٌ مستقلٌ مشهورٌ، عمل به فقهاء الشام مدة، وفقهاء الأندلس، ثم فني).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨٣/٣٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٨٤/٣٥، مختصره ٣٢١/١٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١٤/٧.

وقال في «تاريخه»: (ولقد كان مذهب الأوزاعي ظاهراً بالأندلس إلى حدود العشرين ومئتين، ثم تناقَص واشتَهَر مذهب مالك بن يحيى اللَّيْثِي. وكان مذهب الأوزاعي أيضاً مشهوراً بدمشق إلى حدود الأربعين وثلاثمئة، وكان القاضي أبو الحسن ابن حذلم له حَلقة بجامع دمشق، يَنْتصر فيها لمذهب الأوزاعي)^(١).

وقال تاج الدين السُّبُكِيُّ: قال الأستاذ أبو منصور البَغْدَادِيّ: (وقبل ظهور مذهب الشافعي في دمشق، لم يكن يلي القضاء بها والخطابة والإمامة إلا أوزاعي، على رأي الإمام الأوزاعي)^(٢).

وقال ابن كثير: (وقد بقي أهلُ دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مئتين وعشرين سنة)^(٣).

ونقل ابن حجر عن أبي عبد الملك القرطبي في «تاريخه» قوله: (كانت الفتيا تدور بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة «٢٠٦»)^(٤).

وقال الذهبي في ترجمة ابن حذلم: (الإمام العلامة، مفتي دمشق، وبقية الفقهاء الأوزاعيّة، القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب بن داود بن عبد الله بن حذلم الأسديّ الدمشقيّ الأوزاعي)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ١١٧/٧، تاريخ الإسلام ٤٩٨.

(٢) مقدمة طبقات الشافعية الكبرى، ص ٣٢٦.

(٣) البداية والنهاية ١١٥/١٠، الباعث الحثيث، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٢١٩/٦، وفيه وفاة الحكم سنة (٢٥٦)، خطأ.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥١٤/١٥.

وقال أبو الحُسَيْن محمد بن عبد الله بن جعفر الرازيُّ: (أحمد بن سليمان بن حذلم، آخِرُ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَلَقَةٌ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ، يَدْرُسُ فِيهَا مَذْهَبَ الْأَوْزَاعِيِّ)^(١). ووفاة ابن حذلم سنة (٣٤٧هـ).

طرف من فقهه وسؤالات الناس له^(٢):

** قال سُليمان بن عبد الرحمن: حدثنا الوليد بن مُسلم، سمعتُ الأوزاعي، يقول: (ما أخطأت يد الحاصدِ، أو جنت يد القاطفِ، فليس لصاحب الزرع عليه سبيلٌ، إنما هو للمارة وابن السبيل)^(٣).

وقال الوليد بن مَزِيد: سمعتُ الأوزاعي، يقول: (لا ينبغي للإمام أن يخص نفسه بشيء من الدعاء، فإن فعل فقد خانهم)^(٤).

وقال البخاري في «كتاب صلاة الخوف - باب الصلاة عند مُناهضة الحُصون ولقاء العدو»: (وقال الأوزاعي: إن كان تهيأ الفتح، ولم يقدروا على الصلاة، صلوا إيماء كل امرئ لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخرجوا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين، فإن لم يقدروا صلوا ركعةً وسجدتين لا يُجزئهم التكبير، ويؤخروها حتى يأمنوا)^(٥).

(١) ثبت عبد العزيز الكتاني «مطبوع مع تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر» ٢٩١ «وفيات» ٣٤٧هـ.

(٢) كتبت فصلاً مطوَّلاً في كتابي «الإمام الأوزاعي»، وأوردت فيه (١٢٢) مسألة في أبواب الفقه المختلفة. انظر: ص ٢٧٠ - ٣٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١٦/٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢٩/٧.

(٥) الفتح ٤٣٤/٢.

** قال الوليد بن مَزَيْد: (سُئِلَ الأَوْزَاعِيُّ عن إِمَامٍ تَرَكَ سَجْدَةَ سَاهِيًا حَتَّى قَامَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ؟ قَالَ: يَسْجُدُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ سَجْدَةً وَهُمْ مَتَفَرِّقُونَ)^(١).

وقال أبو تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بن نَافِعِ الحَلَبِيِّ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بن كُثُومِ الشَّامِيِّ، يَقُولُ: (كُتِبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى الأَوْزَاعِيِّ تَسْعِينَ مَسْأَلَةً، فَمَا أَجَابَ مِنْهَا إِلَّا بِمَسْأَلَتَيْنِ)^(٢).

وقال عبد الرزاق: (سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيَّ عَنِ الخِصَاءِ، فَقَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ خِصَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ نَسْلٌ)^(٣).

وعن شُعَيْبِ بن إِسْحَاقَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ: (فِي رَجُلٍ يَغْشَى امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، أَوْ رَأَتْ الطُّهْرَ وَلَمْ تَغْتَسِلْ؟ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَيَتَصَدَّقُ بِخُمْسِ دِينَارٍ)^(٤).

** قال الوليد بن مُسْلِمٍ: (سَأَلْتُ أبا عَمْرٍو الأَوْزَاعِيَّ عَنِ إِسْهَامِ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الفَتْحَ وَالقِتَالَ مِنَ المَدَدِ؟ فَقَالَ: لَا يُسْهَمُونَ، أَلَا تَرَى إِلَى الطَّائِفَتَيْنِ تَدْخُلَانِ مِنْ دَرْبٍ وَاحِدٍ أَوْ دَرَبَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَتَغْنِمُ إِحْدَاهُمَا وَلَا تَغْنِمُ الأُخْرَى، وَإِحْدَاهُمَا قُوَّةٌ لِالأُخْرَى، فَلَا تُشْرِكُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غَنِمَا جَمِيعًا أَوْ غَنِمَ أَحَدُهُمَا، بِذَلِكَ مَضَى الأَمْرُ فِيهِمْ)^(٥).

وقال عمرو بن عثمان: حَدَّثَنَا الوليد بن مُسْلِمٍ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، وَسَأَلْتُهُ عَنِ انْقِطَاعِ فَضِيلَةِ الهِجْرَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ فَقَالَ: (حَدَّثَنَا عَطَاءُ بنُ أَبِي

(١) سير أعلام النبلاء ١١٦/٧.

(٢) تاريخ الإسلام، ص ٤٩٢.

(٣) مصنف عبد الرزاق: حديث ٨٤٤٧.

(٤) سنن الدارمي: حديث ١١١٦.

(٥) صحيح ابن حبان ١٤٢/١١ - ١٤٤ حديث ٤٨١٤، ٤٨١٥، وللحديث تنمة.

رباح، قال: انطلقتُ أنا وعُبيد بن عُمير، حتى دَخَلنا على عائشة، فسألها عُبيد بن عُمير عن الهجرة، فقالت: لا هجرةَ بعدَ الفتح - أو قالت: بعدَ اليوم - إنما كان الناس يَفِرُّونَ بدينهم إلى الله ورسوله من أن يُفْتَنُوا، وقد أفسى اللهُ الإسلامَ، فحيثُ شاءَ العبدُ عبدَ رَبِّه^(١).

تصنيفه الكتب:

** قال عبد الرزاق: (أولُ مَنْ صنَّفَ الكُتُبَ ابنُ جريج، وصنَّفَ الأوزاعي حينَ قدِمَ على يحيى بن أبي كثير كُتِبَهُ)^(٢).

وقال هشام بن عمَّار: سمعتُ الوليد بن مُسلم، يقول: (احتُرقتُ كُتُبُ الأوزاعيِّ زمنَ الرَّجْفَةِ، ثلاثةَ عشرَ فُنْدَاقاً، فأتاهُ رجلٌ بِنُسْخِهَا، قال: يا أبا عمرو، هذه نسخةُ كتابِك، وإصلاحك بيديك، فما عَرَضَ لشيءٍ منها حتى فارق الدنيا)^(٣).

** ذكر ابن النديم للأوزاعي كتابين هما: «السُّنَنُ» و«المسائل»^(٤).

وله أيضاً كتاب «السَّيَر»، في أحكام الجهاد والقتال والغنائم، والمعاملة مع أهل الحرب، وأهل العهد، والمرتدين، وأهل البغي، ونحو ذلك.

(١) صحيح ابن حبان ٢٠٩/١١ حديث ٤٨٦٧.

(٢) الجرح والتعديل ٢٦٦/٥، تقدمته، ص ١٨٤، مقدمة الكامل لابن عدي، ص ٨٨، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩١٩، وانظر «أوائل من صنَّفَ في الأمصار» في المحدث الفاضل: رقم ٨٩٢، ٨٩٥.

(٣) ثقات ابن شاهين: ت ٧٨٧، تاريخ ابن عساكر ١٨٩/٣٥، مختصره ٣٢٣/١٤، وبنحوه في سوالات الأجرى: رقم ١٥٩٤. والقنْدَاق: صحيفة الحساب. والرجفة: زلزلة عظيمة أصابت الشام سنة (١٣٠هـ)، وهلك فيها خلق.

(٤) الفهرست، ص ٣١٨.

وقد صنّف الأوزاعيُّ هذا الكتاب ورَدَّ فيه على «سِير الإمام أبي حنيفة»، فقام صاحبه الإمام القاضي أبو يوسف فصنّف كتاب «الردّ على سير الأوزاعي»، وقد طُبِع ذلك كلّه في كتاب تضمّن قولَ أبي حنيفة ثم قولَ الأوزاعي وردَّ أبي يوسف.

وجاء الشافعي فضمّن ذلك في كتابه العظيم «الأم»، وردّ عليه بما يراه موافقاً للدليل^(١).

وحفظ لنا ابن أبي حاتم وغيره شيئاً كثيراً من رسائل الأوزاعي، وذكر ما انتهى إليه في «تقدمة الجرح والتعديل».

نشره العلم:

تصدّر الإمام الأوزاعي للفقّه والفُتيا والتحديث، وبَثَّ في الناس علماً كثيراً، وتكاثر عليه طلاب العلم، وحمل عنه خَلْق كثير من أمصار الإسلام وعلماء البلدان، وأخذ عنه طائفةٌ من الجهابذة، بل حدّث عنه بعض أشياخه، وتفنّنوا في تحصيل علمه، فتارة يستمعون إليه، وأخرى يعرضون عليه، وحيناً ينظر في كُتُبهم ثم يُناولهم إياها ويأذن لهم بروايتها. وكان لا يقبل الجائزة على الحديث، ويتحرّى في الأداء، ويحثّ تلاميذه على تعلّم القرآن قبل الحديث، ويحضّهم على الضبط والإتقان، وإذا سُئل أجاب، وإذا تكلم جَلَى^(٢) وملاً القلوب وأمتع الأسماع.

** قال بقية بن الوليد: سمعت الأوزاعي، يقول: (تعلّم ما لا يُؤخذُ به، كما تتعلّم ما يُؤخذُ به)^(٣).

(١) الأم ٣٠٣/٧ - ٣٣٦ - طبعة الشعب، القاهرة، ٣٣١/٧ - ٣٦٩، دار المعرفة، بيروت.

(٢) يقال: جَلَى الأمر، وجَلَاه، وجَلَى عنه: كَشَفَهُ وأَظْهَرَهُ، وقد انجَلَى وتَجَلَى. لسان العرب «جلا».

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٣، ٧٢٢، المحدث الفاضل: رقم ٤٥٤.

وقال بقية: (كنا عند الأوزاعي، فجاء شاب، فقال: يا أبا عمرو، معي ثلاثون حديثاً، قال: فجعل الأوزاعي يحدثه ويعدها، قال: فلما جاز الثلاثين، قال له: يا بن أخي، تعلم الصدق قبل أن تعلم الحديث)^(١).

وقال الوليد بن مسلم: (كنا إذا جالسنا الأوزاعي، فرأى فينا حديثاً، قال: يا غلام، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم، قال: اقرأ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وإن قال: لا، قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم)^(٢).

** قال الوليد بن مسلم: (كان الأمر لا يتبين على الأوزاعي حتى يتكلم، فإذا تكلم جلي وملا القلب)^(٣).

روى ضيمام بن إسماعيل، عن الأوزاعي: (أنه كان إذا حدث فقيلاً له: عمّن سمعته؟ قال: ليس لك حملته، إنما حملته لنفسه عن من أثق به)^(٤).

قال محمد بن عبد الوهاب بن هشام بن الغاز: (كنا عند أبي إسحاق الفزاري يوماً، فذكر الأوزاعي، فقال: إن ذلك رجل كان شأنه عجباً، قال: فقال بعض أهل المجلس: وما كان عجباً يا أبا إسحاق؟ قال: يُسأل عن الشيء عندنا فيه الأثر، فيقول: ما عندي فيه شيء، وأنا أكره التكلف، ولعله يُبتلى بلجاجة السائل، حتى يردّد عليه الجواب، فلا يعدو الأثر الذي عندنا، فقال بعض أهل المجلس: هذا شبيهة بالوحي يا أبا إسحاق،

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٦١.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨١، تاريخ ابن عساكر ١٨٧/٣٥.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٦٢٣، ٦٢٤ - ٧٢٥، تاريخ ابن عساكر ١٧٧/٣٥.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٨٦/٣٥.

قال: فأغضبه ذلك، وقال: من هذا تعجب؟! كان والله يردُّ الجواب كما هو عندنا في الأثر، ولا يُقدِّم منه مؤخراً، ولا يؤخِّر منه مقدماً^(١).

** قال رشدين بن سعد: (مرَّ إبراهيم بن أدهم - رَضِيَ اللهُ - بالأوزاعي وحواله الناس، فقال: على هذا عهدت الناس، وكأنتك معلم وحوالك الصبيان، والله لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لَعَجَزَ عنهم. قال: فقام الأوزاعي وترك الناس)^(٢).

وقال محمد بن عيسى بن الطباع: (أهدوا للأوزاعي هدية أصحاب الحديث، فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار، إن شئتم قبلت هديتكم ولم أحدثكم، وإن شئتم حدثتكم ورددت هديتكم)^(٣).

وعن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعي قال: (قدِم أبو مَرْحوم من مكة على الأوزاعي، فأهدى له طَرَائِفَ، فقال له: إن شئت قبلت منك ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئت فُضِّمَّ هديتك واسمع)^(٤).

وروى أبو هزان، عن الأوزاعي: (أنه ذَكَرَ الخَزْدَل، وكان يُحِبُّهُ أو يتداوى به، فقال رجل من أهل صَفُورِيَّة: أنا أبعثُ إليك منه يا أبا عمرو، فإنه ينبت عندنا كثير، بري. قال: فبعث إليه منه بصرة، وبعث بمسائل، فبعث الأوزاعي بالخَزْدَل إلى السوق، فباعه، وأخذ ثمنه فلوساً، فصَرَّها في رُقعته، وأجابَه في المسائل، وكتب إليه: إنه لم يحملني على ما صنعتُ شيءً تكرهه، ولكن كانت معه مسائل، فخُفْتُ أن يكون كهَيْثَةَ الثَّمْن لها)^(٥).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٤، تاريخ ابن عساكر ١٧٢/٣٥، مختصره ٣٢٠/١٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٨٩/٣٥، مختصره ٣٢٣/١٤.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨٤١، تاريخ ابن عساكر ١٩٨/٣٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣٢/٧.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٩٨/٣٥، مختصره ٣٢٧/١٤. وصفورية: قرية في قضاء الناصرة من فلسطين، شمال غرب الناصرة، على بعد نحو سبعة كيلومترات.

**** قال نصر بن مزروع المصريّ: سمعت عمرو بن أبي سلمة، يقول:**
(قلت للأوزاعيّ: منذ أربعة أيام لم أسمع منك إلا ثلاثين حديثاً، قال:
وتستقلُّ ثلاثين حديثاً في أربعة أيام؟! لقد سار جابر بن عبد الله إلى
مِصر، واشترى راحلةً وركبها، حتى سأل عَقْبَةَ بن عامر عن حديث واحد،
وانصرف إلى المدينة، وأنت تستقلُّ ثلاثين حديثاً في أربعة أيام)^(١).

وقال عبد الله بن أحمد الغزّاء: حدّثني سعيد بن رَحْمَةَ، عن محمد بن مصعب القرظساني قال: (كنتُ آتي الأوزاعي فيحدّث بثلاثين حديثاً، فإذا تفرّق الناس عَرَضْتُها عليه، فلا أُخطئ فيها، فيقول الأوزاعي: ما أتاني أحفظُ منك)^(٢).

وقال الأوزاعي: (ما عَرِضَ عليّ كتابٌ أصحُّ من كُتُب الوليد بن مزيد)^(٣).

منزلته وثناء الأئمة عليه:

من اشتهرت عدالته بين أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم، وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة؛ استغني بذلك عن بيّنة شاهدةٍ بعدالته، وثبتت عدالته بالاستفاضة. ومن أمثال هؤلاء؛ الأئمة: أبو حنيفة، والأوزاعي، وشعبة، والسفيانان، والليث، ومالك، والشافعي، وأحمد، ووكيع، وابن معين، وابن المديني، ومن جرى مجراهم في نباهة الذكر، واستقامة الأمر، فلا يُسأل عن عدالة هؤلاء وأمثالهم^(٤).

(١) مختصر ابن عساكر ٢٢١/١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢٧٧/٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٥، الجرح والتعديل ١٨/٩.

(٤) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٠٥.

وما نذكره في هذه الفقرة إنما هو لإتمام جوانب الترجمة، فالأوزاعي لا يُسأل عنه بل هو يُسأل عن الناس، والأقوال مستفيضة في الثناء عليه وإجلاله ورفعة محلّه وعلو مرتبته، أثنى عليه معاصروه وأقرانه وتلاميذه، ومَنْ بعدهم من علماء الأمة.

** قال الوليد بن مُسلم: حدثنا الأوزاعي، قال: (كُتِبَ إليّ فتادة من البصرة: إن كانت الدار فَرَّقَتْ بيننا وبينك، فإن أُلْفَةَ الإسلام بين أهلها جامعة)^(١).

- روى محمود بن خالد بن يزيد السُّلَمِيُّ، عن أبيه قال: قال لي سفيان الثوري - وذكر ثور بن يزيد، والمطعم بن المقدم، والأوزاعي -: (أين كانا منه؟!)^(٢).

وروى أبو توبة الحَلَبِيُّ، عن سلمة بن كلثوم الشامي قال: (جاء سفيان الثوري فدخل على الأوزاعي، فجلسا من الأولى إلى العصر، قد أشرق كل واحد منهما توقيراً لصاحبه)^(٣).

وقال العباس بن الوليد: حدثني رجل من ولد الأحنف بن قيس، قال: (بلغ سفيان الثوري وهو بمكة مَقْدَمُ الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، قال: فلما لقيه حلَّ رَسَنَ البعير من القطار، فوضَّعه على رقبته، فجعل يتخلل به، فإذا مرَّ بجماعة قال: الطريق للشيخ)^(٤).

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٠٣/٣٥، مختصره ٣٢٩/١٤.

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٦٦، تاريخ ابن عساكر ١٦٩/٣٥.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٤ - ٢٠٨.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٨، تاريخ ابن عساكر ١٦٥/٣٥، مختصره ٣١٧/١٤. (ذو طوى): واد من أودية مكة، وهو اليوم في وسط عمرانها. (القطار): هو أن تُسَدَّ الإبل على نَسَقٍ، واحداً خَلْفَ واحد.

وقال سليمان بن أحمد الواسطي: حدثنا عثمان بن عاصم - أخو علي بن عاصم - قال: (رأيت شيخاً بين الصفا والمروة على ناقه، وشيخاً يقوده، واجتمع أصحاب الحديث عليه، فجعل الشيخ الذي يقود يقول: يا معشر الشباب، كفوا حتى نَسَلَ^(١) الشيخ، فقلت: من هذا الراكب؟ قالوا: هذا الأوزاعي، فقلت: من هذا الذي يقوده؟ قالوا: هذا سفيان الثوري)^(٢).

- قال أحمد بن حنبل: (دَخَلَ سَفِيَانُ وَالْأَوْزَاعِيُّ عَلَى مَالِكٍ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ مَالِكٌ: أَحَدُهُمَا أَكْثَرُ عِلْمًا مِنْ صَاحِبِهِ وَلَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ، وَالْآخَرُ يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ - يَعْنِي الْأَوْزَاعِيُّ لِلْإِمَامَةِ وَلَا يَصْلُحُ سَفِيَانُ -)^(٣).

وقال سلمة بن سعيد: قال مالكٌ - وذُكِرَ عنده الأوزاعي -: (كان إماماً يُقْتَدَى به).

وقال إسحاق بن عباد الحُتُلَيْي: حدثنا أبي، قال: (حَجَجْتُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ، فَرَأَيْتُ شَيْوْخًا: أَحَدُهُمْ رَاكِبٌ، وَالْآخَرُ يَسُوقُ بِهِ، وَآخَرُ يَقُودُ بِهِ، يَقُولُونَ: أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ. فَقُلْتُ: مَنْ الرَّاكِبُ؟ وَمَنْ الْقَائِدُ؟ وَمَنْ السَّائِقُ؟ فَقَالُوا: الرَّاكِبُ الْأَوْزَاعِيُّ، وَالْقَائِدُ مَالِكٌ، وَالسَّائِقُ الثَّوْرِيُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ، مَا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ)^(٤).

(١) في تاريخ ابن عساكر ومختصره: (نَسَأَل) وما أثبتته من تقدمه الجرح، وهو أحسن، ومعناه: حتى نخرجه من الزحام.

(٢) تقدمه الجرح والتعديل، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، تاريخ ابن عساكر ١٦٥/٣٥ - ١٦٦، مختصره ٣١٧/١٤.

(٣) المعرفة والتاريخ ٧٢٢/١، ٧٢٦، تقدمه الجرح والتعديل، ص ٢٠٣.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٦٥/٣٥.

- قال محمد بن شعيب بن شابور: (قلتُ لأُمَيَّةَ بن يزيد بن أبي عثمان: أين الأوزاعيُّ من مكحول؟ فقال: هو عندنا أرفعُ من مكحول. فقلتُ له: إنَّ مكحولاً قد رأى أصحابَ رسول الله ﷺ، قال: وإن كان قد رآهم، فأين فضلُ الأوزاعي في نفسه؛ وقد جَمَعَ العبادة، والورع، والعلم، والقول بالحق؟!)(^١).

** قال الوليد بن مُسلم: قال لي سعيد بن عبد العزيز: (هل رأيتَ أبا عمرو الأوزاعيَّ؟ قلتُ: نعم، قال: فاقتدِ به، فَلِغَمِّ الْمُقْتَدَى به)(^٢).

وقال عبد الحميد بن بكار: (كنتُ عند سعيد بن عبد العزيز، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا محمد، متى إِبَّانُ الرَّوَّاحِ إلى الجمعة؟ فقال له: أتيتَ بيروت؟ قال: نعم، قال: فرأيتَ ابنَ عمرو؟ قال: نعم، قال: فقد كَفَأكَ مَنْ كان قبْله).

وفي رواية: (فاقتدِ به، فقد كَفَأكَ مَنْ كان قبْله)(^٣).

- قال محمد بن عثمان: سألتُ سعيدَ بن بَشِيرٍ عن الأوزاعيِّ، فقال: (ما رأيتُ أحداً أشبَهَ بأهل العلم منه)(^٤).

- قال محمد بن صالح ابن أخت نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك، يقول: (لو قيل لي: اختر لهذه الأمة، لاخترتُ سفيانَ الثوري والأوزاعيَّ، ولو قيل لي: اخترتُ أحدهما، لاخترتُ الأوزاعيَّ لأنه أوفقُ الرجلين)(^٥).

(١) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٢٦٢، ٧٢٠، تاريخ ابن عساكر ١٦٤/٣٥، مختصره ٣١٧/١٤.

(٢) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٢٦٣، ٧٢٢، تاريخ ابن عساكر ١٧٠/٣٥، وبنحوه ص ١٧١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٦ - ١٨٧، وبنحوه في تاريخ ابن عساكر ١٧١/٣٥.

(٤) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٢٦٦، ٧٢٤، تاريخ ابن عساكر ١٧٠/٣٥.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٧٣/٣٥، سير أعلام النبلاء ١١٣/٧.

وقال ابن المبارك لأبي حمزة الشُّكْرِيّ: (يا أبا حمزة، لو رأيت الأوزاعي لرأيت قُرّة عين ريحانة)^(١).

- قال يوسف بن سعيد المصَّبِيّ: حدثنا علي بن بَكَّار، قال: سمعتُ أبا إسحاق الفَزَارِيّ، يقول: (ما رأيتُ مثل رجلين: الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجلَ عامة، وأما الثوري فكان رجلَ خاصّة نفسه، ولو خُيِّرْتُ لهذه الأمة، لا اخترتُ لها الأوزاعي). قال علي بن بَكَّار: (فقلت في نفسي: لو خُيِّرْتُ لهذه الأمة، لا اخترتُ لها أبا إسحاق الفَزَارِيّ)^(٢).

وروى عبد الله بن داود الحُرَيْبِيّ، عن بهيم^(٣) العِجْلِيّ، عن أبي إسحاق الفَزَارِيّ قال: قال الأوزاعي: (إذا مات سفيان وابن عَوْن، استوى الناس). قال أبو إسحاق: (قلتُ في نفسي: وأنت الثالث - يعني الأوزاعي -). قال ابن أبي حاتم: (يعني أن الأوزاعي قَرِينُ الثوري وابن عَوْن)^(٤).

- قال إبراهيم بن موسى: سمعت عيسى بن يونس، يقول: (كان الأوزاعي حافظاً)^(٥).

- قال بَقِيَّة بن الوليد: (إِنَّا لَنَمْتَحِن^(٦) الناس بالأوزاعي، فمن ذكَّره بخير عَرَفْنَا أنه صاحبُ سُنَّة، ومن طَعَن عليه عرفنا أنه صاحبُ بِدْعة)^(٧).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٧٣/٣٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٧١/٣٥، مختصره ٣١٩/١٤، وبأخصر منه ١٧١ - ١٧٢، وتاريخ أبي زرعة، ص ٢٦٦.

(٣) في مقدمة الجرح والتعديل ص ٢٠٣: (الهيثم)، خطأ، وانظر: ص ٢٨٣، وترجمته في الجرح والتعديل ٤٣٦/٢.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٣، ٢٨٣.

(٥) التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، التاريخ الأوسط ٩٧/٢.

(٦) صحَّفها محقق (المعرفة والتاريخ) إلى: (أنا الممتحن)، وقلده محقق تاريخ ابن عساكر، وفي مختصره: كما أثبتناه، وهو الصواب.

(٧) المعرفة والتاريخ ٤٠٨/٢، تاريخ ابن عساكر ١٧٦/٣٥، مختصره ٣٢٠/١٤.

- قال سَهْلُ بنِ عَثْمَانَ العَسْكَرِيِّ: (سَمِعْتُ وَكَيْعاً وَسُثْلًا: مِنْ أَفْضَلٍ مِنْ أَدْرَكْتَ؟ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا سَفْيَانٌ وَمِسْعَرٌ، وَبِالبَصْرَةِ ابْنُ عَوْْنٍ، وَبِالشَّامِ الأَوْزَاعِيُّ)^(١).

** قَالَ إِبْرَاهِيمُ بنِ عُمَرَ^(٢) بنِ أَبِي الوَازِرِ: سَمِعْتُ سَفْيَانَ بنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: (كَانَ الأَوْزَاعِيُّ إِمَاماً - يَعْنِي إِمَامَ زَمَانِهِ -)^(٣).

- قَالَ عَمْرُو بنِ عَلِيٍّ: سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: (الأُئِمَّةُ فِي الحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ: الأَوْزَاعِيُّ، وَمَالِكٌ، وَسَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَحَمَادُ بنُ زَيْدٍ)^(٤).

وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ أَيْضاً: (أُئِمَّةُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ أَرْبَعَةٌ: سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِالكُوفَةِ، وَمَالِكٌ بِالحِجَازِ، وَالأَوْزَاعِيُّ بِالشَّامِ، وَحَمَادُ بنُ زَيْدٍ بِالبَصْرَةِ)^(٥).

وَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ: (إِذَا رَأَيْتَ الشَّامِيَّ يَحُبُّ الأَوْزَاعِيَّ وَأَبَا إِسْحَاقَ الفَرَّازِيَّ؛ فَارْجُ خَيْرَهُ)^(٦).

وَقَالَ: (إِذَا رَأَيْتَ الشَّامِيَّ يَحُبُّ الأَوْزَاعِيَّ وَأَبَا إِسْحَاقَ الفَرَّازِيَّ؛ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ)^(٧).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٧٤/٣٥.

(٢) وقع في الجرح والتعديل ٢٦٦/٥: (عَمْرُو)، وصُوِّبَهُ المَحْفُوقُ، وَذَكَرَ أَنَّ (عَمْرُو) خَطَأً. قُلْتُ: بَلْ هُوَ الصَّوَابُ، وَ(عَمْرُو) خَطَأً، وَإِبْرَاهِيمُ بنُ عَمْرٍ هَذَا مِنْ رِجَالِ التَّهْذِيبِ.

(٣) الجرح والتعديل ٢٦٦/٥، تَقَدَّمَ، ص ٢٠٣، تاريخ ابن عساكر ١٧١/٣٥.

(٤) الجرح والتعديل ٢٦٦/٥ - ٢٦٧، تَقَدَّمَ، ص ٢٠٣.

(٥) تَقَدَّمَ الجرح والتعديل ١١٧/١، ١١٨، ٢٢/٢، وَبِنَحْوِهِ فِي مَقْدَمَةِ الكَامِلِ لِابْنِ عَدِيٍّ، ص ٨٨، وَانظُرْ عِدَّةَ رِوَايَاتٍ فِي تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرِ ١٧٤/٣٥ - ١٧٥.

(٦) تَقَدَّمَ الجرح والتعديل، ص ٢١٧.

(٧) تَقَدَّمَ الجرح والتعديل، ص ٢١٧، ٢٨٤، وَانظُرْ رِوَايَةَ أُخْرَى: ص ٢٨٥، وَمَطْوَلَةٌ عِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرِ

- روى نصر بن علي، عن عبد الله بن داود الخريبي قال: (كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه)^(١).

** قال ابن سعد: (وكان ثقةً مأموناً، صدوقاً فاضلاً خيراً، كثير الحديث والعلم والفقه، حجةً)^(٢).

- قال أبو زُرعة الدمشقي: (وقلت ليحيى بن معين - وذكرته له الحجة - فقلت له: محمد بن إسحاق منهم؟ فقال: كان ثقةً، إنما الحجة: عبيد الله بن عمر، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز)^(٣).

وقال القاسم بن العباس المَعشَرِيُّ: سمعت يحيى بن معين، يقول: (العلماء أربعة: الثوري، وأبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي)^(٤).

- قال أبو زُرعة الدمشقي: سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: (كان الأوزاعي من الأئمة)^(٥).

وسأله عن الأوزاعي في يحيى بن أبي كثير، فقال أحمد: (الأوزاعي إمام)^(٦).

وسأله ابنه عبد الله عن جماعة من المحدثين، ومنهم الأوزاعي، فقال أحمد: (كلهم ثقات)^(٧).

(١) تاريخ ابن عساکر ١٧٤/٣٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧.

(٣) تاريخ أبي زُرعة، ص ٤٦٠ - ٤٦١، تاريخ ابن عساکر ١٨٠/٣٥.

(٤) تاريخ ابن عساکر ١٧٩/٣٥.

(٥) تاريخ أبي زُرعة، ص ٤٣٩، تاريخ ابن عساکر ١٧٩/٣٥.

(٦) مقدمة الكامل، ص ٨٨، تاريخ ابن عساکر ١٧٩/٣٥.

(٧) العلل برواية عبد الله: رقم ٢٥٣٨.



- قال محمد بن إبراهيم بن شعيب: قال عمرو بن علي الفلاس: (الأوزاعي ثبت لما سمع)^(١).

وقال أبو حفص الفلاس أيضاً: (الأئمة خمسة: الأوزاعي بالشام، والثوري بالكوفة، ومالك بالحرّمين، وشعبة وحماد بن زيد بالبصرة)^(٢).

- قال أحمد بن عبد الله العجلي: (شامي ثقة، من خيار الناس)^(٣).

- قال يعقوب بن شعبة: (الأوزاعي ثقة ثبت)^(٤).

- قال أبو عبيد الأجرّي: سمعت أبا داود، يقول: (كان للأوزاعي قدرٌ في الناس)^(٥).

- قال النسائي في «الكنى»: (أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام وفتيهم)^(٦).

** قال الطبري: (وكان يسكن بيروت - ساحل من سواحل الشام - وكان في زمانه أحد مفتي تلك الناحية ومحدثيهم وذوي الفضل منهم)^(٧).

- وترجم له ابن أبي حاتم ترجمة راثقة، وأثنى عليه فقال: (من العلماء الجهابذة النقاد من أهل الشام)^(٨).

(١) الجرح والتعديل ٢٦٧/٥، تقدمته، ص ٢٠٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٨١/٣٥، شرح علل الترمذي ٤٦١/١.

(٣) تاريخ الثقات، ص ٢٩٦.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٨١/٣٥.

(٥) سوالات الأجرّي: رقم ١٥٨٣.

(٦) تهذيب التهذيب ٢١٨/٦.

(٧) المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٥٦.

(٨) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠ - ١٨٤.

- وأطابَ ابن جَبَّانَ الثَّناءَ عليه فقال: (أحدُ أئمةِ الدنِيا فِقْهاً وَعِلْماً وورعاً وحِفْظاً وفضلاً وعبادةً وضَبْطاً مع زَهادة).

وقال في «الثقات»: (وكان من فقهاء الشام وقُرَّائهم وزُهَّادهم ومُرابطيهم)^(١).

- وقال الحاكم: (الأوزاعي إمام عَصْره عموماً، وإمام أهل الشام خصوصاً)^(٢).

- وافتتح أبو نُعيم ترجمته بقوله: (العَلَمُ المنشور، والحَكَمُ المشهور، الإمام المَبْجَلُ، والمِقْدَامُ المُفْضَلُ، عبد الرحمن بن عَمْرٍو أبو عَمْرٍو الأوزاعي رضي الله عنه). كان واحدَ زمانه، وإمامَ عَصْره وأوانه، كان مَمَّن لا يَخاف في الله لومة لائم، مِقْوَالاً بالحق، لا يَخاف سطوة العَظائم).

ثم قال: (وهو أحدُ أئمةِ الدِّينِ وأعلامِ الإسلامِ)^(٣).

- وقال الحافظ أبو يَعْلَى الخَلِيلِيُّ: (أبو عَمْرٍو الأوزاعي إمامٌ بلا مُدافعةَ وَرَعاً وَعِلْماً)^(٤).

- وقال ابن عساكر: (إمام أهل الشام في الحديث والفقهِ)^(٥).

** وأثنى عليه التَّوَوِيُّ فَقَالَ: (كان إمامَ أهل الشام في عصره بلا مُدافعةَ ولا مُخالفةَ).

(١) مشاهير علماء الأمصار ٢٨٥، الثقات ٦٣/٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١٨٠/١.

(٣) الحلية ١٣٥/٦، ١٤٤.

(٤) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١٩٨/١.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١٤٧/٣٥.

ثم قال: (وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة، مصرحة بوزعه، وزهده وعبادته، وقيامه بالحق، وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته في الفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبه)^(١).

- وقال المزي في صدر ترجمته: (إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه)^(٢).

- وأثنى عليه الذهبي في مواضع من كتبه، فقال في «السير»: (شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام).

وقال في الكاشف: (شيخ الإسلام، الحافظ الفقيه الزاهد، وكان رأساً في العلم والعبادة)^(٣).

- وقال ابن كثير: (الإمام الجليل، علامة الوقت، فقيه أهل الشام وإمامهم)^(٤).

- ووصفه ابن رجب بأنه: (إمام أهل الشام، وأحد الأئمة الأعلام)^(٥).

- وقال الحافظ: (ثقة جليل)^(٦).

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢٩٨/١، ٢٩٩.

(٢) تهذيب الكمال ٣٠٨/١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، الكاشف ١٥٨/٢ - ١٥٩.

(٤) البداية والنهاية ١١٥/١٠.

(٥) شرح علل الترمذي ٤٦٠/١ - ٤٦١.

(٦) تقريب التهذيب ٤٩٣/١.

من أخباره الشخصية^(١):

والده:

روى الحافظ ابن عساكر بإسناده عن محمد بن كثير، قال: (سمعتُ الأوزاعيَّ يوماً، وذكر أباه، فبكى بكاءً خفيفاً لم ينتبه له إلا من قُرْب منه وتأمّله، ثم دَعَا له، وجعل يترخّم عليه، ثم قال: حدثني أبي، قال: كنا أُغَيِّلَمة أتراباً نلعب في ميدان الأوزاع بربّض مدينة دمشق، فمرّ بنا راكب مسرع، فاعترضه رجل، فسأله وأنا أسمع، فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة، قال: هل وراءك من خبر؟ قال: نعم، قُتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(٢)).

ابنه محمد:

قال ابن أبي حاتم في ترجمته: (سألتُ العباس بن الوليد عنه، فقال: أدركته، وأدركتُ أهلَ زمانه، وهم لا يشكّون أنه من الأبدال)^(٣).

وترجم له ابن عساكر في «تاريخه»^(٤).

قال محمد بن عبد الرحمن السلمي: (كان للأوزاعيّ ابنٌ يُقال له: محمد، وكان من أعْبَدِ خَلْقِ الله)^(٥).

(١) انظر مزيداً من ذلك في كتابي «الإمام الأوزاعي»: ص ٥٥ - ٦١.

(٢) مختصر ابن عساكر ٣٢٠/١٩ - ٣٢١.

(٣) الجرح والتعديل ٣١٨/٧، تقدمته، ص ٢٠٨.

(٤) مختصر ابن عساكر ١٠/٢٣.

(٥) مختصر ابن عساكر ١٦/٢٣، وذكر السلمي عن محمد بن الأوزاعي عن أبيه قصة ذكرناها

وأنجب الأوزاعي ثلاث بنات:

وقد ورد ذُكرهن في قصة للأوزاعي مع المهدي بن المنصور، وكانت زوجة المهدي سألته سؤالاً، فأفتاها، فأرادت إكرامه، وفي تلك القصة: (فسألت عن ولده، فأخبرت بأن للأوزاعي ثلاث بنات، قال: فأخرجت إليه ثلاث دُرّات، هديةً لهن)^(١).

ابن ابنته عبد الله بن إسماعيل بن يزيد البيروتي:

ترجم له ابن أبي حاتم، وذكر أن أباه أبا حاتم سمع منه ببيروت^(٢).

وترجم له الحافظ ابن عساكر^(٣).

عمه أبو عمرو السَّيباني:

روى عن عمر بن الخطاب، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة.

وحدّث عنه: ابنه يحيى، وحُميد الحمصي، وعُمر بن عبد الملك الفلّسطيني.

روى له البخاري في «الأدب المفرد».

ابن عمه يحيى بن أبي عمرو السَّيباني:

روى عن: رَوْح بن زِنْبَاع، وعبد الله ابن الدَّيلمّي، وعبد الله بن مُحِيرِيز،

وجماعة.

وحدّث عنه: إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ، وإسماعيل بن عِيَّاش، وابن

المبارك، وآخرون.

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٥، والخبر طويل.

(٢) الجرح والتعديل ٤/٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر «عبادة - عبد الله بن ثوب» ٣٨٧، مختصره ٣٢/١٢.

أخرج حديثه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

مولده ووفاته وعمره:

مولده:

- وُلد سنة (٨٨هـ)، قاله ضَمْرَة بن ربيعة، وسعيد بن عبد العزيز، وأبو مُسْنَهْر، وابن سعد، وابن زَبْر، وغيرهم^(١).

وقال العباس بن الوليد، وأبو داود: ولد عام فُتحت طُوانة^(٢).

وهذا موافق للأول، لأن طوانة فتحت سنة (٨٨هـ)^(٣).

وكان مولده بِبَعْلَبَكْ، في حياة الصحابة.

قال ضَمْرَة بن ربيعة: سمعت الأوزاعي، قال: (كنتُ محتملاً أو شَبِيهاً به في خلافة عمر بن عبد العزيز)^(٤).

- ونقل محمد بن شعيب عن الأوزاعي أنه ولد سنة ثلاث وتسعين، وهذا خطأ وشاذ^(٥).

(١) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧، تاريخ أبي زرعَة الدمشقي، ص ٢٦٢، ٧٠٣، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٨٨، تاريخ ابن عساکر ١٥٥/٣٥ - ١٥٦، ٢٢٨.

(٢) سؤالات الأجرى: رقم ١٢٠، المعرفة والتاريخ ١٤٣/١. وطُوانة: بلد بئغور المضيضة، وهي في تركيا اليوم.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٣٠٢، تاريخ الطبري ٤٣٤/٦.

(٤) التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، التاريخ الأوسط ٤٠١/١، ٩٦/٢، المعرفة والتاريخ ١٤٣/١، الجرح والتعديل ٢٦٦/٥.

(٥) تاريخ ابن عساکر ١٥٦/٣٥، سير أعلام النبلاء ١٠٩/٧ - ١١٠.

وفاته:

في وفاته عدة أقوال، والصحيح أنها كانت سنة (١٥٧هـ).

- قال يحيى بن سعيد القطان: (قدمت مكة سنة أربع وأربعين ومئة، وقد مات إسماعيل بن أمية وعبد الله بن عثمان، وقدم علينا حجاج بن أُرطاة في تلك السنة. ورأيت الأوزاعي وثوراً سنة خمسين ومئة)^(١).

وهذا يفيد أن يحيى القطان رأى الأوزاعي حياً سنة (١٥٠هـ)، ووقع في تاريخ ابن عساكر والبداية والنهاية: (ورأيت الأوزاعي وتوفي سنة خمسين ومئة)^(٢)، وكلمة (توفي) تصحيف.

- قال علي بن المدني: مات سنة إحدى وخمسين ومئة.

وعقب الذهبي على هذا فقال: هذا خطأ^(٣).

- قال هشام بن عمار: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: مات الأوزاعي سنة ست وخمسين ومئة^(٤).

وهذه الرواية عن الوليد فيها وهم من هشام، كما قال الذهبي^(٥).

- قال العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرني أبي، قال: (كانت وفاة الأوزاعي يوم الأحد، ليلتين بقيتا من صفر، سنة سبع وخمسين ومئة)^(٦).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٦٨٣، المعرفة والتاريخ ١٢١/١.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٢٣/٣٥، البداية والنهاية ١٢٠/١٠ وسقط منها كذلك لفظ (يحيى).

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢٢٣/٣٥، سير أعلام النبلاء ١٢٧/٧.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٢٢٤/٣٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢٧/٧.

(٦) المعرفة والتاريخ ١٤٣/١.

وكذا قال الوليد بن مُسلم، وسعيد بن عبد العزيز، وأبو مُسهر،
 ودُحيم، والعباس بن الوليد بن مَزِيد، وغيرهم^(١).
 وفيها أَرَّخه ابن سعد، وخليفة، وابن معين، وأبو عبيد القاسم بن
 سلام، وعلي بن عبد الله التميمي، والطبري، وابن حبان، وغيرهم.
 وصحَّحه الذهبي وابن كثير^(٢).
 وكانت وفاته ببيروت، مات مرابطاً رضي عنه.

عمره:

قال أبو مسهر، وابن سعد، وأبو زُرعة الدمشقي، وابن حبان: مات
 وهو ابن سبعين سنة^(٣).

آخر العهد به:

** قال العباس بن الوليد: حدثنا عُقبة بن علقمة، قال: (أخِرُ ما سمعتُ
 من الأوزاعي، أنا جلسنا إليه ليلة هَلَكَ فيها من الغدِ، إذ أذن المؤذنُ،
 وكان مؤذناً حَسَنَ الصوت، فقال: ما أَحَسَنَ صَوْتَهُ! لقد بَلَّغني أن داود عليه السلام
 كان إذا أخذ في بعض مزاميره، عكفتِ الوحوش والطيرُ حوله حتى تموت
 عطشاً، وإن كانت الأنهار لتتقف، ثم وَجَم ساعة، ثم قال: كلُّ أمرٍ لا يُذكر
 فيه المَعَاد لا خيرَ فيه. وأُقيمت الصلاة، فكان آخرَ العهد به)^(٤).

(١) التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، التاريخ الأوسط ٩٦/٢ - ٩٧، المعرفة والتاريخ ١٤٣/١، تاريخ أبي زرعة
 الدمشقي، ص ٢٦٢، ٧٠٣، تاريخ ابن عساكر ١٥٦/٣٥ - ١٥٧، ٢٢٤ - ٢٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢٧/٧ - ١٢٨، البداية والنهاية ١٠/١٢٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٥٤، الثقات ٦٣/٧، تهذيب الكمال
 ٣١٣/١٧.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

وقال قبيصة بن عُقبة: (قال رجلٌ لسفيان: يا أبا عبد الله، رأيتُ كأنَّ ريحانةً قُلِعَتْ من الشام - أراه قال - فذُهِبَ بها في السماء، قال سفيان: إنَّ صدقتُ رؤياك فقد مات الأوزاعي.. قال: فجاءه نَعِيُّ الأوزاعي في ذلك اليوم سواء^(١)).

** قال العباس بن الوليد بن مَزَيْد: سمعتُ عُقبة بن علقمة، قال: (كان سببُ موت الأوزاعي أنه اختَضِب بعد انصرافه من صلاة الصبح، ودَخَلَ في حمام له في منزله، وأدخِلتُ معه امرأته كانوا فيه فَحَم، لثلاً يُصِيبُه البُزْد، وغَلقتُ الباب من بَرٍّ، فلما هاج الفحمُ صَفرت نَفْسُه، وعالَج الباب ليفتحه فامتنع عليه، فألقى نفسه، فوجدناه متوسِّداً ذراعه إلى القبلة)^(٢).

وفي رواية: (أنَّ امرأته أغلقت عليه باب حمام، فمات فيه، ولم تكن عامدةً لذلك، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعِتْق رَقبة)^(٣).

قال أحمد بن عيسى المِضْرِي: حدثني خَيْران بن العلاء - وكان الأوزاعي يروي عنه، وكان من خيار وأصحاب الأوزاعي - قال: (دخَلَ الأوزاعي الحمام، وكان لصاحب الحمام حاجةً، فأغلق الباب عليه، وذَهَب، قال: ثم جاء ففتح الباب، فوجده مَيِّتاً، قد وضع يده اليمنى تحت خَدِّه، وهو مستقبل القبلة)^(٤).

قلت: الرواية الأولى أولى بالقبول، لأن سعيداً أمر زوج الأوزاعي أن تعتق رقبة، ولو لم يكن توفي في حمام منزلها لما أمرها بذلك. ويؤيده

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢١٠، وبنحوه من طريق آخر في: تاريخ الدوري ٣٥٤/٢، وعلل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥٠١٧، وانظر ثقات العجلي ٢٩٦ - ٢٩٧. وسفيان هو الثوري.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢٢٣/٣٥.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٢٢٢/٣٥.

أيضاً قول عقبة بن علقمة أنه كان معه في آخر ليلة له، وأنه دخل بعد صلاة الصبح حمام منزله فمات فيه.

جنازته:

قال العباس بن الوليد بن مزيّد: حدّثني سالم بن المنذر، قال: (لَمَّا سَمِعْتُ الصَّيْحَةَ^(١) بوفاة الأوزاعي خرجتُ، وأولُ مَنْ رأيتُ نصرانيّ قد دَرَّ على رأسِهِ الرَّمَاد، فلم يَزَلْ المسلمون من أهل بيروت يَعرفون ذلك له. وخرجتُ في جنازته أربعَ أمم، ليس منها واحدة مع صاحبتهَا، وخرَجنا يَحمله المسلمون، وخرجتِ اليهود في ناحية، والنصارى في ناحية، والقِبْط في ناحية)^(٢).

تركته:

قال أبو مُشهر: (ما خَلَفَ ذَهَباً ولا فِضَّةً، ولا عَقَاراً ولا متاعاً، إلا ستّة دنانير، فَضَلَّتْ من عطائه، وكان قد اُكْتَتَبَ في ديوان الساحل)^(٣).

وقال العباس بن الوليد بن مزيّد: سمعتُ أصحابنا، يقولون: (صارَ إلى الأوزاعي أكثرُ من سبعين ألفَ دينار - يعني من السُلطان، من بني أمية وبني العباس - فلما مات ما خَلَفَ إلا سبعةَ دنانير، بقیةً من عطائه، وما كان له أرض ولا دار)^(٤).

رحم الله الإمام الأوزاعي، ورفع درجته، وأعلى مقامه، فلقد كان أحد كبار الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين.

* * *

(١) في سير أعلام النبلاء: (الضجّة)، تصحيف.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ١٢٧/٧.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢٢٣/٣٥، سير أعلام النبلاء ١٢٧/٧، البداية والنهاية ١٢٠/١٠، وفيه: (إلا ستة وثمانين) بدل: (إلا ستة دنانير)، وهو تصحيف.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٩٨/٣٥.

مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧، تاريخ الدارمي: رقم ٢٢، ٢٣، تاريخ الدوري ٣٥٣/٢ - ٣٥٤، سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين: رقم ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٤، سؤالات ابن طهمان ليحيى بن معين: رقم ٤٠٠، تاريخ خليفة ٤٢٨، طبقات خليفة ٣١٥، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥١٦، ١١٤٠، ١١٤١، ٢٣٦١، ٢٤٠٧، ٢٥١٦، ٢٥٣٨، ٢٦٨٣، ٣٥٨٩، ٣٨١٤ - ٣٨١٦، ٤٨٤٢، ٥٠١٧، ٥٠٢٤، سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٤، ٢٨٠، ٣٢٨، سنن الدارمي: حديث ١٨٧، ٣٠٨، ٤٥٥، ٤٦٧، ٩٠٠، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩١٨، ٩١٩، ٩٦٠، ١١١٦، ١١٨٠، ٢٣٩٠، ٣٢١٦، ٣٢٢١، التاريخ الكبير ٣٢٢٦/٥ ت ١٠٣٤، التاريخ الأوسط ٤٠١/١، ٥٩/٢، ٩٦ - ٩٧، تاريخ الثقات للعلجلي ٢٩٦ - ٢٩٧ ت ٩٧٠، سنن ابن ماجه: حديث ٢٠٥٠، سؤالات الأجرى أبا داود السجستاني: رقم ١٢٠، ١٠٤٣، ١٥٥٠، ١٥٥٢، ١٥٥٥، ٣٩٠/٢ - ٣٩٤، ٤٠٨ - ٤٠٩، ٤٦٤ - ٤٦٧، ٤٧٢ - ٤٧٤، ٤٧٩، ٧٩٤، وانظر «فهرس الأعلام»، سنن الترمذي: حديث ٣٣٠٩، العلل الملتحق بالسنن ٧٣٩/٥، ٧٥٠، تاريخ أبي زرعة الدمشقي: انظر «فهرس الأعلام»، سنن النسائي ٢٢٥/١، أخبار القضاة ٢٠٧/٣، المنتخب من ذيل المذيل ٦٥٦، الجرح والتعديل ٢٦٦/٥ - ٢٦٧ ت ١٢٥٧، تقدمته ١٠/١، ١١، ٢٨، ٨٤، ١١٨، ١٨٤ - ٢١٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢١/٢، ٢٢، ٢٩، المراسيل ١٣٠ - ١٣١ ت ٢٢٦، مشاهير علماء الأمصار: ت ١٤٢٥، الثقات ٦٢/٧ - ٦٣، المحدث الفاصل: رقم ٤٥٤، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٠١ - ٥٠٥، ٦٦٣، ٨٩٥، مقدمة الكامل لابن عدي ٨٧ - ٨٩، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٨٨، ١٥٤، ٢٩١، سنن الدارقطني ٦٤/١، ١٦٤/٣، ٢٣٣، الثقات لابن شاهين ٢١٨ ت ٧٨٧، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٤٥٠/١ - ٤٥١ ت ٤٦٠، معرفة علوم الحديث ٥٦، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٤١٣ - ٤١٣ ت ٩٢٣، الحلية ١٣٥/٦ - ١٤٨ ت ٣٥٤، الفهرست ٣١٨، الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١٩٧/١، ١٩٨، ٤٥٤، ٤٥٧، وانظر «فهرس الأعلام»، جمهرة أنساب العرب ٤٣٥، ٤٣٧، السابق واللاحق ٢٦٢ - ٢٦٣ ت ١١٤، الرحلة في طلب الحديث: رقم ٧٠، تقييد العلم ٦٤، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨١، ٣٣٤، ٦٦١، ٨٤١، ١٠٦٤، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٧٧٤، ١٩١٩، جامع بيان العلم ٨١/١، ٩٣، ٩٤، ٣٦/٢، ١١٨، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، وغيرها، التعديل والتجريح للبايجي ٩٧٢/٢ - ٩٧٢ ت ٩٠٦، طبقات الفقهاء ٧١، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢٨٦/١ ت ١٠٧٨، الأنساب ٣٨٤/١ «الأوزاعي»، تاريخ ابن عساكر ١٤٧/٣ - ٢٢٩ ت ٣٩٠٧، صفة الصفوة ٢٥٥/٤ - ٢٥٩ ت ٧٩٠، المنتظم ١٩٦/٨ - ١٩٨ ت ٨٤٨ «وفيات ١٥٧هـ» اللباب ٩٢/١ - ٩٣ «الأوزاعي»، علوم الحديث لابن الصلاح ١٠٥، ١٤٠، ١٦٧، ١٧١، ١٨٢، ٢١٨، ٢٥٤، ٣٠٩، ٣٦٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢٩٨/١ - ٣٠٠ ت ٣٥٥، وفيات الأعيان ١٢٧/٣ - ١٢٨ ت ٣٦١، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٣٠٣/١٤ - ٣٤٠، تهذيب الكمال

٣٠٧/١٧ - ٣١٦ ت ٣٩١٨، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٢٧٧/١ - ٢٨٠ ت ١٦٤، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات «١٤١ - ١٦٠هـ» ص ٤٨٣ - ٤٩٨، العبر ١٧٤/١ - ١٧٥، دول الإسلام ٩٥، الكاشف ١٥٨/٢ - ١٥٩ ت ٣٣٢١، تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ - ١٨٣ ت ١٧٧، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ - ١٣٤، جامع التحصيل ٢٧٤ ت ٤٤٦، الوافي بالوفيات ٢٠٧/١٨ - ٢٠٩ ت ٢٥٢، البداية والنهاية ١١٥/١٠ - ١٢٠، الباعث الحثيث ٢٣٤ «النوع ٦٠»، شرح علل الترمذي ٤٦٠/١ - ٤٦٢، تهذيب التهذيب ٢١٦/٦ - ٢١٩، تقريب التهذيب ٤٩٣/١، فتح الباري ٤٣٤/٢ كتاب الخوف، باب ٤، ٤٣٦ باب ٥، ٣٥٦/٩ حديث ٥٢٥٤، بحر الدم ٢٦٤ ت ٦٠٩، طبقات الحفاظ للسيوطي ٨٥ - ٨٦ ت ١٦٨، تدريب الراوي ٣٦١/٢ «النوع ٦٠»، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٣٢، شذرات الذهب ٢٤١/١ - ٢٤٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٠٧/٣ - ٣٠٨، تاريخ التراث العربي - المجلد الأول، ج ٢٤٣/١ - ٢٤٥.

* * *



سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

(٩٧هـ - ١٦١هـ)



اسمه ونسبه ونسبته:

سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن مُنْقَذ بن نُصْر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان^(١).

والتَّوْرِيُّ: نسبة إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان.

وثور بن عبد مناة: هو ثور أطلحل، وأطلحل: جبل بمكة كان يسكنه ثور بن عبد مناة، فنُسب إليه.

وقد جعلهما كذلك واحداً ابنُ الكلبِيِّ والجمهور، وفرَّق الأميرُ ابن

(١) هكذا نسبة ابن سعد، والهيثم بن عدي، وابن خزم، وآخرون، وكذا نسبته ابن أبي الدنيا عن محمد بن خلف التيمي غير أنه أسقط مُنْقَذاً والحارث، وزاد بعد مسروق حمزة، والباقي سواء. انظر: طبقات ابن سعد ٣٧١/٦، المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٥٧، جمهرة أنساب العرب ٢٠١، تاريخ بغداد ١٥٤/٩، الأنساب ١٤٦/٣، تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٢/١، وفيات الأعيان ٣٨٦/٢، سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ - ٢٣٠.

ماكولاً في «إكماله» بينهما، وتبعه السمعاني في «الأنساب»، فَظَّنَّهُمَا بَطْنَيْنِ، وهما واحد. وردَّ عليه ابنُ الأثير في «اللباب»، فشفي وكفى^(١).

وقيل: هو من ثور همدان. وليس بشيء^(٢).

كنيته:

يكنى أبا عبد الله، كناه بها الجميع، وخوَّط بها.

سيرته وشماله:

يحار المرء من أين يبدأ الحديث عن سفيان الثوري، فسيرته مليئة زاخرة بجلال الأعمال وأكرم الخصال، وَصَفَتْهَا باستيعاب أخبار كثيرة مسطرة في الكتب التي ترجمت له. فأى جانب تريده تجد الثوري مبرزاً فيه، وأي باب تلجحه تلقى الثوري إماماً فيه، وأي مكرمة تقصدها تجده لامعاً فيها، وأي خصلة خير تحبها تراه متربعا في صدرها، فلقد كان هذا السيد رأساً في صحة عقيدته ومتابعته للسنة، رأساً في العبادة والتهجد والقيام، رأساً في الخشوع والخشية، رأساً في الخوف والرجاء، رأساً في الزهد، رأساً في الورع، رأساً في علاقته بالناس والحكام والأمراء، أمّاراً بالمعروف نهّاء عن المنكر، رأساً في طلب العلم، رأساً في الحديث والآثار، رأساً في الفقه، رأساً في الحفظ، رأساً في التحديث ونشر العلم.

لقد كان ولا ريب أمةً في فرد، شغل الناس والخلفاء والعامّة، في بلده الكوفة ثم في غيرها من أمصار الإسلام، فطارَ ذِكْرُهُ في البصرة وبغداد

(١) التاريخ الكبير ٩٣/٤، المعارف ٤٩٧، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٥، جمهرة أنساب العرب،

ص ٢٠١، الأنساب ١٤٦/٣ - ١٤٧، اللباب ٢٤٤/١ - ٢٤٥، توضيح المشبه ٦٣٧/١ - ٦٣٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٦٢٩/٢، تهذيب الكمال ١٥٥/١١، سير أعلام النبلاء ٢٣٠/٧.

والحجاز واليمن وغيرها، وزاحمَ اسمُهُ كبارَ معاصريه أمثال أبي حنيفة والأوزاعي وشعبة ومالك، ومَن في هذه الحلبة من الأكابر.

وأجمَعُ ما وُصف به في هُذِيه وسيرته وأخلاقه وشمائله أنه شُبَّه بمنصور بن المُعْتَمِر، وكان منصور يُشَبَّه بإبراهيم النَّخَعِي، وإبراهيم بعلقمة بن قيس، وعلقمة بابن مسعود، وابن مسعود بالنبي ﷺ.

فصلاته قَبَس من هدي النبوة، ومثيلٌ لما كان عليه عبَاد الصحابة والتابعين؛ يصَلِّي بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ويطيل السجود، ويقوم جزءاً كبيراً من الليل، ويصَلِّي حتى تتورم قدماه، وإذا شَبِع من طعام يوماً قام الليل كله إلى الفجر. وحَجَّ سنين عدداً، ورابط في بعض الثغور.

وكان دائمَ الذِّكْر للآخرة والموت، وكثيراً ما كان يَنهَض في الليل مذعوراً وينادي: النار النار، شغلني ذِكْرُها عن النوم والشهوات، حتى يَظُنُّ من يراه - وهو لا يعرفه - أنه مجنون. ويتلو الآية التي فيها ذِكر الآخرة فيذعر منها، ويخرج من البيت مولياً يسير في السُّكك.

أقبلت عليه الدنيا فصرف وجهه عنها، وزهد بها زُهد القادرين لا تزهد الكسالى العاطلين، فلقد كان يتجر بماله، ويُعطيه للناس مضاربةً، فيأكل من ربحها، فأكل اللذَّ الطعام كما أكل الجَشَب منه، وكان يحضُّ الناس على الكسب ويقول: (اسعِ وائتِ بالمال من جِلِّه ولا عليك أن تصَلِّي في الصف الأخير)، ويقول: (المال ترسُّ المؤمن)، ولما أنكر عليه أحدُهم إمساكَ الدنانير، قال له: (اسكت، لولاها لَتَمَنَدَل بنا الملوک). لذا تراه يرفض أعطيات الحكام، لأن من أخذ هباتهم وأكل طعامهم، ذَلَّ

لهم، وَسَكَتَ عَنْ ظُلْمِهِمْ. وترَفَّعَ عن هدايا الناس، ولربما قَبِلَهَا إِذَا كَانَتْ من عزيز عليه لا يُخشى من جانبه مَنْ ولا أَدَى، مع إِسْرَاعِهِ فِي رَدِّ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ.

وموقفه من الخلفاء والأمراء كان على منهج صالحى العلماء ومتيقظى الأئمة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويغلظ عليهم إذا حادوا وظلموا، لا يخاف لومة لائم، ولا يبالي بإهانة، ولا يرهب سجنًا، مع بُعْدِهِ عن عَتَبَاتِهِمْ وَالْجُلُوسِ فِي كَنَفِهِمْ، وشعاره: (إِذَا دَعُوكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَا تُجِبْهُمْ)، لأنه مِخْلَبٌ يُمَسِّكُ بِمَنْ رَكَّنَ إِلَيْهِ فيخدش في دينه أو جسمه.

دخل على أبي جعفر المنصور - وما أدراك ما أبو جعفر - فأمره بملازمة هدي عمر بن الخطاب في الرعية، وإنفاق الأموال، فأراده المنصور أن يلازم مجالسته، فتأبى عليه، فطارده، فهرب سفيان، فأمر المنصور بنصب الخشب بمكة ليصلبه، فدعا عليه سفيان، فمات قبيل تنفيذ ما أراد.

وحاول معه المهدي أن يوليه القضاء، وكتب له الكتاب بذلك، فأخذه وألقاه بدجلة، وهرب واختفى منه، فلاحقه المهدي، فمات سفيان قبل أن يظفر به.

وكانت عقيدة سفيان على طريقة الصحابة وسلف الأمة، لا يُخرج مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى التَّأْوِيلِ، ويقول في آيات الصفات: (أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ)، وحذَّرَ من البدع والجلوس إلى المبتدعين، وكان تَبَاعًا لِلسُّنَّةِ حتى إنه ليقول: (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحْكَّ رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثَرٍ، فَافْعَلْ) وله في

الزهد والورع وأمور الحياة حِكْمَ روائع ونصائح بدائع، قالها عفو خاطره،
مما أملاه قلبه الزاهد وفؤاده القانت.

صلاته واجتهاده فيها:

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (ربما كنا مع سفيانَ فيقول: النهار
يذهب ونحن في غير عمل. ثم يقوم فَرَعاً، فما نراه يومنا)^(١).

وقال مؤمّل بن إسماعيل: (قَدِمَ سفيان مكة، فكان يصليّ الغداة،
ويجلس يذُكُرُ الله حتى ترتفع الشمس، ثم يطوف سبعة أسابيع، يصليّ بعد
كل أسبوع ركعتين يُطَوّلُهُما، ثم يصليّ إلى نصف النهار، ثم ينصرف إلى
البيت، فيأخذ المصحف فيقرأ، فربما نام كذلك، ثم يخرج لنداء الظهر،
ثم يتطوع إلى العصر، فإذا صلى العصر أتاه أصحاب الحديث، فاشتغل
معهم إلى المغرب، فيصلي، ثم يتنقل إلى العشاء، فإذا صلى فربما يقرأ
ثم ينام. أقام بمكة نحواً من سنة على هذا)^(٢).

وقال الحسين بن عَوْن: سمعت يحيى بن سعيد القَطَّان، يقول: (ما رأيتُ
رجلاً أفضلَ من سفيان، لولا الحديث، كان يصلي ما بين الظهر والعصر
والمغرب والعشاء صلاة، فإذا سَمِعَ مُذْكَرَةَ الحديث، ترك الصلاة وجاء)^(٣).

وقال يحيى بن سعيد القَطَّان: (كان سفيانُ الثوري ما شئتَ من صلاة
وقراءة، فإذا جاء الحديث فكأنه ليس الذي كان)^(٤).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٤، وبنحوه في الحلبة ٦/٣٦٤.

(٢) تاريخ الإسلام، ص ٢٣٥، وبأخصر منه في سير أعلام النبلاء ٧/٢٧٧. قوله (سبعة أسابيع):

الأسبوع هنا: الطواف الكامل حول الكعبة مرة واحدة، أي: طاف سبع مرات.

(٣) الحلبة ٧/٦٣.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٥.

وقال أحمد بن سعيد الرِّبَاطِيُّ: حدثنا غياث بن واقد - من أهل إصطخر - قال: (طاف سفیان ذات ليلة فأكثر الطواف، ثم صَلَّى فأطال الصلاة، ثم اضطجع، فقلت: هذه ضجعتُه حتى يُصبح، فما كان إلا قليلاً حتى هَبَّ من نومه، ثم أخذ نحوَ الجبل الذي كان يأوي إليه، فأصاب إبهامَ قدمه حجر، فدميتُ، فاضطجع ثم قال: أفَّ لها ما أكثرَ كَدَرها، عَجِباً لمن يُحبِّها)^(١).

** قال إسحاق بن إبراهيم الحنَّينيُّ: (كنا في مجلس الثوري، وهو يسأل رجلاً رجلاً عما يصنع في ليله، فيخبره، حتى دار على القوم، فقالوا: يا أبا عبد الله، قد سألتنا فأخبرناك، أنت كيف تصنع في ليلك؟ فقال: لها عندي أول نومة تنام ما شئت لا أمنعها، فإذا استيقظتُ فلا أقيها أبداً)^(٢).

قال محمد بن يوسف الفريابيُّ: (كان سفیان الثوري يُقيمنا بالليل، يقول: قوموا يا شباب صلُّوا ما دُتمم شباباً). وفي رواية: (كان سفیان الثوري يصلي، ثم يلتفت إلى الشباب فيقول: إذا لم تصلُّوا اليوم فمتى؟!)^(٣).

وروى عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة بن قدامة قال: قال سفیان: (إذا جاء الليل فرحْتُ، وإذا جاء النهار حزنتُ)^(٤).

وقال يوسف بن موسى القَطَّان: سمعت أبا يزيد المَعْنِيَّ، يقول: (كان سفیان الثوري إذا أصبح، مدَّ رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض، كي يرجع الدم إلى مكانه، من قيام الليل)^(٥).

(١) الحلية ٣٧٥/٦.

(٢) الحلية ٦٠/٧، صفة الصفوة ١٤٩/٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٦، الحلية ٥٩/٧.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٥.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٥.

** قال أبو سعيد الأشج: حدثنا أبو خالد الأحمر، قال: (أكلَ سفيانُ ليلةً فشبع، فقال: إن الحمار إذا زيدَ في علفه زيدَ في عمله فقام حتى أصبح)^(١).

وقال سليمان بن قريش: حدثنا عبد الرزاق، قال: (أضاف سفيانُ برجلٍ من أهل مكة، فقَرَّب إليه الطعام، فأكل أكلاً جيداً، ثم قَرَّب إليه التمر، فأكل أكلاً جيداً، ثم قَرَّب إليه الموز، فأكل أكلاً جيداً، ثم قام فشدَّ وسطه فقال: يُقال: أشبع الحمار ثم كُدَّه. فلم يَزُل منتصباً حتى أصبح)^(٢).

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق، قال: (قَدِم علينا الثوري صنعاء، فطبختُ له قَدْر سَكْبَاج، فأكل، ثم أتيتُه بزبيب الطائف، فأكل، ثم قال: يا عبد الرزاق، اعلف الحمار وكُدَّه. ثم قام يصلي حتى الصُّباح)^(٣).

** قال عبد الله بن وهب: (رأيتُ الثوريَّ في المسجد الحرام بعد المغرب، صلَّى، ثم سَجَد سجدةً، فلم يرفع رأسه حتى نُودي بصلاة العشاء)^(٤).

وقال أحمد بن يونس: حدثنا علي بن فضيل، قال: (رأيتُ سفيانَ الثوريَّ ساجداً حول البيت، فظفتُ سبعةً أسابيع قبل أن يرفع رأسه)^(٥).

وقال أبو مُشهر: حدثنا مُزاحم بن زُفر، قال: (صلَّى بنا سفيان الثوري

(١) المعرفة والتاريخ ١/٧٢٧، مقدمة الجرح والتعديل ٨٦، تاريخ بغداد ٩/١٥٨.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٦، وانظر: الحلية ٦/٣٨٩، وخبراً آخر في: مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٥، والحلية ٦/٣٨٩.

(٣) تاريخ بغداد ٩/١٥٨. والسكْبَاج: طعام يُعمل من اللحم والخَل مع التوابل.

(٤) الحلية ٧/٥٧.

(٥) الحلية ٧/٥٧.

المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كَتَبْنَا وَإِنَّا كَتَبْنَا نَسْتَعِينُ﴾، بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١).

تلاوته القرآن، ووجهه ونفقته ورباطه، واهتمامه بأمر المسلمين:

** قال أحمد بن عمران الأَخْنَسِيُّ: حدثنا الوليد بن عُقْبَةَ، قال: (كان سفيان الثوري يُدِيمُ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ، فَيَوْمَ لَا يَنْظُرُ فِيهِ يَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ عَلَى صَدْرِهِ)^(٢).

وقال أحمد بن حنبل: (سمعت عبد الرحمن بن مهدي، قال: حَجَّ سفيان سنة إحدى وخمسين ومئة، وحجَّ سفيان سنة ثنتين، وسنة ثلاث. قال ابن مهدي: وحججتُ أنا سنة أربع، وحجَّ سنة أربع، وحجَّ سنة خمسٍ وستٍ وسبعٍ وثمانٍ وتسع، فيها كلُّها ألقاهُ فيها فأسمع - يعني من سفيان -)^(٣).

وقال محمد بن يوسف الفَرِّيَابِيُّ: (قَدِمَ سفيان الثوري بيت المقدس، فأقام ثلاثة أيام، وصلى عند باب الرحمة، وعند محراب داود عليه السلام، وربط بعسقلان أربعين يوماً. وصحبتُ سفيان من عسقلان إلى المدينة، فكان يُخرج النفقة ويُخرج معه جميعاً، فيدفعها إلى رجل لِيُنْفِقَ عَلَيْنَا، فكنا إذا وضعنا سُفْرَتَنَا لم يَرِدْ أَحَدًا من السُّؤَالِ إِلَّا أعطاه، حتى لا يبقى شيء، فكان بعضنا إذا رآه يصنع ذلك يأخذ خبزَه ويتنحَّى فيأكل)^(٤).

(١) الحلبة ١٧/٧.

(٢) الحلبة ١٩/٧، وانظر رواية أخرى في مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٦.

(٣) العلل برواية عبد الله: رقم ٤٥٧٩، وبنحوه في الإرشاد ٥١٠/٢.

(٤) الحلبة ٢٥/٧. والسؤال: جمع السائل الفقير.

** قال بشر بن الحارث: (سمعتُ يحيى بن يمان، يقول: تقاوم سفيان وإبراهيم بن أدهم ليلة إلى الصبح، فكانا يتذاكران. فقليل: يا أبا نصر، في أي شيء؟ قال: في أمور المسلمين)^(١).

وقال أبو سعيد الأشج: حدثنا يحيى بن يمان، قال: (كثيراً ما كنتُ أرى سفيان الثوري مُقنَّع الرأس، يشتدُّ في إثر جنازة العبد والأمة)^(٢).

ورعه، وخوفه ورجاؤه، وخشيته من تبعة الحديث والعلم:

** قال يحيى بن معين: سمعت سفيان بن عُيينة يقول: عن سفيان الثوري أنه قال: (ما تريدُ إلى شيء إذا بلغت فيه الغاية، تمثيت أن تنفلت منه كفافاً؟!)^(٣).

وقال ضمرة بن ربيعة: سمعت سفيان الثوري، يقول: (وَدِدْتُ أَنِي أَنْفَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، أَنَا الْيَوْمَ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَهَذَا لِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟!)^(٤).

وقال أبو الأحوص سلام بن سليم: (سمعت الثوري يقول: وددت أني قرأت القرآن، ثم وقفت. وسمعتة يقول: وددت أني أنفلت من هذا الأمر لا لي ولا علي. قال سفيان: وما أدركت أحداً أرضاه إلا قال ذلك)^(٥).

(١) الحلية ٥٠/٧. وأبو نصر هي كنية بشر بن الحارث الحافي.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٢ - ١٠٣، الحلية ٥٠/٧.

(٣) تاريخ الدوري ٢١٥/٢، جامع بيان العلم ١٥٨/٢.

(٤) المعرفة والتاريخ ١٥/٣، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٢.

(٥) جامع بيان العلم ٥٢/٢. وقد جاء هذا الخبر من عدة طرق وبألفاظ متقاربة، انظر: مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦١، مقدمة الكامل في الضعفاء ٨١، ٨٢، ٨٥ الحلية ٣٦٣/٦، ٣٦٩، ٥٧/٧، ٦٣. ومعنى (هذا الأمر): أي الحديث.

وقال يحيى القَطَّان: سمعت الثوري، يقول: (ما أنكر نفسي إلا إذا جلستُ للحديث)^(١).

وقال أبو داود الطَّيَالِسِيُّ: سمعت الثوري، يقول: (ما أخافُ على شيءٍ أن يُدخلني النار إلا الحديث)^(٢).

وقال سفيان: (لو لم أعلم لكان أقلَّ لحزني)^(٣).

وقال سفيان أيضاً: (مَنْ ازداد علماً ازداد وَجَعاً)^(٤).

وروى أبو أسامة، عن سفيان قال: (وَدِدْتُ أنها قُطعت من هاهنا ولم أروِ الحديث)^(٥).

وروى سفيان بن عُيينة، عن سفيان الثوري قال: (كنتُ إذا رأيتُ الرجال يجتمعون إلى أحد غَبَطْتُهُ، فلما ابْتُلِيتُ بها، وِدِدْتُ أني نجوتُ منهم كَفَافاً، لا عليَّ ولا لي)^(٦).

وقال يحيى بن يَمان: سمعت سفيان، يقول: (فتنةُ الحديث أشدُّ من فتنةِ الذهب والفضة)^(٧).

(١) الحلية ٦٤/٧.

(٢) الحلية ٣٦٦/٦، وانظر نحوه في: تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٤٦٧، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦١، مقدمة الكامل ٨١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٢، الحلية ٣٦٣/٦.

(٤) الحلية ٣٦٣/٦.

(٥) جامع بيان العلم ١٠/٢. قوله (وددت أنها): أي يده.

(٦) الحلية ٣٦٧/٧، وانظر خبراً مقارباً في جامع بيان العلم ١٧٥/١.

(٧) المعرفة والتاريخ ٧٢٧/١، مقدمة الكامل ٨٣، الحلية ٣٦٣/٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم

وقال أبو أسامة: سمعت سفيان الثوري، يقول: (ليس طلبُ الحديث من عدّة الموت، لكنه علّةٌ يتشاغل به الرجل)^(١).

قلت: يقول سفيان هذه الكلمات خشية ما يدخل على المحدث وطالب الحديث من الآفات التي تشوبه، وتخرج به عن الإخلاص، كالشفغ بتطلب العالي وكثرة الشيوخ والفرح بالألقاب والثناء وحب التفرد، وما إلى ذلك من الأغراض النفسانية التي قد تدخل على العالم وطالب العلم. وهذا من سفيان في غاية الورع، طلباً منه للإخلاص والنجاة، وتعليماً للناس أن يسلكوا جانب الإخلاص ويرجوا الخلاص^(٢).

قال يحيى بن سعيد القطان: (ما أخشى على سفيان بن سعيد شيئاً في الآخرة إلا حُبّه للحديث)^(٣).

وعن سفيان قال: (وددتُ أن عِلْمِي نُسخ من صدري، أَلَسْتُ أريد أن أُسألَ غداً عن كل حديثٍ رويته: أَيَسُّ أُرَدتَ به؟). قال يحيى القَطَّان: (كان الثوريُّ قد غلبت عليه شهوةُ الحديث، ما أخافه عليه إلا من حُبّه للحديث)^(٤).

وعقّب الذهبي على هذا فقال: (قلت: حُبُّ ذاتِ الحديث والعملُ به لله مطلوبٌ من زاد المَعاد، وحُبُّ روايته وعواليه والتكثُرُ بمعرفته وفهمه مذمومٌ مَخُوفٌ، فهذا الذي خاف منه سفيان، والقَطَّان، وأهلُ المراقبة، فإن كثيراً من ذلك وبالٌ على المحدث).

(١) الحلية ٣٦٤/٦ جامع بيان العلم ١٥٨/٢.

(٢) للذهبي تعليق طيب على هذا، انظر: تذكرة الحفاظ ٢٠٥/١، تاريخ الإسلام، ص ٢٣٣.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٩٧١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٧ - ٢٥٦.

** قال وكيع بن الجراح: سمعت سفیان الثوري، يقول: (ما شيء أخوف عندي من الحديث، ولا شيء أفضل منه لمن أراد به ما عند الله)^(١).

وقال محمد بن يوسف الفيزيائي: سمعت الثوري، يقول: (ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحَّت النية فيه)^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (ربما كنَّا عند سفیان، فكأنه قد أوقف للحساب، فلا نَجْتَرِيْ نَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَتُعَرَّضُ لَهُ بِذِكْرِ الْحَدِيثِ، فَإِذَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثَ، ذَهَبَ ذَلِكَ الْخُشُوعُ، فَإِنَّمَا هُوَ: حَدَّثَنَا، حَدَّثَنَا)^(٣).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (سمعتُ سفیان الثوري يقول: لولا الحديث مَنْ كُنَّا؟! وسمعت الثوري يقول: ما أرجو شيئاً غير هذا - يعني الحديث -)^(٤).

وقال عبد الله بن داود الخريبي: قال سفیان الثوري: (إنما يُطَلَّبُ الْعِلْمَ لِيَتَّقَى اللَّهُ بِهِ، فَمَنْ ثَمَّ فَضِّلَ، فَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ كَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ)^(٥).

وقال سفیان: (ليس طَلَّبُ الْعِلْمِ فَلَانٍ عَنْ فَلَانٍ، إِنَّمَا طَلَّبَ الْعِلْمَ الْخُشْيَةَ لِلَّهِ وَجَلَّ)^(٦).

وروى أبو عاصم النبيل، عن سفیان الثوري قال: (كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث، تأدَّب وتعبَّد قبل ذلك بعشرين سنة)^(٧).

(١) المحدث الفاضل: رقم ٢٥، وبنحوه في سنن الدارمي: حديث ٣٢٦.

(٢) الحلبة ٣٦٦/٦، وبنحوه من طريق آخر في المحدث الفاضل: رقم ٣٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٥، الحلبة ٣٧١/٦، ٧٣/٧.

(٤) مقدمة الكامل في ضعفاء الرجال، ص ٨٢.

(٥) الحلبة ٣٦٢/٦.

(٦) الحلبة ٣٧٠/٦.

(٧) الحلبة ٣٦١/٦.

وقال سفيان: (كان يُقال: أولُ العلم الصَّمْتُ، والثاني الاستماعُ له وحِفْظُهُ، والثالث العملُ به، والرابع نشرُهُ وتعليمُهُ)^(١).

** روى وكيع، عن سفيان قال: (ما عالجتُ شيئاً قطُّ أشدَّ عليَّ من نفسي، مرةً عليَّ، ومرةً لي)^(٢).

قال عُبيد الله بن سعيد اليشكري: سمعتُ أبا^(٣) أسامة، يقول: (كان مَنْ يرى سفيانَ الثوري يراه كأنه في سفينةٍ يخافُ الغرق، أكثرُ ما تسمعه يقول: يا ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ)^(٤).

وقال أبو سعيد الأشج: حدثنا أبو أسامة، قال: (كثيراً ما كنتُ أسمع سفيان يقول: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، رَبِّ بَارِكْ لِي فِي الْمَوْتِ وَفِي مَا بَعْدَ الْمَوْتِ)^(٥).

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: سمعتُ سفيانَ الثوري ما لا أحصي، يقول: (اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا العافية في الدنيا والآخرة)^(٦).

وقال عثمان بن علي: سمعتُ سفيانَ الثوري، يقول: (لقد خِفتُ الله خوفاً، عَجَباً لي! كيف لا أموت؟ لكن لي أَجَلٌ أنا بالِغُهُ، ولقد خِفتُ الله خوفاً وَدِدْتُ أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِّي، منه ما أخافُ أن يذهبَ عقلي)^(٧).

(١) الحلية ٣٦٢/٦، وبالصفحة نفسها رواية أخرى.

(٢) الحلية ٥/٧، ٦٢، وانظر رواية أخرى في الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٩٩.

(٣) سقطت لفظة (أبا) من الحلية، وأبو أسامة هو حماد بن أسامة الإمام العَلَمُ الثبت.

(٤) الحلية ٢١/٧.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٥.

(٦) الحلية ٣٩٢/٦.

(٧) صفة الصفوة ١٤٨/٣، سير أعلام النبلاء ٢٧٦/٧.

وقال حماد بن ذُليل: سمعتُ سفیان الثوري، يقول: (إني لأَسألُ الله أن يُذهب عني من خوفه)^(١).

وقال أبو أسامة: (اشتكى سفیان، فذهبتُ بمائه في قارورة، فأرثته الدَّيراني - يعني المَتَطَّب - فنظر إليه، فقال لي: بولٌ مَنْ هذا؟! ينبغي أن يكون هذا بولَ راهبٍ، هذا بولٌ رجلٍ قد فتَّتَ الحزنُ كبده، ما أرى لهذا دواءً)^(٢).

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (باتَ سفیان الثوري عندي، فلما اشتدَّ به الأمرُ جعل يبكي، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الله، أراك كثيرَ الدُّنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لَدُنوبي أهونُ عندي من ذا، إني أخاف أن أسلبَ الإيمانَ قبل أن أموت)^(٣).

وقال عطاء الخفَّاف: (ما لقيتُ سفیانَ الثوري إلا باكياً، فقلت: ما شأنك؟ قال: أخافُ أن أكونَ في أمِّ الكتابِ شقياً)^(٤).

وقال عبد الرزاق: (اجتمع سفیان الثوري ووهيب بن الورد، فقال سفیان لوهيب: يا أبا محمد، تحبُّ أن تموت؟ قال وُهيب: أحبُّ أن أعيشَ لعلِّي أتوب، ثم قال وهيب لسفيان: يا أبا عبد الله، فأنت تحب أن تموت؟ قال سفیان - وهو مقابل البيت -: وربُّ هذه البنيَّةِ ودِدْتُ أني ميتُ الساعة، أَظَلَّتْكَ أمورٌ عظامٌ، أَظَلَّتْكَ أمورٌ عظامٌ، أَظَلَّتْكَ أمورٌ عظامٌ)^(٥).

(١) الحلية ٢٠/٧

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٢، تاريخ بغداد ١٥٨/٩، وللخبر روايات كثيرة، انظر: المعرفة والتاريخ ٧٢٦/١، الحلية ١٤/٧، ٢٣، صفة الصفوة ١٥٠/٣.

(٣) الحلية ١٢/٧، صفة الصفوة ١٥٠/٣.

(٤) الحلية ٥١/٧.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٢، وانظر الحلية ١٨/٧. قوله (البنية): أي الكعبة.

وقال حماد بن سلمة: (كان سفيان الثوري عندنا بالبصرة، وكان كثيراً يقول: ليتني قد مِتُّ، ليتني قد استرحتُ، ليتني في قبري. فقال له حماد بن سلمة: يا أبا عبد الله، ما كثرة تمنيك للموت، والله لقد آتاك الله القرآن والعلم؟! فقال سفيان - يعني لحامد بن سلمة -: يا أبا سلمة، وما يُدريني لعلِّي أدخل في بدعة، لعلِّي أدخل فيما لا يحلُّ لي، لعلِّي أدخل في فتنة، أكون قد مِتُّ فسبقتُ هذا)^(١).

وروى يحيى بن يمان، عن سفيان الثوري قال: (ما أحبُّ أن حسابي يجعل إلي والدتي، ربِّي خيرٌ لي من والدتي)^(٢).

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (قدِمَ سفيان الثوري البصرة، والسلطان يطلبه فصار في بعض البساتين، فأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها، فمرَّ به بعض العشارين، فقال له: مَنْ أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أخبرني أُرطَبُ البصرة أحلى أم رُطَبُ الكوفة؟ قال: أما رطَبُ البصرة فلم أدقه، ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو، فقال: ما أكذبك من شيخ! الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرُطَب الساعة، وأنت تزعم أنك لم تدقه؟! فرجع إلى العامل فأخبره بما قال ليُعجبه، فقال: ثكلتُك أمك، أدركه، فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري، فخذهُ لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدي، فرجع في طلبه، فما قدر عليه)^(٣).

قال قُتَيْبَةُ بن سعيد: (لولا سفيان الثوري لَمَاتِ الوَرَع)^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١٧١/٩.

(٢) كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا: رقم ٢١.

(٣) الحلية ١٣/٧. والعشائر: هو الذي يأخذ العُشْر، وهو زكاة ما سقته السماء، وغُشْر أموال أهل الدِّمَّة في التجارات. انظر: النهاية ٢٣٩/٣ «عشر». قوله (العامل): أي الوالي.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٦، مقدمة الكامل، ص ٨٣، الحلية ٢٠/٧، تاريخ بغداد ١٦٢/٩.

وعن أبي السَّري قال: (قيل لفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: مَنْ إمامك في هذا؟ قال: سفيان الثوري)^(١).

رقته وخشيته، وكثرة ذكره للموت وتفكره بالآخرة:

** قال خالد بن صقر السدوسي: (كان أبي خاصاً بسفيان الثوري، قال أبي: فاستأذنتُ على سفيان في نحر الظهيرة، فأذنتُ لي امرأة، فدخلتُ عليه وهو يبكي، وهو يقول: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ثم يقول: بلى يا رب، بلى يا رب. وينتحب، وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل. فمكثتُ جالساً ما شاء الله، ثم أقبل إليّ، فجلس معي، فقال: منذ كم أنت هاهنا؟ ما شعرتُ بمكانك)^(٢).

قال أبو زُبَيْد^(٣) عَبَّثَرُ بن القاسم: (قرأ سفيان ليلة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، فخرج فازاً على وجهه حتى لحقوه، واجتمعتُ بنور ثورٍ على سفيان وهو شاب، يُناشدونه مما كان فيه من العبادة - أن أقصر عن هذا)^(٤).

وعن عَبَّثَرُ قال: (قام سفيان يصلي قبل الزوال، فمرَّ بهذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨ - ٩]، فخرج نادياً، فما لحقوه إلا في الحمراء، فردّوه)^(٥).

** قال أبو سعيد الأشجّ: حدثنا أبو نُعيم، قال: (كان سفيان الثوري إذا

(١) الحلية ٣/٧.

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا: رقم ٢٩٥، ولابن قدامة ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) في الحلية: (أبو زيد)، خطأ.

(٤) الحلية ٦٠/٧.

(٥) صفة الصفوة ١٤٨/٣.



ذَكَرَ الْمَوْتَ لَا يُتَّفَعُ بِهِ أَيَّاماً، فَإِذَا سُئِلَ عَنِ الشَّيْءِ قَالَ: لَا أُدْرِي،
لَا أُدْرِي^(١).

وَقَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: (مَا جَلَسْتُ مَعَ
سَفِيَانَ مَجْلِساً إِلَّا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ ذِكْرًا
لِلْمَوْتِ مِنْهُ)^(٢).

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ: (رَأَيْتُ سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ يَوْمًا وَقَدْ اضْطَجَعَ عَلَى
شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَيَقُولُ: هَكَذَا نَكُونُ فِي الْقَبْرِ)^(٣).

** قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: (مَا عَاشَرْتُ فِي النَّاسِ رَجُلًا هُوَ أَرْقَى
مِنَ سَفِيَانَ، وَكَنتُ أَرْمَقُهُ اللَّيْلَةَ بَعْدَ اللَّيْلَةِ، فَمَا كَانَ يَنَامُ إِلَّا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ،
ثُمَّ يَنْتَفِضُ فَرْعًا مَرْعُوبًا يَنَادِي: النَّارَ النَّارَ، شَغَلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ
وَالشَّهْوَاتِ، كَأَنَّهُ يُخَاطَبُ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ. ثُمَّ يَدْعُو بِمَاءٍ إِلَى جَانِبِهِ
فِيَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى إِثْرِ وُضُوئِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي غَيْرُ مُعَلِّمٍ بِمَا
أَطْلُبُ، وَمَا أَطْلُبُ إِلَّا فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ. اللَّهُمَّ إِنْ الْجَزَعُ قَدْ أَرْقَنِي مِنَ
الْخَوْفِ فَلَمْ يُؤْمَنِي، وَكُلُّ هَذَا مِنْ نِعْمَتِكَ السَّابِغَةِ عَلَيَّ، وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ
بِأَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ. إِلَهِي قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ فِي التَّخَلِّي
مَا أَقَمْتُ مَعَ النَّاسِ طَرْفَةَ عَيْنٍ. ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَى صَلَاتِهِ، وَكَانَ الْبُكَاءُ يَمْنَعُهُ
مِنَ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى إِنِّي كُنْتُ لَا أَسْتَطِيعُ سَمَاعَ قِرَاءَتِهِ مِنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ. وَمَا
كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ اسْتِحْيَاءً وَهَيْبَةً مِنْهُ)^(٤).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٥، الحلية ٦/٣٨٧، ٥٨٧/٧.

(٢) تاريخ بغداد ٩/١٥٧، وانظر رواية أخرى من طريق آخر في مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٩.

(٤) الحلية ٧/٦٠، صفة الصفوة ٣/١٤٩، وفي تاريخ بغداد ٩/١٥٧ الفصل الأول منه.

وقال يوسف بن أسباط: (قال لي سفيان - وقد صلينا العشاء الآخرة -:
ناولني المِطْهَرَةَ أتوضأ، فناولته، فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده،
ونمت، فاستيقظتُ وقد طلع الفجر، فنظرتُ إليه فإذا المِطْهَرَةُ بيمينه
ويساره على خده، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا الفجرُ قد طلع، فقال: لم أزل
منذ ناولتني هذه المِطْهَرَةَ أتفكر في أمرِ الآخرة حتى الساعة)^(١).

وقال يوسف بن أسباط: (كان سفيان من شدة تفكره يبولُ الدَّم)^(٢).

وقال محمد بن عصام بن يزيد: سمعت أبي، يقول: (ربما كان سفيان
يأخذ في التفكير، فينظرُ إليه الناظر فيقول: مجنون)^(٣).

تجارته ونظرته للمال، وتورعه عن قبول الهدايا والأعطيات:

** روى ابن سعد، عن الواقدي قال: (كان سفيان يأتي اليمن فيتجر، وكان
يفرق ما عنده على قوم من إخوانه، يُبضعون له به، ويوافي الموسم كل عام،
فيلقاهم ويحاسبهم ويأخذ ما ربحوا، وكان ما بيديه نحواً من مئتي دينار)^(٤).

وروى أن سفيان أخذ من رجل أربعة آلاف درهم مضاربةً، فاشترى
بها متاعاً مما يُباع باليمن، فأخذه معه، فربح فيه نفقته^(٥).

قال يعقوب بن سفيان الفسوي: سمعت زيد بن المبارك الصنعاني، قال:
(قدم سفيان صنعاء في تجارة، فاشترى فضة، فأقام بها ثلاثاً وأربعين ليلة)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٠، الحلية ٥٣/٧، تاريخ بغداد ١٥٧/٩، صفة الصفوة ١٤٨/٣.

(٢) الحلية ٢٣/٧، صفة الصفوة ١٤٩/٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩١، الحلية ٣٩٢/٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٦.

(٥) تاريخ الإسلام، ص ٢٣٦، سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٧.

(٦) المعرفة والتاريخ ١٦/٣.

** قال يوسف بن أسباط: (سُئل سفيان الثوري عن مسألة وهو يشتري شيئاً، فقال: دَعْنِي، فَإِنْ قَلْبِي مَعَ دَرَهْمِي)^(١).

وقال عبد الله بن محمد الباهلي: (جاء رجل إلى الثوري، فقال: يا أبا عبد الله، تُمَسِّكُ هذه الدنانير؟! فقال: اسْكُتْ، لولا هذه الدنانير لَتَمَنَدَلْ بنا هؤلاء الملوك)^(٢).

وقال رَوَّاد بن الجَرَّاح: سمعت سفيان الثوري، يقول: (كان المال فيما مضى يُكره، فأما اليوم فهو تُزَسُّ المؤمن)^(٣).

وقال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري: (لَأَنْ أُخَلِّفَ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَهْمٍ يُحَاسِبُنِي اللهُ وَبِحَبْلِ عُلْيَاهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ)^(٤).

** قال محمد بن يوسف الفريابي: سمعت سفيان، يقول: (يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ مَكْفِيّاً، فَإِنَّ الْآفَاتِ إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ، وَالسَّنَةُ لِلنَّاسِ إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ)^(٥).

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري، يقول: (العالم طيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان الطبيب يجزئ الداء إلى نفسه، فكيف يُعالج غيره؟!)^(٦).

(١) الحلية ٥٥/٧.

(٢) الحلية ٣٨١/٦.

(٣) الحلية ٣٨١/٦، وتحذف فيها اسم (رَوَّاد) إلى (داود).

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٩ - ٩٠، جامع بيان العلم ١٩/٢، وهو في الحلية ٣٨١/٦ من طريق حذيفة المَزْعَنِي.

(٥) الحلية ٣٦٩/٦.

(٦) جامع بيان العلم ١٤/٢، وبنحوه في الحلية ٣٦١/٦.

وقال شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ: قَالَ لِي الثَّوْرِيُّ: (يَا أَبَا صَالِحٍ احْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: إِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى شَيْعٍ فَلَا تَسْأَلْ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مَلْحٍ فَلَا تَسْأَلْ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَبْزَ الَّذِي تَأْكُلُهُ بِمَلْحٍ عُجْنٌ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مَاءٍ فَاسْتَعْمَلْ كَفَّيْكَ، فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الْإِنَاءِ)^(١).

وقال شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: (انظُرْ دِرْهَمَكَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَصَلِّ فِي الصَّفِّ الْأَخِيرِ)^(٢).

وقال شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ أَيْضًا: (قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَصَّارٍ، إِذَا كَسَبَ دِرْهَمًا كَانَ فِيهِ مَا يَقُوتُهُ وَيَقُوتُ عِيَالَهُ وَلَمْ يُدْرِكِ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، وَإِذَا كَسَبَ أَرْبَعَ دَوَانِيقَ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَقُوتُهُ وَيَقُوتُ عِيَالَهُ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: يَكْسِبُ الدَّرْهَمَ وَيَصَلِّي وَحْدَهُ)^(٣).

وقال أَبُو الْأَحْوَصِ سَلَامُ بْنُ سُلَيْمٍ: قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (عَلَيْكَ بِعَمَلِ الْأَبْطَالِ: الْكَسْبِ مِنَ الْحَلَالِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْعِيَالِ)^(٤).

** قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: (كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِذَا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ بَضَاعَتُهُ، نَقَضَ جَذْوَعَ بَيْتِهِ فَبَاعَهَا، فَإِذَا رَجَعَتْ بَضَاعَتُهُ أَعَادَهَا)^(٥).

وقال الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ: (بَعَثَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ إِلَى سُفْيَانَ بِثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ، قَالَ: فَقَالَ لِلرَّسُولِ: قُمْ إِلَى ذَاكَ الطَّاقِ انظُرْ مَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَوَجَدَ

(١) الحلية ٣٨٢/٦.

(٢) الحلية ٦٨/٧.

(٣) الحلية ١٦٧ - ١٧. والدَّائِقُ: سُدْسُ الدَّرْهَمِ.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٥، الحلية ٣٨١/٦، وهو في الجامع لأخلاق الراوي - رقم ٤٨ - من طريق الفريابي.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٩.

أربعة دوانيق، قال: هذه عندي منذ ثلاثة أشهر، لا أدري ما أصنعُ بها، فما أصنعُ بدنانيرك؟!^(١).

وقال القاسم بن عثمان الجُوعِيّ: سمعت حُسين بن روح، قال: (أتى سفيانَ الثوري رجلٌ فقال: إني مررتُ بفلان، فأعطاني صُرَّةً فيها ألفُ دينار أعطيك إياها، قال: يقول له سفيان: فمررتُ بأختي فأعطتكَ شيئاً من دقيقة؟ قال: نعم، قال: فائتني بصُرَّةِ الدقيق، ورُدَّ صُرَّةُ الدنانير. قال: فكان يخبزُ منها أقراصاً ويأكل)^(٢).

وقال يحيى بن سُلَيْم الطائِفِيّ: (بعث محمد بن إبراهيم الهاشمي إلى سفيان الثوري بمئتي دينار، فأبى أن يقبلها، فقلت: يا أبا عبد الله، كأنك لا تراها حلالاً؟ قال: بلى، ما كان آبائي وأجدادي إلا في العطيّة، ولكن أكره أن أدلّ لهم)^(٣).

وقال محمد بن عثمان بن أبي صفوان الثقفي: سمعت أبي، يقول: (قدِم علينا معاوية وعبد الوهاب ابنا عبد المجيد، وكانا يُلطفان سفيانَ ويُهديان إليه، قال: فرأيتُ سفيانَ يوماً في الحنَّاطين، فقال: إن ابني عمّتك هذين اللطفاني وأكثرَا مِنَ اللطف، وقد ذهبْتُ إلى صاحب بضاعتي فأخذتُ دينارين أريد أن أشتري بهما لهما حنطة فأهديهما لهما. فاشترى لهما حنطة، وأهداها إليهما)^(٤).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨٤٥.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠١.

(٣) الحلية ٤٠/٧. ومحمد بن إبراهيم ولي دمشق لابن عمه المهدي، ثم للرشيد.

(٤) الحلية ٥٩/٧. وانظر خبراً آخر مطولاً في: الحلية ٣/٧ - ٤، تاريخ بغداد ١٦١/٩، ففيه تحرُّجه من قبول الهدية حتى من أصدقائه. اللطف: الهدية، والجمع: أطاف.

زهده الفذّ وطريقته فيه، وتواضعه:

** روى وكيع، عن سفيان قال: (ليس الزهد في الدنيا بأكل الجَشْب ولبس الخشن، إنما الزهد في الدنيا قِصْر الأمل)^(١).

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان، يقول: (بالفقر تُخَوِّفوني؟! إنما يَخَاف سفيانُ أن تُصَبَّ عليه الدنيا صَبّاً)^(٢).

وقال بشر بن الحارث الحافي: (قيل لسفيان الثوري: أَيْكونُ الرجلُ زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم، إنْ كان إذا ابْتُلِيَ صَبِر، وإذا أُعْطِيَ شَكَر)^(٣).

وروى داود بن يحيى بن يمان، عن أبيه قال: (قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، أين تَطِيبُ العبادة؟ قال: حيث جُوالِق من خبزٍ بدرهم، حتى لا يمدَّ أحدُ عينه إلى أحد)^(٤).

** قال خَلْف بن تَمِيم: سمعت سفيان الثوري، يقول: (لولا أن أُسْتَدَلَّ لسكنتُ بين قوم لا يعرفونني)^(٥).

وقال خَلْف بن تَمِيم: سمعت سفيان الثوري، يقول: (أصبتُ قلبي يصلح بين مكة والمدينة، بين قوم غرباء، أصحابِ بُتوتٍ وعباء)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠١، الحلية ٣٨٦/٦. والجَشْب من الطعام: هو الغليظ الخشن.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٤.

(٣) الحلية ٣٨٧/٦ - ٣٨٨.

(٤) الحلية ١٨/٧. والجوالق: وعاء معروف، وهو معزب.

(٥) الحلية ٦/٧.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٥، الحلية ٦/٧، سير أعلام النبلاء، ٢٦٩/٧. ووقع في المقدمة:

(خالد) بدل (خلف)، خطأ، و(قوم ولى أصحاب بيوت وغنا)، وفيه عدة تصحيقات، لذا

وضع المحقق علامة استفهام في نهاية الخبر. وفي الحلية: (عباد) بدل (عباء)، تصحيف.

قوله (بتوت): جمع بتّ، وهو كساء غليظ من ضوف أو وبر.

وقال وكيع: (كان سفيان الثوري يلبس الفرو، ويلبس العباء، ومات وله بضاعة مئة وخمسون ديناراً)^(١).

وقال قبيصة بن عُقبة: (رأيت على الثوري كساءً ما يساوي درهماً، ورأيت عليه نعلين مخصوصتين قَوْمُتُهُما ديناراً)^(٢).

وقال يحيى بن أيوب المَقَابِرِيُّ: سمعت علي بن ثابت، يقول: (رأيتُ الثوريَّ في طريق مكة، فقَوْمْتُ كلَّ شيءٍ عليه، حتى نعليه: درهماً وأربعة دَوَانِيْقٍ)^(٣).

• قال الأَصْمَعِيُّ: (بَلَغَنِي أن سفيان الثوري كان يَصْنَعُ غَدَاءَهُ وَعَشَاءَهُ رَغِيْفِينَ، فإذا جاءه السائل أعطاه نصف رغيف، فإذا جاءه بعد ذلك قال: اللهُ يُوسِعُكُمْ)^(٤).

وروى سَعْدُ بن إبراهيم بن سَعْدٍ، عن أبيه قال: (كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام، فكَوْمَ كَوْمَةً من الحِصَا فَاتَكَأُ عليه، ثم قال: يا إبراهيم، هذا خير من أَسْرَتِهِمْ)^(٥).

وعن زيد بن الحُبَابِ قال: (نَفِدْتُ نَفَقَةَ سفيان الثوري بمكة، فقدم عليه رجل من قومه، فقال لسفيان: لك معي عشرةُ دراهم، قال: من أين؟ قال: من غَزَلِ فُلَانَةَ، قال: اثنتي بهم، فإني منذ ثلاث أستفُّ الرَّمْلَ)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٥.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٠.

(٣) الحلية ٦/٣٧٨، تاريخ بغداد ٩/١٦٢، صفة الصفوة ٣/١٤٧.

(٤) الحلية ٧/٧.

(٥) الحلية ٧/٢١٧ - ٢٢.

(٦) الحلية ٧/٦٣.

وقال سفيان بن عيينة: (جاع سفيان الثوري جوعاً شديداً، مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً، فمرَّ بدارٍ فيها عُزْس، فدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَدْخَلَ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَضَى إِلَى مَنْزَلِ ابْنَتِهِ، فَأَتَتْهُ بِقِرْصٍ فَأَكَلَهُ، وَشَرِبَ مَاءً فَتَجَشَّى، ثُمَّ قَالَ:

سَيَكْفِيكَ عَمَّا أُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهُ وَضَنَّ بِهِ الْأَقْوَامُ مِلْحٌ وَجَزْدَقُ
وَتَشْرَبُ مِنْ مَاءِ فُرَاتٍ وَتَعْتَذِي تُعَارِضُ أَصْحَابَ الثَّرِيدِ الْمُلْبَقِ
تَجَشَّى إِذَا مَا هُمْ تَجَشَّوْا كَأَنَّمَا ظَلِلْتُ بِأَنْوَاعِ الْخَيْصِصِ تَفْتَقُ^(١)

قال يحيى بن يمان: (ما رأينا مثلاً لسفيان، ولا رأى سفيان مثله، أقبلت الدنيا عليه، فصرفت وجهه عنها)^(٢).

** قال عبد الرحمن بن يعقوب بن إسحاق المكي: حدثني شيخ من أهل هرة، يقال له: عبد الله الهروي - رجلٌ صِدْقٍ - قال: (دخلتُ زمزم في السحر، فإذا بشيخ ينزع الدلو الذي يلي الركن، فلما شرب أدخل الدلو، فأخذته فشربتُ فضله، فإذا هو سويقٌ لوزٍ لم أذُق سويقَ لوزٍ أطيب منه. فلما كان في القابلة رصدته، فلما كان في ذلك الوقت دخل فسدل ثوبه على وجهه، فنزع بالدلو مما يلي الركن، ثم شرب وأدخل الدلو، فأخذتُ فضله فشربتُ، فإذا ماءٌ مضروبٌ بعسلٍ، لم أشرب عسلاً قطُّ أطيب منه. قال: فأردتُ أن آخذَ بطرفِ ثوبه، أنظرَ من هو، ففاتني. فلما كانت الليلة الثالثة، قعدتُ قبالة باب زمزم، فلما كان في ذلك الوقت دخل قد سدل

(١) الحلية ٣٧٣/٦. قوله (جزدق): هو الغليظ من الخبز، فارسي معرب. (الملبق): الملتين بالذسم. وفي البيت إقواء، وهو مخالفة القافية بضم وكسر. (الخيصص): الحلواء التي يخلط فيها التمر بالسمن. (تفتق): أي تتسع خواصرك من كثرة شبعك منه.

(٢) الحلية ٣/٧، ٦٨، تاريخ بغداد ١٥٦/٩.

ثوبه على وجهه، فدخلت فأخذت بطرف ثوبه، فلما شرب من الدلو أرسله، قلت: يا هذا، أسألك برَبِّ هذه البَيْتَةِ، مَنْ أنت؟ قال: تَكُنَّم عَلَيَّ حتى أموت؟ قلت: نعم، قال: أنا سفيان بن سعيد، فأرسلته وشربت من الدلو، فإذا لَبَنٌ مضروبٌ بسُكَّرٍ، لم أرَ لَبناً قطُّ أطيَّب منه. قال: وكانت الشَّرْبَةُ تكفيني إذا شربتها إلى مثلها، لا أجدُ جوعاً ولا عطشاً^(١).

وقال وكيع بن الجراح: قال سفيان الثوري: (الزَمُوا الصوامع في آخر الزمان، إن صوامعكم بيوتكم) قال وكيع: (ورُئي سفيانُ الثوري يأكل الطَّبَاهِجَ، وقال: إني لم أَنهَكُم عن الأكل، ولكن انظُرْ مَنْ أين تأكل، وارْتَجِلْ وانظُرْ على مَنْ تدخل، وتكلَّم وانظُرْ كيف تتكلَّم. كيف أَنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؟! (الأعراف: ١٣١)^(٢).

قلت: هذا فقهٌ عظيم من إمام جليل، فالزهدُ الحقُّ هو أن يتأبَى الإنسان الخضوعَ والخنوعَ أمام أكبر محبوب للنفس ومرغوبٍ لها، ألا وهو المال، الذي تُدَقُّ في سبيله أعناقُ عظماء الرجال، وأن يكون المال إذا جاءه في يده، ولا يدخل إلى قلبه فيستولي على مشاعره، ويوجِّه حركاته وسكناته. وليس الزهد بأن يَمنع الإنسان نفسه من الطعام المريء، والفراش الوطيء، والمركب الهنيء، ولا أن يَحْرِمها من سُكْنَى الدار الواسعة والأخذ من طيبات الدنيا بأنواعها، بل مِلَاكُ ذلك كله أن يكون الإنسان فيما يتطلع إليه ويكسبه وينفقه، في طاعة الله ووفق منهجه، وإذا مُنِع من بُخْبُوحَةِ الدنيا، وُجِدَ على أتم الرضى، وظَلَبَ الصبرَ والأجرَ من الله تعالى. هذه

(١) الحلية ٧٣/٧. وهزارة: هي من مدن أفغانستان المهمة في الوقت الحاضر.

(٢) الحلية ٧٠/٧. قوله (الطَّبَاهِج): هو اللَّحْمُ المُشْرَح، معزَّب.

فلسفة سُفْيَانَ فِي الزَّهْدِ، وَبِهَا يَجْتَمِعُ شَمْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي أوردناها فِي هَذِهِ الْفَقْرَةَ.

قال القاسم بن عثمان الجُوعِيُّ الدَّمَشْقِيُّ: (قلت لِيَمَانَ بن معاوية الأَسْوَدِ العابد: رأيتَ إبراهيمَ بن أَدَهَمَ؟ فضحك وقال: وأكبرَ من إبراهيمَ! قلتُ: مَنْ؟ قال: سفيان الثوري)^(١).

** قال محمد بن عُبيد: (جاء رجلٌ لسفيان الثوري، فقال: يا أبا عبد الله، رأيتُ في المنام كأن رجلاً على أعلى الكعبة، فقال له سفيان: هذا رجل مشهور - يعني بالصلاح - فقال له الرجل: أنت هو، قال: فنكس سفيان رأسه)^(٢).

وقال عثمان بن عاصم - أخو علي بن عاصم -: (رأيتُ شيخاً بين الصفا والمروة على ناقية، وشيخاً يقوده، واجتمع أصحابُ الحديث عليه، فجعل الشيخ الذي يقود يقول: يا معشر الشباب، كُفُّوا حتى نَسَلُ الشيخَ. فقلت: مَنْ هذا الراكب؟ قالوا: هذا الأوزاعي، قلت: فمن هذا الذي يقوده؟ قالوا: سفيان الثوري)^(٣).

وقال يحيى بن أيوب المَقَابِرِيُّ: سمعت علي بن ثابت الجَزَرِيَّ، يقول: (ما رأيتُ سفيانَ فِي صدر المجلس قَطُّ، إنما كان يقعدُ إلى جانب الحائط، وَيَسْتَنِدُ إلى الحائط، ويجمع بين ركبتيه)^(٤).

(١) الحلية ٦/٧. والقاسم الجوعي ويمان العابد هما من كبار أولياء الله العباد الزهاد.

(٢) مقدمة الكامل في ضعفاء الرجال، ص ٨٦.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، تاريخ ابن عساكر ١٦٥/٣٥ - ١٦٦ «ترجمة الأوزاعي».

ومعنى (نسل الشيخ): أي نخرجه من الزحام.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٧، صفة الصفوة ٣/١٤٧ - ١٤٨.

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

قال الوليد بن شجاع بن الوليد: قال أبي: (كنتُ أخرج مع سفيان الثوري، فما يكادُ لسائه يَفْتُرُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً)^(١).

وقال يحيى بن أبي غنينة: (ما رأيتُ رجلاً قطُ أَصْفَقَ وجهاً في الله وَعَبَّك من سفيان الثوري)^(٢).

وقال يحيى بن يمان: (لقيني سفيان الثوري عند جبل بني قزارة، فقال: أتدري من أين جئتُ؟ قلت: لا، قال: جئتُ دارَ الصيادلة، فنهيتهم عن بيع الداذي، إني لأرى الشيءَ يَجِبُ عليَّ أن أمرَ فيه وأنهى عنه، فلا أفعُلُ، فأبول ذماً)^(٣).

مع الخلفاء والأمراء والولاة:

قال علي بن المديني: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، قال: (ما سمعتُ سفيانَ يسبُّ أحداً من السلطان قطُ في شدته عليهم)^(٤).

وقال العجلي: (كان سفيانُ من أقوى الناس بكلمة شديدة عند سلطان يُتَّقَى)^(٥).

(١) الحلية ١٣/٧.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٨، مقدمة الكامل ٨٣، الحلية ١٣/٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٢٤، الحلية ١٤/٧ - ١٥. والداذي: حب على شكل حب الشعير، يوضع منه مقدار رطل في فزق من الماء فيصبح مُسْكِرًا، والفزق: مكيال ضخم يُعادِل (١٠) كجم. وقال في القاموس: الداذي: شراب الفساق. انظر اللسان والقاموس: (دوذ).

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٧.

(٥) تاريخ الثقات، ص ١٩٢.

وقال الذهبي: (كان قَوَّالاً بالحق، شديد الإنكار)^(١).

•• قال عبد الله بن المبارك: (قيل لسفيان الثوري: لو دخلت عليهم؟ قال: إني أخشى أن يسألني الله عن مقامي ما قلت فيه، قيل له: تقول وتتحفظ، قال: تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟!). وقال سفيان: (ليس أخاف ضَرْبَهُمْ، ولكني أخاف أن يَمِيلُوا عَلَيَّ بِدُنْيَاهُمْ، ثم لا أرى سيئتهم سيئة)^(٢).

وقال أبو إسحاق الفزاري: سمعت سفيان الثوري، يقول: (إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فَيَلِينُ له قلبي، فكيف بمن أكل ثريدَهُمْ، ووَطِئَ بساطَهُمْ؟!)^(٣).

وقال عبد الله بن المبارك: (كَتَبَ إِلَيَّ سفيان بن سعيد: إلى عبد الله بن المبارك، أمّا بعدُ: فانشُر في الناس مما عَلَّمَكَ اللهُ، وإيَّاكَ والسلطان)^(٤).

وروى الوليد بن مُسلم، عن سفيان الثوري، قال: (لا يأمرُ السلطانَ بالمعروف إلا رجلٌ عالمٌ بما يأمرُ، عالمٌ بما ينهى، رفيقٌ فيما يأمر، رفيقٌ فيما ينهى، عَدْلٌ فيما يأمر، عَدْلٌ فيما ينهى)^(٥).

وقال يوسف بن أسباط: قال سفيان الثوري: (إِنَّ دَعَاكَ هُوَ لَاءِ الْمَلُوكِ تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلا تُجِبُهُمْ، فَإِنَّ قُرْبَهُمْ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ)^(٦).

(١) تذكرة الحفاظ ٢٠٦/١.

(٢) الحلية ٤٢/٧، وانظر ٤٤.

(٣) الحلية ١٧/٧.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٦٣.

(٥) الحلية ٣٧٩/٦.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٦، ٨٩، وبنحوه من طريق آخر في الحلية ٣٨٧/٦.

قلت: دأبُ الحكَّام وديدنُهم أن يجزّوا العلماء إلى عتباتهم، ليتزيتوا بهم، وليضنفوا على أعمالهم وتصرفاتهم هالة الحق والعدل، وأنهم قائمون بأمر الله، وآية ذلك مجالسة هؤلاء العلماء لهم.

وقد وَقَعَ ويقع في شُرُكِهِم - على مدار التاريخ - كثيرٌ من العلماء، فكسب الحكام من ورائهم الكثير، وتَلَطَّخت سِيَرُ كثير من العلماء بما لا يليق بهم باعتبارهم ورثة الأنبياء.

ولقد شَخَّص سفيان الداء ووصف الدواء، وأَعْلَمَ الناسَ بعامَّة والعلماءَ بخاصة، أن عتبه الأمراء مِخْلَبٌ قويٌّ ونايِبٌ فتَّاك لا يَسْلَمُ منه إلا آحادُ الرجال. وهذا سفيان - وهو هو - قد خشي على نفسه أن تُدَنَسَ سيرته الطاهرة بمواقف سائنة، لا يستطيع فيها أن يَصُدَعَ بمِرِّ الحق، لو أنه جالسَ السلطان ووطئ فِراشه وأكل طعامه ونال من مكرمه، فَأَثَرَ البُعد عنه ومناصحته بشدَّة فيما فيه صالح الأمة ونجاة الحاكم.

وليس هذا الموقف مَطْرَدًا وقاعدةً لا يصحُّ الخروجُ عليها، بل هذا في حال السلطان الجائر، والحاكم المتجبرِّ، والوالي الفاسق المستهتر الذي لا يخاف الله ولا يَرْقُبُه في عِبَادِهِ، فأما مَنْ كان مِنْ خلفاء العدل والرحمة والخوف من الله تعالى، ويُداخله شيءٌ من تقصير وذنوب لا تَخْرُجُ به - في الجملة - عن جادة الإسلام، ونصرة الحق، وإقامة منارات الدين، والقيام بأمر الحكم على وجهه؛ فأمثال هؤلاء تكون مداخلتهم ومعاونتهم، على حماية بَيْضَةِ الدِّين ورعاية شُؤُونِ المسلمين، من أفضلِ أعمالِ البرِّ، ولنا في مواقف كثير من علماء الإسلام أكبرُ مَثَلٍ وأوضحُ دليل، في مداخلتهم للحكام ومناصحتهم لهم، من أمثال: عروة بن الزبير مع جماعة من الفقهاء في مجلس عمر بن عبد العزيز إبان إمرته على الحرمين،

وعامر الشعبي مع عبد الملك بن مروان، والزهري مع عبد الملك بن مروان وبنيه، ورجاء بن حَيَوَة في وزارته لسليمان بن عبد الملك، وأبي معاوية الصَّرِير والقاضي أبي يوسف في مجلس هارون الرشيد، وكذلك فَعَلَ الحسنُ البصري وأبو الزناد والأوزاعي ومالك وغيرهم.

مع أبي جعفر المنصور:

** قال عبد الرزاق: (أخذ أبو جعفر بتلاباب الثوري، وحَوَّل وجهه إلى الكعبة، فقال: بربِّ هذه البِنْيَةِ أَيُّ رجل رأيتنسي؟ قال: بربِّ هذه البنية، بِئْسَ الرجلُ رأيتك. وأَطَلَقَ يده)^(١).

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري، يقول: (ما يريدُ مِنِّي أبو جعفر؟! فوالله لئن قمتُ بين يديه لأقولنَّ له: قُمْ من مَقَامِكَ، فغيرك أولى به منك)^(٢).

وقال النَّضْرُ بن زُرَّارة: (طلبَ أبو جعفر الثوريَّ، حتى قدِمَ عليه، فأدخل عليه، قال: فأقبل على سفيان بالَمَلَامَةِ، فقال: تبغضنا وتبغض دعوتنا وتبغض عِترَةَ رسول الله ﷺ؟! قال: والثوري يقول: سَلَامٌ سَلَامٌ، قال: ثم رفع الثوري رأسه، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]، قال: فَتَكْسُ أبو جعفر رأسه، وجعل يَنْكُتُ بقضيب في يده الأرض. فقال سفيان: الوضوءُ الوضوءُ، ثم قام فخرج عنه)^(٣).

(١) الحلية ٤٢/٧.

(٢) الحلية ٤٢/٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٣ - ١١٤.

وقال محمد بن يوسف الفريابي: سمعت سفيان الثوري، يقول: (أدخلت على أبي جعفر بمنى، فقلت له: اتق الله، فإنما أنزلت هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع، بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً! حجَّ عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً، وكان ينزل تحت الشجر. فقال لي: فإنما تريد أن أكون مثلك؟ قال: قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه، فقال لي: اخرج)^(١).

وقال محمد بن سهل بن عسكر: سمعت عبد الرزاق، يقول: (بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة، فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاضلوه. قال: فجاء النجارون، فنصبوا الخشب، وتودى سفيان، وإذا رأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر ابن عيينة، فقالوا له: يا أبا عبد الله، اتق الله ولا تُشمت بنا الأعداء، قال: فتقدم إلى الأستار، ثم دخله ثم أخذه وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر. قال: فمات قبل أن يدخل مكة، فأخبر بذلك سفيان، فلم يقل شيئاً)^(٢).

مع المهدي:

* قال عبد الله بن حبيب^(٣): (حدثنا عبيد بن جناد، حدثنا عطاء بن مسلم الخفاف، قال: لما استُخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل، خلع خاتمته فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي، فاعمل في هذه

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٦، الحلية ٤٣/٧، الإرشاد ٥٦٦/٢ - ٥٦٧ وفيه أن ذلك كان سنة (١٥٠هـ). وكرر ابن أبي حاتم هذا الخبر في مقدمة الجرح ١١٣، وفي آخره: (قال أبو نعيم: إنما دخل على المهدي في ولاية عهده بمنى لا على أبي جعفر).

(٢) الحلية ٤١/٧ - ٤٢، تاريخ بغداد ١٥٩/٩، وذكر الذهبي هذه الحكاية في السير ٢٥١/٧، وعقب عليها بقوله: هذه كرامة ثابتة.

(٣) انظر: تكملة الإكمال لابن نقطة: رقم ١٨٥٣، وشيخه عبيد: رقم ١٠١٦.

الأمة بالكتاب والسُّنَّة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ - قال عُبيد: قلت لعطاء: يا أبا مَخْلَد، قال له: يا أمير المؤمنين! - قال: نعم، قال: أتكلّم على أني آمِنٌ؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، ولا تُعطيني شيئاً حتى أسألك. قال: فغضب من ذلك، وهَمَّ به، فقال له كاتبه: أليس قد أَمَّنْتَه يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. فلما خرَج، حَفَّ به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله، وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسُّنَّة؟ قال: فاستصغَر عقولهم، ثم خرج هارباً إلى البصرة^(١).

وروى محمد بن مسعود، عن سفيان الثوري قال: (أدخلت على المهدي بمِنَى، فلما سلّمتُ عليه بالإمّرة، قال لي: أيها الرَّجُل، طَلَبْنَاكَ فَأَعَجَزْتَنَا، فالحمدُ لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك. فقلت: قد ملأت الأرض ظُلماً وجوراً، فاتقِ الله، وليكنْ منك في ذلك عِبرة، قال: فطأطأ رأسه، ثم رفعه وقال: أرايتَ إن لم أستطع رفعه؟ قلت: تُخَلِّيهِ وَغَيْرِكَ. قال: فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك، قال: قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتقِ الله وأوصِلْ إليهم حقوقهم. قال: فطأطأ رأسه، فقال أبو عُبيد الله^(٢): أيها الرجل، ارفع إلينا حاجتك، فقلت: وما أَرْفَعُ؟! حدّثني إسماعيل بن أبي خالد، قال: حَجَّ عمر بن الخطاب، فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر ديناراً. وأرى هنا أموراً لا تُطيقها الجبال)^(٣).

(١) الحلية ٤٠/٧ - ٤١، وانظر ٣٧٨/٦.

(٢) في الحلية: (أبو عبد الله) وهو تصحيف، وأبو عُبيد الله هو معاوية بن عُبيد الله بن يسار، كاتب المهدي ووزيره، وهو أحد رجال الكمال حَزْماً ورأياً، وعبادةً وخيراً. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٩٦/١٣، وسير أعلام النبلاء ٣٩٨/٧.

(٣) الحلية ٤٤/٧ - ٤٥، وبأطول منه من طريق آخر في مقدمة الجرح والتعديل ١١٠ - ١١١، انظر: نقات العجلي، ص ١٩٢ - ١٩٣، الحلية ٣٧٧/٦، تاريخ بغداد ١٦٠/٩.

وعن عبد الله بن نُمير: (أن سفيان ذهب إلى المهدي وهو بمنى، فلما رآه صاح بأعلى صوته: ما هذه الفسّاطيط؟! ما هذه السُرَادِقَات؟! حَجَّ عمر بن الخطاب، فسأل: كم أنفقنا في حِجَّتنا هذه؟ فقيل كذا وكذا ديناراً - ذكر شيئاً يسيراً - فقال: لقد أسرفنا)^(١).

** قال ابن سعد: (وطلب سفيان، فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم - وهو على مكة - يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه ذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم فاطهروا حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار. قال: فتوارى سفيان، وطلبه محمد بن إبراهيم، وأمر منادياً فنادى بمكة: مَنْ جاء بسفيان فله كذا وكذا. فلم يزل متوارياً بمكة، لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه)^(٢).

وأخرج ابن سعد بإسناده، عن أبي شهاب الحنّاط قال: (بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى سفيان وهو بمكة، فيه كعك وخشكناج، فقدمت مكة، فسألت عنه، فقيل لي: إنه ربما قعد دُبر الكعبة مما يلي باب الحنّاطين، قال: فأتيته هناك - وكان لي صديقاً - فوجدته مستلقياً، فسلمت عليه، فلم يسألني تلك المسألة، ولم يسلم عليّ كما كنت أعرف منه، فقلت له: إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكناج، قال: فعجل به عليّ، واستوى جالساً، فقلت: يا أبا عبد الله، أتيتك وأنا صديقك، فسلمت عليك، فلم تردّ عليّ ذاك الردّ، فلما أخبرتك أنني أتيتك بجراب

(١) الحلية ٤٨/٧ - ٤٩ وهو خير طويل اختصرته. والفسطاط: بيت من شعر، أو ضرب من الأبنية في السّفَر دون السُرَادِق. والسُرَادِق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو حياء. اللسان (فسط) و(سردق).

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٦. ومحمد بن إبراهيم هو ابن عم المهدي، له ترجمة في تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء.



كعكٍ لا يُساوي شيئاً، جلست وكلمتني؟! فقال: يا أبا شهاب، لا تُلْمِني، فإنَّ هذه لي ثلاثة أيامٍ لم أذُق فيها ذواقاً، فعذرتُه^(١).

قال أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ: (كنتُ في مسجد الخَيْف مع سفيان الثوري، والمنادي يُنادي: مَنْ جاء بسفيان فله عشرة آلاف)^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان الثوري، يقول: (طَلِبْتُ في أيام المهدي، فهربتُ، فأتيت اليمن، فكنت أنزل في حيِّ حيِّ، وأوي إلى مسجدهم، فسُرِق في ذلك الحي، فأتهموني، فأتوا بي معن بن زائدة - وكان قد كُتِبَ إليه في طلبِي - فقبل له: إن هذا قد سرق منا، فقال: لم سرق متاعهم؟ فقلت: ما سرقُ شيئاً، فقال لهم: تَنَحَّوا لأسائِله، ثم أقبل عليَّ فقال: ما اسمُك؟ قلت: عبد الله بن عبد الرحمن، قال: يا عبد الله بن عبد الرحمن، نشدتُك بالله لَمَّا نَسَبتَ لي نَسَبَكَ، قلت: أنا سفيان بن سعيد بن مسروق، قال: الثوريُّ؟ قلت: الثوريُّ، قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟ قلت: أجل، فأطرق ساعةً ثم قال: ما شئتَ فأقم، وازحل متى شئتَ، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها)^(٣).

وساق ابن سعد خبراً طويلاً، ذَكَر فيه أن سفيان خرج من مكة خائفاً، وذَهَب إلى البصرة، فاخفى بها، ونزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان، ثم حوَّله يحيى إلى جواره، وفتح بينه وبينه باباً، وكان يأتيه بمحدثي أهل

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٦ - ٣٧٣، وبأخصر منه في الحلية ٦٧/٧. وانظر خبرين آخرين في مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩١، ٩٢ - ٩٣. ومعنى (خُشِكَنَاتِح): الخبز اليابس. وهو فارسي معرَّب. المعرب للجواليقي، ص ٢٨٣.

(٢) الحلية ٤/٧.

(٣) الحلية ٤/٧.

البصرة، يُسَلِّمون عليه وَيَسْمعون منه، ولم يزل بالبصرة حتى مات^(١).

قال حماد بن زيد: (كان يَلْقاني جعفر بن سُليمان بن علي والي البصرة، فيقول لي: تُراني لا أعرفُ أين سفيان؟! هو عند فلان في بيت كذا - لا يُخطئ - ويقول: لا، عَلِمَ اللهُ أنَّي لا أهَيِّج سفيان)^(٢).

• قال إبراهيم الفراء: (كَتَبَ سفيانُ الثوري إلى المهديِّ مع جَبْرِ^(٣): طَرَدْتَنِي وَشَرَّدْتَنِي وَخَوَّفْتَنِي، وَاللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، وَأَرْجُو أَنْ يَخَيِّرَ اللهُ لِي قَبْلَ رَجُوعِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَزَجَعَ الْكِتَابَ وَقَدْ مَاتَ)^(٤).

وقال عصام بن يزيد المعروف بِجَبْرِ: (كَتَبَ معي سفيان بكتاب أمانه إلى المهدي، فقلت: يا أبا عبد الله، إن رأيت أن تعفيني، فقال: ترى هؤلاء الذين عندي، ما أحدٌ منهم أَدْفَعُ إليه هذا الكتاب، إلا هو يرى أنني قد أسديتُ إليه خيراً، فانطلقَ فقلُ ما تعلمُ، واسكت عما لا تعلم. قال: وكتب معي إلى المهدي، فحملتُ الكتاب، وصِرْتُ إلى أبي عبيد الله، وقلت: رسولُ سفيان، فأمر بي فَأَنْزَلْتِ، وسأل عني في سِرِّ، وقال: بَكَرَ بِالْعَدَاةِ لِلدُّخُولِ عَلَى أمير المؤمنين، فاستعفيتُ، قال: لا بدَّ. ثم بَكَرْتُ، فدخلت

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٣/٦ - ٣٧٤، وانظر خبراً آخر في: ثقات العجلي، ص ١٩٢ - ١٩٣، تاريخ بغداد ١٦٠/٩.

(٢) ثقات العجلي، ص ١٩٣.

(٣) جاء في الحلية: (جَبْرِ)، وفي سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٧: (عصام جَبْرِ)، وكلاهما صحيح، فاسمه عصام بن يزيد الأصبهاني، ولقبه جَبْرِ، وهو صاحب سفيان الثوري وخادمه. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٢٦٦/٧ ت ١٤٣، طبقات المحدثين بأصبهان ١١٠/٢ ت ١٢٠، ذكر أخبار أصبهان ١٠٣/٢ ت ١٢٢٤، الإكمال ١٨/٢، ١١/٥، الأنساب ١٧٩/٣، توضيح المشتهة ٤٧٩/٣ - ٤٨٠، نزهة الألباب في الألقاب ١٦١/١ ت ٥٥٠.

(٤) الحلية ٤٥/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٧.

عليه، فإذا مجلس بيت قد بُدِد، فناوَلْتُهُ الكتاب، فجعل يَنْظُر فيه، فإذا في الكتاب: إني أظهرُ على أن لي الأمانَ، ولكل من طُوب بسببي، وعلى أن أحلَّ من بلاد الله وَجَّكَ حيث أشاء، فإني أرجو أن يَخير الله لي قبل ذلك. قال: فأعطاني مالاً أحمله إليه، فأبيتُ ولم أقبله، فقال: له الأمانُ، ولمن طُوب بسببه، ويحلَّ من بلاد الله حيث يشاء، ولكن يُوافيني بالموسم، وما على أبي عبد الله أن يضع يده في يدي، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟! فرجعتُ إلى سفيان، فقلت: قد جاء الله بما تُحبُّ، قال أمير المؤمنين كَيْتَ وكَيْتَ، قال: اسكُتْ، قل له يستعمل ما يَعلم، حتى إذا استعمل ما عَلِمَ، أتيناها فعَلَمناه ما لا يعلم. قال: فَخَارَ اللهُ وَجَّكَ له، فتوفي قبل ذلك^(١).

مع أمير مكة عبد الصمد بن علي «عم المنصور»:

قال أبو سعيد الأشج: حدثنا إبراهيم بن أعين، قال: (كنتُ مع سفيان الثوري وإسحاق بن القاسم والأوزاعي، فدَخَلَ علينا عبد الصمد بن علي بعد المغرب - وهو أميرُ مكة - وسفيان يتوضأ، وأنا أصبُّ عليه، كأنه بَطَّأه، وهو يقول: لا تنظروا إليَّ، أنا مُبْتَلَى. فجاء عبد الصمد، فسَلَّمَ على سفيان، فقال له سفيان: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبد الصمد بن علي، فقال: كيف أنت؟ اتقِ الله، اتقِ الله، وإذا كَبَّرْتَ فأسمع)^(٢).

قال الذهبي: (يعني أنه كان يصلِّي بالناس وما كان خَلْفَهُ مَنْ يُكَبِّرُ)^(٣).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٩ - ١١٠، وانظر روايات مقاربة في: مقدمة الجرح والتعديل،

ص ١٠٧، طبقات المحدثين بأصبهان ١١٤/٢ ت ١٢٣، الحلية ٤٣/٧ - ٤٤.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١١ - ١١٢، الحلية ١٤/٧، وانظر قصة أخرى في الحلية ٣٨/٧. قوله

(مبتلى): أي موسوس في الموضوع.

(٣) تاريخ الإسلام، ص ٢٣٨.

وقال عبد الله بن خُبَيْق: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُهَلَّهْلِ، قَالَ: (خَرَجْتُ حَاجِبًا مَعَ سَفِيَانَ، فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى مَكَّةَ وَافِينَا الْأَوْزَاعِيَّ بِهَا، فَاجْتَمَعْنَا أَنَا وَالْأَوْزَاعِيَّ وَسَفِيَانَ فِي دَارِهِ، قَالَ: وَكَانَ عَلَى الْمَوْسِمِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيِّ الْهَاشِمِيِّ، فَدَقَّ دَاقَّ الْبَابِ، فَقَلْنَا: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: الْأَمِيرُ، فَقَامَ الثُّورِيُّ فَدَخَلَ الْمَخْدَعُ، وَقَامَ الْأَوْزَاعِيُّ فَتَلَقَّاهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟ قَالَ: أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ، أَمَا إِنْ كُتِبَ كَانَتْ تَأْتِينَا، فَكُنَّا نَقْضِي حَوَائِجَكَ^(١)، مَا فَعَلَ سَفِيَانُ الثُّورِيُّ؟ قَالَ: قُلْتُ: دَخَلَ الْمَخْدَعُ. فَدَخَلَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي إِثْرِهِ، فَقَالَ: إِنْ هَذَا الرَّجُلُ مَا قَصِدُ إِلَّا قَصْدُكَ، فَخَرَجَ سَفِيَانَ مُقَطَّبًا، فَقَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ: أَتَيْتُكَ أَكْتُبُ هَذِهِ الْمَنَاسِكَ عَنْكَ، فَقَالَ لَهُ سَفِيَانَ: أَوْلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَدَعُ مَا أَنْتَ فِيهِ، فَقَالَ: وَكَيْفَ أَصْنَعُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرٍ؟ قَالَ: إِنْ أَرَدْتَ اللَّهُ كَفَاكَ أَبَا جَعْفَرَ. فَقَالَ لَهُ الْأَوْزَاعِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ هَؤُلَاءِ لَيْسَ يَرْضُونَ مِنْكَ إِلَّا بِالْإِعْظَامِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّا لَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نَضْرِبَهُمْ، وَإِنَّمَا نُؤَدِّبُهُمْ بِمِثْلِ هَذَا الَّذِي تَرَى. قَالَ مُفَضَّلٌ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ الْأَوْزَاعِيُّ فَقَالَ: قُمْ بِنَا مِنْ هَاهُنَا، فَإِنِّي لَا أَمْنُ هَذَا أَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَضَعُ فِي رِقَابِنَا حَبَالًا، وَإِنَّ هَذَا مَا يُبَالِي^(٢)).

عقيدته:

•• قال يحيى بن سُلَيْمِ الطَّائِفِيُّ: (سَأَلْتُ سَفِيَانَ الثُّورِيَّ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: قَوْلَ وَعَمَلِ)^(٣).

(١) كان الأوزاعي يترفع عن جوائز الحكام، وربما قبلها إبقاء على كرامتهم، وإذا أخذها وضعها في ذوي الحاجة، كما بيئنا في سيرته.

(٢) الحلية ٣٩/٧، تاريخ بغداد ١٥٨/٩ - ١٥٩، وبنحوه في المعرفة والتاريخ ٧٢٤/١.

(٣) المعرفة والتاريخ ٤٩٨/٣، مقدمة الكامل ٨٦.

وقال عبد الرزاق: (سمعت مالكا، والأوزاعي، وابن جريج، والثوري، ومعمراً، يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)^(١).

وروى مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان الثوري قال: (خَالَفْنَا الْمُزَجَّيَّةَ فِي ثَلَاثٍ: نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَهَمَّ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بَلَا عَمَلٍ. وَنَحْنُ نَقُولُ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهَمَّ يَقُولُونَ: لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. وَنَحْنُ نَقُولُ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِالْإِقْرَارِ، وَهَمَّ يَقُولُونَ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ عِنْدَ اللَّهِ)^(٢).

وقال أبو بكر الحنفي: سمعت سفيان الثوري، يقول: (الصلاة والزكاة من الإيمان، والإيمان يزيد، والناس عندنا مؤمنون مسلمون، ولكن الإيمان متفاضل، وجبريل أفضل إيماناً منك)^(٣).

وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان، يقول: (مَنْ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَهُوَ عِنْدَنَا مُرْجِيٌّ - يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ -)^(٤).

وقال مؤمل بن إسماعيل: (مات عبد العزيز بن أبي رواد، وكنت في جنازته، حتى وُضِعَ عِنْدَ بَابِ الصَّفَا، فَصَفَّ النَّاسُ، وَجَاءَ الثَّوْرِيُّ، فَقَالَ النَّاسُ: جَاءَ الثَّوْرِيُّ، جَاءَ الثَّوْرِيُّ، حَتَّى خَرَقَ الصَّفُوفَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَجَاوَزَ الْجَنَازَةَ وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُرْمَى بِالْإِزْجَاءِ)^(٥).

وقال إبراهيم بن المغيرة: (سَأَلْتُ سُفْيَانَ: أَأَصْلِي خَلْفٌ مِنْ يَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بَلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَا كِرَامَةٌ)^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٧.

(٢) الحلية ٢٩/٧.

(٣) الحلية ٣٣/٧.

(٤) الحلية ٣٢/٧ - ٣٣.

(٥) الحلية ٢٩/٧.

(٦) الحلية ٢٧/٧.

قلت: هذا اجتهاد من سفيان، والإرجاء كما يقول الذهبي: (مذهبٌ لعدَّةٍ من جِلَّةِ العلماء، لا يَنْبَغِي التحاملُ على قائله)^(١).

ورحم الله يحيى بن سعيد القطان، الذي علم بما رُمي به ابن أبي رواد من الإرجاء، فقال: (ثقةٌ في الحديث، ليس يَنْبَغِي أن يُترك حديثه لرأيٍ أخطأ فيه)^(٢).

وقد كان من المُزَجِّئة: مسعر بن كدام، وحماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة، وعمرو بن مرة، وأبو معاوية الضَّرير، وعمر بن ذر، وغيرهم.

وقد كان سفيان الثوري إذا اختلف مع شعبة في حديث، ذهب إلى مسعر ليحكم بينهما، وكان سفيان يسميه: (المُضخف).

كما حدَّث سفيان عن ثور بن يزيد، وحديثه عنه في صحيح البخاري، وثور كان يرى القدر.

** قال عبد الله بن المبارك: سمعت سفيان الثوري، يقول: (مَنْ زَعَمَ أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مخلوقٌ، فقد كَفَرَ بالله ﷻ)^(٣).

وقال شعيب بن حَزْب: (قلت لسفيان: حدِّثني بشيء من السُّنَّة، فقال: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر. والإيمانُ قول وعمل، ويزيد وينقص). وذَكَر فصلاً طويلاً^(٤).

(١) ميزان الاعتدال ٩٩/٤ «ترجمة مسعر بن كدام». وانظر ما كتبه عن «الإرجاء» في الكتاب الذي أفرذته في ترجمة الإمام أبي حنيفة.

(٢) الجرح والتعديل ٣٩٤/٥ ت ١٨٣٠.

(٣) الحلية ٣٠/٧.

(٤) مختصر العلو، ص ١٤٠، والفصل بطوله في تذكرة الحفاظ ٢٠٦/١ - ٢٠٧.

وقال عمّار بن عبد الجبار: (سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: الجَهْمِيَّةُ كَفَّار، والقَدْرِيَّةُ كَفَّار. فقلت لعبد الله بن المبارك: فما رأيك؟ قال: رأيي رأي سفيان)^(١).

قلت: هذا فيه كثيرٌ من التجاوز، وهؤلاء وغيرهم مبتدعة لا يُقبل تكفيرهم إلا إذا كانوا ينكرون معلوماً من الدين بالضرورة، وهذا سفيان يروي عن ثور بن يزيد وهو قَدْرِي، وفي الصحيحين وغيرهما رواية كثير ممن رُمي بالبدعة، كالخوارج والقدرية والناصبية والجهمية، فهل يُروى حديث رسول الله ﷺ عن كفار؟! والذي عليه عملُ أكثر المتقدمين من أئمتنا عدمُ الاعتداد ببدعة الراوي إن كان صادقاً أميناً^(٢).

•• سُئِلَ سَفْيَانُ عَنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، فَقَالَ: أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ^(٣).

وروى غير واحد عن معدان قال: (سألت سفيان الثوري عن قوله وَعَلَيْكَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ قال: عَلِمَهُ)^(٤).

خوفه من البدع ونهيه عنها:

قال يحيى بن يمان: سمعت سفيان، يقول: (مَنْ أَضْغَى سَمْعَهُ إِلَى صَاحِبِ بَدْعَةٍ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى)^(٥).

وقال شعيب بن حَزْب: سمعت الثوري، يقول: (مَنْ سَمِعَ مِنْ مَبْتَدِعٍ

(١) الحلية ٢٨/٧.

(٢) عقد الحافظ ابن حجر فصلاً نفساً في «هدى الساري» لمن رمي ببدعة وأخرج له الشيخان في صحيحيهما، انظر: ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٣) جامع بيان العلم ١١٨/٢، مختصر العلو ١٣٩، سير أعلام النبلاء ٢٧٤/٧.

(٤) مختصر العلو ١٣٩، سير أعلام النبلاء ٢٧٤/٧، تذكرة الحفاظ ٢٠٦/١ وصححه.

(٥) الحلية ٢٦/٧، ومن طريق آخر بأطول منه ٣٣ - ٣٤.

لم يَنْفَعَهُ اللهُ بما سمع، وَمَنْ صَافَحَهُ فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ عَرُوءَ عَرُوءٍ^(١).

قلت: هذه مبالغة شديدة، وهو كلام لا يُقبل، ففي الكتب الستة روايات كثيرة عن جماعة من أصحاب البدع، وسفيان نفسه قد روى عن: ثور بن يزيد وقد رُمي بالقدر، وحمّاد بن أبي سليمان وقد رُمي بالإرجاء، وعمرو بن مرة كذلك، وعمران القصير وقد رُمي بالقدر، فكان ماذا؟!!

قال أحمد بن عبد الله بن يونس: (سمعتُ رجلاً يقول لسفيان: رجلٌ يكذبُ بالقدر، أأصلي وراءه؟ قال: لا تُقدّموه، قال: هو إمامُ القرية ليس لهم إمام غيره؟ قال: لا تُقدّموه، لا تُقدّموه. وجعل يصيح)^(٢).

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: (سمعتُ رجلاً يقول لسفيان: يا أبا عبد الله أوصني، قال: إياك والأهواء، إياك والخصومة، إياك والسلطان)^(٣).

وقال سفيان: (مَنْ سَمِعَ بَدْعَةً فَلَا يَحْكِمُهَا لَجَلْسَائِهِ، لَا يُلْقِيهَا فِي قَلُوبِهِمْ)^(٤).

موقفه من الصحابة رضي الله عنهم:

قال شعيب بن حَزْب: (ذَكَرُوا سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ عِنْدَ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَذَكَرُوا مَنَاقِبَهُ، حَتَّى عَدَّوْا خَمْسَ عَشْرَةَ مَنَقِبَةً، فَقَالَ: فَرَعْتُمْ؟ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِيهِ فَضِيلَةً أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا، سَلَامَةٌ صَدْرَهُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ)^(٥).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٦.

(٢) الحلية ٢٦/٧، وانظر خبراً مقارباً ص ٢٨.

(٣) الحلية ٢٨/٧.

(٤) الحلية ٣٤/٧.

(٥) الحلية ٢٧/٧.

** قال زيد بن الحُبَاب: (كان رأيُ سفيان الثوري رأيَ أصحابه الكوفيين، يُفَضَّلُ عليّاً على أبي بكر وعمر، فلما صار إلى البصرة رجع عنها، وهو يُفَضَّلُ أبا بكر وعمر على علي، ويفضَّلُ عليّاً على عثمان)^(١).

قلت: هذا وَهْمٌ على سفيان، ونقلٌ لا يصحُّ عنه وعن الكوفيين، فأهلُ السُّنَّةِ جميعاً وأئمة السَّلَفِ والخَلْفِ على تقديم أبي بكر وعمر على من سواهما من الصحابة، ثم إن جمهور السَّلَفِ على أن ترتيبهم في الأفضلية هو كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

قال الإمام الدَّارِقُطَنِي: (مَنْ قَدَّمَ عليّاً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار)^(٢).

وإنما ذهب بعض أهل الكوفة من أهل السُّنَّةِ إلى تقديم علي على عثمان، وهذا كان رأيَ سفيان الثوري^(٣)، ثم رجع عنه كما سنين.

وتقديمُ عثمان هو الذي استقرَّتْ عليه مذاهبُ أصحاب الحديث وأهل السُّنَّةِ^(٤).

وكانَ الحافظ الناقد الذهبي لَمَحَّ ضَعْفَ هذا النقل عن سفيان، فاكتمى بالفصل الأخير من الخبر، فقال: (وقال زيد بن الحُبَاب: كان سفيان يُفَضَّلُ عليّاً على عثمان)^(٥).

(١) الحلية ٣١٧/٧.

(٢) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، لابن كثير: ص ١٧٨.

(٣) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، الباعث الحثيث ١٧٨، تدريب الراوي

٢٢٢/٢ - ٢٢٣ (النوع ٣٩)، فتح المغيث للسخاوي ١١٢/٤ - ١١٧.

(٤) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٢٩٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٧٣/٧.

قال أبو بكر بن عَيَّاش: (كان سفيان يُنكر على من يقول: العبادات ليست من الإيمان، وعلى من يُقدّم على أبي بكر وعمر أحداً من الصحابة، إلا أنه كان يُقدّم عليّاً على عثمان^(١)).

وقال قبيصة بن عُقبة: سمعتُ سفيان الثوري يقول: (مَنْ قَدَّمَ عليّاً على أبي بكر وعمر، فقد زرى على المهاجرين والأنصار، وأخاف ألا ينفعه مع ذلك عمل)^(٢).

وقال محمد بن يوسف الفريابي: قال سفيان: (مَنْ قال عليٌّ أحقُّ بالولاية من أبي بكر وعمر، فقد خطأً أبا بكر وعمر وعليّاً والمهاجرين والأنصار، ولا أدري يرتفع له عملٌ إلى السماء أم لا؟!)^(٣).

وقال المُسيَّب بن واضح: سمعت عبد الوهاب الحَلبيّ، يقول: (سألتُ سفيان الثوري ونحن نطوف بالبيت عن الرجل يحبُّ أبا بكر وعمر، إلا أنه يجدُ لعليٍّ من الحب ما لا يجدُ لهما؟ قال: هذا رجل به داءٌ، ينبغي أن يُسقى دواءً)^(٤).

وقال عطاء بن مُسلم: (قلتُ لسفيان الثوري: رجلٌ يُقدّم أبا بكر وعمر وعثمان، إلا أنه يجدُ لعليٍّ في قلبه ما لا يجدُ لهم؟ قال: ذاك يريد أن يُسقى شربةً دواءً حتى يُسهلَه)^(٥).

وقال محمد بن يوسف الفريابي: (سمعتُ سفيان ورجلٌ يسأله عمَّن يَشتمُّ أبا بكر؟ فقال: كافرٌ بالله العظيم. قال: نصلي عليه؟ قال: لا، ولا كرامة. قال: فزاحمهُ الناسُ حتى حالوا بيني وبينه، فقلت للذي قريباً

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٦٧/١، الحلية ٢٧/٧. زَرَى عليه وأزرى عليه: عابَهُ.

(٣) الحلية ٣١/٧.

(٤) الحلية ٢٧/٧.

(٥) مقدمة الكامل، ص ٨٦.

منه: ما قال؟ قلنا: هو يقول لا إله إلا الله، ما نصنعُ به؟ قال: لا تمسّوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في قبره^(١).

** قال عثّام بن علي: سمعت سفیان الثوري، يقول: (لا يجتمعُ حبُّ علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال)^(٢).

وقال يوسف بن أسباط: (قال رجلٌ لسفيان الثوري: بلَغنا أنك تبغض عثمان؟ ففرع وقال: لا والله، ولا معاوية)^(٣).

وقال يوسف بن أسباط: سمعتُ سفيان، يقول: (إذا كنتَ في الشام فحدِّثْ بفضائل عليّ، وإذا كنتَ بالكوفة فحدِّثْ بفضائل عثمان)^(٤).

وقال مؤمّل بن إسماعيل: سمعت سفيان الثوري، يقول: (منَعْتني الشيعة أن أحدِّث بفضائل علي بن أبي طالب)^(٥).

عمله بعلمه ومتابعته للسنة وحضه على ذلك:

** قال ثابت بن محمد العابد: سمعت الثوري، يقول: (إن استطعت ألا تحكّ رأسك إلا بأثرٍ، فافعل)^(٦).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان، يقول: (ما بلَغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قطُّ إلا عملتُ به، ولو مرّة)^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٧.

(٢) الحلية ٣٢/٧.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٥٧٧.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٣٩٤، وانظر رواية أخرى في الحلية ٢٧/٧.

(٥) مقدمة الكامل ٨٢، الحلية ٢٧/٧.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٧.

(٧) سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧.

وقال مَكِّي بن إبراهيم: (دخلتُ على سفيان بن سعيد يوماً، وبين يديه رغيفٌ وكَفَّ زبيب - أو حَفْنَة - فقال لي: اذُنْ يا مَكِّي، قلت: يا أبا عبد الله، دخلتُ إليك غيرَ مرة وأنت تأكلُ، فلم تَدْعُنِي قبلها، قال: اليومَ حضرتني النية)^(١).

وقال أبو هَمَّام الوليد بن شُجاع السُّكُونِي: حدثني أبي، قال: سمعت سفيان، يقول: (لا يَسْتَقِيمُ قولٌ إلا بعمل، ولا يَسْتَقِيمُ قول وعمل إلا بنية، ولا يَسْتَقِيمُ قول وعمل ونية إلا بموافقة السُّنَّة)^(٢).

** قال قَبِيصة بن عُقبة: أخبرني رجلٌ، عن سفيان قال: (تعلموا هذا العلم، فإذا تعلمتموه فاحفظوه، فإذا حفظتموه فاعملوا به، فإذا عملتم به فانشروه)^(٣).

وقال أبو عاصم النبيل: سمعت سفيان الثوري، يقول: (كان الرجلُ إذا أراد أن يكتب الحديث، تأدَّبَ وتعبَّدَ قبل ذلك بعشرين سنة)^(٤).

صفة مجلسه، وضحكه ومزاحه:

** قال عبد الله بن المبارك: (تُعجِبُنِي مجالسُ سفيان الثوري، كنتُ إذا شئتَ رأيته في الورع، وإذا شئتَ رأيته مصلياً، وإذا شئتَ رأيته غائصاً في الفقه)^(٥).

(١) الحلية ٦٢/٧.

(٢) الحلية ٣٢/٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٧١/٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٨٧، وبنحوه من طريق آخر في جامع بيان العلم ١٤٣/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٥، المحدث الفاضل: رقم ٥١، الحلية ٣٦١/٦.

(٥) الحلية ٣٥٨/٦، وبنحوه في التاريخ الكبير ٩٢/٤، والأوسط ١١٣/٢ - ١١٤.

وقال حَفْصُ بن غِيَاثٍ: (كنا نتعزَّى بمجلس سفیان الثوري عن الدنيا)^(١).
وقال قَبِيصَةُ بن عُقْبَةَ: (كنا نأتي سفیان بعد العصر، لا يتكلَّم بشيء حتى يُمسي، ولقد أتيتُه ذات يوم، فرأيتُ باب المسجد مردوداً، وظننتُ أنه ليس في المسجد أحدٌ، فلما دخلت المسجد، فإذا المسجد غاصُّ بأهله وهم سكوٲ، وسفیان ساكت لا يتكلَّم)^(٢).

** قال يحيى بن يمان: (كان الفقراء هم الأمراء في مجلس سفیان، وما رأيتُ الغني أذلَّ منه في مجلس سفیان)^(٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب الشُّكْرِيُّ: (ما رأيتُ الفقير في مجلس قَطُّ كان أعزَّ منه في مجلس سفیان الثوري، ولا رأيتُ الغنيَّ في مجلس كان أذلَّ منه في مجلس سفیان الثوري)^(٤).

** قال قَبِيصَةُ: (كان سفیان مزَّاحاً، كنت أتأخَّر خلفه، مخافة أن يحيرني بمزاحه)^(٥).

وروى الفَسَوِيُّ، عن عيسى بن محمد: (أن سفیان كان يضحك حتى يستلقي ويمدَّ رجله)^(٦).

وقال زيد بن أبي الزُّرَّقاء: (كان المُعافَى يَعِظُ الثوريَّ، يقول: يا أبا عبد الله، ما هذا المُزاح؟! ليس هذا من فعل العلماء. وسفیان يقبل منه)^(٧).

(١) الحلية ٨٢/٧.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٨.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٧.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٠، تاريخ بغداد ١٦١/٩ - ١٦٢، وهو في الحلية ٣٦٥/٦ عن قبيصة.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٧.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٧.

(٧) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٧.

قلت: لا ضَيْرَ على سفيان في ضحكه ومُزاحه، فالنفس تدخلها السامة، والأذن مَحَاجَة، ومُكَدَّرَات الدنيا كثيرة، والذي يُؤَاخِذ به المرء أن يكون المُزاح دَيْنَدَنَه، وتكون حياته كُلُّها أو أكثرها لاهيةً لاعبةً، لا جَدَّ فيها ولا اكتراث بيوم المعاد، وأما سفيان فمزاحه قياساً بِجِدِّه واجتهاده وتعبُّده وحُزْنِه وتذكُّرِه للموت والآخرة؛ هو أقلّ من الملح في الطعام!

درر من أقواله، وروائع من نصائحه ومواعظه:

** قال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري، يقول: (ليس شيءٌ أَقْطَعَ لظهر إبليس من قول: لا إله إلا الله، ولا شيءٌ يُضَاعَف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله)^(١).

وقال أبو خالد الأحمر: سمعت سفيان، يقول: (أفضلُ الذِّكْر تلاوةُ القرآن في الصلاة، ثم تلاوةُ القرآن في غير الصلاة، ثم الصوم، ثم الذِّكْر)^(٢).
وقال علي بن قادم: سمعت سفيان الثوري، يقول: (يا قوم راقبوا الله، فإنما هي لحظة، وقد يُقبض اللبيب)^(٣).

وقال ضَمْرَة بن ربيعة: قال سفيان الثوري: (اليقين أَلَّا تتهم مولاك في كل ما أصابك)^(٤).

وقال وكيع: سمعت سفيان، يقول: (لو أنَّ اليقين استقرَّ في القلوب لَطَارَت شوقاً أو حُزناً، إمَّا شَوْقاً إِلَى اللَّهِ ﷻ، وإمَّا فَرَقاً مِنَ النَّارِ)^(٥).

(١) الحلبي ١٦/٧، ٥٦.

(٢) الحلبي ٦٧/٧.

(٣) الحلبي ٨٢/٧.

(٤) الحلبي ٩/٧.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٣ - ٩٤، وبنحوه في الحلبي ١٧/٧.

** قال المُعَاْفَى بن عمران: سمعت سفیان الثوري، يقول: (الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا)^(١).

وقال سفیان: (مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَسُرَّ بِهَا، نُزِعَ خَوْفُ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ)^(٢).

وقال سفیان: (إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ الدُّنْيَا، فَانظُرْ عِنْدَ مَنْ هِيَ)^(٣).

وقال أيضاً: (إِذَا زَهَدَ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا، أَنْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَطْلَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عَيُوبَ الدُّنْيَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا)^(٤).

** قال يوسف بن أسباط: سمعت سفیان الثوري، يقول: (ما رأيتُ الزهدَ في شيءٍ أقلَّ منه في الرياسة، ترى الرجلَ يزهدُ في المَطْعَمِ والمشربِ والمالِ والثيابِ، فإذا نُوزِعَ في الرياسةِ حامى عليها وعادى)^(٥).

وقال سفیان: (عَلَيْكَ بِالزُّهْدِ يُبْصِرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفَ اللَّهُ عَنْكَ حَسَابَكَ، وَدَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، وَادْفَعْ الشُّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ)^(٦).

** قال أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ: سمعت سفیان، يقول: (كَانَ يُقَالُ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنْ فَتَنَتْهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ)^(٧).

(١) الحلية ٥٢/٧.

(٢) الحلية ٧٩/٧.

(٣) الحلية ٢١/٧.

(٤) الحلية ٣٨٩/٦.

(٥) الحلية ٣٩/٧، وتصحفت كلمة (نوزع) إلى (تورع).

(٦) الحلية ٢٠/٧.

(٧) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٥٠١، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٢.

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري، يقول: (الأعمال السيئة داءٌ، والعلماء دواءٌ، فإذا فسَد العلماء، فمن يَشْفِي الداء؟!)(١).

وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري، يقول: (إذا رأيتَ القارئ يَلُودُ بباب السلطان فاعلم أنه لِيَصَّ، فإذا رأيتَهُ يَلُودُ بالأغنياء فاعلم أنه مُراءٍ)(٢).

وقال سفيان: (لله قُرَاءٌ، وللشيطان قُرَاءٌ، وصِئفان إذا صلحاً صلح الناس: السلطان والقراء)(٣).

وعن سفيان: (قيل له: أيُّ شيءٍ شَرٌّ؟ قال: اللّهم غفراً، العلماء إذا فسَدوا)(٤).

وقال سفيان: (زَيِّتُوا العلمَ بأنفسِكُم، ولا تَزَيِّتُوا بالعلم)(٥).

** قال أبو أحمد الزُّبَيْرِي: (كُتِبَ بعضُ إخوان سفيان إلى سفيان: أنْ عِظْنِي وَأَوْجِزْ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ سفيان: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَاكَ مِنَ السُّوءِ كُلِّهِ، يَا أَخِي إِنْ الدُّنْيَا غَمَّهَا لَا يَفْنَى، وَفَرَحَهَا لَا يَدُومُ، وَفَكَرَهَا لَا يَنْقُضِي، اعْمَلْ لِنَفْسِكَ حَتَّى تَنْجُو، وَلَا تَتَوَانَ فَتَعْطَبَ، وَالسَّلَامُ)(٦).

وقال عبد الله بن خُبَيْق: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله البَصْرِي، قال:

(١) الحلية ٣٦١/٦.

(٢) الحلية ٣٨٧/٦. والقارئ: الناسك، ويراد هنا العالم.

(٣) الحلية ٥/٧.

(٤) الحلية ٦/٧.

(٥) الحلية ٣٦١/٦، جامع بيان العلم ٢٣٥/٢.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠٤، الحلية ٥/٧، ١٩.

(قال رجلٌ لسفيان: أوصني، قال: اعملْ للدنيا بقَدْرِ بقائِكَ فيها، وللآخرة بقَدْرِ بقائك فيها، والسلام)^(١).

وقال أبو نُعيم: سمعت سفيانَ غيرَ مرَّةٍ كَتَبَ: (من سفيان بن سعيد إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، سلامٌ عليك، فإني أحمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعدُ: أوصيك بتقوى الله وَعَبَّكَ، فإنك إن اتقيتَ الله كَفَأَكَ النَّاسَ، وإن اتقيتَ النَّاسَ لم يُغْنُوا عنك من الله شيئاً، وعليك بتقوى الله وَعَبَّكَ)^(٢).

وكتب إلى عباد^(٣) بن عَبَّادِ الرَّمْلِيِّ الأَرَسُوفِيِّ، أحدِ فضلاءِ أهلِ الشامِ وعُبَّادِهِم، رسالةً فيها حِكْمٌ وأمثالٌ ومواعظٌ وآداب، يقول فيها:

(أمَّا بعدُ: فإنك في زمانٍ كان أصحابُ النبي ﷺ يتعوذون أن يُدْرِكوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القَدَم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلةِ عِلْمٍ، وقلةِ صَبْرٍ، وقلةِ أعوانٍ على الخير، وفسادٍ من الناس، وكَدْرٍ من الدنيا؟! فعليك بالأمرِ الأولِ والتمسُكِ به، وعليك بالخمول فإن هذا زمنِ خمول، وعليك بالعزلةِ وقلةِ مُخالطةِ الناس، فقد كان الناس إذا التقوا يَتَنَفَعُ بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذَهَبَ ذلك، والنجاةُ في تركهم فيما نرى. وإياك والأمراءُ أن تدنو منهم وتُخالِطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدعَ فيقال لك: تَشْفَعُ وتدرأُ عن مظلوم، أو تردُّ مَظْلَمَةً، فإن ذلك خديعةُ إبليس، وإنما اتَّخَذَهَا فِجَارُ القَرَاءِ سُلْماً، وكان يُقال: اتقوا فتنةَ العابدِ الجاهلِ، والعالمِ الفاجرِ، فإن فتنتهما فتنةٌ

(١) الحلية ٥٦٧.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٩٧.

(٣) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١٤/١٣٤ ت ٣٠٨٥، وبهامشه مصادر ترجمته.

لكل مفتون. وما كُفيت^(١) من المسألة والفُتْيَا فاغتنم ذلك ولا تُنافِسهم فيه، وإياك أن تكون كمن يحبُّ أن يُعمل بقوله، أو يُنشر قوله، أو يُسمع من قوله، فإذا تُرك ذلك منه عُرف فيه. وإياك وحبَّ الرِّياسة، فإن الرجل تكون الرِّياسة أحبَّ إليه من الذَّهَب والفضة، وهو بابٌ غامضٌ لا يُبصره إلا البصير من العلماء السماسرة. فتفقَّد نَفْسَكَ، واعملُ بِنِيَّةٍ، واعلم أنه قد دَنَا من الناس أمرٌ يَشتهي الرجلُ أن يموت، والسلام^(٢).

ولسفيان نصائح كثيرة ورسائل مطولة جداً إلى علي بن الحسن السليمي، وهي غاية في الرقة والروعة وحسن البيان، ذكرها أبو نعيم في «الحلية»^(٣).

علمه:

بكر سفيان في طلب العلم باعْتِناءٍ والدِه المحدثِ الثقة، وحثَّ أمه التي كانت تعمل بيدها لتكفيه مؤونة العيش فيتفرغ بأله للطلب، فأقبل سفيان على علماء عصره وجهابذة الحديث وأوعية العلم، وجنَّ بين أيديهم، ونثى ركبته في حلقهم، وسمع من أهل بلده الكوفة، ورحل إلى البصرة، واليمن، ومكة، والرَّيِّ، وجُرْجَان، لتحصيل الآثار الشريفة، ولم يتحرَّج في السماع حتى من تلامذته، وكان يقول: الرجل أحوجُّ إلى العلم منه إلى الخبز واللحم، ويقول: لا نزال نتعلَّم ما وجدنا من يعلمنا، ويعتبر طلب العلم أفضل الأعمال بعد الفرائض. وبقي بهذه الهمة الشامخة

(١) في الحلية (وما لقيت)، وما أثبتته من مقدمة الجرح والتعديل ٨٨.

(٢) الحلية ٣٧٦/٦ - ٣٧٧، وانظر: رسالة مطولة من سفيان إلى عباد، في مقدمة الجرح والتعديل

٨٦ - ٨٩.

(٣) انظر: الحلية ١٠/٧ - ١١، ٢٤ - ٢٥، ٣٥، ٤٧ - ٤٨، ٦١ - ٦٢، ٧١ - ٧٢، ٨٢ - ٨٥.

والجهد الدؤوب حتى آخر أيام حياته، فقد سَمِعَ حديثاً وهو على فراش الموت، بل إنه لَمَّا تُوفِّيَ وغَسَّـلوه، وجدوا في حُجْرَتِهِ رُقْعَةً فيها أطراف أحاديث يريد أن يسأل عنها.

وكان الثوري يتوقَّد ذكاءً، ويتمتع بذاكرة مدهشة وحافظة نادرة، فما اسْتَوَدَعَ قَلْبُهُ شَيْئاً قَطُّ فحَانَهُ، وإنه ليمرُّ بالمكان لا يُريد سماعَ ما فيه، فيسدُّ أذنيه خشيةً أن ينتقش في صفحة دماغه ما لا يريده، ويجلس في مجلس العلم، فيُذَكِّر فيه مئة حديث، فيحفظها كلَّها، لذا قدَّمه كثير من النقاد على كبار أئمة عصره كشعبة ومالك.

ولسفيان اعتناءً كبيراً بعلم الرجال، وحُفِظَتْ عنه أقوال كثيرة فيهم جَرْحاً وتعديلاً، كما كان يتحرَّى في تحمُّل الحديث، ويؤقِف أشياخه على ما يسمعه من حديثهم، ويصحِّح أحاديثَ ويضعِّف أخرى. لكنه عيبَ بروايته عن الضعفاء وتدلِّيسهم عنهم، وذلك معروف عنه.

ولم يكتفِ بطلب الحديث والنبوغ فيه، بل توجَّهت همَّته إلى كتاب الله العزيز، لاكتِنَاهِ خفَاياه، وفهَمِ مراده وأغراضه ومضامينه وتفسير آيه، فكان له به علم وفهم ودراية.

وأما الفقه، فسفيانٌ من كبار الأئمة المجتهدين، وهو معدودٌ في فقهاء المحدثين، ولم يَنْتزع فقهه من أحدٍ من أئمة عصره، بل هو مجتهدٌ مُطْلَقٌ، وفقههُ - في الجملة - لا يخرج عن مدرسة فقهاء الكوفة، الذين يَغتَرِفون من مَعين فقه الصحابي الأجل عبد الله بن مسعود وتلامذته أولاً، ومن فقه علماء الصحابة الآخرين الذين نزلوا الكوفة ثانياً.

وقد غدا سفيان بكلِّ ذلك واحداً من كبار أئمة الإسلام في الحديث

والفقه، حَمَلَ علماً غزيراً، وروى حديثاً كثيراً، يناهز ثلاثين ألف حديث، ونَشَرَ علمه الواسع في الناس، وتخرَّج في حَلَقَتِهِ أئمة كبار من فرسان الحديث وأئمة الرواية ونقاد الأخبار.

طلبه العلم:

** قال الذَّهَبِيُّ: (طلب سفيان العلم وهو مُراهق، وكان يتوقَّد ذكاءً). وقال في موضع آخر: (وطلب العلم وهو حَدَّثُ باعتناء والدِه المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري^(١)).

عن وكيع بن الجراح قال: (قالت أم سفيان لسفيان: اذهب فاطلب العلم حتى أغولك بمغزلي، فإذا كتبت عدَّة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادةً، فاتبعه، وإلا فلا تتعنَّ^(٢)).

وقال يحيى بن أيوب: حدثنا بعض أصحابنا، قال: قال الثوري: (لَمَّا أردتُ أن أطلب العلم، قلت: يا رب، إنه لا بدَّ لي من معيشة، ورأيتُ العلم يَدْرُسُ، فقلت: أفرِّغْ نَفْسِي لطلبه، قال: وسألتُ ربي الكفاية والتشاغل لطلب العلم، فما رأيتُ إلا ما أحبَّ إلى يومي هذا)^(٣).

** قال سُريج بن يونس: حدثنا يحيى بن يمان أو وكيع، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: (ما من عملٍ أفضلُ من طلب العلم إذا صَحَّتِ النِّيَّةُ)^(٤).

(١) تاريخ الإسلام، ص ٢٢٤، سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٩، وبسياق آخر في تاريخ جرجان ٤٩٢.

(٣) الحلبة ٦/٣٧٠ - ٣٧١.

(٤) جامع بيان العلم ١/٣٠، وتصحف فيه (سريج) إلى (شريح).

وقال سُرَيْجُ بن يونس: حدثنا يحيى بن يَمَان، قال: (ما سمعتُ سفِيانَ يَعِيبَ العِلْمَ قَطُّ، وَلَا مَنْ يَطْلُبُهُ، قالوا: لَيْسَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ، قال: طَلَبَهُمُ العِلْمَ نِيَّةً)^(١).

وقال وكيع بن الجَرَّاح: سمعت سفِيانَ الثُّورِيَّ، يقول: (كُنَّا نَطْلُبُ العِلْمَ لِلدُّنْيَا، فَجَرَّنا إِلى الأَخْرَةِ)^(٢).

وقال علي بن ثابت الجَزْرِيَّ: سمعت سفِيانَ الثُّورِيَّ، يقول: (طلبتُ العِلْمَ ولم تكن لي نِيَّةٌ، ثم رزق الله النِيَّةَ بعدُ)^(٣).

** قال عبد الله بن المبارك: (سُئِلَ سفِيانَ الثُّورِيَّ: طَلَبَ العِلْمَ أَحَبُّ إِلَيْكَ يا أبا عبد الله أو العَمَلُ؟ فقال: إنما يُرادُ العِلْمَ للعَمَلِ، لا تَدْعُ طَلَبَ العِلْمِ للعَمَلِ، ولا تَدْعُ العَمَلُ لطلب العِلْمِ)^(٤).

وقال وكيع بن الجَرَّاح: سمعتُ سفِيانَ الثُّورِيَّ يقول: (ليس عَمَلٌ بعدُ الفرائضَ أَفْضَلَ من طلب العِلْمِ)^(٥).

وقال أسباط بن محمد: سمعت سفِيانَ الثُّورِيَّ، يقول: (الرجلُ إِلى العِلْمِ أَحوجُ منه إِلى الخبزِ واللحمِ)^(٦).

(١) الحلية ٣٦٤/٦ وتصحف (سريح) إلى (شريح)، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٧٩، وبنحوه من طرق أخرى في: سنن الدارمي: حديث ٣٥٨، المحدث الفاصل: رقم ٤٠، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٧٨.

(٢) جامع بيان العلم ٢٨/٢.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥٠٣٢، الحلية ٣٦٧/٦.

(٤) الحلية ١٢/٧.

(٥) الحلية ٣٦٣/٦.

(٦) الحلية ٦٥/٧.

وروى يحيى بن الضُرَيْس، عن سفيان قال: (إِذَا تَرَأَسَ الرَّجُلُ سَرِيحًا أَضْرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِذَا طَلَبَ وَطَلَبَ بَلَغَ)^(١).

• قال أبو نُعَيْمِ الْفَضْلِ بْنِ دُكَيْنٍ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ قَيْنَسِ الْحَضْرَمِيَّ، يَقُولُ: (سَمِعْتُ سَلْمَةَ بْنَ كُهَيْلٍ يَقُولُ - وَخَرَجَ مِنْ مَسْجِدِهِ، وَمَعَهُ سَفِيَانُ الثَّوْرِي - يَا بَنِيَّ، هَذَا مِنْ ثَوْرٍ أَطْحَلَ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ)^(٢).

وقال أبو داود السَّجِسْتَانِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، قَالَ: (رَوَى شُعْبَةُ عَنْ سَلْمَةَ - بْنِ كُهَيْلٍ - نَحْوًا مِنْ سِتِينَ حَدِيثًا، وَأَمَّا سَفِيَانُ فَأَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ)^(٣).

قال عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السَّبْعِيُّ: (رَبَّمَا رَأَيْتُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيَّ يَجِيءُ إِلَى الْأَعْمَشِ، فَيَقُولُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَيَقُولُ: سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدٍ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: خُذْ بِيَدِي. فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيُدْخِلُهُ، فَيُحَدِّثُهُ وَيَدْعُنَا)^(٤).

قال أبو عُبيد الأَجْرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ، يَقُولُ: (لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ الْكُوفَةَ: جَاءَهُ سَفِيَانُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: أَيُّشِ كَتَبَ إِلَيْكُمْ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كَذَا؟ وَأَيُّشِ قَالَ عُمَرُ فِي كَذَا؟ وَلَقِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْقَاسِمِ فَقَالَ: كَيْفَ حَجَّ أَبُوكَ؟ وَكَيْفَ قَالَ كَذَا؟ يَجْعَلُهَا أَحَادِيثَ)^(٥).

(١) سنن الدارمي: حديث ٥٥٤، الحلية ٨١/٧.

(٢) مقدمة الكامل ٨٤.

(٣) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٣٦٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٦٩.

(٥) سؤالات الأجرى: رقم ٥٧٢.



** قال محمد بن كثير العبدي: (قدِمَ سفيان الثوري البصرة، فلَمَّا نظر إلى حماد بن سلمة قال له: حدَّثني حديث أبي العُشراء عن أبيه، فقال حمّاد: حدَّثني أبو العُشراء، عن أبيه.... الحديث. قال: فلما فرغ من الحديث، أقبل عليه سفيان، فسلم عليه واعتنقه، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا سفيان، قال: ابنُ سعيد؟ قال: نعم، قال: الثوريُّ؟! قال: نعم، قال: أبو عبد الله؟! قال: نعم، قال: فما منعك أن تسلم عليّ ثم تسأل عن الحديث؟ قال: خَشِيتُ أن تموت قبل أن أسمع الحديث منك^(١)). وحماد بن سلمة من أقران سفيان.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (رأيتُ سفيانَ الثوري جاء إلى حمّاد بن زيد، وسأله عن حديث أبي الصَّهْبَاء عن سعيد بن جُبَيْر عن أبي سعيد الخُدْري: أن الأعضاء تُكْفَر بعضها بعضاً؟ قال: فرأيتُ سفيانَ الثوري جاثياً بين يدي حماد بن زيد، وهو يُملي عليه هذا الحديث)^(٢). وسفيان أكبر من حماد.

قال يحيى بن معين: قال يحيى بن سعيد القَطّان: (كان الثوريُّ يَشْتَدُّ عليه إذا حدَّثته بما ليس عنده، وكان مسعراً لا يُبالي أن أحدَّته بخمسين حديثاً ليست عنده)^(٣).

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بن عُمَرَ القَوَارِيرِيُّ: قال يحيى القَطّان: (بات عندي سفيان الثوري، فحدَّثته بحديثين، أحدهما عن عمرو بن عُبَيْد، فقام يصلي، فرفعتُ المصلي، فإذا هو قد كتبهما عني)^(٤).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٠٢، وفي الحلية ٦٥/٧ مختصر جداً، وأبو العُشراء الدارمي البصري، يروي عن أبيه، ويروي عنه حماد بن سلمة، وحديثه هو حديث الذكاة، لا يُعرف له غيره، وهو في السنن الأربعة، وقد ساقه المزي في ترجمة أبي العشراء من «تهذيب الكمال».

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٢. والحديث أخرجه الترمذي: رقم ٢٤٠٧.

(٣) مقدمة الكامل، ص ٨٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٧.

ويحيى القطان من تلاميذ الثوري.

وقال خالد بن نزار: سمعت سليمان بن المُغيرة البصري، يقول: (قَدِمَ علينا الثوري، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَحَادِيثُ، وَأَنَا عَلَى مَا تَرَى مِنَ الْحَالِ، فَأَتَيْتَنِي إِنْ خَفَّ عَلَيْكَ، فَأَتَيْتُهُ، فَسَمِعَ مِنِّي. وَفَعَلَ ذَلِكَ بغيرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِي)^(١). قلت: كان سفيان مختفياً بالبصرة آنذاك كما قدمنا.

** قال أبو عاصم النَّبِيل: (كُنَّا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَمَعَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِي، فَتَرَحَّمْ عَلَى ابْنِ جُرَيْجٍ، وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَحَادِيثَ طَنَانَاتٍ، لَا يُؤْبَهُ لَهَا، قَدْ أَخْرَجْنَا عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ فِي أَبْوَابِ)^(٢).

وقال أبو داود: قال يحيى بن سعيد القَطَّان: (رَأَيْتُ مَعَ سَفِيَانِ خُرُجاً عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ)^(٣).

قال عبد الرزاق: (قِيلَ لِلثَّوْرِي: مَا لَكَ لَمْ تَرْتَحِلْ إِلَى الزَّهْرِيِّ؟ قَالَ: لَمْ تَكُنْ عِنْدِي دَرَاهِمٌ، وَلَكِنْ قَدْ كَفَّانَا مَعْمُرُ الزَّهْرِيِّ، وَكَفَّانَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَطَاءً)^(٤).

** قال أبو داود السَّجِسْتَانِي: سمعت أحمد، قال: (كان سفيان - يعني الثوري - ذهب إلى اليمن، أراه كانت معه تجارة، وما أراه إلا أراد معمرأ)^(٥).

وذكر الرَّامَهُزْمِيُّ مَنْ رَحَلُوا إِلَى الْأَقْطَارِ، فَقَالَ: (الراحلون من الكوفة

(١) الجرح والتعديل ١٤٥/٤ «ترجمة سليمان»، وتقدمته، ص ١١٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٣٦.

(٣) سوالات الأجري: رقم ٣٩٩، وانظر: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٩١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٦، المحدث الفاصل: رقم ١٣٥.

(٥) سوالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٤٥.

إلى البصرة: سفيان الثوري، ثم رحل عنها إلى اليمن، شريك بن عبد الله، حفص بن غياث ثم رحل عنها إلى المدينة^(١).

قال محمد بن خالد الحزاز: (سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: قَدِمْتُ الرَّيِّ وعليها الزُّبَيْر بن عَدِي قاضياً، فكتبتُ عنه خمسين حديثاً، ثم مررتُ بِجُرْجَانَ، وبها جَوَاب التَّيْمِي، فلم أكتبُ عنه، ثم كتبتُ عن رجلٍ عنه. قلتُ لأبي نعيم: ولمَ لم يَكتب عنه؟ قال: لأنه كان مُزَجَّأً)^(٢).

** قال يحيى بن أبي بُكَيْر: (قيل لسفيان الثوري: إلى متى تطلبُ الحديث؟ قال: وأيُّ خيرٍ أنا فيه خير من الحديث، فأصيرُ إليه؟! إن الحديث خيرُ علوم الدنيا)^(٣).

وقال مسكين بن بُكَيْر الحَرَاني: سمعت سفيان الثوري، يقول: (لا نزالُ نتعلَّم العلمَ ما وجدنا من يُعلِّمنا)^(٤).

وقال الحسين بن الحسن الحنَّاط: سمعت فَرْقَدًا إمامَ مسجد البصرة، يقول: (دَخَلُوا على سفيان الثوري في مرضه الذي مات فيه، فحدَّثهُ رجلٌ بحديثٍ، فأعجبه، وضربَ يدهُ إلى تحت فراشه، فأخرج ألواحاً له، فكتَبَ ذلك الحديثَ، فقالوا له: على هذه الحال منك؟! فقال: إنه حسنٌ، إن بقيتُ فقد سمعتُ حسناً، وإن ميتٌ فقد كتبتُ حسناً)^(٥).

(١) المحدث الفاضل: رقم ١٢٧.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٠ - ٨١، وبأخصر منه في تاريخ جرجان ١٧٤. والريّ وجرجان: هي الآن من المدن الإيرانية المشهورة.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧ - ٢٤٣.

(٤) مقدمة الكامل ٨٤، الحلية ٣٦٣/٦.

(٥) الحلية ٦٤/٧.

وقال محمد بن عبد الله بن عمّار الحافظ: (سمعت عبد الرحمن بن مهدي - وشهد موت سفيان الثوري - قال: حين أدخلوه ليُغسَل، وَجَدنا في حُجْرَتِهِ رِقَاعاً فيها أَطْرَافٌ لَيْسَ أَل عنها)^(١).

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (كان لسفيان دَرْسٌ من الحديث)^(٢).
يعني يَدْرُس حديثه وَيَسْتَذْكُرُه.

وقال عبد الرزاق: (كان سفيان الثوري عندنا ليلة، قال: وسمعتَه يقرأ القرآن من الليل وهو نائم، ثم قام يصلي، ففَضِيَ جزأه من الصلاة، ثم قعد، فجعل يقول: الأعمش والأعمش والأعمش، ومنصور ومنصور ومنصور، ومغيرة ومغيرة ومغيرة، قال: فقلت له: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: هذا جزئي من الصلاة، وهذا جزئي من الحديث)^(٣).

وقال محمد بن يحيى بن أبي عُمر العَدَنِي: (قال سفيان بن عُيينة: أترون أيُّ الناسٍ أحرصُ على العلم؟ فسكتوا، فقال: أَعْلَمُهُمْ. ثم قال: ما رأيتُ أحداً أحرصُ على العلم من سفيان، ولو سُئِل: أيُّ الناسٍ أَعْلَمُ؟ لقالوا: سفيان الثوري)^(٤).

تَحَرِّيهِ فِي التَّحْمُلِ وَالْأَدَاءِ، وَإِيقَافُهُ أَشْيَاخَهُ عَلَى الْحَدِيثِ، وَنَقْدُهُ لَهُ:

**قال نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ الْفَاخِرِ^(٥)، قَالَ: سَمِعْتُ سَفِيَانَ

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٣٥.

(٢) الحلية ٨١/٧.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٨٧٠، وينحوه في مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٦.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٢٥/١، وبأخصر من في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٥٧٩.

(٥) ترجم له الحافظ في نزهة الألباب ٦٣/٢ ت ٢١١٤، وقال: روى عن الثوري.

الثوري، يقول: (إني لأحملُ الحديثَ على ثلاثة أوجهٍ: أسمعُ من الرجل الحديثَ أتخذه ديناً، وأسمعُ من الرجل الحديثَ لا أستطيعُ جرحَه؛ أو قفُّ أمره، وأسمعُ الحديثَ من رجلٍ لا أعباُ بحديثه؛ أحبُّ معرفته)^(١).

وقد بَوَّبَ الحافظ الخُطيب البغداديُّ في «الجامع لأخلاق الراوي» - لهذا الخبر وأمثاله، فقال: (وأما أحاديثُ الضُّعافِ ومَن لا يُعتمد على روايته: فتُكتَب للمعرفة، وألاً تُقلَّب إلى أحاديث الثقات، ويُعتَبَرُ بها - أيضاً - غيرُها من الروايات)^(٢).

قال علي بن المَدِيني: سمعت عبد الرحمن بن مَهدي، قال: (شهدتُ سفيانَ عند العُمري، فجعل يُوقفه في كلِّ حديثٍ توقيفاً شديداً)^(٣).

وقال عبد الرحمن بن مَهدي: (قال لي سفيان الثوري بِمَنى: مُرُّ بنا إلى عكرمة بن عَمَّار اليمَّاميِّ، قال: فجعل يُملي علي سفيان، ويُوقفه عند كلِّ حديثٍ؛ قل: حدِّثني، سمعتُ)^(٤).

وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضاً: (حضرتُ سفيانَ بمكة يكتب عن عكرمة بن عَمَّار، وهو جاثٍ على رُكبتيه، وجعل يُوقفه: سمعتُ فلاناً سمعتُ فلاناً، سمعتُ فلاناً. قال: قلت: يا أبا عبد الله، أكتبُ لك؟ قال: لا، ليس يكتب سماعي غيري)^(٥).

(١) مقدمة الكامل، ص ٨٢، جامع بيان العلم ٩١/١، وبأخصر منه مسن طريق وكيع في الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٤٠.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٣٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٨.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٧، وبأخصر منه ٦٨.

(٥) ثقات العجلي، ص ١٩٢، وانظر: المعرفة والتاريخ ١٧٢/٢.

قال أبو أسامة حمّاد بن أسامة: (كنتُ عند سفيان، فحدّثه زائدة، عن شعبة، عن سلّمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] قال: هم الشهداء، فقال له سفيان: إنك لثقة، وإنك لتحدّثنا عن ثقة، وما يقبلُ قلبي أن هذا من حديث سلّمة، فدعا بكتاب فكتب: من سفيان بن سعيد إلى شعبة، وجاء كتاب شعبة: من شعبة إلى سفيان، إنني لم أجدت بهذا عن سلّمة، ولكن حدّثني عمارة بن أبي حفصة، عن حُجر الهجري، عن سعيد بن جبير)^(١).

** قال يحيى بن سعيد القطان: (كان سفيان إذا حدّثني بالحديث فلم يتقنه، قال: لا تكتبه)^(٢).

وقال يحيى القطان: (سألتُ سفيان عن حديث عاصم، قول ابن عباس في المرتدة، فأنكره وقال: ليس من حديثي)^(٣).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (سألتُ سفيان عن حديث هُشيم، عن خالد بن سلّمة، عن محمد بن عمرو بن الحارث: أن عثمان صلّى بالناس وهو جُنُب، فأعاد ولم يأمرهم أن يُعيدوا؟ فقال: قد سمعته من خالد بن سلّمة، ولا أجيء به كما أُريد)^(٤).

وقال ابن مهدي: (سألتُ سفيان عن حديث عمرو بن مَرّة، عن أبي عبيدة في «الوتر لأهل القرآن»؟ فقال: لم أسمعُه - يعني من عمرو بن مرة -)^(٥).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٠٢٠.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٦.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٧٢٨.

(٥) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٢٩٨. وانظر الحديث من غير طريق سفيان، في: سنن أبي =

**قال عبد الرحمن بن مهدي: قال سفيان: (يُحَدِّثُونَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّهُ صَلَّى وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ، قَالَ: يُعِيدُ وَلَا يُعِيدُونَ، مَا سَمِعْتُ حَبِيبًا يَحَدِّثُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ حَدِيثًا قَطُّ) (١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (أخبرني سفيان بحديث زهير، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن عمر أنه قال: للفارس سَهْمَانُ. فَأَنْكَرَهُ) (٢).

وقال يحيى القطان: (قلت لسفيان في أحاديث عبد الأعلى عن محمد ابن الحنفية؟ فَوَهَّئَهَا) (٣).

وهناك أمثلة كثيرة على نقد سفيان للأحاديث، وبيان عللها (٤).

ذكاؤه المتوقد، وحفظه الوثيق، وإتقانه الباهر:

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مُقْبِلًا، فقال: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]) (٥).

وقال يحيى بن أيوب العابد: حدثنا أبو المثنى، قال: (سمعت الناس

= داود (١٤١٧)، وسنن ابن ماجه (١١٧٠). وانظر أمثلة أخرى لاحتياط سفيان في أداء الحديث، في علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٢٣٨، ٤٩٥١، ٥٢٩٢.

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٩، وبأخصر منه في المعرفة والتاريخ ٧٠٠/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٠.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨١، وانظر رواية أخرى من طريق ابن مهدي: ص ٧١.

(٤) انظر مثلاً: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٥٠٢، ٤٩٣٠، ٤٩٣٢، ٤٩٥٢، مقدمة الجرح والتعديل:

٧٥، ٧٣، ٧١، ٦٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٧.

بمَزُو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري، فخرجتُ أنظرُ إليه، فإذا هو غلامٌ قد بَقَلَ وجْهَهُ^(١).

وعقبَ الذهبي على هذا الخبر بقوله: (قلت: كان يُنَوِّه بِذِكْرِهِ فِي صِغَرِهِ، مِنْ أَجْلِ فَرْطِ ذِكَائِهِ وَحَفِظِهِ، وَحَدَّثَ وَهُوَ شَابٌ).

قال عبد الرزاق: سمعت الثوري، يقول: (ما استودعتُ قَلْبِي شَيْئاً قَطُّ فَحَآئِنِي)^(٢).

وقال سفيان الثوري: (ما استودعت أذني شَيْئاً قَطُّ إِلَّا حَفِظْتُهُ، حَتَّى إِنِّي أَمْرٌ بِكَذَا - وَفِي رِوَايَةٍ: أَمْرٌ بِالْحَائِكِ يُغْنِي - فَأَسَدُّ أذْنِي، مَخَافَةَ أَنْ أَحْفَظَ مَا يَقُولُ)^(٣).

** قال الوليد بن شجاع: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: (دَخَلْتُ مَعَ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، فَجَعَلَ سَفْيَانُ يَسْأَلُ وَهَشَامٌ يَحْدُثُهُ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ: أُعِيدُهَا عَلَيْكَ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ سَفْيَانُ. وَأَذِنَ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَتَخَلَّفْتُ مَعَهُمْ، فَجَعَلُوا إِذَا سَأَلُوهُ أَرَادُوا الْإِمْلَاءَ، فَيَقُولُ: احْفَظُوا كَمَا حَفِظَ صَاحِبُكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا نَقْدِرُ نَحْفَظُ كَمَا حَفِظَ صَاحِبُنَا)^(٤).

وقال العجلي: (عاد عمرو بن مَرَّةٍ سَعِيداً أَبَا سَفْيَانَ، فَسَمِعَ مِنْهُ سَفْيَانَ فِي مَنْزِلِهِمْ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ حَدِيثاً، حَفِظَهَا كُلَّهَا)^(٥).

(١) الحلية ٣٦٠/٦، سير أعلام النبلاء ٢٣٦/٧. وبَقَلَ وَجْهَ الْغُلَامِ وَأَبْقَلَ: خَرَجَ شَعْرَهُ.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ٦٣، مقدمة المجروحين، ص ٥٠، الحلية ٣٦٨/٦.

(٣) الحلية ٣٦٨/٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٣/٩.

(٥) ثقات العجلي، ص ١٩١. وجاء فيه: (مسروقاً أبا سفيان)، والصواب ما أثبتته.

وقال العجلي: (سمعت بعض الكوفيين، يقول: قال شريك: قدم علينا سالم الأفتس، فأتيته، ومعي قِزطاس فيه مئة حديث، فسألته عنها، فحدّثني بها، وسفيان يسمع، فلما فرغ، قال لي سفيان: أرني قِزطاسك، قال فأعطيته إياه، فخرّقه، قال: فرجعتُ إلى منزلي، فاستلقيتُ على قفائي، فحفظتُ منها سبعة وتسعين، وذهبتُ عليّ ثلاثة. قال: وحفظها سفيان كلّها^(١)).

قال علي بن المديني: قال يحيى القطان: (قال لي سفيان بعد ثمانين عشرة سنة - أو تسع عشرة سنة - في حديث عمرو بن مرة: هذا أليس قد حدّثتُك به مرة؟)^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (كنتُ إذا ذكرتُ سفيانَ الثوري بحديث حماد بن زيد، ولا أسميه له، فإذا جاءه حماد بن زيد سأله عن تلك الأحاديث، فجعلتُ أتعجب من فطنته)^(٣).

** روى بشر بن الحارث، عن سفيان بن عيينة قال: (كان سفيان الثوري كأنّ العلم ممثّلٌ بين عينيه، يأخذُ منه ما يُريد، ويدعُ ما لا يُريد)^(٤).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (لَمَّا حَدَّثَ الثوري عن حماد^(٥)، عن عمرو بن عطية التيمي، عن سلمان: «إِذَا حَكَتَ جَسَدَكَ

(١) ثقات العجلي، ص ١٩٠، تهذيب الكمال ٤٧٠/١٢ «ترجمة شريك النخعي»، شرح علل الترمذي ٤٥٥/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٦.

(٣) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ٦١.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٢/٩.

(٥) هو حماد بن أبي سليمان، كما صرحت به بعض الروايات.

فلا تَمَسَّحْه بيزاق، فإنه ليس بطهور»، قلت: يا أبا عبد الله، خالفك الناس في هذا، قال: من؟ قال: قلت: شعبة، عن حماد، عن ربيعي، قال: أمضيه. قلت: حدثنا حماد بن سلمة، عن حماد، عن ربيعي، قال: أمضيه. قلت: حدثنا هشام - الدستوائي - عن حماد، عن ربيعي، قال: هشام؟ فتوقف ساعة، ثم قال: كأني أسمع حماداً يقول: حدثنا عمرو بن عطية، عن سلمان. قال عبد الرحمن: فمكثت زماناً أحمل الخطأ فيه على سفيان، حتى نظرت في كتاب عُندَر عن شعبة، فإذا فيه: حدثنا شعبة، قال: حدثنا حماد، عن ربيعي، عن سلمان، قال شعبة: وكان حماد قال مرّة: عن عمرو بن عطية. فعلمت أن الثوري كان إذا حفظ الشيء لم يُبالِ من خالفه^(١).

وروى أبو داود الطيالسي، عن شعبة قال: (ما حدّثني أحدٌ عن شيخ، إلا وإذا سألته - يعني ذلك الشيخ - يأتي بخلاف ما حدّث عنه، ما خلا سفيان الثوري؛ فإنه لم يُحدّثني عن شيخ، إلا وإذا سألته وجدته على ما قال سفيان)^(٢).

وفي رواية: قال أبو داود الطيالسي: سمعت شعبة، يقول: ما أفادني سفيان الثوري حديثاً قط، ثم لقيت صاحبه فحدّثني، إلا وجدت سفيان له أحفظ من الذي حدّثني به^(٣).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٤ - ٦٥، مقدمة المجروحين، ص ٥٠ - ٥١، المحدث الفاضل:

رقم ٤٠١، تاريخ بغداد ١٦٨/٩، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١٣٩ وهذا لفظه.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٨، ١٥٣، المعرفة والتاريخ ١٥/٣، سنن الترمذي: حديث

٢٩٠٨، العلل الملحق بالسنن ٧٥٠/٥، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٦٢٣، مقدمة الجرح

والتعديل ٦٧، ٦٨، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٤٩٧، وألفاظهم متقاربة.

(٣) سوالات الأجرى: رقم ٥٦٠.

** قال وكيع: (روى شعبة حديثاً، فقيل له: إنك تُخالف في هذا الحديث، قال: مَنْ يُخالفني؟ قال: سفيان، قال: دَعُوهُ، سفيانُ أحفظ مني^(١)).

وقال حَزْمِيُّ بن حَفْص: سمعت وَهَيْبَ بن خالداً، يقول: (ما أدركَ الناسُ أحفظَ من سفيان)^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (كان وَهَيْبٌ يُقَدِّمُ سفيان في الحفظ - يعني على مالك -)^(٣).

وقال يحيى القَطَّان: (ما رأيتُ أحداً أحفظَ من سفيان الثوري، لو خالفه الناس جميعاً لكان القول ما قال سفيان)^(٤).

وقال عَمْرُو بن علي: (سمعتُ سفيانَ بن زياد يقول ليحيى بن سعيد في حديث أشعث بن أبي الشعثاء، عن زيد بن معاوية العَبْسِيِّ، عن عَلْقَمَةَ، عن عبد الله: ﴿جِئْتُمْهُ مِسْكٌ﴾: يا أبا سعيد، خالفه أربعة، قال: من؟ قال: زائدة، وأبو الأَحْوَص، وإسرائيل، وشريك، قال يحيى: لو كانوا أربعة آلاف مثل هؤلاء لكان سفيان أثبت منهم، قال عَمْرُو: وسمعتُ سفيان بن زياد يسأل عبدَ الرحمن بن مهدي عن هذا، فقال عبد الرحمن: هؤلاء أربعة اجتمعوا، وسفيان أثبت منهم، والإنصاف لا بأس به)^(٥).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٥، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١٤٠.

(٢) مقدمة الكامل ٨٥.

(٣) الجرح والتعديل ٢٢٣/٤، تقدمته، ص ٦٣.

(٤) مقدمة المجروحين ٤٩، وانظر مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٣.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٨ - ٧٩، مقدمة المجروحين، ص ٥١، المحدث الفاصل: رقم

٢٢٨، مقدمة الكامل ٨٧.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (قَدِمْتُ عَلَى سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنِ الْمُحَدِّثِينَ، فَقَالَ: مَا بِالْعِرَاقِ أَحَدٌ يَحْفَظُ الْحَدِيثَ إِلَّا سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ)^(١).

وقال الفُضْلُ بْنُ زِيَادٍ: (سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقِيلَ لَهُ: سَفِيَانَ الثَّوْرِيُّ كَانَ أَحْفَظَ أَوْ ابْنُ عُيَيْنَةَ؟ فَقَالَ: كَانَ الثَّوْرِيُّ أَحْفَظَ، وَأَقْلُ النَّاسِ غَلَطًا)^(٢).
وقال يحيى بن معين: (كُلُّ مَنْ خَالَفَ سَفِيَانَ، فَالْقَوْلُ قَوْلُ سَفِيَانَ)^(٣).

القارئ المفسر:

** ترجم ابن الجَزَرِيِّ لسفیان في «غاية النهاية»، فقال: (روى القراءة عَزْضًا عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حَبِيبِ الزَّيَّاتِ، وَرَوَى عَنْ عَاصِمِ وَالْأَعْمَشِ حُرُوفًا. رَوَى الْحُرُوفَ عَنْهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى. قَالَ خَلَادٌ: قَرَأَ سَفِيَانَ عَلَى حَمْزَةَ الْقُرْآنِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)^(٤).

قال عبد الرحمن بن مهدي: (كان سفیان يأخذ المصحف، فلا يكاد يمرُّ بآيةٍ إلا فسَّرَها، فربما مرَّ بالآية فيقول: أيُّ شيء عندك في هذه؟ فأقول: ما عندي فيها شيء، فيقول: تُضَيِّعُ مِثْلَ هَذِهِ، لا يكون عندك فيها شيء؟!)^(٥).

وقال وكيع: (كان سفیان لا يُعْجِبُهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْسِّرُونَ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، مِثْلَ الْكَلْبِيِّ).

(١) الجرح والتعديل ٢٢٣/٤، تقدمته، ص ٦٣، تاريخ بغداد ١٧٠/٩.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٣/٢، تاريخ بغداد ١٧٠/٩، وله تمة.

(٣) تاريخ بغداد ١٦٨/٩.

(٤) غاية النهاية ٣٠٨/٢.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٦.

وفي رواية عن وكيع قال: (كان سفيان يُصَحِّحُ تفسِيرَ ابنِ أَبِي نَجِيحٍ، وَيُعْجِبُهُ مِنَ التَّفْسِيرِ مَا كَانَ حَرْفًا حَرْفًا)^(١).

** قال عبد الرزاق: كان الثوري يقول: (سَلُونِي عَنِ الْمَنَاسِكِ وَالْقُرْآنِ، فَإِنِّي بِهِمَا عَالِمٌ)^(٢).

وفي رواية: (سَلُونِي عَنِ التَّفْسِيرِ وَالْمَنَاسِكِ، فَإِنِّي بِهِمَا عَالِمٌ)^(٣).

روى عبد الله بن داود الحُرَيْبِيُّ (عن سفيان في قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قال: نُسَبِّغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، وَنَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ)^(٤).

وقال سفيان (في قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِمُهُمْ مَّحَنَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٧]، قال: كانوا يشترون ويبيعون، ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة)^(٥).

وقد أورد أبو نعيم أمثلة كثيرة من تفسير سفيان لآيات من الكتاب العزيز^(٦).

المحدث:

روى عن:

أبيه سعيد بن مسروق، وإبراهيم بن عبد الأعلى، وإبراهيم بن عتبة، وإبراهيم بن محمد بن المنتشير، وإبراهيم بن ميسرة، وآدم بن سليمان،

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٩.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ١١٧، ١١٩.

(٣) الحلية ٥٧/٧ - ٥٨.

(٤) الحلية ٧/٧.

(٥) الحلية ١٥/٧.

(٦) انظر: الحلية ٦٨/٧، ٧٦ - ٧٨.

وأَسَامَةَ بن زَيْد اللَّيْثِي، وَأَسْلَمَ المِنْقَرِي، وإِسْمَاعِيل بن أَبِي خَالِد،
 وإِسْمَاعِيل بن عبد الرحمن السُّدِّي، والأَسُود بن قَيْس، وَأَشْعَث بن أَبِي
 الشَّعْثَاء، وأَيُّوب السَّخْتِيَانِي، وَبَهْز بن حَكِيم، وَثُور بن يَزِيد، وَجَعْفَر
 الصَّادِق، وَحُصَيْن بن عبد الرحمن السُّلَمِي، وَحَمَّاد بن أَبِي سُلَيْمَانَ،
 وَحُمَيْد الطَّوِيل، وَخَالِد الحَدَّاء، وَدَاوُد بن أَبِي هِنْد، وَرَبِيعَة بن أَبِي
 عبد الرحمن، وَزُبَيْد اليَامِي، وَالرُّبَيْر بن عَدِي، وَزَيْد بن أَسْلَم، وَسَعْد بن
 إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، وَأَبِي حَازِم سَلَمَة بن دِينَار، وَسُلَيْمَانَ
 الأَعْمَش، وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِي، وَسَهِيل بن أَبِي صَالِح، وَصَالِح بن صَالِح بن
 حَيٍّ، وَعَاصِم بن بَهْدَلَة، وَعَاصِم الأَحُول، وَعَبْد الله بن دِينَار، وَأَبِي الرِّزَاد
 عبد الله بن ذَكَوَان، وَعَبْد الله بن طَاوُوس، وَعَبْد الله بن عَوْن، وَعَبْد الله بن
 أَبِي نَجِيح، وَأَبِي قَيْس عبد الرحمن بن ثَرْوَانَ، وَعَبْد الرحمن بن
 القَاسِم بن مُحَمَّد، وَعَبْد العَزِيز بن رُفَيْع، وَعَبْد الكَرِيم بن مَالِك العِجْرِي،
 وَعَبْد المَلِك بن عبد العَزِيز بن جُرَيْج، وَعَبْد المَلِك بن عُمَيْر،
 وَعُبَيْد الله بن عُمَر العُمَرِي، وَأَبِي حَصِين عَثْمَان بن عَاصِم، وَعِكْرَمَة بن
 عَمَّار الِيمَامِي، وَعَلْقَمَة بن مَرْثَد، وَعَلِي بن زَيْد بن جُدْعَانَ، وَعُمَارَة بن
 القَعْقَاع، وَعَمْرُو بن دِينَار، وَعَمْرُو بن عَامِر الأنصَارِي، وَعَوْن بن أَبِي
 جُحَيْفَة، وَعِيَّاش العَامِرِي، وَفِرَاس بن يَحْيَى الهَمْدَانِي، وَفَطْر بن خَلِيفَة،
 وَقَابُوس بن أَبِي ظَبْيَانَ، وَلَيْث بن أَبِي سُلَيْم، وَمُحَارِب بن دِثَار،
 وَمُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن حَزْم، وَمُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أَبِي لَيْلَى،
 وَمُحَمَّد بن عَجْلَانَ، وَأَبِي الزُّبَيْر مُحَمَّد بن مُسْلِم المَكِّي، وَمُخَارِق
 الأَحْمَسِي، وَالمُخْتَار بن قُلْفُل، وَمَعْبَد بن خَالِد، وَمُعِيرَة بن النُّعْمَانَ،
 وَالمِقْدَام بن شَرِيح بن هَانِي، وَمَنْصُور بن المُعْتَمِر، وَمُوسَى بن عُقْبَة،
 وَمَيْسَرَة الأشْجَعِي، وَهَشَام بن حَسَّان، وَهَشَام بن عُرْوَة، وَيَحْيَى بن سَعِيد

الأنصاري، ويونس بن عُبيد، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي إسحاق الشيباني، وأبي الجوزية الجزمي، وأبي فزوة الهمداني، وأبي هاشم الرّماني، وأبي يعفور العبدي، وخلائق سواهم.

وروى عن:

حبيب بن أبي ثابت، وزباد بن عِلّاقة، وسَلَمَة بن كُهَيْل، وعمرو بن مُرّة، وقيس بن مُسلم، ومحمد بن المُنكدر. وهؤلاء من كبار شيوخه، وكبارهم الذين حدّثوه عن أبي هريرة، وجريير بن عبد الله، وابن عباس، وأمثالهم^(١).

وحدّث عنه من شيوخه:

جعفر بن بُزقان، وجعفر الصادق، وخصيف بن عبد الرحمن الجزري، وسليمان الأعمش، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن عجلان.

ومن أقرانه:

زائدة بن قدامة، وزهير بن معاوية، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومسعر بن كدام، ومعمّر بن راشد.

وروى عنه:

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وإسماعيل بن عُليّة، وبشر بن السري، وثابت بن محمد العابد، وجعفر بن عون، والحسين بن حفص الأصبهاني،

(١) سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٤.

وأبو أسامة حمّاد بن أسامة، وحماد بن ذليل، وخالد بن الحارث الهجيمي، والبصري، وخلّاد بن يحيى، وزوّح بن عبّادة، وسليمان بن داود الطيالسي، والضّحّاك بن مخلّد، وضَمْرَة بن ربيعة، وعبد الله بن داود الخزّبي، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن نُمير، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق الصّنعاني، وعبّدة بن سُليمان، وعُبيد الله بن عُبيد الرحمن الأشجعي، وعُبيد الله بن عمرو الرقي، وعُبيد الله بن موسى، وعُبيد بن سعيد الأمويّ أخو يحيى، وعلي بن الجعد - آخر من روى عنه من الثقات - وعمرو بن محمد العنقزي، وعيسى بن يونس، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وقبيصة بن عقبة، ومالك بن أنس، وأخوه مبارك بن سعيد، ومحمد بن بشر العبدي، ومحمد بن كثير العبدي، ومحمد بن يوسف الفريابي، ومُضْعَب بن المقدام، ومعاوية بن هشام، وأبو خديفة موسى بن مسعود النهدي، ومؤمّل بن إسماعيل، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن آدم، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن عبد الملك بن أبي غنّية، ويحيى بن يمان، ويزيد بن أبي حكيم العدني، ويزيد بن زريع، ويزيد بن هارون، ويعلّى بن عُبيد الطّنافسي، وأبو أحمد الزُّبيري، وأبو داود الحفري، وأبو سفيان المَعْمَرِي، وأبو عامر العَقْدِي، وأمّم سواهم.

وحديثه في كتب السّنة كلها.

عدد أشياخه والرواة عنه:

قال أحمد بن صالح: (أدرك سفيان الثوري مئةً وشبيهاً بثلاثين من التابعين، وأخصينا له شبيهاً بستّمئة شيخ، وروى عن الثوري أكثر من عشرين ألفاً)^(١).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٣١.

ونقل الذهبي^(١) ما يتعلق بعدد الرواة عن سفيان، وعزاه لابن الجوزي في كتابه «مناقب سفيان»، وعَقَّب عليه بقوله: (وهذا مدفوعٌ ممنوعٌ، فإنْ بَلَّغُوا أَلْفًا فَبِالْجَهْدِ)^(٢).

تساهله في الرواية عن رجال ضعاف:

** قال شعبة بن الحجاج: (إذا حَدَّثَكُم سَفِيَانُ عن رجلٍ لا تعرفونه، فلا تَقْبَلُوا منه، فإنما يُحَدِّثُكُم عن مثلِ أَبِي شُعَيْبِ المَجْنُونِ الصَّلْتِ بنِ دِينَارِ)^(٣).
وقال فُرَاد أبو نُوح: قال شعبة: (يَعْمَ الرجلُ سَفِيَانًا، لولا أَنه يُقَمِّشُ - يعني يأخذُ من الناس كلَّهم -)^(٤).

وقال النَّسَائِيُّ: (والثورِيُّ إمامٌ، إلا أَنه كان يروِي عن الضُّعَفَاءِ)^(٥).

** قال أبو عُبيد الأَجْرِيُّ: (سألتُ أبا داود عن ضَعْفَةِ شيوخِ سفيان؟ فقال: جابر الجُعْفِيُّ، وأبان بن أبي عيَّاش، وأبو هارون العَبْدِيُّ، ومحمد بن سالم، وعُبَيْدَة - يعني ابنُ مُعْتَب -، وحبيب بن حسان)^(٦).

درجة حديثه في بعض شيوخه:

عمرو بن دينار:

قال عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ: (سألتُ يحيى بنَ مَعِينٍ عن أصحابِ

(١) تاريخ الإسلام، ص ٢٢٥، سير أعلام النبلاء ٢٣٤/٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣٤/٧.

(٣) سؤالات الأَجْرِيِّ: رقم ١٤٠٣، ضعفاء العقيلي ٢١٠/٢، وانظر: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦١٢١.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٢٨/١ - ٧٢٩.

(٥) شرح علل الترمذي ٤٦٠/١.

(٦) سؤالات الأَجْرِيِّ: رقم ١٤٣، وانظر: رقم ٤٤١، ٥٥٦، ٥٩١.

عَمْرُو بن دينار، قلتُ له: ابنُ عُيَيْنَةَ أَحَبُّ إِلَيْكَ فِي عَمْرُو أَوْ الثَّوْرِيُّ؟ فقال: ابنُ عُيَيْنَةَ أَعْلَمُ بِهِ^(١).

أبو إسحاق السَّبَّيْعِيُّ:

قال علي بن المَدِينِي: (سمعتُ معاذ بن معاذ، وقيلَ له: أيُّ أصحابِ أبي إسحاق أثبتُ؟ قال: شعبة وسفيان، ثم سَكَتَ)^(١).

وقال عثمان الدَّارِمِيُّ: (سألت يحيى بن مَعِين عن أصحابِ أبي إسحاق السَّبَّيْعِيِّ، قلتُ: شعبةُ أَحَبُّ إِلَيْكَ فِي أَبِي إِسْحَاقٍ أَوْ سَفِيَانُ؟ فقال: سفيان. قلتُ: فَهَمَّا أَمْ زُهَيْرٌ؟ فقال: ما أَحَدٌ أَعْلَمَ بِأَبِي إِسْحَاقٍ مِنْ سَفِيَانٍ وَشُعْبَةَ)^(٣).

وقال ابن مَعِين: (لم يكن أَحَدٌ أَعْلَمَ بِحَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقٍ مِنَ الثَّوْرِيِّ)^(٤).

وقال الفَضْلُ بن زياد: (سألتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل: مَنْ أثبتُ الناسَ عندك فِي أَبِي إِسْحَاقٍ؟ قال: سفيانُ وشعبةُ. قلتُ: فالأعمشُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ سَفِيَانٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقٍ؟ فقال: سفيانُ أَكْثَرُ، وسفيان وشعبة هما أثبتُ عندنا من الأعمش عن كل مَنْ روى عنه مَمَّنْ روى عنهم الأعمش)^(٥).

وقال أبو زُرْعَةَ الرَّازِي: (أثبتُ أصحابِ أبي إسحاق: الثَّوْرِيُّ وشعبةُ وإسرائيلُ، ومن بينهم الثَّوْرِيُّ أَحَبُّ إِلَيَّ)^(٦).

(١) تاريخ الدارمي: رقم ٦٧، وانظر: شرح علل الترمذي ٦٨٤/٢.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ٦٥ - ٦٦، ١٦٢.

(٣) تاريخ الدارمي: رقم ٨٤، وانظر: سؤالات ابن طهمان: رقم ١١٠، وتقدمة الجرح والتعديل ١٦٢.

(٤) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته، ص ٦٤.

(٥) المعرفة والتاريخ ٢٠٣/٢.

(٦) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته، ص ٦٦، ١٦٢ - ١٦٣.

منصور بن الْمُعْتَمِر:

قال يحيى بن معين: (لم يكن أحدٌ أعلمَ بحديث منصور من سفيان الثوري) (١).

وقال الدَّارِقُطْنِيُّ: (أثبت أصحاب منصور: الثوري، وشعبة، وجريير الضَّبِّي) (٢).

إسماعيل بن أبي خالد:

قال أبو حاتم: (أحبُّ الناس إليَّ في إسماعيل بن أبي خالد: الثوري) (٣).

الأعمش:

قال يحيى بن سعيد القَطَّان: (ما سمعتُ من سفيانَ عن الأعمش، أحبُّ إليَّ ممَّا سمعتُ أنا من الأعمش: لأن الأعمش كان يُمكن سفيان ما لا يُمكنني) (٤).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (ما رأيتُ سفيانَ لشيءٍ من حديثه أحفظ منه لحديث الأعمش) (٥).

وقال يحيى بن سعيد القَطَّان: (كان سفيانُ أعلمَ بحديث الأعمش من الأعمش) (٦).

(١) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته، ص ٦٤.

(٢) شرح علل الترمذي ٧٢١/٢.

(٣) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٤، وبنحوه في الحلية ٣٥٩/٦.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٣.

(٦) المعرفة والتاريخ ١٨٥/٣، تاريخ بغداد ١٦٧/٩.

وقال عَمْرُو بن علي الفَلَّاس: سمعت أبا معاوية الضَّرِير، يقول: (كان سفيانُ يأتيني هاهنا، فَيُذَاكِرُنِي حديثَ الأعمش، فما رأيتُ أحداً أعلمَ بحديثِ الأعمش منه)^(١).

وقال يحيى بن مَعِين: (لم يكن أحدٌ أعلمَ بحديثِ الأعمش من الثوري)^(٢).

وقال عبد الله بن أحمد: (قلتُ لأبي: أيُّما أثبتُ أصحابَ الأعمش؟ فقال: سفيانُ الثوري أحبُّهم إليَّ. قلتُ له: ثم من؟ فقال: أبو معاوية في الكثرة والعلم)^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: (سُئِلَ أبي عن أثبتِ أصحابِ الأعمش؟ قال: سفيانُ الثوري)^(٤).

أصحابه وأثبتهم فيه^(٥):

قال عباس الدوري: (سمعت يحيى بن معين يقول: ليس أحدٌ في حديثِ سفيانِ الثوري يُشبهه هؤلاء: ابن المبارك، ويحيى بن سعيد، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبا نُعيم. فقليل له: والأشجعي؟ فقال: الأشجعيُّ ثقةٌ مأمون، ولكن هاتوا من يروي عنه. قال

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٤، تاريخ بغداد ١٦٧/٩.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته ٦٤، وانظر: تاريخ الدارمي: رقم ٤٧، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٨٨، ٣٦٥.

(٣) العلل: رقم ٢٥٤٣، وانظر رواية أخرى من طريق آخر، في: الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته ٦٣ - ٦٤.

(٤) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، وفي تقدمته، ص ٦٤ رواية أخرى.

(٥) انظر فصلاً مطوَّلاً في شرح عِلل الترمذي ٧٢٢/٢ - ٧٢٦.

يحيى: وبعد هؤلاء في سفیان: يحيى بن آدم، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى، وأبو أحمد الزُّبَيْرِي، وأبو حُدَيْفَةَ، وقَبِيصَةَ، ومعاوية بن هشام القَصَّار، والفِزْيَابِي. قلت له: فأبو داود الحَفَرِيُّ؟ قال: أبو داود الحَفَرِيُّ رجل صالح^(١).

وقال الدُّورِيُّ: (سمعت يحيى يقول: أصحابُ سفیان الثوري ستة: يحيى بن سعيد، ووكيع بن الجراح، وابن المبارك، والأشجعي، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو نُعَيْم. قال يحيى: وليس أحدٌ من هؤلاء يحدث عن سفیان، فَيُخَالِفُهُ بعض هؤلاء الستة، فيكون القولُ قولَه، حتى يجيء إنسان يفصل بينهما، فإذا اتفق من هؤلاء اثنان على شيء، كان القولُ قولهما)^(٢).

- قال علي بن المَدِينِي: (أصحابُ سفیان الثوري: يحيى، وعبد الرحمن، ووكيع، وأبو نُعَيْم، والأشجعي، وعبد الله بن المبارك)^(٣). وهذا مثل قول ابن معين.

وقال أبو حاتم: (سألت عليَّ بن المَدِينِي: مَنْ أوثقُ أصحابِ الثوري؟ قال: يحيى القَطَّان، وعبد الرحمن بن مهدي)^(٤).

- وقال أبو بكر المَرْوَزِيُّ: (قلتُ لأحمد: مَنْ أصحابُ الثوري؟ قال: يحيى ووكيع وعبد الرحمن وأبو نُعَيْم، قلت: قدّمتَ وكيعاً على عبد الرحمن؟ قال: وكيع شيخ)^(٥).

(١) تاريخ الدوري ٢١٢/٢ - ٢١٣، ٤٥٠/٣ - ٤٥١.

(٢) تاريخ الدوري ٢١٣/٢ - ٢١٤، ٥٦٠/٣. وانظر: تاريخ الدارمي: رقم ٩٠ - ١٠٤، وسؤالات ابن طهمان: رقم ٣٢٣.

(٣) المعرفة والتاريخ ٧١٦/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٥٣.

(٥) علل أحمد برواية المروزي: رقم ٤٨، وانظر أقوالاً أخرى لأحمد، في: مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٥٣، شرح علل الترمذي ٧٢٥/٢.

تدليسه:

وَصَفَ سَفِيَانَ بِالتَّدْلِيسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ، وَكَانَ يَدْلُسُ عَنِ الضَّعْفَاءِ، لَكِنَّهُ قَلِيلُ التَّدْلِيسِ كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ، وَذَكَرَهُ الْعَلَائِيُّ وَتَابَعَهُ الْحَافِظُ فِي «الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ» مِنَ الْمَدْلُسِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ احْتَمَلُ الْأُئِمَّةُ تَدْلِيسَهُمْ، وَخَرَجُوا لَهُمْ فِي الصَّحِيحِ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحُوا بِالسَّمَاعِ؛ لِإِمَامَتِهِمْ أَوْ لِقَلَّةِ تَدْلِيسِهِمْ فِي جَنْبِ مَا رَوَوْا^(١).

قال البخاري - فيما حكاه عنه الترمذي في «علله» -: (لا أعرف لسفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، ولا عن سلمة بن كهيل، ولا عن منصور - وذكر شيوخاً كثيرة - لا أعرف لسفيان عن هؤلاء تدليساً، ما أقلّ تدليسه)^(٢).

** قال يحيى بن سعيد القطان: (ما كتبتُ عن سفيان شيئاً إلا قال: «حدّثني» أو «حدّثنا»، إلا حديثين)^(٣).

وقال عبّيد الله بن عمّ القوّاريري: (كُتِبَ وَكَيْعٌ إِلَى هُشَيْمٍ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُفْسِدُ أَحَادِيثَكَ بِهَذَا الَّذِي تُدْلِسُهَا، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَانَ أَسْتَاذَكَ يَفْعَلَانَهُ، الْأَعْمَشُ وَسَفِيَانُ)^(٤).

وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: (أبو إسحاق والأعمش وسفيان يدلّسون، والتدليس من قديم)^(٥).

(١) جامع التحصيل، ص ١٣٠، تعريف أهل التقديس، ص ١٣.

(٢) جامع التحصيل، ص ١٣٠، شرح علل الترمذي ٨٥٧/٢.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣١٨، وله بقية.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢١٩٠.

(٥) المعرفة والتاريخ ٦٣٣/٢.

وقال الذهبي: (كان يُدلس عن الضعفاء)^(١).

** قال يعقوب الفسوي: (لا يكادُ سفیان يُكْنِي رجلاً إلا وفيه ضعف، يكره أن يُظْهر اسمه، فينفر منه الناس)^(٢).

وقال الفسوي: (سليمان بن قسيم أبو الصَّبَّاح: ضعيف، وكان سفیان يُكْنِيه لكي يُدلسه، قال: حَدَّثني أبو الصَّبَّاح بن قسيم)^(٣).

وكان إذا حَدَّثَ عن الصَّلْت بن دينار، يقول: حَدَّثنا أبو شُعيب، ولا يُسَمِّيهِ^(٤).

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن: (وكان سفیان إذا حَدَّثَ عن عمرو بن مَرَّة بما سَمِع، يقول: حَدَّثنا وأخبرنا، وإذا دَلَسَ عنه يقول: قال عمرو بن مَرَّة)^(٥).

وقال أبو عبيد الأجرئي: (سألتُ أبا داود عن عبد القدوس الشامي؟ قال: ليس بشيء، وابنه شرٌّ منه، وروى عنه سفیان الثوري فقال: حَدَّثنا أبو سعيد)^(٦).

وقال يعقوب الفسوي: (عُبَيْدة بن مُعْتَب الضبِّي حديثه لا يَسْوَى شيئاً، وكان الثوري إذا حَدَّثَ عنه كَنَاه، قال: أبو عبد الكريم)^(٧).

(١) ميزان الاعتدال ١٦٩/٢، سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٤٦/٣.

(٣) المعرفة والتاريخ ٦٥/٣، وانظر علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٩٧٣.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٣٨٠، المجروحين ٤٧٥/١. والصلت متروك.

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٦٥.

(٦) سؤالات الأجرى: رقم ٥٥٦، وأبو سعيد كنية عبد القدوس، وهو متروك.

(٧) المعرفة والتاريخ ١٤٥/٣ - ١٤٦.

وقال أبو نُعيم الفضل بن دُكَّين: (كان سفيان إذا حَدَّثَ عن أبي جَنَاب، يقول: يحيى بن أبي حَيَّة^(١)).

إرساله:

قال علي بن المَدِيني: سمعت يحيى بن سعيد القَطَّان، يقول: (مُرْسَلَاتُ ابن عُيَينة شِبُه الرِّيح، ثم قال: إي والله وسفيان بن سعيد)^(٢).

وقال ابن المَدِيني: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: (مُرْسَلُ مالك أحبُّ إليَّ من مرسل سفيان)^(٣).

وقال يحيى القَطَّان: (سفيان عن إبراهيم شِبُه لا شيء، لأنَّه لو كان فيه إسنادٌ لصاح به)^(٤).

قال ابن رجب: (يعني لو كان أَخَذَه عن ثَقَّة، لسمَّاه وأَعْلَن باسمِه)^(٥).
وقال الأَجْرِي: (قلتُ لأبي داود: مراسيلُ الثوريِّ؟ قال: لا شيء، لو كان عنده شيء لصاح به)^(٦).

كثرة حديثه:

قال صالح بن محمد جَزَرَة: (سفيان أكثرُ حديثاً من شعبة وأحفظُ، يَبْلُغ حديثُه ثلاثين ألفاً، وحديثُ شعبة قريبٌ من عشرة آلاف)^(٧).

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٩٨، ٤٨٤. وأبو جناب الكلبي: ضعفه.

(٢) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥٤/٥، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٤٤.

(٣) المعرفة والتاريخ ٦٨٦/١، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٤٤.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٤٤.

(٥) شرح علل الترمذي ٥٣٥/١.

(٦) سؤالات الأَجْرِي: رقم ٢٣٩. وانظر عن إرسال سفيان: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٧٦١،

٤١٥٢، ٥٧٣٨، تاريخ الدوري ٢١١/٢، ٢١٢، جامع التحصيل ٢٢٥ - ٢٢٦، شرح علل الترمذي

٥٣٠/١، ٥٣٣، ٥٣٤.

(٧) تاريخ بغداد ١٧١/٩.

وقال أبو عُبيد الأَجْرِيُّ: سمعت أبا داود، يقول: (كان عند الأشْجَعِيِّ ويحيى بن يَمَان عن سفيان ثلاثون ألفاً)^(١).

وقال إبراهيم بن إسماعيل بن البَصِير^(٢): سمعت الأشْجَعِي، يقول: (سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث)^(٣).

وقال يحيى بن يَمَان: (سمعت سفيانَ الثوريَّ يقول: ما أُحَدِّثُ من كلِّ عشرة بواحد. وقد كتبنا عنه عشرين ألفاً)^(٤).

وقال يوسف بن سعيد بن مُسَلَّم: سمعت خلف بن تميم، يقول: (سمعت من سفيان الثوري عشرة آلاف حديث أو نحوها)^(٥).

قال علي بن المديني: (نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبو إسحاق، والأعمش، ثم صار علم هؤلاء الستة من أهل الكوفة إلى سفيان الثوري)^(٦).

أصح أسانيد الكوفة:

قال أحمد بن عبد الله العَجَلِيُّ: (أحسنُ إسنادِ الكوفة: سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله)^(٧).

(١) سؤالات الأَجْرِي: رقم ٥٧٣.

(٢) المؤلف والمختلف للدارقطني ٢٢٢/١، ووقع في سير أعلام النبلاء ٥١٥/٨: (التَّضْيِير)، تصحيف.

(٣) تاريخ بغداد ٣١١/١٠.

(٤) الحلية ٣٦٨/٦، تاريخ بغداد ١٦٥/٩.

(٥) المحدث الفاصل: رقم ٣٨٠، ٨٦٧.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٩ - ٦٠، وانظر رواية أخرى مطولة من طريق آخر في جامع بيان

العلم ٢٠٥/٢ - ٢٠٦.

(٧) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٤٠٥، وانظر: معرفة علوم الحديث، ص ٥٥، نكت الحافظ على

ابن الصلاح ٢٥٣/١.

تحديثه بالمعاني:

قال زيد بن الحُبَاب: سمعتُ سفيان، يقول: (لو قلتُ لكم: إنِّي أحدثُكم كما سمعتُ، فلا تصدَّقوني). زاد في رواية: (إنما هو المَعْنَى)^(١).

وقال يحيى بن آدم: سمعت سفيان الثوري، يقول: (إنما نحدِّثكم بالمَعْنَى)^(٢).

وقال عبد الرزاق: (قال صاحبُ لنا لسفيان: يا أبا عبد الله، حدِّثنا كما سمعت، فقال: لا والله ما إليه سبيلٌ، وما هو إلا المَعْنَى)^(٣).

وقال محمد بن يوسف الفريابي: سمعت سفيان، يقول: (لو أردنا أن نحدِّثكم بالحديث كما سمعناه، ما حدِّثناكم بحديث واحد)^(٤).

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى: سمعت سفيان الثوري، يقول: (إنِّي لأكتبُ الحديث من سبعة أوجه، المَعْنَى واحدٌ)^(٥).

من أقواله في الرجال جرحاً وتعديلاً^(٦):

** قال يحيى بن سعيد القطان: (سألتُ سفيانَ الثوري، وسفيان بن عُيينة، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجَّاج، عن الرجلِ يغلط في الحديث أو يكذب فيه؟ قالوا: بيِّنْ أمره، بيِّنْ أمره).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٣٠٩، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٤٧/٥، الحلية ٣٧٠/٦.

(٢) المحدث الفاصل: رقم ٦٩٤.

(٣) الحلية ٣٧٠/٦.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١٠٤.

(٥) الحلية ٧٢/٧.

(٦) أفرد له ابن أبي حاتم فصلاً في تقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٩ - ٨٣.

وفي رواية: (سَأَلْتَهُمْ عَنِ الرَّجُلِ لَا يَحْفَظُ، أَوْ يُتِّهِمُ فِي الْحَدِيثِ؟ فَقَالُوا لِي جَمِيعاً: بَيِّنْ أَمْرَهُ) ^(١).

قال سفيان: (مَنْ كَذَبَ سَقَطَ حَدِيثُهُ) ^(٢).

وقال عبد الرزاق: سمعت الثوري، يقول: (إِذَا حَدَّثَكَ ثِقَةً عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ فَلَا تَأْخُذْ، وَإِذَا حَدَّثَكَ غَيْرُ ثِقَةٍ عَنْ ثِقَةٍ فَلَا تَأْخُذْ، وَإِذَا حَدَّثَكَ ثِقَةً عَنْ ثِقَةٍ فَخُذْهُ) ^(٣).

وقال عبد الله بن المبارك: (قَلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: إِنَّ عَبَادَ بْنَ كَثِيرٍ مَنِ تَعْرِفُ حَالَهُ، وَإِذَا حَدَّثَ جَاءَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَتَرَى أَنَّ أَقْوَالَ لِلنَّاسِ: لَا تَأْخُذُوا عَنْهُ؟ قَالَ سُفْيَانُ: بَلَى) ^(٤).

وقال سفيان الثوري: (لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرَّوَاةُ الْكُذْبَ، اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّارِيخَ) ^(٥).

** قال أبو داود الطيالسي: (ذَكَرَ سُفْيَانُ لِشُعْبَةَ حَدِيثاً لِقَتَادَةَ، فَقَالَ سُفْيَانُ: وَكَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ قَتَادَةَ) ^(٦).

روى ابن المبارك، عن سفيان الثوري قال: (حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ

(١) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٧، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٦٨٤، ورواية صالح: رقم ١، وسؤالات أبي داود لأحمد: رقم ١٣٤، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٣٩/٥، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٤٧١، مقدمة المجروحين ٢٠، المحدث الفاصل: رقم ٨٥٠، ٨٥١، وألفاظهم متقاربة.

(٢) الحلية ٧٢/٧، وبنحوه في مقدمة المجروحين ٢١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٩/٢.

(٤) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٧، وبنحوه في المحدث الفاصل: رقم ٨٥٢.

(٥) مقدمة الكامل، ص ٨٤، علوم الحديث لابن الصلاح ٣٨٠ (النوع ٦٠).

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٥.



وكان رُكناً من الأركان - وشدَّ قبضتَه - وحدثنا حبيب بن أبي ثابت وكان دِعامَة - أو كلمة تشبهها^(١).

وروى ابن المبارك، عن سفيان قال: (حُفاظ الناس ثلاثة: إسماعيل بن أبي خالد، وعبد الملك بن أبي سليمان العَرَزَمِيُّ، ويحيى بن سعيد الأنصاري. وحُفاظ البصريين ثلاثة: سليمان التيمي، وعاصم الأَحُول، وداود بن أبي هند، وكان عاصمٌ أحفظهم)^(٢).

وقال ابن عُيينة: قال لي سفيان الثوري: (رأيت منصوراً، وعبد الكريم الجزري، وأيوب السَّخْتِيَانِي، وعمرو بن دينار؟! هؤلاء الأعمى الذين لا يُشكُّ فيهم)^(٣).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كان سفيان يقول: (شعبةٌ أميرُ المؤمنين في الحديث)^(٤).

وقال عبد الله بن المبارك: (سُئِلَ سفيان الثوري عن سفيان بن عُيينة؟ فقال: ذاك أحدُ الأَحْدِين. وسُئِلَ عن عبد الملك بن أبي سليمان؟ فقال: ذاك ميزان)^(٥).

وروى ابن أبي حاتم، عن إبراهيم بن يعقوب الجُوزْجَانِي، قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق، يقول: قال عبد الله بن المبارك: (سُئِلَ

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٢، ٨٠.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٢ - ٧٣.

(٤) التاريخ الكبير ٢٤٥/٤.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٢. ومعنى (أحد الأَحْدِين): ليس له نظير. انظر مقدمة الجرح والتعديل ٣٣.

سفيان بن سعيد عن ثور بن يزيد الشامي؟ فقال: خذوا عنه، واتقوا قرنيه - يعني أنه كان قَدْرِيًّا -^(١).

** قال ابن مهدي: (مررتُ مع سفيان الثوري برجلٍ، فقال: كذاب، والله لولا أنه لا يَحِلُّ لي أن أَسْكُتَ عنه لَسَكُتُ)^(٢).

وقال محمد بن عثمان بن أبي صفوان: سمعتُ أبي، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: (ثُوَيْرُ بن أبي فاختة ركنٌ من أركانِ الكَذِبِ)^(٣).

وقال يَعْلَى بن عُبيد: (قال لنا سفيان الثوري: اتَّقُوا الكَلْبِيَّ، فقيل له: فإنك تروي عنه، قال: أنا أَعْرِفُ صِدْقَهُ من كَذِبِهِ)^(٤).

وقال أبو مُشَهَّر: حدثنا عيسى بن يونس، قال: قَدِمَ علينا محمد بن سعيد العراق، فقال لنا سفيان الثوري: دَعُونِي حتى أخبر لكم الرجل، فدخل عليه، ثم خَرَجَ إلينا، فقال: الرجلُ كَذَّابٌ)^(٥).

وهذا باب طويل، نكتفي منه بما ذكرناه.

من أقواله في علوم الحديث:

** قال عبد الصمد بن حسان: سمعت الثوري، يقول: (الإسنادُ سِلاحُ المؤمن، إذا لم يكن معه سلاحٌ، فبأيِّ شيءٍ يُقاتِلُ؟!)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) مقدمة المجروحين، ص ٢١.

(٣) سؤالات الأجرى: رقم ٣٦٨، ضعفاء العقيلي ١٨٠/١، الكامل ١٠٥/٢.

(٤) علل الترمذي المملق بالسنن ٧٤٢/٥.

(٥) ضعفاء العقيلي ٧٠/٤ - ٧١. ومحمد بن سعيد هو المعروف بالمضلوب، قتله المنصور على الزُّنْدَقَةِ، وضمَّته.

(٦) مقدمة المجروحين، ص ٢٧.

وروى بشر بن الحارث، عن سفيان قال: (الإسنادُ بمنزلة الشهادة)^(١).

وقال وكيع بن الجراح: (قال شعبة: فلان عن فلان مثله لا يُجزئ، وقال سفيان الثوري: يُجزئ)^(٢). يريد: الرواية بالعنعنة.

وقال الوليد بن شجاع: سمعت الأشجعي، يذكر عن سفيان الثوري، قال: (ليس يكاد يُفْلِتُ من الغَلَطِ أحدٌ، إذا كان الغالبُ على الرجلِ الحِفْظُ فهو حافِظٌ وإن غَلِطَ، وإذا كان الغالبُ عليه الغَلَطُ تُرِكَ)^(٣).

** قال زَوَاد بن الجَرَّاح: سمعتُ سفيان الثوري، يقول: (خُذُوا هذه الرِّغَائِبُ وهذه الفضائل من المِشِيخَةِ، فأما الحلال والحرام فلا تأخذوه إلا عمَّن يَعْرِفُ الزيادة فيه من النقص)^(٤).

قال عُبيد الله بن موسى: سمعتُ الثوري، يقول: (إذا قرأت على العالم، فلا بأس أن تقول: حَدَّثَنَا)^(٥).

وقال عُبيد الله بن موسى: قال سفيان الثوري: (قراءتُك على العالم وقراءتُه عليك سواء)^(٦).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٦٨.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٠٢٦.

(٣) شرح علل الترمذي ١/٣٩٩.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٣٠٠، وبنحوه في المحدث الفاصل: رقم ٤٢٣، ٤٤٩. وانظر:

شرح علل الترمذي ١/٣٧٢.

(٥) البخاري، الفتح ١/١٤٨ - كتاب العلم (باب: ما جاء في العلم)، الجامع لأخلاق الراوي: رقم

١١٦٢، وانظر: رقم ١١٦٥، والمحدث الفاصل: رقم ٤٦٤.

(٦) المعرفة والتاريخ ٢/٨٢٧. وانظر: الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٠٥.

مقارنة بين سفيان وشعبة:

** قال يحيى بن سعيد القطان: (ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ من شعبة، ولا يَعدُّه أحدٌ عندي، وإذا خالفه سفيان، أخذتُ بقولِ سفيان)^(١).

وقال يحيى القطان: (كان سفيانُ أثبتَ من شعبة، وأعلمَ بالرجال)^(٢).

وقال أبو بكر محمد بن خَلَّاد الباهليُّ: (سمعت يحيى بن سعيد، يقول، وسألوهُ عن سفيان وشعبة، قال: ليس الأمرُ بالمُحَابَاةِ، ولو كان الأمرُ بالمُحَابَاةِ لَقَدَّمْنَا شعبةَ على سفيان لَتَقَدُّمِهِ، سفيانُ يَرِجِعُ إلى كتاب، وشعبة لا يَرِجِعُ إلى كتاب، وسفيان أحفظُهما، قد رأيناهُما يَخْتَلِفَانِ، فوجدنا الأمرَ على ما قال سفيان)^(٣).

قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ: (سمعت أبا نُعَيْمٍ يُسألُ عن سفيان وشعبة: أيُّهُما أثبتُ؟ فقال: قال بعضُ أصحابنا في ذلك قولاً. فرأيتُ أبا نُعَيْمٍ يَذْهَبُ إلى أن قولهُ فيه، وقولَ وكيع: أنَّ سفيانَ أقلُّ خطأً في الحديث)^(٤).

** روى أبو طالب، عن أحمد بن حنبل قال: (سفيانُ أحفظُ للإسنادِ وأسماءُ الرِّجالِ من شعبة)^(٥).

وقال أبو عُبيد الأجرِّيُّ: سمعت أبا داود، يقول: (ليس يَخْتَلِفُ سفيان

(١) سنن الترمذي: حديث ٢٩٠٨، والعلل الملحق بالسنن ٧٤٩/٥ - ٧٥٠، الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تاريخ بغداد ١٦٦/٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٦/٩، وانظر: تاريخ الدوري ٢١٥/٢، والحلية ٣٦٠/٦.

(٣) الحلية ٣٦٠/٦.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٥٨٠، تاريخ بغداد ١٦٦/٩.

(٥) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ٦٦.

وشعبة في شيء إلا يظفر به سفيان، وخالفه شعبة في أكثر من خمسين حديثاً، القول قول سفيان^(١).

وقال أبو زُرعة الرّازي: (كان الثوري أحفظ من شعبة في إسناد الحديث وفي متنه)^(٢).

وقال أبو حاتم: (سفيان أحفظ من شعبة، وإذا اختلف الثوري وشعبة فالثوري)^(٣).

وقال أبو حاتم أيضاً: (كان الثوري قد غلب عليه شهوة الحديث وحفظه، وكان شعبة أبصر بالحديث وبالرجال، وكان الثوري أحفظ)^(٤).

وقد ذكر الإمام أحمد في «العلل» الرجال الذين روى عنهم شعبة ولم يسمع منهم سفيان، والذين روى عنهم سفيان ولم يحدث عنهم شعبة^(٥).

الفقيه:

سفيان الثوري من فقهاء المحدثين الكبار، يروي الآثار ويفقهها ويحتجُّ بها، وكان يميل في فقهه إلى التيسير، ويعذر من يخالفه في الرأي، وقد استفتي ولم تنبت لحيثه، وكان الناس يصحبونه لتفسير الحديث، وأصبح له مذهبٌ معروف، بقي عليه طائفة من الناس زماناً طويلاً، ثم فني. وقد حفظ كثيراً من أقواله تلميذه عبد الرزاق في «مصنفه»،

(١) سؤالات الأجرى: رقم ٨.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٦.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) انظر: العلل برواية عبد الله: رقم ١٠٩٢، ١٠٩٤.

واحتجَّ البخاري بآرائه في مواضع من «الصحیح»، كما أكثر الترمذي في «السنن» من ذكر اجتهاداته وأقواله.

** قال أحمد بن عبد الله العجلي: (ألقي أبو إسحاق - السبيعي - فريضة، فلم يصنعوا فيها شيئاً، فقال: لو كان الغلام الثوري فصلها الساعة، إذ أقبل سفيان، فقال له: ما تقول في كذا وكذا؟ قال سفيان: أنت حدّثتنا عن عليّ بكذا وكذا، والأعمش حدّثنا عن ابن مسعود بكذا وكذا، وفلان حدّثنا فيها بكذا وكذا، فقال أبو إسحاق: كيف ترون من ساعة فصلها، ألا تكونون مثله)^(١).

وقال الحسن بن صالح: (كنّا في حلقة ابن أبي ليلى، فتذاكروا مسألة، وطلّع سفيان الثوري، فقال: ألقوها عليه، قال حسن: فجاء فجلس قريباً مني، فأجاب فيها، فأصاب فيها، فسمعتُه يحمّدُ الله ويحسبُ فيما بينه وبين نفسه. قال حسن: فكنتُ أراه يطلبه بنيتة - يعني العلم -)^(٢).

وقال أبو داود الطيالسي: (حدثنا شعبة، عن سعيد بن مسروق، فقال له رجل: يا أبا بسطام، من سعيد بن مسروق؟ فقال: أبو سفيان الثوري الفقيه)^(٣).

وقال أبو زُرعة الدمشقي: (حدثنا أحمد بن يونس قال: سمعتُ زائدة بن قدامة، يقول: كان سفيانُ أفقّة الناس. قلتُ لأحمد: كان أفقّة الناس؟! قال: نعم، كان أفقّة الناس، وأعبَد الناس)^(٤).

(١) ثقات العجلي ١٩٣، تاريخ بغداد ١٦٢/٩ - ١٦٣. وقصّلها: أي بيّن الحكم فيها بكلامٍ فضلٍ قاطعٍ.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٨.

(٣) الحلية ٣٥٨/٦.

(٤) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٤٦٧، ٥٧٩، وفي الحلية ٣٥٧/٦ الفصل الأول منه، وكثره الذهبي في «السير» ٢٤٧/٧، ٢٥٤، ٢٧٠، وثمة أكثر من خبر كرره.

وقال عبد الله بن المبارك: (ما أحدٌ عندي من الفقهاء أفضلَ من سفيان بن سعيد، ما أدري ما عبد الله بن عَوْن) (١).

وقال علي بن المَدِينِي: كان ابن المبارك، يقول: (إذا اجتمع هذانِ على شيءٍ، فذاك قويٌّ - يعني سفيان وأبا حنيفة -) (٢).

وقال محمد بن المُعْتَمِر بن سُليمان: (قلت لأبي: مَنْ فقيهُ العرب؟ قال: سفيان الثوري) (٣).

** قال علي بن المَدِينِي: (اجتمع سفيانُ الثوري وابنُ جُرَيْج، فتذاكرا مَسَّ الذَّكْرَ، فقال ابنُ جُرَيْج: يتوضأُ منه، وقال سفيان: لا يتوضأُ منه. فقال سفيان له: أرأيتَ لو أن رجلاً أَمْسَكَ بيده مَتِيئاً، ما كان عليه؟ فقال ابن جريج: يَغْسِلُ يَدَهُ، قال: فأَيُّهُمَا أَكْبَرُ، المَنِيَّ أو مَسُّ الذَّكْرِ؟ فقال: ما أَلْقَاهَا على لسانِكَ إلا الشيطانُ) (٤).

وعن سُليمان بن حَيَّان قال: (كُنَّا نَصْحَب سفيانَ الثوريَّ، وقد سَمِعْنَا مِمَّن سَمِعَ منه، إنما نُريدُ منه تفسِيرَ الحديثِ) (٥).

قال محمد بن المِنْهَال: سمعت يزيد بن زُرَيْع، قال: (وكان سفيان راوياً مُفْتِيّاً) (٦).

(١) تاريخ بغداد ١٥٧/٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٧ - ٢٤٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٧، ٢٦٢.

(٤) المعرفة والتاريخ ١٥٧/٢.

(٥) الحلية ٣٦٦/٦ - ٣٦٧.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٩.

وعن الوليد بن مُسلم قال: (رأيتُ الثوري بمكة يُستفتى، ولَمَّا يَحْطُ وَجْهُهُ بَعْدُ)^(١).

وقال محمد بن عُبَيْدِ الطَّنَافِسي: (لا أَذْكَرُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ إِلَّا وَهُوَ يُفْتَى، أَذْكَرُ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَنَحْنُ فِي الْكُتَّابِ، تَمَرُّ بِنَا الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ فَيَسْتَرِشِدُونَنَا إِلَى سَفْيَانَ لِيَسْتَفْتُوهُ، فَيُفْتِيهِمْ)^(٢).

وقال علي بن سَهْلِ العَطَّار: سمعتُ أبا زُنْبُورَ الشَّيْخِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ سِكَّةَ أَبِي زُنْبُورِ، قَالَ: (رَأَيْتُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ بِالزُّبَيْرِ فِي سِكَّةِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، وَالزُّبَيْرِ عَلَى الْقَضَاءِ، وَالزُّبَيْرُ يَسْتَفْتِي الثَّوْرِيَّ فِي قَضَايَا تَرُدُّ عَلَيْهِ، وَيُفْتِيهِ الثَّوْرِيَّ، وَيَقْضِي بِهِ)^(٣).

** قال أبو أسامة حمَّاد بن أسامة: سمعتُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصَ عَنِ الثَّقَّةِ، فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحْسِنُهُ)^(٤).

وقال حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: (سَمِعْتُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ الَّذِي قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ، وَأَنْتَ تَرَى غَيْرَهُ، فَلَا تَنْهَهُ)^(٥).

وقد ساق الإمامُ الحافظُ أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ فِي «الْعِلَلِ الصَّغِيرِ»^(٦)، إِسْنَادَهُ إِلَى سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، فِي اخْتِيَارَاتِهِ الْفَقْهِيَّةِ، الَّتِي أَوْدَعَهَا فِي كِتَابِهِ «السَّنَنِ».

(١) الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، تقدمته، ص ٥٦.

(٢) الحلية ٣٥٧/٦.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٣.

(٤) الحلية ٣٦٧/٦.

(٥) الحلية ٣٦٨/٦.

(٦) العِلَلُ الْمَلْحَقُ بِالسَّنَنِ ٧٣٦/٥.

قال الحافظ ابن رَجَب الحَنْبَلِي: (اعلم أن أبا عيسى - رَحِمَهُ اللهُ - ذَكَرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَذَاهِبَ كَثِيرٍ مِنْ فَهَاءِ أَهْلِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ: كَسَفِيَانَ، وَابْنَ الْمُبَارِكِ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيَّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ...) (١).

وقال الحافظ ابن الصلاح في «النوع الموفى ستين» من كتابه «علوم الحديث»: (أصحاب المذاهب الخمسة المتبوعة ﷺ: سفيان بن سعيد الثوري، ومالك بن أنس، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل) (٢).

قال ابن رَجَب: (وُجِدَ فِي آخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ سُفْيَانِيُّونَ) (٣). يعني: يذهبون مذهب سفيان في الفقه.

وقد طالت الترجمة، ولولا ذلك لأوردت عُيُوناً من أقواله واختياراته الفقهية.

نشره العلم:

حَدَّثَ سَفِيَانَ بِالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ وَالْيَمْنَ وَغَيْرَهَا، وَانْتَشَرَ عِلْمُهُ فِي الْآفَاقِ، وَحَمَلَ عَنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرَ، وَلَا زَمَ حَلَقَتَهُ جِهَابِدَةٌ كِبَارٌ، وَغَصَّ مَجْلِسُهُ بِالْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْحَدِيثِ، وَلَرَبَّمَا اجْتَمَعَ فِي حَلَقَتِهِ خَمْسَمِئَةَ نَفْسٍ، يَسْمَعُونَ حَدِيثَهُ وَيَكْتُبُونَ عِلْمَهُ. وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ فَكَأَنَّمَا يُفَجَّرُ بَحْرًا، وَلَرَبَّمَا أَمْلَى فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَمِئَةَ حَدِيثٍ مِنْ حِفْظِهِ. وَبَلَغَ مِنْ تَوَاضَعِهِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى بِيوتِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَيَحَدِّثُهُمْ، وَلَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ أَنْ يَأْتِيَهُ لِيَحَدِّثَهُ - يَخْتَبِرُ تَوَاضَعَهُ - فَخَفَّ

(١) شرح علل الترمذي ١/٣٣٧.

(٢) علوم الحديث، ص ٣٨٤ باختصار، تدريب الراوي ٢/٣٦٠.

(٣) شذرات الذهب ١/٢٥١.

إليه وجاءه فحدّثه وعندما رأى ازدحامَ الناس عليه، خَشِيَ من الفِئنة والعُجب، وقال: إِنَّا لله، احتيج إليَّ!! وبَلَغَ من إقباله على حُبِّ الحديث ونشره أن حَدَّثَ يحيى القَطَّان في جنازةِ بعشرةِ أحاديث، وفي الصِّفا بعشرةِ أيضاً، فلقد كان يرى أن تعليم الناس من أحسن العبادَة، وهذا فِقه دقيق، وفهم عميق.

ومن آدابه في التحديث: أنه كان يحدِّث مُستقبلاً القبلة، ويؤثِّر المُتقنين وأهل الدِّراية، ويكرهُ تحديثَ أسافلِ الناس ممَّن لا يضع العلم مواضعه، ويخشى منه حمْلُه على غير وجهه.

•• قال وكيع بن الجراح: سمعت سفيان الثوري، يقول: (لا أعلم من العبادة شيئاً أفضلَ من أن يُعلِّم الناس العلم)^(١).

وقال أبو إسحاق الفَرَّارِيُّ: سمعت سفيان الثوري، يقول: (مَنْ بَخِلَ بعلمه ابتلي بثلاث: إما أن ينساه ولا يحفظ، وإما أن يموت ولا يُنتفع به، وإما أن تذهب كُتُبُه)^(٢).

وقال أحمد بن أبي الحَوَارِيِّ، حدثنا محمد بن يزيد وأبو بكر الأَسْلَمِي، قالوا: (وقف فضيل على رأس سفيان، وحوله جماعة، فقال له: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال: فقال له سفيان: يا أبا عليّ، والله لا نفرح أبداً، حتى نأخذ دواء القرآن فنضعه على داء القلب)^(٣).

(١) جامع بيان العلم ٣١/١، ٥٦.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٧٩.

(٣) الحلية ٧٠/٧ - ٧١.

وقال زيد بن أبي الزرقاء: (خرج سفيان ونحن على بابهِ ننتدأرى في النسخ، فقال: يا معشر الشباب، تعجلوا بركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، ليُفدَ بعضكم بعضاً)^(١).

وقال قتيبة بن سعيد: حدثنا محمد بن يزيد الخنيسِي، قال: (سمعتُ رجلاً قال لسفيان: لو أنك نشرت ما عندك من العلم، رجوتُ أن يَنفع الله به بعض عباده، فتؤجر على ذلك، قال سفيان: والله، لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم يُريدُ به ما عند الله، لكنتُ أنا الذي آتية في منزله، فأحدثه بما عندي، مما أرجو أن يَنفعه الله به)^(٢).

* قال أحمد بن عمران الأحنسي: حدثنا الوليد بن عُقبة الشَّيباني، قال: (قيل لسفيان بن سعيد: لو جلست لنا مجلساً - وذلك قبل خروجه إلى البصرة - فاستقبل القبلة، ثم ابتداء، فكتبتُ بيدي ثلاثمئة حديث)^(٣).

وقال الفُضَّل بن زياد: سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: (كان سفيانُ يحدث بالكوفة ثلاثمئة حديث، أربعمئة حديث في اليوم، من حفظه، ولم يكن له كتاب، فكان الحفَاط يحفظون، ثم يقومون فيكتبون. وكان يحيى بن يمان يأخذ حفظاً، فإذا حدَّث بحديثٍ عقده في الخيط عقدة، فإذا قام من عند سفيان، حلَّ عقدة وكتب حديثاً، وحلَّ عقدة وكتب حديثاً. وكان أبو نُعيم يكتب في الألواح، فكان يحمل عنه ما وقع في ألواجه. وكان الأشجعي لا يحمل عنه إلا أن يكتب كتاباً، فهو أصح ما يكون)^(٤).

(١) الحلية ٣٧٠/٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٤٩٢. قوله (نتدأرى): أي نتمارى ونختلف.

(٢) الحلية ٣٦٩/٦، ٣٨/٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٦.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٢١/١، وانظر: ٤٧٤/٣، وسؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٥٧٨.

وعن مُؤَمَّل بن إِسْمَاعِيل قال: (أقام سفيان بمكة سنة، فما فُتِرَ من العبادة سوى من بعد العصر إلى المغرب، كان يجلس مع أصحاب الحديث، وذلك عبادة)^(١).

وقال خَلْف بن تَمِيم: (رأيتُ سفيان الثوري بمكة، وقد كثر عليه أصحابُ الحديث، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخافُ أن يكون الله ضيَع هذه الأمة، حيث احتيج إلى مثلي)^(٢).

وقال محمد بن حَمِيد: سمعت مِهْران الرّازي، يقول: (كتبتُ عن سفيان الثوري أصنافه، فضاعَ مني كتاب الدِّيَات، فذكرتُ ذلك له، فقال: إذا وجدتني خالياً فاذكُر لي حتى أملهَّ عليك. فحجَّ، فلما دخل مكة، طاف بالبيت وسعى، ثم اضطجع، فذكرته، فجعل يُملي عليّ الكتاب، باباً في إثر باب، حتى أملاه جميعه من حَفْظه)^(٣).

وقال ضَمْرَة بن رَبِيعَة: (كان سفيان ربّما حدّث بعسقلان، يبتدئهم يقول: انفجرتِ العيون، انفجرتِ العيون - يعجب من نفسه - وربّما حدّث الرجلَ الحديث فيقول له: هذا خيرٌ لك من ولايتك عسقلان وصور)^(٤).

وقال وكيع: (رأيتُ سفيان الثوري أملى على رجل شيئاً، فقال: هذا خيرٌ لك من ولايتك الرّي)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٧، وبأطول منه في تاريخ الإسلام ٢٣٥.

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٦١١، الحلية ٦٤/٧٠٣٦٥/٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٧/٧.

(٤) الحلية ٦/٣٦٩ - ٣٧٠، وانظر الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩١٠.

(٥) الحلية ٦/٣٧٠.



وقال عبد الرزاق الصنعاني: (لما قدم علينا سفيان قال لنا: ائتوني برجلٍ يكتب، خفيف الكتاب، فأتينا بهشام بن يوسف، فكان هو يكتب، ونحن ننظر في الكتاب، فإذا فرغ ختمنا الكتاب حتى ننسخه)^(١).

وقال علي بن المديني: سمعت عبد الرزاق، يقول: (مكث سفيان يملئ علينا ثمانية وأربعين يوماً)^(٢).

** قال المُبارك بن سعيد أخو سفيان: (رأيتُ عاصم بن أبي النَّجُود يجيءُ إلى سفيان يَسْتَفْتِيهِ، ويقول: يا سفيانُ، أتيتنا صغيراً، وأتيناك كبيراً)^(٣).

وقال الفريابي: (كنت بمكة فقلت لسفيان: يا أبا عبد الله، لو رأيت أن أخرج معك إلى الكوفة، على أنك تحدّثني كان أحبَّ إليّ، قال لي: فأخُرج. قال: فخرجتُ معه، ونزلت معه أو بقُرْبِهِ، فكان يُملئ عليّ. وربما قال: أريد أن أذهب إلى شيخ، فتعالَ معي، فأقول له: اذهب فاسمع، وإذا رجعتَ فحدّثني أنت عنه، قال: فكان يفعل ذلك)^(٤).

وقال الفُضَّل بن دُكَيْن: (جالستُ سفيانَ الثوري سنة سبع وأربعين ومئة، جالسته ثمانِي سنين، حتى خرج من الكوفة سنة خمس وخمسين ومئة، فلا والله ما عادَ إلى الكوفة حتى مات)^(٥).

(١) المعرفة والتاريخ ٧٢١/١، شرح علل الترمذي ٧٧٠/٢ - ٧٧١، وانظر: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٥٤٥، الجرح والتعديل ٧١/٩ ت ٢٧١.

(٢) المعرفة والتاريخ ٧٢٦/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٤، الحلية ٣٥٧/٦، تاريخ بغداد ١٦٣/٩.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧١٩/١ باختصار.

(٥) المعرفة والتاريخ ٧٢٨/١.

وقال عبد الرزاق: قال لي ابن المبارك: (كنتُ أقعدُ إلى سفیان الثوري، فيحدّث، فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا وقد سمعته، ثم أقعدُ عنده مجلساً آخر، فيحدّث، فأقول: ما سمعتُ من علمه شيئاً)^(١).

وقال ابن المبارك: (كنتُ إذا أعياني الشيء، أتيتُ سفیان أسأله، فكأنما أغمسُه من بحر)^(٢).

وقال مهديّ بن حسان والد عبد الرحمن بن مهدي: (كان عبد الرحمن يكون عند سفیان عشرة أيام، خمسة عشر يوماً، بالليل والنهار، فإذا جاءنا ساعة، جاء رسولُ سفیان في إثره، فيقول: سفیان يدعوك، فيدعنا ويذهبُ إليه)^(٣).

وقال أحمد بن حنبل: قال عبد الرحمن بن مهدي: (حَجَجْتُ سنة إحدى وخمسين، وسنة اثنتين وخمسين، وسنة ثلاث، وتزوَّجتُ سنة أربع، وحججتُ سنة خمس، وستّ، وسبع، وثمانٍ، وتسع، كلها ألقى سفیان)^(٤).
وبنحوه في رواية أخرى، وفيها: (كلّها ألقاهُ فيها فأسمعُ - يعني من سفیان -)^(٥).

** قال أحمد بن سنان: (سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: عَرَضَ زائدةُ كُتبه على سفیان، فقلت: كأنَّ في هذا صَعْفًا، قال: لا، لم يَخْتَلِفَا إلا في قَدْرِ عشرةِ أحاديث)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٥، مقدمة المجروحين، ص ٤٩ - ٥٠، الحلية ٧/٧٣.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٥٦.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/٧٢١، وانظر رواية أخرى من طريق ابن معين في الإرشاد ٢/٥١٠.

(٥) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٥٧٩، وانظر: سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٥٣١.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٠، وانظر رواية أخرى في مقدمة المجروحين، ص ٥٠.

وقال مُسَدَّد بن مُسْرَهْد: سمعت يحيى بن سعيد، قال: (قال لي سفيان بن سعيد: ائتني بكُتُبِكَ أنظرَ فيها، فقلت له: تريدُ أن تصنعَ بي كما صنعتَ بزائدة؟! قال: وما ضَرَّ زائدة؟! قال يحيى: لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ فَعَلْتُ^(١)).

وقال يحيى القَطَّان أيضاً: (مات ابن أبي خالد وأنا بالكوفة، فجلس إلى جَنَبِي سفيان ننتظرُ الجنازة، فقال: يا يحيى، خُذْ حَتَّى أُحَدِّثَكَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بَعَشْرَةَ أَحَادِيثَ، لَمْ تَسْمَعْ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَحَدَّثَنِي بِعَشْرَةٍ، وَكُنْتُ بِمَكَّةَ، وَبِهَا الْأَوْزَاعِيُّ، فَلَقِينِي سفيان الثوري على الصَّفَا، فقال: يا يحيى، خَرَجَ الْأَوْزَاعِيُّ اللَّيْلَةَ؟ قلت: نعم، قال: اجلس، لا تَبْرُخْ حَتَّى أُحَدِّثَكَ عَنْهُ بَعَشْرَةَ لَمْ تَسْمَعْ مِنْهَا بِشَيْءٍ، قلت: وأيُّ شَيْءٍ سَمِعْتُ أَنَا مِنْهُ؟ فلم يَدْعُنِي حَتَّى حَدَّثَنِي بِعَشْرَةِ أَحَادِيثَ، لَمْ أَسْمَعْ مِنْهَا بِوَاحِدٍ^(٢)).

وقال أبو معاوية الضرير: (لقيني سفيان الثوري بعد موت الأعمش، فقال لي: كيف أنت يا محمد؟ كيف حالك؟ ثم قال لي: سمعت من الأعمش كذا؟ قلت: لا، قال: فسمعت منه كذا؟ قلت: لا، فجعل يحدثني بأحاديث كأنه علم أني لم أسمعها)^(٣).

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان، يقول: (لو لم يأتي أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم)^(٤).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٤٧/٧ - ٢٤٨، وانظر مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٠.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٦٠ - ٦١. وأبو معاوية محمد بن خازم لزم الأعمش عشرين سنة، وكان أثبت أصحابه بعد سفيان وشعبة.

(٤) الحلية ٣٦٦/٦، جامع بيان العلم ١٤٢/١. وانظر روايات أخرى في: المحدث الفاضل: رقم ٤١، ٤٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٧٧.

وقال عبد الله بن خُبَيْق: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، قال: (بَعَثَ إبراهيمُ بن أَدَهَمَ إلى سفيان، يجيءُ يحدِّثه، فقبل لإبراهيم: تبعثُ إليه حتى يحدِّثك؟! قال: أردتُ أن أعلمَ تواضعه. قال: فجاء فحدِّثه)^(١).

** قال أيوب بن سُويْد: (ما سألتنا سفيانَ الثوري عن شيء إلا وجدنا عنده أثراً ماضياً، أو أثراً من عالم قبله)^(٢).

وقال محمد بن عُبَيْد الطَّنَافسي: (كنا عند سفيان الثوري، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله، رأيتَ هذا الحديث الذي يروى: «إن الله يُنْغِضُ أهل البيت اللَّحْمِينَ» أهُم الذين يُكْثِرُونَ أَكْلَ اللحم؟ فقال سفيان: لا، هم الذين يُكْثِرُونَ أَكْلَ لحوم الناس)^(٣).

وقال أبو عاصم النبيل: (ربما رأيت سفيان يجذب الرجل من وسط الحلقة، فيحدثه بعشرين حديثاً، والناس قعود. قالوا: لعله كان ضعيفاً؟ قال: لا).

وقال أبو عاصم أيضاً: (رأيتُ سفيان وشعبة وابن عَوْن ومالكاً وابن جَرِيح، يَدْعُو أَحَدَهُم الرجل، فيحدِّثه بأربعمئة حديث، أو أقلّ أو أكثر، وَيَدْعُو أصحابه)^(٤).

وقال عبد الله بن المبارك: (كنت آتي سفيانَ فأسمعُ مع الناس، ثم يقومُ سفيان، فلا أسأله عن شيء، وأتَّبَعُه، فيومئُ إليّ، فَيَمِيلُ إلى بعض

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨٦٠، وهو في الحلية من طريق آخر ٣٦٧/٦.

(٢) الحلية ٣٥٩/٦.

(٣) تاريخ الدوري ٢١٥/٢، ومن طريق آخر بأخصر منه في الحلية ٧٥/٧.

(٤) المحدث الفاصل: رقم ٧٨٥، ٧٨٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٧٣.

المساجد، فینام نومة جيدة، ثم يقوم فيقول لي: أيش عندك؟ فأخرج رقعةً فيها ما بين الخمسين إلى المئة حديث، فيحدّثني. فكان لي هذا منه في كل يوم^(١).

قال محمد بن يوسف الفريابي: (كان سفيان الثوري لا يحدث النَّبْط ولا سُفْل الناس)^(٢).

تصانيفه:

وَعَى سفيانُ علماً غزيراً، وكان عنده ثلاثة عشر قِمَطْرًا من الكُتُب، وهو من السَّبّاقين في التصنيف، ويعتبره البعض أولَ مَنْ رَتَّب الأحاديث ترتيباً موضوعياً، وقد ذَكَر له العلماء عدّة مصنّفات. وكان قد أَوْصَى أن تُحرق كتبه، واستأذنه أحدُ تلامذته أن يأخذ منها قسماً فأذن له، وكان يقرؤها عليه. واهتمَّ جماعة من العلماء بعد سفيان بحديثه فتبعوه وجمعوه.

** قال أبو عُبيد الأجرّي: سمعت أبا داود، يقول: (كان للثوري ثلاثة عشر قِمَطْرًا)^(٣).

وقال نُوْفَل بن مُطَهَّر: (أَوْصَى سفيان إلى عَمّار بن سيف في كُتبه، فقال: ما كان بِجَبْرِ فاغسِلْه، وما كان بَأَنْقَاسٍ فَاغسِلْه. قال: فسَخْنَا الماء، واستعانَ بنا، قال: فأخرج كتباً كثيرة، فجعلنا نمحوها ونغسلُها)^(٤).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٠.

(٢) الحلية ٣٦٩/٦.

(٣) سؤالات الأجرّي: رقم ٣٩٨. والقِمَطْرُ: ما تُصان فيه الكتب. والجمع: قِمَاطِر.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٦. والأَنْقَاسُ: جمع النَّقْس، وهو المِداد يُكْتَب به.

وعن الأَصْمَعِيِّ قال: (أما سفيان الثوري فأوصى أن تُدفن كُتْبُهُ، وكان نَدِمَ على أشياء كَتَبَهَا عن قومٍ، وقال: حَمَلَنِي عليه شهوةُ الحديث) (١).

وقال أبو سعيد الأشجّ: سمعتُ أبا عبد الرحمن الحارثي، يقول: (دَفَنَ سفيانُ بن سعيد كُتْبَهُ، وكنْتُ أَعِينُهُ عليها، فدَفَنَ منها كذا وكذا قِمْطَرَةً إلى صَدْرِي، فقلتُ: يا أبا عبد الله، «وفي الرِّكَازِ الخُمْسُ» قال لي: خُذْ ما شئتَ، فعزلتُ منها شيئاً، كان يحدثُنِي منه) (٢).

** قال ابن التّديم في ترجمة سفيان: (له من الكُتُب: كتاب الجامع الكبير، يَجْرِي مجرى الحديث، رواه عنه جماعة. كتاب الجامع الصغير، ورواه جماعة. كتاب الفرائض. كتاب رسالة إلى عَبَّاد بن عَبَّاد الأَرَسُوفِيِّ) (٣).

ونقل كلامه مختصراً البغدادي في «هدية العارفين» (٤).

وذكر كتاب «الجامع» لسفيان: الإمامُ أحمد في «العلل»، والذهبي في «السير»، والكتّاني في «الرسالة المستطرفة» (٥).

وذكر الخَلِيلِيُّ كتاب «الجامع الصغير» لسفيان، وأن هارون بن هَزَارِي القَزْوِينِيَّ سمعه من عبد العزيز بن أبي عثمان (٦).

(١) الحلية ٣٨/٧، ٦٤.

(٢) الحلية ٦٤/٧، وبأطول منه في: مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٥، وتاريخ بغداد ١٦١/٩. قوله: (إلى صدري): أي ارتفاع القمطرة إلى صدره. والقِمْطَرَةُ بمعنى القِمْطَر. قوله: «وفي الرِكَازِ الخمس»: جملة مقتبسة من حديث أخرجه البخاري (١٤٩٩) ومسلم (٧١٠) وغيرهما. ويعني بذلك أن يجعل له سفيان من كتبه التي يدفنها خمسةا، ففعل.

(٣) الفهرست، ص ٣١٥ باختصار.

(٤) هدية العارفين ٣٨٧/١.

(٥) العلل برواية عبد الله: رقم ٣٦٠٥، سير أعلام النبلاء ٢٣٠/٧، الرسالة المستطرفة، ص ٤١.

(٦) الإرشاد ٧٠٤/٢. وانظر ترجمة عبد العزيز في الجرح والتعديل ٣٨٩/٥.



وقد ذكر الذهبي أيضاً «تفسير سفيان الثوري»، وأشار فؤاد سزكين إلى عدة تصانيف لسفيان، وذكر منها: «التفسير» و«الاعتقاد»^(١).

** وقد جمع «حديث سفيان الثوري» الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن محمد البجيرِّي النَّيسابوريُّ شيخ أبي عبد الله الحاكم^(٢).

وجمع «حديث الثوري» أيضاً الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البرقاني^(٣).

منزلته الرفيعة، وثناء الأئمة عليه، وأقوالهم في علمه:

سفيان إمام جليل، عَلَا ذِكْرُهُ، وذاع صِيْتُهُ، واشتَهَرَ في الأُمَّة، وشاعَ الثناءُ عليه، وسارت الرُّكبانُ بمناقبه، وأجمع المتقدمون والمتأخرون على رِفْعَةِ محلِّه وجلالةِ قدره، وأطابَ الثناءُ عليه أشياخه ومعاصروه وأقرانه وتلاميذه ومن بعدهم من أئمة الإسلام، وهو حقيقٌ بكلِّ إطرأ ومديح، فلقد كان إماماً في العلم والزهد والورع والنُّصح للأُمَّة ونشرِ السُّنَّة والفِقه فيها، وإليه المُنْتَهَى في الحفظ والإتقان، قلَّ أن ترى العيون مثله.

** ١ - قال عبد الرحمن بن مهدي: (رأى أبو إسحاق السَّبيعيُّ سفيانَ الثوريَّ مُقبِلاً، فقال: ﴿وَأَيَّتَنَّهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مریم: ١٢]^(٤).

٢ - روى يحيى بن الضَّرَّيس، عن سفيان قال: (أتاني عاصم بن بهدلة في حاجة، فقلت له: أَلَا تَبْعُثُ إِلَيَّ فَاتِيكَ؟! قال: في بيته يُؤْتَى الحَكَمَ)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٥٩٨/١٧ تاريخ التراث العربي: المجلد الأول، ٢٤٨/٣.

(٢) الإرشاد ٨٥٣/٣، سير أعلام النبلاء ١٦٧/١٧.

(٣) تاريخ بغداد ٣٧٤/٤، سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٧.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٨٣، وانظر، ص ٨٤.

٣ - قال عبد الله بن شوذب: سمعت أيوب السخيتاني، يقول: (ما قديم علينا من الكوفة أفضل من سفیان الثوري)^(١).

وقال عبد الله بن شوذب: سمعت صهراً لأيوب، يقول: قال أيوب: (ما لقيت كوفياً أفضله على سفیان)^(٢).

٤ - قال البراء بن رستم البصري: سمعت يونس بن عبيد، يقول: (ما رأيت أفضل من سفیان الثوري. فقال له رجل: يا أبا عبد الله، رأيت سعيد بن جبير، وإبراهيم، وعطاء، ومجاهداً، وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل من سفیان الثوري)^(٣).

فهؤلاء الأربعة من شيوخ سفیان.

** ٥ - قال أبو يحيى الجماني: سمعت أبا حنيفة، يقول: (لو كان سفیان الثوري في التابعين، لكان فيهم له شأن).

وقال محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة: سمعت أبي، يقول: (جاء رجل إلى أبي حنيفة، فقال: ألا ترى ما روى سفیان؟! فقال أبو حنيفة: أتأمرني أن أقول: إن سفیان يكذب في الحديث؟! لو أن سفیان كان في عهد إبراهيم، لاحتاج الناس إليه في الحديث)^(٤).

٦ - قال عبد الرزاق: سمعت الأوزاعي، يقول: (لو قيل لي: اختر رجلاً يقوم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لاخترت لهما الثوري)^(٥).

(١) الحلية ٣٦٠/٦.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٥/٣، تاريخ بغداد ١٥٥/٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٥٥/٩، وانظر: المعرفة والتاريخ ٧٢٦/١.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٩/٩، وإبراهيم هو النخعي.

(٥) الحلية ٣٥٨/٦، وانظر رواية أخرى في تاريخ بغداد ١٦٢/٩.

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيهقي - قراءة عليه - قال: أخبرني أبي: (عن الأوزاعي أنه ذكر العلماء وذهابهم، فقال: لم يبق منهم رجلٌ واحدٌ يجتمع عليه العامة بالرضا والصحة، إلا ما كان من رجلٍ واحدٍ بالكوفة - قال العباس: يعني الثوري-) (١).

٧ - قال ابن إدريس: قال لي ابن أبي ذئب: (ما رأيت رجلاً من أهل العراق يُشبهه ثوريكم هذا) (٢).

وروى أبو داود الحفري، عن ابن أبي ذئب قال: (ما رأيت رجلاً أشبهه بالتابعين من سفیان الثوري) (٣).

وقال أحمد بن حنبل: (قيل لمالك: إن سفیان يُفتي، قال: أو يفعل! فبلغ قول مالك ابن أبي ذئب، فقال: ماله وله؟! والله ما قدم علينا مشرقياً قط خيراً منه) (٤).

٨ - قال يعقوب بن إسحاق الحضرمي: سمعت شعبة، يقول: (سفیان أمير المؤمنين في الحديث) (٥).

وروى وكيع، عن شعبة قال: (سفیان أحفظ مني) (٦).

(١) الجرح والتعديل ٢٢٢/٤، وبأطول منه في تقدمته، ص ٥٥ - ٥٦.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٩.

(٣) ثقات العجلي، ص ١٩١.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١١٩٥، المعرفة والتاريخ ٧٢٢/١ واللفظ له، مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٠١. وأهل المدينة يُسئون الكوفي مشرقياً.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٨، ١٢٨، مقدمة الكامل ٨١، الحلية ٣٥٦/٦، تاريخ بغداد ١٦٤/٩.

(٦) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٠٢، سؤالات الأجرى: رقم ٥٦١.



وقال أبو قَطَنَ عَمْرُو بن الهيثم: قال لي شعبة: (يا أبا قَطَنَ، إِنَّ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ سَادَ النَّاسِ فِي الْوَرَعِ وَالْعِلْمِ)^(١).

٩ - قال أحمد بن عبد الله بن يونس: (ذكر سفيان الثوري عند زائدة، فقال: ذاك أعلم الناس في أنفسنا)^(٢).

وقال زائدة بن قدامة أيضاً: (ما رأيتُ مثلَ سفيان الثوري قط)^(٣).

وهؤلاء الأئمة الخمسة معاصرون وأقران لسفيان، وقد روى الثوري عن ابن أبي ذئب، وروى زائدة عن سفيان.

** ١٠ - قال الهيثم بن جميل: سمعت شريك بن عبد الله النخعي، يقول: (إن الله تعالى لا يدع الأرض من حجة تكون لله على عباده، يقول: ما منعكم أن تكونوا مثل فلان؟! قال شريك: ونرى أن سفيان الثوري منهم)^(٤).

١١ - قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سمعت أبي، قال: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري)^(٥).

وقال ابن المبارك: (ما رأيتُ مثلَ سفيان، كأنه خلق لهذا الشأن)^(٦).
يعني الحديث.

(١) المعرفة والتاريخ ١/٧٢٨، تاريخ بغداد ٩/١٦٢.

(٢) الجرح والتعديل ٤/٢٢٣، تقدمته، ص ٥٥، تاريخ بغداد ٩/١٦٣.

(٣) تاريخ بغداد ٩/١٥٧.

(٤) الحلية ٦/٣٦٠.

(٥) التاريخ الكبير ٤/٩٢، مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٦، الحلية ٦/٣٥٧.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٦.

وقال ابن المبارك أيضاً: (كتبْتُ عن ألفٍ ومئةٍ شيخٍ، ما كتبْتُ عن أفضلَ من سفيان الثوري) (١).

وقال إبراهيم بن محمد الشافعي: (قلت لعبد الله بن المبارك: رأيتَ مثلَ سفيان الثوري؟ فقال: وهل رأى سفيانَ الثوري مثلَ نفسه؟) (٢).

١٢ - قال المُعافى بن عِمْران: (لقد مَنَّ اللهُ على أهلِ الإسلامِ بسفيانَ الثوري) (٣).

١٣ - قال علي بن مَعْبُد: (سُئِلَ عيسى بن يونس: هل رأيتَ مثلَ سفيان الثوري؟

فقال عيسى بن يونس: ولا رأى سفيانُ مثله) (٤).

١٤ - قال محمد بن زُنْبُور: سمعتُ فضيلَ بن عياض، يقول: (إنَّ هؤلاءَ أُشْرِبَتْ قلوبُهُم حُبَّ أبي حنيفة، وأفرطوا فيه حتى لا يرون أن أحداً كان أعلمَ منه، كما أفرطتِ الشَّيعة في حُبِّ عليٍّ، وكان - والله - سفيانُ أعلمَ منه) (٥).

١٥ - قال أحمد بن عِمْران الأَخْنَسِي: سمعتَ يحيى بن يمان، يقول: (ما رأينا مثلَ سفيان، ولا رأى سفيانُ مثله، كان سفيانُ في الحديثِ أميرَ المؤمنين) (٦).

(١) مقدمة الكامل، ص ٨٣، تاريخ بغداد ١٥٦/٩.

(٢) الحلبة ٣٥٨/٦.

(٣) الحلبة ٣٦٠/٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٥٦/٩.

(٥) الحلبة ٣٥٨/٦.

(٦) تقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٩، وانظر رواية أخرى في: مقدمة الكامل ٨١، الإرشاد ٥٦٦/٢.

١٦ - قال أحمد بن حميد الطَّرِيثِيُّ: سمعت عبد الله بن إدريس، يقول: (ما رأيت بالكوفة أحداً أَوْدُ أني في مِسْلَاحِهِ إلا سفيان الثوري)^(١).

١٧ - قال محمد بن عبد الله بن نمير: حدثنا وكيع، قال: (حدثنا سفيان أمير المؤمنين في الحديث)^(٢).

وقال أحمد بن سنان الواسِطِيُّ: (سمعت وكيعاً وحدث عن شعبة عن الحَكَمِ وحمّاد في باب، ثم قال: أيما أفقه عندكم: الحَكَمِ وحمّاد أو سفيان؟ فسكت الناس فلم يُجِبْهُ أحدٌ، فقال: كان سفيان بحراً)^(٣).

١٨ - قال شعيب بن حَزْب: (إني لأَحْسَبُ يُجَاءُ بسفيان الثوري يوم القيامة حجّةً من الله على هذا الخلق، يُقال لهم: لم تُدْرِكُوا نبيّكم، فقد رأيتُم سفيان، ألا اقتديتُم به؟)^(٤).

١٩ - قال نعيم بن حمّاد: سمعتُ عبد الله بن وَهْب، يقول: (ما رأيتُ مثلَ سفيان الثوري)^(٥).

٢٠ - قال محمد بن يوسف الفَرِيَابِيُّ: (سألتُ ابنَ عُيَيْنَةَ عن مسألة، فأجابني فيها، فقلتُ: خالفك فيها الثوري، فقال: لا ترى بعينك مثلَ سفيان أبداً)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٧ - ٥٨، الحلية ٦/٧. قوله (أَوْدُ أني في مِسْلَاحِهِ): أي يتمنى أن يكون في مثل هديه وطريقته.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٢٨١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٥٨/٩ وفيه (تذكروا) بدل (تدركوا)، وما أثبتته من سير أعلام النبلاء ٢٣٩/٧.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٧.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٨، تاريخ بغداد ١٥٥/٩ - ١٥٦، وانظر ١٥٤.

وعن بشر بن الحارث وعبد الله بن المبارك، أنهما سَمِعَا سفيانَ بن عُيينة يقول: (سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث)^(١).

وقال ابن عُيينة: (ما رأيتُ رجلاً أعلمَ بالحلال والحرام من سفيان الثوري)^(٢).

وقال الحسن بن قُتيبة: (قال سفيانُ الثوري لسفيان بن عُيينة: مالك لا تُحدِّث؟ قال: أمّا وأنتَ حيٌّ، فلا)^(٣).

وقال ابن عُيينة: (ما رأيتُ أحداً أفضلَ من سفيان، ولا رأيتُ سفيانُ مثلاً لنفسه)^(٤).

وقال أيضاً: (قد أتيتُ الحجاز، واليمن، والشام، وجالستُ الناس، لا والله ما رأيتُ أحداً قطُّ، أبصرَ ولا أعلمُ بالحديث، من سفيان بن سعيد الثوري)^(٥).

٢١ - قال إسحاق بن راهويته: (سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي ذكر سفيانَ وشعبةَ ومالكاً وابنَ المبارك، فقال: أعلمُهم بالعلم سفيان)^(٦).
وقال ابن مهدي: (ما رأيتُ أعقلَ من مالك، ولا رأيتُ أعلمَ من سفيان)^(٧).

(١) مقدمة الكامل، ص ٨١، وفي تاريخ بغداد ١٦٤/٩ من طريق بشر.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٣/٤، تقدمته ٥٥.

(٣) مقدمة الكامل، ص ٨٥، المحدث الفاضل: رقم ٢٨٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٠٥.

(٤) الحلبة ٣٥٧/٦.

(٥) مقدمة الكامل، ص ٨٥.

(٦) الحلبة ٣٦٠/٦.

(٧) الحلبة ٣٥٩/٦.

وقال ابن مهدي أيضاً: (أئمة الناس في زمانهم أربعة: حمّاد بن زيد بالبصرة، وسفيان بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام - يعني في الحديث والعلم-) (١).

٢٢ - قال علي بن المديني: (سألت يحيى بن سعيد، قلت: أيما أحب إليك رأيي مالك أو رأيي سفيان؟ قال: سفيان، لا نشك في هذا. ثم قال يحيى: وسفيان فوق مالك في كل شيء) (٢).

وقال يحيى بن سعيد القَطَّان: (ما رأيت أحداً خيراً من سفيان وخالد بن الحارث) (٣).

وقال يحيى القَطَّان أيضاً: (شعبة معلّم، وسفيان أحب إليّ منه) (٤).

٢٣ - قال أبو أسامة حمّاد بن أسامة: (من أخبرك أنه نظر بعينه إلى مثل سفيان الثوري، فلا تُصدِّقه) (٥).

٢٤ - قال محمد بن يحيى الأزدي: سمعت عبد الله بن داود الخريبي، يقول: (ما رأيت محدثاً أفضل من سفيان الثوري) (٦).

٢٥ - قال بشر بن الحارث الحافي: (كان سفيان الثوري عندي إمام الناس) (٧).

(١) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥٠/٥، مقدمة الجرح والتعديل ١١٨/١، ٢٠٣، ٢٢/٢، مقدمة المجروحين ٤٤، الحلية ٣٥٦/٦، وألفاظهم متقاربة.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٧، تاريخ بغداد ١٦٤/٩.

(٣) المعرفة والتاريخ ١٦/٣، تاريخ بغداد ١٥٦/٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٦/٩.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٥٨، الحلية ٣٥٩/٦.

(٦) الحلية ٣٥٩/٦.

(٧) الحلية ٣٥٧/٦.

٢٦ - قال أحمد بن عبد الله بن يونس: (ما رأيتُ أحداً أعلمَ من سفيان، ولا أَوْرَعَ من سفيان، ولا أفقَه من سفيان، ولا أزهدَ من سفيان)^(١).

فهؤلاء سبعة عشر نفساً، كلهم من تلاميذ سفيان، قد رووا عنه وسمعوا منه، وفيهم جماعة من أكابر تلامذته، ومن أركان الحديث.

** ٢٧ - قال الحافظ ابن سعد: (وكان ثقةً، مأموناً، ثبتاً، كثيرَ الحديث، حُجَّةً)^(٢).

٢٨ - عن حنبل بن إسحاق وابن أبي خيثمة، أنهما سمعا يحيى بن معين يقول: (سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث)^(٣).

وقال ابن معين: (أصحابُ الحديث خمسةٌ: مالك، وابن جريج، وسفيان، وشعبة، وعفان)^(٤).

وقال عبّاس الدُّورِيُّ: (رأيت يحيى بن معين لا يُقدِّم على سفيان الثوري في زمانه أحداً، في الفقه والحديث والزهد وكلِّ شيء)^(٥).

٢٩ - قال أبو بكر المرُوذِيّ: (سمعت أبا عبد الله، وذكر سفيان الثوري، فقال: ما يتقدّمه في قلبي أحدٌ. ثم قال: تدري من الإمام سفيان الثوري)^(٦).

(١) الحلية ٣٥٩/٦، وبنحوه في تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٥٧٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧١/٦.

(٣) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تاريخ بغداد ١٦٥/٩.

(٤) المعرفة والتاريخ ٤٧٢/٣.

(٥) تاريخ الدوري ٢١١/٢، وبنحوه في الجرح والتعديل ٢٢٤/٤، ٢٢٥.

(٦) تاريخ بغداد ١٧٠/٩. وأبو عبد الله هو أحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن حنبل: (حفاظ الحديث والتمثبتون في الحديث أربعة: سفیان الثوري، وشعبة، وزهير، وزائدة)^(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: (مالك بن أنس، وزائدة، وزهير، والثوري، وشعبة: هؤلاء أئمة)^(٢).

٣٠ - قال أحمد بن عبد الله العجلي في ترجمة سفیان: (ثقة، كوفي، رجل صالح، زاهد، عابد، ثبت في الحديث). وقال أيضاً: (وكان ثقة، ثبتاً في الحديث، زاهداً، فقيهاً، صاحب سنة واتباع)^(٣).

٣١ - وقال أبو حاتم الرازي: (سفیان فقيه حافظ زاهد، إمام أهل العراق وأتقن أصحاب أبي إسحاق، وهو أحفظ من شعبة، وإذا اختلف الثوري وشعبة فالثوري)^(٤).

٣٢ - وقال يعقوب بن سفیان الفسوي: (ومالك والثوري وابن عيينة إليهم تنتهي الإمامة في العلم والإتقان والحفظ)^(٥).

٣٣ - وقال عثمان بن سعيد الدارمي: (من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة، فهو مفلس في الحديث: سفیان، وشعبة، ومالك، وحماد بن زيد، وابن عيينة، وهم أصول الدين)^(٦).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٨٥٥، وانظر: العلل برواية المروزي: رقم ٢٩٩، وسؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٠٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٧٧. وزائدة هو ابن قدامة، وزهير هو ابن معاوية الجعفي.

(٣) ثقات العجلي، ص ١٩٠، ١٩٢.

(٤) الجرح والتعديل ٢٢٥/٤، تقدمته ٦٦.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣٤٧/١، ٤٧٢/٣، وفي ٣٤٧/١: (الأمانة) بدل (الإمامة).

(٦) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٧٨. وانظر تعليق الذهبي على هذا القول في السير ٣٢٣/١٣.

٣٤ - قال الحافظ عبد المؤمن بن خَلْف النَّسْفِي: سألت أبا علي صالح بن محمد - جَزْرَةَ - عن سفيان الثوري ومالك؟ فقال: (سفيان ليس يَتَقَدَّمُهُ عندي في الدنيا أحدٌ، وهو أَحْفَظُ وأكثرُ حديثاً، ولكن كان مالك يَنْتَقِي الرُّجَال، وسفيان يروي عن كلِّ أحدٍ)^(١).

٣٥ - وقال النَّسَائِي: (هو أَجَلُّ من أن يُقال فيه: ثقةٌ، وهو أحدُ الأئمة الذين أرجو أن يكون الله مَمَّنَّ جَعَلَهُ لِلْمُتَّقِينَ إماماً)^(٢).

** ٣٦ - قال الإمام الطَّبْرِي: (وكان فقيهاً، عالماً، عابداً، ورِعاً، ناسِكاً، راويةً للحديث، كثيرَ الحديث، ثقةً، أميناً على ما روى وحَدَّث عن رسولِ الله ﷺ وغيرِهِ مَمَّنَّ أَثَرُ فِي الدِّينِ)^(٣).

٣٧ - وأثنى عليه ابن حِبَّان فقال: (وكان رحمةً الله عليه من الحفاظ المُتَّقِينَ، والفقهاء في الدِّين، مَمَّنَّ لَزِمَ الحديثَ والفقهِ، ووَاطَبَ على الوَرَعِ والعبادة، ولم يُيَالِ بما فاتهُ من حُطَامِ هذه الفانية الزائلة، مع سلامة دينه له، حتى صار عَلماً يُزَجَّع إليه في الأمصار، وملجأً يُقتدى به في الأقطار)^(٤).

٣٨ - وقال الخطيب البغدادي: (وكان إماماً من أئمة المسلمين، وعَلماً من أعلام الدِّين، مُجَمَّعاً على إمامته بحيث يُستغنى عن تزكيتِهِ، مع الإِتقانِ، والحفظِ، والمعرفةِ، والضبطِ، والورعِ، والزهدِ)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ١٧٠/٩ - ١٧١.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠١/٤.

(٣) المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٥٧.

(٤) مشاهير علماء الأمصار ٢٦٨، وانظر الثقات ٤٠٢/٦.

(٥) تاريخ بغداد ١٥٢/٩.

٣٩ - وقال ابن الجَوْزِي: (وكان من كبار أئمة المسلمين، لا يُخْتَلَفُ في إمامته وأمانته وحفظه وعلمه وزهده)^(١).

٤٠ - وقال ابن الصَّلَاح: (شعبَةٌ وسفِيانٌ هما جَبَلانٌ لهما من الحفظ والإتقان الدرجة العالية)^(٢).

٤١ - وقال الإمام النووي: (الإمام الجامع لأنواع المَحَاسِن... اتفق العلماء على وَضْفِهِ بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن)^(٣).

٤٢ - وَصَدَّرَ الذهبيُّ ترجمته في «السير» بقوله: (هو شيخُ الإسلام، إمامُ الحَفَاطِ، سيّدُ العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوريُّ الكوفيُّ المجتهد، مصنّف كتاب «الجامع»).

وقال في «تاريخه»: (هذا الرجلُ وأمثالُه، ما جَعَلَ اللهُ لهم هذه الجلالة في القلوب سُدىً، فَحُبُّ سفِيانٍ من الإيمان)^(٤).

٤٣ - وقال ابن رَجَبِ الحَنَبَلِي: (أحدُ الأئمة المجتهدين، والعلماء الربانيّين، الحَفَاطِ المُبَرِّزين)^(٥).

٤٤ - وقال الحافظ: (ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حُجَّة، وكان ربِّما دلّس)^(٦).

(١) المنتظم ٢٥٣/٨.

(٢) علوم الحديث، ص ٧٢ (النوع الحادي عشر).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٢/١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣٠/٧، تاريخ الإسلام ٢٤٠.

(٥) شرح علل الترمذي ٤٥٢/١.

(٦) تقريب التهذيب ٣١١/١.

من أخباره الشخصية:

جده مسروق:

قال أبو نعيم الفضل بن دكين: (حدّثنا سفيان، عن أبيه سعيد بن مسروق بن حمزة الثوري، ومسروق شهد الجمل مع عليّ رضي الله عنه)^(١).

أبوه سعيد بن مسروق الثوري:

روى عن: إبراهيم التيمي، وسلّمة بن كهيل، وعامر الشعبي، وعكرمة مولى ابن عباس، وطائفة.

وحدّث عنه: أولاده سفيان وعمر والمبارك، وزائدة بن قدامة، والأعمش، وشعبة، وجماعة.

وحديثه في الكتب الستة^(٢).

أخوه حبيب بن سعيد:

ذكره ابن جبان في ترجمة سفيان في «الثقات»^(٣).

أخوه عمر بن سعيد:

روى عن: أبيه سعيد بن مسروق، وأشعث بن أبي الشعثاء، والأعمش، وآخرين.

وحدث عنه: ابنه حفص بن عمر، وأخوه مبارك بن سعيد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم.

(١) المعرفة والتاريخ ٨٧/٣، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧.

(٢) تهذيب الكمال ٦٠/١١ ت ٢٣٥٥.

(٣) الثقات ٤٠١/٦.



أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي^(١).

أخوه مبارك بن سعيد:

روى عن: أبيه سعيد بن مسروق، وأخويه سفيان وعمر، والأعمش، وعاصم بن بهذلة، وطائفة.

وحدّث عنه: الحسن بن عرفة، وعبد الله بن صالح العجلبي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويحيى بن معين، وجماعة.

أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي في «اليوم والليلة»^(٢).

ابن أخته سيف بن محمد الثوري:

روى عن: خاله سفيان، والأعمش، وعاصم الأخول، وليث بن أبي سليم، وغيرهم.

وحدّث عنه: الحسن بن عرفة، وسليمان بن عبيد الله الرقي، ومحمود بن خدّاش، وآخرون.

وهو متّهم، كذّبه غير واحد من الأئمة. روى له الترمذي حديثاً واحداً^(٣).

ابن أخته عمار بن محمد الثوري:

روى عن: خاله سفيان، والأعمش، وعطاء بن السائب، وليث بن أبي سليم، وآخرين.

(١) تهذيب الكمال ٣٦٦/٢١ ت ٤٢٤٣.

(٢) تهذيب الكمال ١٧٨/٢٧ ت ٥٧٦٥.

(٣) تهذيب الكمال ٣٢٨/١٢ ت ٢٦٧٨.

وحدّث عنه: أحمد بن حنبل، والحسن بن عرفة، وعمرو بن محمد الناقد، وجماعة.

أخرج له مسلم والترمذي وابن ماجه. وثقه غير واحد من الأئمة^(١). وهو أخو سيف بن محمد.

تركة سفيان وموت ابنه في حياته:

قال ابن سعد: (كان ما بيدي سفيان نحواً من مئتي دينار، وكان له ابنٌ لم يكن غيره، فكان سفيان يقول: ما في الدنيا شيء أحبّ إليّ منه، وإنّي لأحِبُّ أن أقدمه، فمات ابنه ذاك، فجعل كلّ شيء له بعد موت ابنه لأخته وولدها، وكان عمّار بن محمد ابن أخته، ولم يُورث أخاه المبارك بن سعيد شيئاً)^(٢).

مولده ووفاته وعمره:

مولده:

- قال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود، يقول: (سفيان الثوري وُلد بقزوين)^(٣). وقال يحيى بن معين: (وُلد بخراسان)^(٤).

قلت: قزوين مدينة مشهورة تقع على نحو مئة ميل شمال غربي طهران، وخراسان هو إقليم واسع مقسّم اليوم بين إيران وأفغانستان، فالقولان متقاربان، فقزوين في خراسان.

(١) تهذيب الكمال ٢٠٤/٢١ ت ٤١٧٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٦، وانظر: المعارف ٤٩٨، الحلية ٧٥/٧، سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧، ٢٦٨.

(٣) سؤالات الآجري: رقم ٥٠٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧.

- قال أبو داود: وُلد سفيان سنة خمس وتسعين^(١). وكذا قال ابن جِبَّان^(٢).

وقيل: وُلد سنة ست وتسعين^(٣).

وقال الواقدي: أخبرني سفيان أنه وُلد سنة سبع وتسعين^(٤). وكذا قال

بأنه وُلد سنة سبع وتسعين: وكيع وابن سعد وابن معين وأحمد بن حنبل^(٥).

وهذا هو الصحيح، ويؤيده ما رواه موسى بن داود قال سمعت سفيان

الثوري يقول سنة ثمان وخمسين ومئة: لي إحدى وستون سنة^(٦).

وفاته:

- قال يحيى القَطَّان، وأبو نُعَيْم، وأحمد بن يونس، وأبو الوليد

الطَّيَالِسِيُّ، ويحيى بن مَعِين، وآخرون: مات الثوري سنة إحدى وستين

ومئة. زاد القطان: في أولها^(٧).

قال ابن سعد: (وأجمعوا لنا على أنه توفي بالبصرة، وهو مستخفٍ،

في شعبان سنة إحدى وستين ومئة، في خلافة المهدي)^(٨).

(١) سؤالات الأجرى: رقم ١٢٠، ٢٧٠.

(٢) مشاهير علماء الأمصار، ٢٦٨، الثقات ٤٠٢/٦.

(٣) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ٩٤.

(٤) المعارف، ص ٤٩٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٣٧١/٦، المعرفة والتاريخ ١٤٩/١، ١٥٠، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٩٥،

تاريخ بغداد ١٧٢/٩.

(٦) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٤٦، التاريخ الكبير ٩٢/٤ - ٩٣، التاريخ الأوسط ٢٧١/١، ٢٧٤/٢.

(٧) تاريخ الدوري ٢١٣/٢، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٢٦١٩، التاريخ الكبير ٩٢/٤، المعرفة

والتاريخ ١٤٩/١، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٢٩٨، ٢٩٩، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم،

ص ١٥٨، ١٥٩، تاريخ بغداد ١٧٢/٩.

(٨) طبقات ابن سعد ٣٧١/٦.

وقال ابن الصَّلَاح: (مات بلا خلاف بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة)^(١).

- قلت: لكن قال خليفة بن خياط: مات سنة اثنتين وستين ومئة^(٢).
ووهمه الذهبي، والحق معه، فالقول الأول هو الصحيح، ومن القائلين به ثلاثة من تلاميذ سفيان.

عمره:

توفي سفيان عن أربع وستين سنة، قاله وكيع والواقدي وغيرهما، وقيل غير ذلك، وما أثبتناه هو الصواب، بالنظر إلى القول الصحيح في مولده ووفاته.

وكانت وفاته بالبصرة.

يوم وفاته، والصلاة عليه، وجنازته:

قال عبد الرحمن بن مهدي: (كان سفيان يتمنى الموت، فقلت له في ذلك، قال: أحبُّ أن أموت على السلامة من هؤلاء. قال: فلما مَرَضَ إذا هو قد كره ما كان يتمنى. قال: فكان يقول لي: كيف تراني اليوم؟ فأقول: صالحاً. فلما كان اليوم الذي مات فيه، ذهبت لأخرج لصلاة العصر، فقال: تدعني على هذه الحال وتخرج، قال: فصلَّيتُ عند رأسه، فقال لي: اقرأ عليَّ ﴿يَسَّ﴾ فإنه يُقال: تخفف عن المريض، قال: فقرأت عليه، فما فرغت حتى طَفَيْتُ)^(٣).

(١) علوم الحديث، ص ٣٨٤.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٤٣٧، طبقاته، ص ١٦٨.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/٧٢٣ - ٧٢٤.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: (ليلة مات سفيان، توضع تلك الليلة للصلاة ستين مرة، فلما كان وجه السَّحَرِ قال لي: يا بن مهدي، ضَعْ خَدِّي بِالْأَرْضِ فَإِنِّي مَيِّتٌ، يا بن مهدي ما أَشَدَّ المَوْتَ! ما أَشَدَّ كَرَبَ المَوْتَ!! قال: فخرجتُ لأُعَلِّمَ حماد بن زيد وأصحابه، فإذا هم قد استقبلوني فقالوا: آجَزَكَ اللهُ، فقلت: من أينَ عَلِمْتُمْ ذلك؟ فقالوا: إنه ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَتَى البَارِحَةَ فِي مَنَامِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا إِنَّ سَفْيَانَ الثُّورِيَّ قَدْ مَاتَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١)).

قال ابن سعد: (حُمِّ سَفْيَانٌ وَمَرِيضٌ مَرَضًا شَدِيدًا، وَحَضَرَهُ المَوْتُ، فَجَزَعُ، فَقَالَ لَهُ مَرْحُومُ بِنِ عَبْدِ العَزِيزِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا هَذَا الجَزَعُ؟ إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى الرَّبِّ الَّذِي كُنْتَ تَعْبُدُهُ، فَسَكُنْ وَهَدَأْ، وَقَالَ: انظُرُوا مَنْ هَاهُنَا مِنْ أَصْحَابِنَا الكُوفِيِّينَ. فَأَرْسَلُوا إِلَى عَبَّادَانَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ بِنِ أَبِي بَكْرٍ بِنِ عِيَّاشِ، فَأَوْصَى إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَصِلِي عَلَيْهِ. فَأَقَامَا عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ، فَأُخْرِجَ بِجِنَازَتِهِ عَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ فَجَاءَتْ، وَسَمِعُوا بِمَوْتِهِ، وَشَهِدَهُ الخَلْقُ. وَصَلِيَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، رَضِيَهُ سَفْيَانٌ لِنَفْسِهِ - وَنَزَلَ فِي حَفْرَتِهِ، وَنَزَلَ مَعَهُ خَالِدُ بِنِ الحَارِثِ، وَغَيْرُهُمَا، وَدَفَنُوهُ. ثُمَّ انصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ وَالحَسَنُ بِنِ عِيَّاشِ إِلَى الكُوفَةِ، فَأَخْبَرَا أَهْلَهَا بِمَوْتِ سَفْيَانِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)).

(١) صفة الصفوة ١٥٠/٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧٣/٦ - ٣٧٤. وَعَبَّادَانَ: كَانَتْ مِنْ قَرَى العِرَاقِ، فِي حُدُودِ الجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، عَلَى سَاحِلِ الخَلِيجِ، عِنْدَ مَصَبِ نَهْرِ دِجْلَةَ، ثُمَّ انْحَسَرَ عَنْهَا البَحْرُ نَحْوَ عَشْرِينَ مِيلاً، وَهِيَ اليَوْمَ مِينَاءُ إِيْرَانِي هَامَ.

وعن ابن أبي جَر قال: (لَمَّا حَضَرْتُ سَفِيَانَ الْوَفَاءَةَ قَالَ: يَا بَنَ أَبَجَرَ، قَدْ نَزَلَ بِي مَا قَدْ تَرَى، فَانظُرْ مَنْ يَحْضُرُنِي. فَأَتَيْتُهُ بِقَوْمٍ فِيهِمْ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَكَانَ حَمَادٌ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى رَأْسِهِ، قَالَ: فَتَنَفَّسَ سَفِيَانُ، فَقَالَ لَهُ حَمَادُ: أَبْشِرْ، فَقَدْ نَجَوْتَ مِمَّا كُنْتَ تَخَافُ، وَتَقَدَّمَ عَلَى رَبِّ كَرِيمٍ، قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، أَتَرَى اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِمِثْلِي؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. قَالَ: فَكَأَنَّمَا سُرِّيَ عَنْهُ) (١).

وقال عَمْرُو بْنُ الْعَبَّاسِ الْبَاهِلِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: (لَمَّا أَنْ مَاتَ سَفِيَانُ أَخْرَجَنَاهُ بِاللَّيْلِ، مِنْ أَجْلِ السُّلْطَانِ، فَحَمَلْنَاهُ بِاللَّيْلِ، فَمَا أَنْكَرْنَا اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ) (٢).

رؤى وبشائر (٣):

قال عبد الرحمن بن مهدي: (رَأَيْتُ سَفِيَانَ الثُّورِيَّ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ وُضِعْتُ فِي اللَّحْدِ، حَتَّى وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ، فَحَاسَبَنِي حَسَاباً يَسِيرًا، ثُمَّ أَمَرَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ، فَبَيْنَا أَنَا أَدُورُ بَيْنَ أَشْجَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَلَا أَسْمَعُ حَسًّا وَلَا حَرَكَةً، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: سَفِيَانَ بْنَ سَعِيدٍ، تَحْفَظُ أَنْكَ آثَرْتَ اللَّهَ عَلَى هَوَاكَ يَوْمًا؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ. فَأَخَذْتَنِي صَوَانِي النَّارِ مِنْ جَمِيعِ الْجَنَّةِ) (٤).

(١) صفة الصفوة ١٥١/٣.

(٢) الحلية ٣٧١/٦، ٧٥/٧.

(٣) أوردت هنا طرفاً منها، وانظر مزيداً من ذلك في: مقدمة الجرح والتعديل، ص ١١٩ - ١٢٢،

الحلية ٣٥٦/٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤ - ٣٨٥، تاريخ بغداد ١٧٣/٩ - ١٧٤.

(٤) صفة الصفوة ١٥١/٣. والنثار. ما نثر في حفلات الشُرور من حلوى أو نقود.

وقال أبو حاتم الرّازيُّ: سمعت قبيصة بن عُقبة، يقول: (رأيتُ سفیانَ الثوري في النوم، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ فقال:

نظرتُ إلى ربِّي كِفاحاً فقال لي هَنِيئاً رضائي عنك يا بنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّاماً إذا أُقْبِلَ الدُّجَى بَعْبُرَةَ مُشْتاقٍ وقلبِ عَميدِ
فَدُونِكَ فَاخْتَرْتُ أَيَّ قَصْرِ أَرَدْتُهُ وَرُزْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ^(١)

وقال سَعْيَرُ بن الخُمس: (رأيتُ سفیانَ الثوري في المنام، وهو يَطِيرُ من نخلة إلى نخلة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْثَرْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤])^(٢).

وقال مُصْعَبُ بن المِقْدَام: (رأيتُ النبي ﷺ في النوم آخذاً بيدِ سفیانَ الثوري وهو يجزيه خيراً، ويقول: حسن الطريقة)^(٣).

وقال إبراهيم بن أعين البجليُّ: (رأيتُ سفیانَ الثوري في المنام، ولحيته صفراءُ حمراءُ، فقلت: يا أبا عبد الله، ما صنعتَ فدئتُك؟ قال: أنا مع السَّفرة، قلت: وما السَّفرة؟ قال: الكِرَامُ البَرَّة)^(٤).

تَمَّتْ ترجمةُ هذا الإمام الجليل، ونسألُ الله أن يرفع درجته في الجَنَّة، وَيَنْفَعَنَا بسيرته، وَيَجْمَعَنَا به في مستقرِّ رحمته.

* * *

(١) الحلية ٧/٧٤.

(٢) تاريخ بغداد ٩/١٧٣ - ١٧٤.

(٣) الحلية ٦/٣٨٥.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ١٢٠، مقدمة المجروحين، ص ٥١، مقدمة الكامل ٨٢، الحلية

١٨٤/٦، تاريخ بغداد ٩/١٧٣.

مصادر ترجمته:

مصنف عبد الرزاق: انظر «فهرس الأعلام»، طبقات ابن سعد ٣٧١/٦ - ٣٧٤، تاريخ الدارمي: ٤٧، ٤٦٧، ٨٤، ٩٠ - ١٠٤، ١٧٢، ٣٦٧، ٣٧٥، تاريخ الدوري ٢١١/٢ - ٢١٥، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٢٨، ١٣٠، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٣٦٥، ٩١٧، سؤالات ابن طهمان: رقم ٣، ٤، ٥، ٦، ١٣، ٢٥، ٣٢، ٥٧، ١١٠، ٢٥٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٩، ٤٠٥، الرواة من الإخوة والأخوات لابن المديني: رقم ٣٦٤ - ٣٦٦، تاريخ خليفة ٣١٩، ٤٣٧، طبقات خليفة ١٦٨، علل أحمد برواية عبد الله: انظر «فهرس الأعلام» ومواضع كثيرة جداً لم يشر إليها، وبرواية المروزي: رقم ٢٠، ٤٢، ٤٨، ٢٩٩، وبرواية الميموني: رقم ٦، ٩١، ١٢٧، وبرواية صالح: رقم ١، سؤالات أبي داود لأحمد: انظر «فهرس الأعلام»، سنن الدارمي: حديث ٣٢٦، ٣٥٨، ٣٦٣، ٥٠٨، ٥٥٤، ٨٤٨، ٨٥٩، ١٠٧٩، ٣٠٣٢، ٣٢٥٦، صحيح البخاري: انظر فتح الباري، التاريخ الكبير ٩٢/٤ - ٩٣ ت ٢٠٧٧، التاريخ الأوسط ٢٧١/١ - ٢٧٢، ٩/٢، ١١٣ - ١١٤، مقدمة صحيح مسلم ١٧، تاريخ الثقات للعللي ١٩٠ - ١٩٣ ت ٥٧١، الرواة من الإخوة والأخوات لأبي داود: رقم ٧٤٢ - ٧٤٤، سؤالات الأجري: انظر «فهرس الأعلام» ومواضع كثيرة لم تذكر فيه، المعارف ٤٩٧ - ٤٩٨، المعرفة والتاريخ ٧١٣/١ - ٧٢٩، وانظر «فهرس الأعلام»، سنن الترمذي: مواضع كثيرة جداً من حديثه وفقهه، العلل الملحقة بالسنن ٧٣٦/٥، ٧٣٩، ٧٤٢، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥٤، ٧٥٧، تاريخ أبي زرعة الدمشقي: انظر «فهرس الأعلام»، الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا: رقم ٢٩٥، المحضرين له: رقم ٢١، تاريخ واسط لبجشل: انظر «فهرس الأعلام»، المنتخب من ذيل المذيل ٦٥٧، الجرح والتعديل ٢٢٢/٤ - ٢٢٥ ت ٩٧٢، تقدمته ٢٨/١، ٥٥ - ١٢٦، ١٢٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٨٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٨٣، ١٩/٢، ٢٠، ٢٢، ٢٩، ٣٦، مشاهير علماء الأمصار ٢٦٨ ت ١٣٤٩، الثقات ٤٠١/٦ - ٤٠٢، مقدمة المجروحين ٢٠، ٢١، ٢٧، ٤٠، ٤٤، ٤٩ - ٥١، المحدث الفاصل: رقم ٢٥، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٨٦، ٣٨٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٢٣، ٤٤٩، ٤٦٤، ٤٦٤، ٤٦٤، ٧٧١، ٧٦٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٨١٠، ٨١٥، ٨٤٠، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٦٤، ٨٦٧، ٨٩٥، ٨٩٧، ٨٩٩، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٩٤، ٩٥، ١٥٨، ١٥٩، ثقات ابن شاهين ١٥٤ ت ٤٧٥، رجال صحيح البخاري للكلايذي ٣٢٩/١ - ٣٣٠ ت ٤٦٢، تاريخ جرجان للسهمي: انظر «فهرس الأعلام»، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢٨٢/١ - ٢٨٤ ت ٦١٤، الحلية ٣٥٦/٦ - ٣٩٣، ٣/٧ - ١٤٤ ت ٣٨٧، الفهرست ٣١٤ - ٣١٥، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي: انظر «فهرس الأعلام»، جمهرة أنساب العرب ٢٠١، تاريخ بغداد ١٥١/٩ - ١٧٤ ت ٤٧٦٣، السابق واللاحق ٢٢٠ - ٢٢٦ ت ٨٦، الجامع لأخلاق الراوي: مواضع كثيرة جداً، التعديل والتجريح للباي ١٢٨٨/٣ - ١٢٨٩ ت ١٣٤٩، جامع بيان العلم ٣٠/١، ٣١، ٥٦، ٩١، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٥، ١٩٤، ٢٣٥، ٥/٢، ١٠، ١٤، ١٩، ٢٠، ٢٨، ٤٣، ١١٨، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٧،

٢٠٦، ٢٢٦، وغيرها، الإكمال ٥٨٦/١، طبقات الفقهاء ٨٥ - ٨٦، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١٩٤/١ - ١٩٥ - ١٩٥ ت ٧٣٠، الأنساب ١٤٦/٣ - ١٤٧ «الثوري»، صفة الصفة ١٤٧/٣ - ١٥٢ ت ٤٤٣، المنتظم ٢٥٣/٨ - ٢٥٤ ت ٨٦٧ «وفيات ١٦١هـ»، اللباب في تهذيب الأنساب ٢٤٤/١ - ٢٤٥ «الثوري»، تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٢/١ - ٢٢٣ ت ٢١٥، وفيات الأعيان ٣٨٦/٢ - ٣٩١ ت ٢٦٦، تهذيب الكمال ١٥٤/١١ - ١٦٩ ت ٢٤٠٧، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣٠٩/١ - ٣١٢ ت ١٨٢، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات «١٦١ - ١٧٠هـ» ص ٢٢٢ - ٢٤٢، العبر ١٨١/١، دول الإسلام ٩٧ - ٩٨، الكاشف ٣٠٠/١ - ٣٠١ ت ٢٠١٥، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ - ٢٠٧ ت ١٩٨، مختصر العلو ١٣٩ - ١٤٠، ميزان الاعتدال ١٦٩/٢ ت ٣٣٢٢، سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ - ٢٧٩، جامع التحصيل ١٢١ ت ١٧، ٢٢٥ - ٢٢٦ ت ٢٤٩، الوافي بالوفيات ٢٧٨/١٥ - ٢٨٠ ت ٣٩٠، البداية والنهاية ١٣٤/١٠، الجواهر المضية ٢٢٧/٢ - ٢٢٩ ت ٦١٩، شرح علل الترمذي ٤٥٢/١ - ٤٥٦، ٧٠٩/٢ - ٧١٠، ٧١٥ - ٧١٨، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢ - ٧٢٦، وانظر «فهرس الأعلام: الثوري، سفيان، سفیان الثوري»، غاية النهاية ٣٠٨/١ ت ١٣٥٧، التبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي ٩٢ ت ٢٨، تهذيب التهذيب ٩٩/٤ - ١٠٢، تقريب التهذيب ٣١١/١، تعريف أهل التقديس ٣٢ ت ٥١، فتح الباري ١٤٨/١ - كتاب العلم - باب ٦، ٢٧٢ كتاب الوضوء - باب ٣٣، ٣ - ١٤٠/٣ - كتاب الجنائز - باب ٢٥، ٣١٥ - كتاب الزكاة - باب ٣٥، ٦٢/٥ كتاب الاستقراض - باب ١٣، ٢٥٥ - كتاب الشهادات - باب ٨، ٤٧٦/٩ - كتاب الطلاق - باب ٤٠، والأحاديث ٥٣٥٧، ٥٣٧٣، ٥٩٩١، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي: ت ٢٢٨، ٣٠٧، ٣٧٤، ٤٣٧، ٥٥٢، ٦٠٩، ٦١٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ٩٥ - ٩٦ ت ١٨٨، تدريب الراوي ٣٦٠/٢ «النوع ٦٠» خلاصة تذهيب التهذيب ١٤٥، طبقات المفسرين للداوودي ١٩٣/١ - ١٩٦ ت ١٨٦، الطبقات السنيّة ٤٠/٤ - ٤٣ ت ٩١٩، شذرات الذهب ٢٥٠/١ - ٢٥١، الرفع والتكميل: انظر «فهرس الأعلام»، الرسالة المستطرفة ٩، ٤١، قواعد في علوم الحديث للتهانوي: انظر «فهرس الأعلام»، تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - ج ٣ «الفقه» ٢٤٧/٣ - ٢٤٨.



الليثُ بنُ سَعْدٍ (١٧٥هـ - ٩٤هـ)

اسمه ونسبه ونسبته:

الليث بن سَعْد بن عبد الرحمن، الفَهْمِيُّ مولاَهُم، الأَصْبَهَانِيُّ الأَصْل، المِصْرِيُّ المولد والمنشأ والدار والوفاة، شيخُ الإسلام، وعالمُ الديار المِصْرِيَّة ورئِيسُها.

والفَهْمِيُّ: نسبةٌ إلى فَهْم، وهم بطنٌ من قَيْس عَيْلان. وهو فَهْم بن عَمْرٍو بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عَدْنان^(١).
والليث مولى لهم وليس من أنفسهم^(٢).

كنيته:

يكنى أبا الحارث، كَنَاهُ بها الجميع، وخُوطِبَ بها.
قال عَمْرٍو بن خالد الحَرَاني: (قلتُ لَليث: يا أبا الحارث، بَلَّغني أنك أخذتَ بِرِكابِ الزهري؟ قال: للعلم)^(٣).

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٣ - ٤٨٠، الأنساب ٣٥٣/٩، اللباب ٤٤٨/٢.

(٢) سيأتي تفصيل القول في أصله وولائه بنهاية الترجمة.

(٣) مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١، وسيأتي بتمامه.

وسترد أخبار أخرى في ثنايا الترجمة.

سيرته وشماله:

وَهَبَ اللهُ سَبْحَانَهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَكْمَلَ الْخِصَالِ، وَحَبَاهُ أَجْمَلَ الْخِلَالِ، وَزَيَّنَهُ بِأَسْمَى الْأَفْعَالِ، وَوَفَّقَهُ لَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ؛ فَكَانَ وَاحِدًا مِنْ كَمَلَةِ الرِّجَالِ، قَوْلًا وَفِعْلًا، وَعِلْمًا وَعَمَلًا، وَهَدْيًا وَمَسْلُكًا.

كان رحمه الله ورضي عنه أحد أئمة الدنيا ورجال الكمال، في الورع والفضل، والعلم والعقل، والنجدة والبذل، وعلو المنزلة ورفعة المحل؛ فهو في زمانه كبير الديار المصرية، ومحتشمها ورئيسها، بحيث إن والي مصر وقضاتها من تحت إمرته ومشورته، يرجعون إلى رأيه، ويستنيرون بتوجيهاته، وكانت توليتهم وعزلهم من قبل الخليفة رهن موافقة الليث وإشارته، ولقد رغب إليه أبو جعفر المنصور - وهو هو - أن ينوب عنه في ولاية مصر، فاستغفى من ذلك، ودلّه على من هو أهل للولاية.

وَضَرَبَ فِي الْكِرْمِ وَالْجُودِ وَالسَّخَاءِ شَأوًا لَا يُلْحَقُ، فَكَانَ وَاحِدًا مِنْ مَشَاهِيرِ أَجْوَادِ الدُّنْيَا، وَقَصَصَهُ فِي ذَلِكَ تَبْهَرُ الْأَبَابُ، فَحَسِبَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ دَخَلَهُ فِي السَّنَةِ زَهَاءَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ، وَكَانَ لَا يَحُولُ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَمَا وَجِبَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ قَطُّ، وَلرَبَّمَا رَكِبَهُ الدَّيْنُ لِكثْرَةِ نَفَقَاتِهِ وَعَظِيمِ أَعْطِيَاتِهِ، فَمَا يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ عِيَالِهِ، وَغَمَرَهُ بِنَفَقَتِهِ وَكِرْمِهِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ زَوْدَهُ بِمَا يَبْلُغُهُ إِلَى وَطْنِهِ! وَهُوَ مَعَ هَذَا يَتَجَمَّلُ بِأَرْفَعِ اللِّبَاسِ، وَيَرْتَدِي أَعْلَى الثِّيَابِ.

وقد متّعهُ اللهُ بعقله وصحته وحواسه، فعاش أزيدَ من ثمانين سنة، وحدث في ذلك السن. وكان طيب الله ثراه متمسكاً بالسنّة، ملتزمًا هدي

السَّالَفُ، معظماً للصحابة، منافراً للبدع، مناصحاً للحكام، مرشداً لهم
ومسداً لأفعالهم، وموجّهاً لولاتهم وأمرائهم وقضاتهم، لِمَا فيه خير
البلاد والعباد.

أجلُّه الحكام وعظّموه ووقّروه، لِمَا رأوا فيه من أخلاق العلماء
وجلالتهم واعتزازهم بعلمهم، وصلابتهم في رأيهم ومواقفهم، وعدم
ترلّفهم لمتابعة هوى خليفة أو أمير أو وزير، مما حدّا برجلٍ كأبي جعفر
المنصور أن يحمد الله أن جعل في الرعية مثل الليث.

هديه الكريم وأخلاقه الرفيعة، وعبادته ورقته:

** قال عباس الدُّوري: سمعت يحيى بن معين، يقول: (كان ليث بن
سَعْدٍ يجيء إلى المسجد، يصلّي فيه كل صلاة على فرس، وكان له مجلس
يجلس فيه)^(١).

وقال سعيد بن أبي مريم: قال الليث: (حَجَجْتُ سنة ثلاث عشرة، وأنا
ابنُ عشرين سنة)^(٢).

وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ: (سمعت الليث يقول: أَعْرِفُ رجلاً لم
يأتِ محرّماً قطّ. فعلمنا أنه أرادَ نفسه؛ لأن أحداً لا يعلم هذا من أحد)^(٣).

وقال ابن أبي مريم: (ما رأيتُ أحداً من خَلْقِ الله أفضلَ من ليث، وما
كانت خَصْلَةٌ يُتَقَرَّبُ بها إلى الله، إلا كانت تلك الخَصْلَةُ في الليث)^(٤).

(١) تاريخ الدوري ٥٠١/٢، وللخبر تنمة، وسنورده في فقره «طلبه العلم».

(٢) تاريخ بغداد ٦١/١٣، تهذيب الكمال ٢٦٥/٢٤. قوله (سنة ثلاثة عشرة): أي ومئة.

(٣) تاريخ الإسلام، ص ٣١٤.

(٤) الرحمة الغيثية، ص ٨٦، تهذيب التهذيب ٤١٦/٨.

وروى يحيى بن بُكَيْرٍ، عن ابن وَهْبٍ قال: (دخلتُ على مالك بن أنس، فسألني عن الليث بن سعد، فقال لي: كيف هو؟ قلت بخير، قال: كيف صِدْقُهُ؟ قلت: يا أبا عبد الله، إنه لَصَدُوقٌ، قال: أمّا إنه إنْ فَعَلَ، مُتَّعَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ^(١)).

** قال محمد بن رُمَحِ التَّجِيبِيُّ: (مات بَكْر بن مُضَر في ذي الحِجَّة، يوم عَرَفَةَ، سنة أربع وسبعين ومئة). قال: (ورأيتُ الليث بن سعد جالساً على قبره، وهو يُدْفَن، ودموعه تسيل على لحيته)^(٢).

وقال محمد بن موسى الصائغ: سمعت منصور بن عمار، يقول: (كان الليث بن سعد إذا تكلم بمصر أحد قفاه، فتكلمت في مسجد الجامع يوماً، فإذا رجلان قد دخلا من باب المسجد، فوقفا على الحلقة فقالا: من المتكلم؟ فأشاروا إليّ، فقالا: أجب أبا الحارث الليث، فقمتم وأنا أقول: واسوأناه! أخرج من البلد هكذا. فلما دخلت على الليث سلمت، فقال لي: أنت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم، رحمك الله، فقال لي: اجلس، ورُدَّ عليّ الكلام الذي تكلمت به. فأخذت في ذلك المجلس بعينه^(٣)، فرقَّ الشيخ وبكى، وسُرِّيَ عني. وأخذت في صفة الجنة والنار، فبكى الشيخ حتى رحمته، ثم قال لي بيده اسكت. فقال لي: ما اسمك؟ قلت: منصور، قال: ابن من؟ قلت: ابن عمار، قال: أنت أبو السَّرِيِّ؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك. ثم قال: يا جارية، فجاءت فوقفت

(١) تهذيب الكمال ٢٤/٢٦٤.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/١٦٤، و٢/٤٤٦ بأخصر منه.

(٣) أي طلب منه الليث أن يعيد الحديث الذي تكلم به في الجامع، فأخذ الرجل بالكلام بنفس موضوع حديثه وتابع فيه، حتى أبكى الليث.

بين يديه، فقال لها: جيئني بكيس كذا وكذا، فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقال: يا أبا السري، خذ هذا إليك، وضمن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحنَّ أحداً من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك في كل سنة مثلها. قلت: رحمك الله، إن الله قد أنعم إليّ وأحسن، قال: لا ترد عليّ شيئاً أصلك به. فقبضتها وخرجت، قال: لا تبطن عليّ. فلما كان في الجمعة الثانية أتيته، فقال لي: اذكر شيئاً، فأخذت في مجلس لي فتكلمت، فبكى الشيخ وكثر بكائه، فلما أردت أن أقوم قال: انظر ما في ثني الوسادة، فإذا خمسمئة دينار، فقلت: رحمك الله، عهدي بصلتك بالأمس، قال: لا ترد عليّ شيئاً أصلك به، متى أراك؟ قلت: الجمعة الداخلة، قال: كأنك فتت عضواً من أعضائي. فلما كانت الجمعة الداخلة، أتيته مودعاً، فقال لي: خذ في شيء أذكرك به، فتكلمت، فبكى الشيخ وكثر بكائه، ثم قال لي: يا منصور، انظر ما في ثني الوسادة، فإذا ثلاثمئة دينار، قال: أعدها للحج. ثم قال: يا جارية، هاتي ثياب إحرام، إحرام منصور، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوباً، قلت: رحمك الله، أكتفي بثوبين، فقال لي: أنت رجل كريم فيصحبك قوم فأعطهم، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه: وهذه الجارية لك^(١).

** قال إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدّي: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: (صحبْتُ الليثَ عشرينَ سنةً، لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس، وكان لا يأكل إلا بلحم، إلا أن يمرض)^(٢).

وقال الحسن بن عبد العزيز: قال لي الحارث بن مسكين: (اشترى

(١) الحلية ٣٢٠/٧ - ٣٢١، صفة الصفوة ٣١٠/٤ - ٣١١، الرحمة الغيثية، ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) الحلية ٣٢١/٧، تاريخ بغداد ٩/١٣، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٢، تهذيب الكمال ٢٤/٢٧٥.

قوم من الليث بن سعد ثمرة، فاستغلوها، فاستقالوه فأقالهم، ثم دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ابنته في ذلك، قال: اللهم غفراً، إنهم قد كانوا أملاًوا فيه أملاً، فأحبت أن أعوضهم من أملهم بهذا^(١).

صدقته العريضة، وجوده وسخاؤه، وإكرامه العلماء:

** قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: سمعت أبي يقول: قال أبي: (ما وجبت عليّ زكاة قط منذ بلغت)^(٢).

وقال قتيبة بن سعيد: سمعت شعيب بن الليث بن سعد يقول: (يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألف دينار، فتأتي عليه السنة وعليه دين)^(٣).

وقال قتيبة بن سعيد: (كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة، وقال: ما وجبت عليّ زكاة قط)^(٤).

وقال إسحاق بن إسماعيل الرَّمْلِيُّ: سمعت محمد بن زُحج، يقول: (كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٩/١٣، صفة الصفوة ٣١١/٤، تهذيب الكمال ٢٤/٢٧٥. والخريطة. وعاء من جلد أو نحوه يُشدُّ على ما فيه.

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٣، سير أعلام النبلاء ١٤٩/٨، الرحمة الغيثية ٨٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/١٣، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٥، سير أعلام النبلاء ١٥٢/٨، ولفظة (يستغل) تصحفت إلى (يشغل) في تهذيب الكمال ٢٤/٢٧٣، و(ليشغل) في تاريخ الإسلام ٣١٠.

(٤) الحلية ٧/٣٢٢، تاريخ بغداد ٨/١٣، المنتظم ٩/١٤.

(٥) الحلية ٧/٣٢٢، أخبار أصبهان ٢/١٣٨، تاريخ بغداد ١١/١٣، صفة الصفوة ٤/٣١٣.

قال الذهبي بعد أن أورد هذا الخبر وما قبله: (قلت: ما مَضَى في دَخْلِهِ أَصْحُحُ)^(١).

وقال سليم بن منصور بن عمار: سمعت أبي، يقول: (كان الليث بن سعد يَسْتَغْلُ في كلِّ سنةٍ خمسينَ ألفَ دينار، فيَحْوُلُ عليه الحَوْلُ وعليه دَيْنُ)^(٢).

قلت: فهذه رواية ثالثة في دَخْلِ الليث، فلعلَّ دَخْلَهُ كان في معظم السنوات زهاءَ عشرين ألفَ دينار، وربما وَصَلَ في سنوات قليلة إلى خمسين ألفاً، وفي أخرى إلى ثمانين ألفاً، فأخبر كلُّ واحد بما عَلم. أو أنَّ تجارته كانت تنمو ويزداد دخله بمرور السنين، حتى وصل إلى ثمانين ألفاً، وهذا أمرٌ مشاهد ومعروف. وبكلِّ حال فأقلُّ ما جاء في غَلْتِهِ أنها أزيدُ من عشرين ألفَ دينار، وهذا مبلغ عظيم، ودخل وفير، ومع هذا فكان يُنْفِقُهُ كُلَّهُ رِجَالَهُ.

قال قُتَيْبَةُ بن سعيد: (كان الليث يركب في جميع الصلوات إلى الجامع، ويتصدَّق كل يوم على ثلاثمئة مسكين)^(٣).

** قال قُتَيْبَةُ بن سعيد: (قَدِمَ منصور بن عَمَّار على الليث بن سعد فَوَصَلَهُ بألف دينار، واحترق بيتُ عبد الله بن لَهَيْعَةَ فَوَصَلَهُ بألف دينار، وَوَصَلَ مالِكُ بن أنس بألف دينار، قال: وَكَسَانِي قَمِيصَ سُندسٍ فهو عندي)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ١٥٢/٨.

(٢) الحلية ٣٢٢/٧، صفة الصفوة ٣١٣/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥٨/٨، تاريخ الإسلام ٣١١، الرحمة الغيثية ٨٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/١٣ - ١١، مختصر ابن عساكر ٢٥٣/٢١، وانظر: الحلية ٣٢٢/٧ - ٣٢٣، تاريخ بغداد ٨/١٣.



وقال عبد الملك بن يحيى بن بُكَيْر: سمعت أبي، يقول: (وَصَلَ الليثُ بنُ سعد ثلاثةَ أنفسٍ بثلاثةِ آلافِ دينار: احترقت دارُ ابنِ لهيعةَ فبعث إليه بألفِ دينار، وَحَجَّ فأهدى إليه مالك بن أنس رُطباً على طَبَقٍ فردَّ إليه على الطبق ألفَ دينار، وَوَصَلَ منصورَ بنَ عَمَّارِ القاضي بألفِ دينار، وقال: لا تُسَمِعْ بهذا ابني فَتَهُونَ عليه. فبلغ ذلك شعيبَ بن الليث فَوَصَلَهُ بألفِ دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتُك هذا الدينار لثلاثِ أساوي الشيخَ في عطيته)^(١).

وقال قُتَيْبَةُ بن سعيد: (لَمَّا احترقتْ كُتُبُ ابنِ لهيعةَ، بعث إليه الليثُ بن سعدِ كاغداً بألفِ دينار)^(٢).

وقال عبد الملك بن شُعَيْبِ بن الليث: سمعت أسدَ بن موسى، يقول: (كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية، فيقتُلهم، فلما دخلتُ مِصْرَ دخلتها في هيئةِ رثّةٍ، فدخلتُ على الليث بن سعد، فلما فرغتُ من مجلسه خرجتُ، فتبعني خادمٌ له في دهليزه، فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست، فلما خرج إليّ، وأنا وَحْدِي، دفع إليّ صُرّةً فيها مئةُ دينار، فقال: يقول لك مولاي: أَصْلِحْ بهذه النفقة بعضَ أمرِك، ولمَّ من شَعَثِك. وكان في حُجْرَتِي هَمِيانَ فيه ألفِ دينار، فأخرجتِ الهَمِيانَ، فقلت: أنا عنها في غنى، استأذِنْ لي على الشيخ، فاستأذِنَ لي، فدخلتُ، فأخبرته بنسبي، واعتذرتُ إليه من رَدِّها، وأخبرته بما مضى، فقال: هذه صِلَةٌ وليستُ

(١) الحلية ٣٢٢/٧، صفة الصفوة ٣١٢/٤ - ٣١٣، وبأخصر منه في الرحمة الغيثية ٨١، وانظر رواية أخرى في الحلية ٣٢١/٧ ووصله لمنصور خاصة.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٣، سير أعلام النبلاء ١٥١/٨، وفيه (من الغد) بدل (كاغداً). والكاغد: القُرْطاس، وهو فارسيٌّ معرَّب.

بصدقة، فقلت: أكره أن أعود نفسي عادة وأنا في غنى، فقال: ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقاً لها. فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها على جماعة^(١).

** قال حَزْمَلَةُ بن يحيى: سمعت ابنَ وَهْبٍ، يقول: (كان الليث بن سعد يَصِلُ مالكَ بنَ أنس بمئة دينارٍ في كل سَنَةٍ، فَكَتَبَ مالِكُ إليه أن عليَّ دَيْنٌ، فبعث إليه بخمسمئة دينار)^(٢).

وقال حَزْمَلَةُ بن يحيى: سمعتُ ابنَ وَهْبٍ، يقول: (كَتَبَ مالِكُ إلى الليث: إنني أريد أن أَدْخَلَ ابنتي على زوجها، فَأَجِبْ أن تبعث لي بشيء من عُصْفُرٍ. فبعث إليه الليث بثلاثين حِمْلًا عُصْفُرًا، فَصَبَغَ منه لابنته، وباع بخمسمئة دينار، وبقي عنده فَضْلَةٌ)^(٣).

وقال أبو صالح كاتب الليث: (كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا، فقلنا: ليس يُشْبِهُ صاحِبِنَا، قال: فسمع مالك كلامنا، فَأَدْخَلْنَا عليه، فقال لنا: مَنْ صاحِبِكُمْ؟ قلنا: الليثُ بن سعد، فقال: تُشْبِهُونِي برجل كتبنا إليه في قليل عُصْفُرٍ نَصْبُغُ به ثيابَ صبياننا، فَأَنْفَذَ إلينا ما صبغنا به ثيابنا، وثياب صبياننا، وثياب جيراننا، وَبِعْنَا الْفَضْلَةَ بِألف دينار؟!)^(٤).

وقال أحمد بن عثمان النَّسَائِي: سمعت قُتَيْبَةَ بن سعيد، يقول: سمعت

(١) الحلية ٣٢١/٧ - ٣٢٢، مختصر ابن عساكر ٢٥٤/٢١. الرحمة الغيثية ٧٨. والحجزة: موضع شد الإزار من الوسط. والهَيَمَان: كيس للثَّقَّة يُشَدُّ في الوسط، وهو فارسي معرَّب.

(٢) تاريخ بغداد ٧/١٣، تهذيب الكمال ٢٧٤/٢٤، الرحمة الغيثية، ص ٨٠ - ٨١.

(٣) تاريخ بغداد ٧/١٣ - ٨، مختصر ابن عساكر ٢٥٣/٢١، تهذيب الكمال ٢٧٤/٢٤، سير أعلام النبلاء ١٤٨/٨.

(٤) الحلية ٣١٩/٧، مختصر ابن عساكر ٢٥٣/٢١، صفة الصفوة ٣٠٩/٤ - ٣١٠، الرحمة الغيثية، ص ٧٧. قوله (فامتنع علينا): أي امتنع عن عقد مجلس الحديث لنا.

شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، يَقُولُ: (خَرَجْتُ مَعَ أَبِي حَاجًّا، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِطَبَقِ رُطَبٍ، قَالَ: فَجَعَلَ عَلَيَّ الطَّبَقَ أَلْفَ دِينَارٍ وَرَدَّهُ إِلَيْهِ)^(١).

** قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ: (كُنْتُ عِنْدَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ يَوْمًا جَالِسًا، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا قَدْحٌ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، إِنَّ زَوْجِي يَشْتَكِي، وَقَدْ نَعَيْتَ لَهُ الْعَسَلَ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى أَبِي قَسِيمَةَ فَقُولِي لَهُ يَعْطِيكَ مَطْرًا مِنْ عَسَلٍ. فَذَهَبْتُ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَبُو قَسِيمَةَ، فَسَارَهُ بِشَيْءٍ لَا أُدْرِي مَا قَالَ لَهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: اذْهَبِي فَأَعْطِيهَا مَطْرًا، إِنَّهَا سَأَلَتْ بِقَدْرِهَا وَأَعْطَيْتَاهَا بِقَدْرِنَا. وَالْمَطَرُ: الْفَرْقُ، وَالْفَرْقُ عَشْرُونَ وَمِئَةٌ رِطْلٍ)^(٢).

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ: (سَأَلْتُ امْرَأَةَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ مَنَّا مِنْ عَسَلٍ، فَأَمَرَ لَهَا بِزِقٍّ، فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: إِنَّمَا سَأَلْتُ مَنَّا، فَقَالَ: إِنَّهَا سَأَلْتَنِي عَلَيَّ قَدْرَهَا، فَأَعْطَيْتَاهَا عَلَيَّ قَدْرَ السَّعَةِ عَلَيْنَا)^(٣).

وَقَالَ أَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: (كَانَ اللَّيْثُ يُطْعِمُ النَّاسَ فِي الشِّتَاءِ الْهَرَايسَ بِعَسَلِ النَّحْلِ وَسَمْنِ الْبَقْرِ، وَفِي الصَّيْفِ سَوِيقَ اللَّوْزِ بِالسُّكَّرِ)^(٤).

وَقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: (فَقَلْنَا مَعَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُ سَفَائِنَ: سَفِينَةٌ فِيهَا مَطْبَخُهُ، وَسَفِينَةٌ فِيهَا عِيَالُهُ، وَسَفِينَةٌ فِيهَا

(١) تاريخ بغداد ٩/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٣/٢١، تهذيب الكمال ٢٧٣/٢٤.

(٢) الحلية ٣١٩/٧ - ٣٢٠، الرحمة الغيثية، ص ٧٨ - ٧٩. وانظر رواية أخرى في تاريخ بغداد ٨/١٣ والفرق ميكيال يسع ستة عشر رطلاً. والفرق - بالسكون - : مئة وعشرون رطلاً. النهاية ٤٣٧/٣. والرطل المصري: (٤٥٠) جراماً.

(٣) تاريخ بغداد ٨/١٣، تهذيب الكمال ٢٧٤/٢٤. وانظر خبراً آخر في: الحلية ٣٢٠/٧، تاريخ بغداد ٨/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٢/٢١ - ٢٥٣. والمنا، والمن: معيار يُكَالُ بِهِ أَوْ يوزَنُ، وَقَدْرُهُ رِطْلَان.

(٤) تاريخ بغداد ٩/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٢/٢١، تهذيب الكمال ٢٧٦/٢٤.

أضياؤه. وكان إذا حضرته الصلاة يخرج إلى الشَّطِّ فيصلي، وكان ابنه شعيب إمامه، فخرجنا لصلاة المغرب، فقال: أين شعيب؟ فقالوا: حَمٌّ، فقام الليث فأذَّنَ وأقامَ، ثم تقدَّم فقرأ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، فقرأ: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، وكذلك في مصاحف أهل المدينة، يقولون: هذا غلظٌ من الكاتب عند أهل العراق، ويَجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، ويُسلم تسليمه تلقاءً وجهه^(١).

قال عُبيد الله بن عُمَر الواعظ: (حدثني أبي، حدثنا علي بن محمد بن أحمد العَسْكَرِيُّ، حدثني أحمد بن محمد بن نَجْدَةَ التَّنُوخِيُّ، قال: سمعت محمد بن رُمح، يقول: حدثني سعيد الأدم، قال: مررتُ بالليث بن سعد فتنح لي، فرجعتُ إليه، فقال لي: يا سعيد، خُذْ هذا القُنْدَاقِ فاكتب لي فيه مَن يَلزم المسجد، ممن لا بضاعة له ولا غَلَّة، قال: فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث، وأخذتُ منه القُنْدَاقِ، ثم صِرتُ إلى المنزل، فلما صَلَّيتُ أوقدتُ السَّرَاجِ وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، ثم بَدَرْتَنِي نفسي فقلت: فلان بن فلان، قال: فبينما أنا على ذلك إذ أتاني آتٍ، فقال: ها الله يا سعيدُ تأتي إلى قوم عاملوا الله سراً فتكشِفُهُم لأدمي؟! مات الليثُ، مات شعيب بن الليث، أليس مرجعُهُم إلى الله الذي عاملوه؟! قال: فقمْتُ ولم أكتب شيئاً. فلما أصبحتُ، أتيتُ الليث بن سعد، فلما رأني تهلَّلَ وجهه، فناولته القُنْدَاقِ، فنشره فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت، فقال لي:

(١) تاريخ بغداد ٩/١٣ - ١٠، مختصر ابن عساكر ٢٥١/٢١ - ٢٥٢، وفي الحلية ٣١٩/٧ الفصل الأول منه. قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قراءة أهل الشام والحجاز، و﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قراءة أهل العراق، وهما قراءتان معروفتان.

يا سعيد، وما الخبرُ؟ فأخبرته بصدقِ عما كان، فصاح صيحة، فاجتمع عليه الناس من الحِلَقِ، فقالوا: يا أبا الحارث، إلا خيراً؟! فقال: ليس إلا خيراً. ثم أقبل عليّ، فقال: يا سعيد، تَبَيَّنَتْهَا وَحُرِّمْتُهَا، صدقت، مات الليث، أليس مرجعهم إلى الله؟! قال علي بن محمد: سمعت مقدام بن داود، يقول: سعيد الأدم هذا، يُقال: إنه من الأبدال. وقد كان رآه مقدام^(١).

مع الخلفاء والأمرء، وتبجيلهم له، ومناصحته لهم، وترشيده أعمالهم:

** قال بكر بن مُضَر: (قَدِمَ عَلَيْنَا كِتَابُ مِرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى حَوْثَرَةَ وَالِي مِصْرَ: إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَعْرَابِيًّا بَدْوِيًّا فَصِيحًا، مِنْ حَالِهِ، وَمِنْ حَالِهِ، فَاجْمَعُوا لَهُ رَجُلًا يُسَدِّدُهُ فِي الْقَضَاءِ، وَيُصَوِّبُهُ فِي الْمَنْطِقِ. فَأَجْمَعَ رَأْيَ النَّاسِ عَلَى اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَفِي النَّاسِ مَعْلَمًا: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، وَعُمَرُو بْنُ الْحَارِثِ)^(٢).

وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: سمعت يحيى بن بُكَيْرٍ، يقول: (قال الليث: قال لي أبو جعفر: تَلِيَّ لِي مِصْرَ؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، إني أَضْعَفُ عَنْ ذَلِكَ، إني رجلٌ من الموالِي. فقال: ما بك ضعفتُ معي، ولكن ضَعَفْتُ نَيْتَكَ عَنِ الْعَمَلِ فِي ذَلِكَ لِي، أَتَرِيدُ قُوَّةَ أَقْوَى مِنِّي وَمِنْ عَمَلِي؟! فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَدَلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أَقْلَدُهُ أَمْرَ مِصْرَ، قلت: عثمان بن الحَكَمِ

(١) تاريخ بغداد ١١/١٣ - ١٢، صفة الصفوة ٣١١/٤ - ٣١٢، مختصر ابن عساكر ٢٥٤/٢١ - ٢٥٥، تهذيب الكمال ٢٧٦/٢٤ - ٢٧٧، سير أعلام النبلاء ١٥٢/٨ - ١٥٣. القنداق: صحيفة الحساب.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥٩/٨، تاريخ الإسلام ٣١٢. وحوثره هو ابن شهيل الباهلي، ولي مصر لمرwan بن محمد من سنة (١٢٨هـ) إلى (١٣١هـ)، ثم عزله مروان وبعثه إلى العراق مدداً لابن هبيرة لقتال دعاة بني العباس، وقُتل سنة ١٣٢هـ.

الجُدَامِيُّ، رجلٌ له صلاح وله عَشيرة. قال: فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَعَاهَدَ اللَّهُ رَجُلًا
أَلَّا يَكَلِّمَ اللَّيْثَ بَنَ سَعْدٍ^(١).

وقال الفَسَوِيُّ: سمعت يحيى بن بُكَيْرٍ، قال: (وُلِّيَ اللَّيْثُ بَنَ سَعْدٍ لَهُمْ
ثَلَاثَ وِلَايَاتٍ: لَصَالِحِ بَنِ عَلِيٍّ، قَالَ صَالِحٌ لَعَمْرُو بَنِ الْحَارِثِ: لَا أَدْعُهُ
حَتَّى يَتَوَلَّى لِي، فَقَالَ عَمْرُو: لَا يَفْعَلُ، فَقَالَ: لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، قَالَ: فَجَاءَ
عَمْرُو فَحَدَّرَهُ، فَوَلَّى دِيوَانَ الْعَطَاءِ. وَوَلَّى الْجَزِيرَةَ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرٍ. وَوَلَّى
أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ الدِّيْوَانَ)^(٢).

وقال يحيى بن بُكَيْرٍ: (كتب الوليد بن رفاعه وهو أمير مصر في
وصيَّته: قد أسندتُ وصيتي لعبد الرحمن بن خالد بن مُسافر وإلى
الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث، فإن له نُصْحًا
ورأيًا. وكان الليث يومئذ ابنَ أربع وعشرين سنة)^(٣).

وقال سعيد بن أبي مريم: (كان إسماعيل بن اليسع الكِنْدِيُّ من خير
قضاتنا، غير أنه كان يذهب مذهب أبي حنيفة في إبطال الحَبْسِ، فأبغضوه،
فَكَتَبَ اللَّيْثُ فِي أَمْرِهِ، فَعَزَلَ)^(٤).

** قال عبد الله بن صالح: سمعت الليث بن سعد، يقول: (لَمَّا
قَدِمْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ لِي: يَا لَيْثُ، مَا صَلَاحُ بَلَدِكُمْ؟ قُلْتُ:

(١) المعرفة والتاريخ ١٢٣/١، مختصر ابن عساكر ٢٥١/٢١، وبأخصر منه في: تاريخ بغداد ٥/١٣،
سير أعلام النبلاء ١٤٦/٨، الرحمة الغيثية ٨٧. وانظر رواية أخرى في المعرفة والتاريخ
٤٤١/٢ - ٤٤٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٨٦/٢، سير أعلام النبلاء ١٥٧/٨.

(٣) الرحمة الغيثية، ص ٩١.

(٤) الرحمة الغيثية، ص ٩١، وله تنمة ص ٩١ - ٩٢.

يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدَرُ، فإذا صَفَا رأس العين صَفَّتِ السواقي. فقال: صدقت يا أبا الحارث^(١).

وقال الحسن بن يوسف بن مُلَيْح الطَّرَائِفيُّ: حدثنا لؤلؤ الخادم - خادم الرشيد - قال: (جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زُبَيْدَة مُناظرة ومُلاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عُرض كلامه: أنتِ طالقٌ إن لم أكن من أهل الجنة. ثم ندِم، واغْتَمًا جميعاً بهذه اليمين، ونزلت بهما مُصيبية لموضع ابنة عمه منه. فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين، فلم يجد منها مخرجاً، ثم كتب إلى سائر البلدان من عمله، أن يُحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدْخِلوا عليه، وكنْتُ واقفاً بين يديه لأمرٍ إن حَدَثَ يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه - وكنْتُ المعبَّرَ عنه - وهل له منها مَخْلَصٌ، فأجابهُ الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذا ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشْخَص من مِصر، وهو جالسٌ في آخر المجلس، لم يتكلَّم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحداً واحداً، فقال: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلَّم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول لك: مالك لا تتكلَّم كما تكلم أصحابك؟ فقال: قد سمع أمير المؤمنين قولَ الفقهاء وفيه مَقْنَعٌ، فقال: قل: إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا، ولم نُشْخِصْكم من بلدانكم، ولَمَّا أُخْضِرَتْ هذا المجلس، فقال: يُخْلِبي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك. فانصرف مَنْ كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلم، فقال: يُدْنيني أمير المؤمنين،

(١) الحلية ٣٢٢/٧، سير أعلام النبلاء ١٥٨/٨، الرحمة الغيثية، ص ٩٣.

فقال: ليس بالحَضْرَة إلا هذا الغلام، وليس عليك منه عَيْنٌ، فقال: يا أمير المؤمنين، أَتَكَلَّمُ على الأمان، وعلى طَرَحِ التَّعَمُّلِ والهَيْئَةِ، والطَّاعَةِ لي من أمير المؤمنين في جميع ما أَمُرُ به؟ قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحفِ جامع، فَأَمَرَ به فَأَحْضِر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فَيَتَصَفَّحُه حتى يَصِلَ إلى سورة الرحمن، فأخذه وتَصَفَّحَه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بَلَغَ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، قال: قِفْ يا أمير المؤمنين هاهنا، فوقف، فقال: يقولُ أمير المؤمنين: والله! فاشتدَّ على الرشيدِ وعليَّ ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟! قال: يا أمير المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فَتَكَسَّ أمير المؤمنين رأسه - وكانت زُبَيْدَة في بيت مُسَبَّلٍ عليه سِتْرٌ، قريبٍ من المجلس، تسمعُ الخطاب - ثم رَفَعَ هارون رأسه إليه، فقال: والله! قال: الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بَلَغَ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخافُ مقامَ الله، قال هارون: إنني أخافُ مقامَ الله، فقال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجَنَّةٍ واحدة، كما ذكر الله تعالى في كتابه. فسمعتُ التَّصْفِيحَ وَالْفَرَحَ من خَلْفِ السِّتْرِ. وقال هارون: أحسنتُ والله، بَارَكَ اللهُ فيك. ثم أَمَرَ بالجوائز والخَلْعِ لِلْيَيْثِ بنِ سَعْدٍ، ثم قال هارون: يا شيخ، اخْتَر ما شئتَ، وَسَلْ ما شئتَ تُجَبِّ فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادمُ الواقفُ على رأسِك، فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، والضِّياعُ التي لك بمصرَ ولابِنَة عمِّك، أكونُ عليها وتُسَلِّمُ إليَّ لأنظرَ في أمورِها، قال: بل نُقْطِعُكَ إقْطاعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد من هذا شيئاً، بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجري عليَّ حَيْفُ العَمالِ، وأُعزُّ بذلك، فقال: لك ذلك. وأمر أن

يُكْتَبَ لَهُ وَيُسَجَّلُ بِمَا قَالَ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الْجَوَائِزِ وَالْخَلَعِ وَالْخَادِمِ، وَأَمَرَتْ زُبَيْدَةُ لَهُ بِضَعْفِ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّشِيدَ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الرَّجُوعِ إِلَى مِصْرَ، فَحَمَلَ مَكْرَمًا^(١).

تمتعه بعقله وصحته، ولباسه وهيئته:

** قَالَ يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: سَمِعْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: (أَنَا أَكْبَرُ مِنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَتَّعَنَا بِعَقْلِنَا)^(٢).

وَقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: (سَمِعْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: أَنَا أَكْبَرُ مِنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ بِثَلَاثِ سِنِينَ. وَأَظُنُّهُ عَاشَرَ بَعْدَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ).

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: (وَكَانَ اللَّيْثُ أَكْبَرَ مِنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ، وَلَكِنْ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمَا تَقُولُ: ذَا ابْنٌ، وَذَا أَبٌ - يَعْنِي: ابْنُ لَهَيْعَةَ الْأَبُ -)^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الصَّلَاحِ: (وَقَدْ حَدَّثَ خَلْقٌ بَعْدَ مَجَاوِزَةِ سِنِّ الثَّمَانِينَ، فَسَاعَدَهُمُ التَّوْفِيقُ، وَصَحِبَتْهُمْ السَّلَامَةُ، مِنْهُمْ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَالِكُ، وَاللَّيْثُ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، فِي عَدَدِ جَمٍّ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ)^(٤).

** قَالَ يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: (حَجَجْتُ، فَلَمَّا كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ كَانَ قَدْ وَافَى الْحُجَّاجَ مِنَ النَّوَاحِي، وَكَانَتْ الطَّرِيقُ كَثِيرَةَ الرُّوْثِ، فَكُنْتُ إِذَا غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لَبِسْتُ رَوْحِي خِفَافًا، فَإِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ

(١) الحلية ٣٢٣/٧ - ٣٢٤، الرحمة الغيثية ٨٩ - ٩٠، وفي تاريخ بغداد طرف منه ٤/١٣ - ٥.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٧/١، ٤٥٣/٣، تاريخ بغداد ١٠/١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٣.

(٤) علوم الحديث، ص ٢٣٩ «النوع السابع والعشرون»، وانظر: تدريب الراوي ١٢٨/٢.

نزعتُ أحديهما وصلَّيتُ في الأخرى، فقال لي يحيى بن سعيد الأنصاري: إنك منظورٌ إليك. وأظنُّه قد قال: إنك إمامٌ منظورٌ إليك، فلا تفعلْ هذا، وامسحْ خُفَّكَ، وصلِّ فيه^(١).

وقال أبو عمرو أحمد بن محمد الحِيرِيُّ: حدثنا أبي^(٢)، قال: سمعتُ محمد بن معاوية - وسليمانُ بن حَرْبٍ إلى جَنْبه - يقول: (خرج الليث بن سعد يوماً، فقوِّموا ثيابه ودابَّته وخاتمه وما كان عليه، ثمانية عشر ألفَ درهم إلى عشرين ألفاً، فقال سليمان بن حرب: خرج شُعبة يوماً، فقوِّموا حماره وسرَّجه ولجامه ثمانية عشر درهماً إلى عشرين درهماً)^(٣).

عقيدته، وتمسُّكه بالسُّنَّة، وحبُّه للصَّحابة:

** قال الوليد بن مُسلم: (سألت مالكا، والثوري، والليث، والأوزاعي، عن الأخبار التي في الصِّفات، فقالوا: أمروها كما جاءت)^(٤).
وقال سعيد بن أبي مريم: سمعت الليث بن سعد، يقول: (بلَغْتُ الثمانين، وما نازعتُ صاحبَ هوى قطُّ)^(٥).

** قال حَزْمَلَة بن يحيى: سمعتُ الشافعي، يقول: (الليث بنُ سعد أتْبَعُ للأثرِ من مالك بن أنس)^(٦).

(١) المعرفة والتاريخ ٤٤٤/٢، وبأخصر منه ١٨٢/٢، وذكر هذه الأخيرة: المزي في تهذيبه ٢٤/٢٦٩، والذهبي في السير ١٥٤/٨، والحافظ في الرحمة الغيثية، ص ٧٦. قوله (لبستُ رُؤُجِي خفاف): أي لبستُ خُفَّاً على خُفِّ.

(٢) سقطت لفظة (أبي) من سير أعلام النبلاء، والصواب إثباتها.

(٣) تاريخ بغداد ٩/٢٦٢، سير أعلام النبلاء ٨/١٥٧، تاريخ الإسلام ٣١٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٢٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/١٦٢، مختصر العلو، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/١٤٤.

(٦) الحلية ٧/٣١٩، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٠.

وقال جعفر بن محمد بن الفضيل الرَّسَعَنِيُّ: حدثنا عثمان بن صالح السَّهْمِيُّ، قال: (كان أهلُ مِصرٍ يَنْتَقِضُونَ عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدَّثهم بفضائل عثمان، فكفُّوا عن ذلك. وكان أهلُ حِمَصٍ يَنْتَقِضُونَ عليّاً، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش، فحدَّثهم بفضائله، فكفُّوا عن ذلك)^(١).

قال محمد بن رُمح: أخبرنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: (أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ... الحديث، وفي آخره: قال رسول الله ﷺ: «وَإِيْمُ اللهِ، لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت، لقطعْتُ يدها»).

قال محمد بن رُمح: سمعتُ الليث بن سعد، يقول: (قد أعادها اللهُ ﷻ أَنْ تَسْرِقَ، قد أعادها اللهُ ﷻ أَنْ تَسْرِقَ، وكلُّ مسلمٍ يَنْبَغِي له أن يقولَ هذا)^(٢).

علمه:

بَكَرَ الليث في طلب العلم، وسمع من علماء بلده مصر وأكثر عنهم، ورحل إلى الحجاز وعُمره عشرون سنة، فحجَّ وسمع من علمائها الكثير الطيب، فأكثر عن عطاء ونافع وابن أبي مُلَيْكَةَ وأبي الزُّبَيْرِ والزُّهْرِيِّ، وهَمَّ بالرحلة إلى الرُّصَافَةِ بالشَّامِ لِإِلْزَامِ الزُّهْرِيِّ وَيَنْهَلُ من علمه، فَخَشِيَ أن لا يكون سفره خالصاً لله فتركه، وروى عن ابن شهاب بواسطة.

(١) تاريخ بغداد ١٧/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥١/٢١، تهذيب الكمال ٢٧١/٢٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ: حديث ٢٥٤٧، وأخرجه البخاري (٢٦٤٨)، ومسلم (١٦٨٨)، وأبو داود (٤٣٧٣)، والترمذي (١٤٣٠)، والنسائي ٧٢/٨ - ٧٥.

وتفَنَّن في طلب العلم وتحصيله: فأخذ عن عُبيد الله بن أبي جعفر مناولةً، وعن هشام بن عروة مُكاتبةً، وأمر غلامه أن يكتب له ما يحدثُ به معاوية بن صالح، وطلبَ كُتب هُشيم بن بشير وكتب منها، ولحقَّ الأعرج بالإسكندرية لسمع منه فوصلها وقد توفيَّ فصلَّى عليه.

وبقي يطلب العلم حتى شاخ، فلقد رحل إلى العراق سنة (١٦١هـ) وعمره زهاء (٦٨) سنة، فسمع من علمائها، وحدث بها. وكان يطلب العالي والنازل، فتراه يروي عن الزهري ونافع وغيرهما مباشرة، ثم ينزل في الرواية فيروي عنهما وبينه وبين الواحد منهما نَفْسَان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، كراهية التدليس.

فحصَّل الليث في حياته المباركة وعمره المديد علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فغدا واحداً من كبار حفاظ الحديث وأئمة الرواية وفقهاء الأمة، بل هو كبير علماء الإسلام في ديار مصر، وهو بها نظيرُ مالك بالحجاز، والثوري بالعراق، والأوزاعي بالشام، رضي الله عنهم جميعاً.

والليث أحدُ الكبار الذين وُصفوا بأنهم محدثون فقهاء، بل اعتبره الشافعي - وحسبك به - أفقه من مالك، لكن ما حَفِظَتْ آراؤه وأقواله في الفقه لأن أصحابه ضَعُفُوا عن ذلك وما دَوَّنُوهُ كما فعل أصحابُ مالك.

وكان الليث مع اتساعه في الحديث وتبريزه في الفقه، عالماً بالتاريخ، يُحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر، قويَّ الذاكرة، بارعاً في المناقشة والمناظرة، رُئي في حلقة شيخه ربعة الرأبي يُناظر العلماء في المسائل وقد كَسَرَهُمْ وغَلَبَهُمْ بحجته، ومن تأمل في رسالته إلى مالك يستبين سعة علم هذا الإمام وطول باعه في الحديث والآثار والفقه وعمل رسول الله ﷺ وصحابته الذين انتشروا في الأمصار، ويتأكد من صحة ودقة قول الشافعي فيه: (الليثُ أفقه من مالك).

وقد تصدَّى الليث لنشر علمه الغزير المبارك، فأخذ عنه علماء مصر فأكثروا، وحدث بالشام، والعراق، وروى عنه الغرباء الواردون مصر، وتفردوا عنه بأحاديث ليست عند غيرهم، وحمل عنه الناس شيئاً كثيراً.

طلبه العلم:

** روى يحيى بن بُكَيْرٍ عن الليث قال: (سمعتُ من ابن شهاب سنة ثلاث عشرة ومئة بمكة، وأنا ابنُ عشرين سنة)^(١).

وقال ابن بُكَيْرٍ: (حجَّ الليث بن سعد سنة ثلاث عشرة - ومئة - فسمع من ابن شهاب بمكة، وسمع من ابن أبي مُلَيْكَةَ، وعطاء بن أبي رباح، وأبي الزُّبَيْرِ، ونافع، وعمران بن أبي أنس، وعدة مشايخ في هذه السنة)^(٢).

وقال عَمْرُو بن خالد: (قلتُ لَلَيْثِ: بَلَّغْنِي أَنْكَ أَخَذْتَ بِرِكَابِ ابْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ؟ قال: نعم، لِلْعِلْمِ، فأما لِغَيْرِ الْعِلْمِ فلا وَاللَّهِ ما فعلته بِأَحَدٍ قَطُّ)^(٣).

وروى عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد قال: (كنا بمكة سنة ثلاث عشرة ومئة، وعلى الموسم سُليمان بن هشام، وبها: ابنُ شهاب، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مُلَيْكَةَ، وعَمْرُو بن شُعَيْبِ، وقتادة بن دِعَامَةَ، وعِكرمة بن خالد، وأيوب بن موسى، وإسماعيل بن أمية، فَكَسَفَتِ الشَّمْسُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فقاموا قِياماً يَدْعُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَأَلْتُ أَيُوبَ بْنَ مُوسَى فَقُلْتُ: ما يَمْنَعُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي صَلَّاهَا فِي

(١) التاريخ الكبير ٢٤٦/٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٦/١، ١٤٢/٢، ٤٤٣، تاريخ بغداد ٦/١٣.

(٣) مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١، الرحمة الغيثية، ص ٧٦.

الكُسوف؟ فقال أيوب بن موسى: نَهَى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد العصر، والنهي يَقَطَعُ الأمر^(١).

قال الفَسَوِيّ: قال يحيى بن بُكير: أخبرني حُبَيْش بن سعيد، عن الليث قال: (جئتُ أبا الزبير، فأخرج إليّ كتاباً، فقلتُ: سماعك من جابر؟ قال: ومن غيره، قلتُ: سماعك من جابر، قال: فأخرج إليّ هذه الصحيفة). قال الفَسَوِيّ: (قلت لابن بُكير: والليثُ يومئذُ ابنُ عشرين سنة؟! قال: ابنُ عشرين سنة)^(٢).

وقال الليث بن سعد: (قدِمْتُ مكة، فجئتُ أبا الزبير، فدَفَعُ إليّ كتابين، فانقلبتُ بهما، ثم قلت في نفسي: لو عَاوَدْتُهُ فسألته هل سَمِعَ هذا كَلَهُ من جابر؟ فقال: منه ما سمعتُ، ومنه ما حَدَّثْتُ عنه، فقلتُ له: أَعْلِمُ لي على ما سمعتَ، فأَعْلَمَ لي على هذا الذي عندي)^(٣).

وروى غير واحد عن الليث قال: (دخلتُ على نافع، فسألني، فقلت: أنا رجلٌ من أهل مصر، قال: ممَّن؟ قلت: من قَيْس، قال: ابن رفاعة؟ فقلت: أنا ابنُ رجلٍ من قومه. وقال لي: ابنُ كم؟ قلت: ابنُ عشرين سنةً، قال: أما لحيثُك فلحيَةُ ابنِ الأربعين)^(٤).

**قال يحيى بن بُكير: أخبرني مَنْ سَمِعَ الليث، يقول: (كتبتُ من علم ابن شهاب علماً كثيراً، وطلبتُ رُكُوبَ البريد إليه إلى الرُّصَافَةِ، فَخِفْتُ ألا يكون ذلك لله ﷻ، فتركتُ ذلك)^(٥).

(١) مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٥/٢٤ - ٢٦٦.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٦/١، ١٤٢/٢، ٤٤٣.

(٣) الضعفاء للعقيلي ١٣٣/٤، الكامل لابن عدي ١٢٤/٦، تهذيب الكمال ٤٠٩/٢٦ - ٤١٠.

(٤) المعرفة والتاريخ ١٦٦/١، ١٤٢/٢ - ١٤٣، ٤٤٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١، الرحمة الغيثية، ص ٧١.

(٥) المعرفة والتاريخ ١٦٧/١، ٤٤٤/٢، تاريخ بغداد ٥/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١.

قال الخَصْرُ بنُ عُبَيْدِ الأَكْفَانِي: حدثنا عيسى بن حماد زُغْبَةُ، قال: حدثنا الليث، قال: (حججتُ أنا وابنُ لهيعةَ، فلما صرْتُ بمكة رأيتُ نافعاً، فأقعدتُه في دكانِ علّافٍ، فحدّثني، فمرَّ بي ابنُ لهيعةَ فقال: مَنْ هذا الذي رأيتهُ معك؟ قلت: مولى لنا. فلما قدِمنا مصر قلت: حدّثني نافعٌ، فوثب إليَّ ابنُ لهيعةَ فقال: يا سبحانَ الله! فقلت: ألم ترَّ الأسودَ معي في دكانِ العلّافِ بمكة؟ فقال لي: نعم، فقلت: ذاك نافعٌ. فحجَّ^(١) من قابلٍ، فوجده قد توفي. وقدِم الأعرجُ يريد الإسكندريةَ، فرآه ابنُ لهيعةَ، فأخذه، فما زال عنده يحدثُه، حتى اكَتَرى له سفينةَ، وأحْدَرَه إلى الإسكندريةَ، فخرج إلى الإسكندريةَ، ففعد يُحدّثُ، فقال: حدّثني الأعرجُ عن أبي هريرةَ، فقلت: الأعرجُ! متى رأيتهُ؟! قال: إن أردتهُ هو بالإسكندريةَ. فخرج الليثُ إلى الإسكندريةَ، فوجده قد مات، فذكر أنه صلَّى عليه)^(٢).

وعلقَ الذهبي على هذا الخبر فقال: (هذه بهذه جزاءٍ وفاقاً)^(٣).

قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِي: سمعت عبد الله بن صالح، يقول: (قدِمَ علينا معاوية بن صالح، فجالسَ الليثَ بنَ سعدٍ فحدّثه، فقال لي الليثُ: يا عبد الله، ائتِ الشيخَ واكتبْ ما يُملِي عليك. قال: فأتيتهُ، فكان يُملِيها عليّ، ثم يصير إلى الليث فيقرأها عليه، فسمعتُها من معاوية مرتين)^(٤).

(١) أي ابن لهيعة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٤٨٠، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٤٧، تهذيب الكمال ٢٤/٢٦٦، وفي المعرفة والتاريخ رواية أخرى ٤/٤٤٢.

(٣) تاريخ الإسلام، ص ٣٠٥.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٣٩٩، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢/١٣٨، وانظر رواية أخرى في مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٠.

وقال الفسوي: (حدّثني بعض آل أبي مريم، عن يحيى بن أيوب قال: كنت بمكة فخرجت مع ابن جزيج في جنازة في يوم حرور، فقال لي: يا أبا العباس قد استعبدك الحديث. وكان له حلقة في مسجد مصر، فمرّ به الليث بن سعد يوماً فوقف عليه، فقام إليه يحيى ومضى معه إلى حلقة الليث، فكان الليث يسأله عن النوازل، وكان حافظاً للحديث، فيحدّثه بما عنده. قال: وبعت إليه الليث بدنانير، فكان يلزم الليث حتى مات)^(١).

وقال أحمد بن منصور: حدثنا أبو صالح، قال: (خرجنا مع الليث بن سعد إلى بغداد سنة إحدى وستين ومئة، خرجنا في سؤال، وشهدنا الأضحى ببغداد). وقال هشام بن يونس: حدثنا أبو صالح، قال: (قال لي الليث بن سعد - ونحن ببغداد -: سل عن قطعة بني جدار، فإذا أرشدت إليها، فسل عن منزل هشيم الواسطي، فقل له: أخوك ليث المصري يُقرئك السلام، ويسألك أن تبعث إليه شيئاً من كتّبك. فلقيت هُشَيْماً، فدفع إليّ شيئاً، فكتبنا منه، وسمعتها مع الليث)^(٢).

** قال عبد الله بن يوسف: قال الليث بن سعد: (لم أسمع من عُبيد الله بن أبي جعفر، إنما هي مُناولة)^(٣).

وفي رواية عن ابن وهب قال: قال الليث بن سعد: (لم أسمع من عُبيد الله بن أبي جعفر، إنما كان صحيفةً كتّبت إليّ، ولم أعرضه عليه)^(٤). قلت: حديث الليث عن عُبيد الله عند الجماعة سوى الترمذي.

(١) المعرفة والتاريخ ٤٤٥/٢ - ٤٤٦، وانظر رواية أخرى في تاريخ الدوري ٥٠١/٢.

(٢) تاريخ بغداد ٤/١٣، سير أعلام النبلاء ١٤٥/٨، الرحمة الغيثية، ص ٧١.

(٣) تهذيب الكمال ٢٤/٢٦٧.

(٤) المراسيل، ص ١٨٠.

قال ابن وهب: أخبرني الليث، قال: (أخذتُ من خالد بن يزيد كُتُبا لم أعرضها عليه، وأنا أحدثُ بها عنه)^(١).

وقال ابن وهب أيضاً: (ولقد كان يحيى بن سعيد - الأنصاري - يكتب إلى الليث بن سعد، فيقول: حدّثني يحيى بن سعيد. وكان هشام بن عروة يكتب إليه، فيقول: حدّثني هشام)^(٢).

وقال الفسوي: (حدّثني محمد بن رُمح التُّجيبِي، قال: حدّثنا الليث بن سعد، قال: حدّثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن هُرْمُرُ الأَعْرَج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَهُ جَارُهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ» قال ابن رُمح: سمعتُ الليث حين يُحدّثُ بهذا الحديث، قال: هذا أولُ ما لمالكٍ عندنا وآخِرُهُ)^(٣).

** قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (سمعتُ أبي، يقول: سَمِعَ الليث بن سعد من بُكَيْرِ بن الأَشَجِّ نحواً من ثلاثين حديثاً. فقلت: إنهم يَحْكُونُ عن أبي الوليد أنه سمع الليث يقول: ما سمعتُ من بُكَيْرٍ شيئاً؟! فأنكره وقال: الليث يقول: حدّثني بُكَيْرُ بن عبد الله)^(٤).

وقال أبو يَعْلَى الخَلِيلِي فِي تَرْجَمَةِ عَمْرُو بن الحَارِثِ: (أَكْثَرَ عَنْهُ اللَّيْثُ بن سعد)^(٥).

وقال الحافظ: (وقعتُ لي نسخةُ الليث عن نافع، فيها من الأحاديث

(١) المعرفة والتاريخ ٨٢٤/٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ٨٢٤/٢ - ٨٢٥، شرح علل الترمذي ٥٢٥/١. والذي يقول (حدّثني) هو الليث.

(٣) المعرفة والتاريخ ١٨٢/٣.

(٤) العلل برواية عبد الله: رقم ٢٤٠٨. وأبو الوليد هو الطيالسي.

(٥) الإرشاد ٤٠٣/١.

المرفوعة والموقوفة نحو المئة، ومع ذلك فكان الليثُ يروي عنه ما ليس عنده منه مشافهةً بالواسطة^(١).

القارئ:

قال ابن الجَزَرِيّ في ترجمة الليث: (روى القراءة عن نافع، وروى عنه ابنه شُعيب، وابن وَهَب، والحُلَوَانِيّ في قول الهُدَلِيّ، ولم يُدرِكْه)^(٢).

المحدث:

روى عن:

إبراهيم بن أبي عَبَلَةَ، وإبراهيم بن نَشِيْطِ الوَعْلَانِيّ، وأيوب بن موسى، وبَكْر بن سَوَادَةَ، وبُكَيْر بن عبد الله بن الأشَجّ، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يعقوب والد عَمْرُو، وحُكَيْم بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرَمَةَ، وحُنَيْن بن أبي حَكِيم، وخالد بن أبي عمران، وخالد بن يزيد المِصْرِيّ، وخَيْر بن نُعَيْمِ الحَضْرَمِيّ، والرَّبِيع بن سَبْرَةَ بن معبد الجُهَنِيّ، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وزُهْرَةَ بن مَعْبَد، وسعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيّ، وسعيد بن عبد الرحمن الجُمَحِيّ، وسعيد بن يزيد الجُمَيْرِيّ، وشعيب بن إسحاق الدَّمَشْقِيّ، وِصْفَوَان بن سُلَيْم، وأبي الزَّنَاد عبد الله بن ذكوان، وعبد الله بن عُبيد الله بن أبي مُلَيْكَةَ، وعبد ربه بن سعيد الأنصاريّ، وعبد الرحمن بن خالد بن مُسَافِر، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلْمَةَ المَاجِشُون، وعبد الملك بن جُرَيْج، وعُبيد الله بن أبي جعفر المِصْرِيّ، وعُبيد الله بن عُمَر العُمَرِيّ، وعطاء بن

(١) الرحمة الغيثية، ص ٧٢.

(٢) غاية النهاية ٣٤٢/٣. والحلواني هو أحمد بن يزيد، انظر ترجمته في غاية النهاية ١٤٩/١ - ١٥٠.

أبي رباح، وعُقَيْلُ بن خالد، وعَمْرُو بن الحارث، وعِمْرَانُ بن أبي أنس، وعَمِيرَةُ بن أبي ناجية، وقتادة بن دِعامَةَ، وكثير بن فَرْقَد، ومحمد بن عبد الرحمن بن عَنَج، ومحمد بن عَجْلَان، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِيُّ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان، ومِشْرَحُ بن هاعان، ومعاوية بن صالح، وموسى بن أيوب، وموسى بن عُليِّ بن رباح، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن سَعْد، وهشام بن عروة، ويحيى بن أيوب المِصْرِيُّ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب، ويزيد بن محمد القرشي، ويونس بن يزيد الأيلي، وأبي الزُّبير المَكِّي، وخلق سواهم.

وحدَّث عنه:

ابنُه شُعَيْب، ومحمد بن عَجْلَان، وهشام بن سَعْد وهما من شيوخه. وعبد الله بن لَهَيْعَةَ، وعَطَّافُ بن خالد المَخْزُومِيُّ، وقَيْسُ بن الرَّبِيعِ الأَسَدِيُّ، وهُشَيْمُ بن بَشِير، وهم من أقرانه. وأحمد بن عبد الله بن يونس، وآدم بن أبي إياس، وأشهب بن عبد العزيز، وحجاج بن محمد، وحُجَيْنُ بن المُثَنَّى، والحسن بن سَوَّار، وداود بن منصور النَّسَائِيُّ، وسعيد بن الحَكَمِ بن أبي مريم، وسعيد بن سُلَيْمَانَ الواسِطِيُّ، وسعيد بن سُرخَيْل، وسعيد بن كثير بن عُفَيْر، وشبابة بن سَوَّار، وعاصم بن علي بن عاصم الواسِطِيُّ، وكاتبه عبد الله بن صالح، وعبد الله بن عبد الحَكَمِ، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيُّ، وعبد الله بن نافع الصَّائِغ، وعبد الله بن وَهَب، وعبد الله بن يزيد المُقْرِي، وعبد الله بن يوسُف التَّنِيسِيُّ، وعبد الرحمن بن غَزْوَانَ المعروف بِقُرَاد، وعلي بن عِيَّاش الجَمِصِيُّ، وعلي بن نَصْر الجَهْضَمِيُّ الكبير، وعَمْرُو بن خالد الحَرَاني، وعَمْرُو بن الربيع بن طارق، وعيسى بن حماد المُلقَّب بزُغْبَةَ

وهو آخر من حدّث عنه من الثقات، والقاسم بن كثير الإسكندراني،
 وقُتَيْبَةُ بن سعيد، ومحمد بن الحارث بن راشد المِصْرِي، ومحمد بن رُمح
 المِصْرِي، ومروان بن محمد الطَّاطِرِيُّ، ومنصور بن سَلْمَةَ الخَزَاعِيُّ، وأبو
 النَّضْرِ هاشم بن القاسم، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطَّيَالِسِيُّ،
 والوليد بن مُسْلِم، ويحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، ويحيى بن يحيى
 النَّيْسَابُورِيُّ، ويزيد بن خالد بن مَوْهَب الرَّمْلِي، ويعقوب بن إبراهيم بن
 سَعْد، وغيرهم كثير.

وحديثه في كتب السُّنَّة كلها.

قال الخطيب البغدادي: (حدّث عنه محمد بن عَجَلان، وعيسى بن
 حماد زُغْبَة، وبين وفاتيهما مئة سنة)^(١).

تحرّيه وثبته، وإسناده العالي والنازل، وكراهيته التّدليس:

** قال أبو داود: (سمعت أحمد يقول: سعيد بن أبي هلال، سمعوا
 منه بمصر القدماء، فخرج - زعموا - إلى المدينة، فجاءهم بِعَدْل - أو قال:
 بِوَسْقٍ - كُتِبَ كُتِبَتْ عن الصَّغَارِ، وعن كلِّ، وكان الليث بن سعد سمع
 منه، ثم شكَّ في بعضه، فجعل بينه وبين سعيد: خالدًا. قال: خالد بن
 يزيد، ثقة؛ قاله أبو داود)^(٢).

وقال أبو عُبَيْد الأَجْرِيُّ: سمعت أبا داود، يقول: (كان الليث بن سعد
 روى أحاديث عن رجل، ورواها عن رجل عن الرجل. كان يكتب على
 الوجه.

(١) السابق واللاحق، ص ٣٠٧ - ٣٠٨، ولكلامه بقية.

(٢) سوّالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٥٤.

كتب عن يزيد بن أبي حبيب، سمع من الزهري، عن أنس: «مَنْ كَذَبَ عَلِيًّا». ورواه عن يونس، عن الزهري، عن أنس. وروى عن يزيد بن أبي حبيب، ثم حَدَّثَ به عن الزهري الذي حَدَّثَ به.

روى عن يزيد، عن الجَلَّاح^(١)، ثم روى عن الجَلَّاح. ليس أحدٌ ينزل نزوله. روى عن خمسة عن الزهري: روى عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن الهاد، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهري^(٢).

وقال أبو يَعْلَى الخَلِيلِيُّ في ترجمته: (ومن حُسْنِ دِيانته أنه مع إكثاره عن الزهري سَمَاعاً، يروي ما فاته عن يونس بن يزيد، وعُقَيْل، وغيرهما، عن الزهري)^(٣).

** قال الذهبي: (قد روى الليث إسناداً عالياً في زمانه، فعنده عن عطاء عن عائشة، وعن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن ابن عباس، وعن نافع عن ابن عمر، وعن الْمُقْبِرِيِّ عن أبي هريرة، وهذا النمط أعلى ما يُوجد في زمانه. ثم تراه يَنْزِلُ في أحاديثٍ ولا يُبالي لسعة علمه: فقد روى أحاديثَ عن الهَقْلِ بن زياد - وهو أصغرُ منه بكثير - عن الأوزاعي، عن داود بن عطاء، عن موسى بن عُقْبَةَ، عن نافع مولى ابن عمر)^(٤).

وذكر الحافظ نحو هذا، ثم قال: (وقد سَمِعَ الليث من ابن شهاب الزهري كثيراً، ويُدْخِلُ بينه وبين الزهري: الواسطةَ بواحدٍ كعُقَيْل ويونس

(١) هو الجَلَّاح أبو كثير المصري، مولى عبد العزيز بن مروان.

(٢) سؤالات الأجرى: رقم ١٥٠٨، والفقرة الأخيرة برقم ١٤٩٧، تهذيب التهذيب ٤١٦/٨.

(٣) الإرشاد ٢٠٢/١.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥٩/٨ - ١٦٠، وانظر ١٣٨، وبنحوه في تاريخ الإسلام، ص ٣١٣.

وغيرهما، وذلك في الصحيحين. وبأثنين كما روى عن إبراهيم بن سَعْد، عن صالح بن كَيْسَانَ، عن ابن شهاب. وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن الهاد، عن ابن شهاب. وبخمس كما روى عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن الهاد، عن إبراهيم بن سَعْد، عن صالح بن كَيْسَانَ، عن الزهري^(١).

وقال الحافظ: (وسمع من أبي الزبير، وحديثه عنه من أصحّ الحديث، فإنه لم يسمع منه شيئاً دَلَّس فيه. وقد روى عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن عَجَلان، عن أبي الزبير).

ثم قال: (وما من هؤلاء الوسائط إلا مَنْ سَمِعَ منه الكُتُب، ولكنه كان لا يحبّ التدليس، فكان لا يُبالي إذا نَزَلَ في الرواية إذا لم يسمع، فقد حدّث عن هشام بن عروة، وسمع من ربيعة، وحدّث عن يحيى بن أيوب، عن أيوب بن موسى عنه، وسمع من سعيد المَقْبُرِيِّ^(٢)، وحدّث عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الحميد بن جعفر، عنه)^(٣).

درجة حديثه في بعض شيوخه:

في نافع مولى ابن عمر:

قال عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ: (قلت ليحيى بن معين: الليث بن سعد كيف حديثه عن نافع؟ فقال: صالح ثقة)^(٤).

(١) الرحمة الغيثية، ص ٧٢.

(٢) في الرحمة الغيثية: (المصري)، تحريف.

(٣) الرحمة الغيثية، ص ٧٣.

(٤) تاريخ الدارمي: رقم ٥٢٤، تاريخ بغداد ١٣/١٣.

وَقَسَمَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ أَصْحَابَ نَافِعٍ إِلَى تِسْعِ طَبَقَاتٍ، وَقَالَ: (الطَبَقَةُ السَّادِسَةُ: لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ مَسَاحِقٍ، وَابْنُ عَنَجِ الْمِصْرِيِّ)^(١).

وَأَمَّا النَّسَائِيُّ فَذَكَرَهُ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ أَصْحَابِ نَافِعٍ^(٢)، وَهَذَا أَدَقُّ، فَحَدِيثُهُ عَنْ نَافِعٍ فِي الْكُتُبِ السِّتَةِ.

فِي سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ:

- قَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: (سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ: أَيُّهُمَا أُثْبِتُ: لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَوْ ابْنَ أَبِي ذُنْبٍ فِي سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ؟ قَالَ: كِلَاهُمَا ثَبَّتُ)^(٣).

وَرَوَى الدُّورِيُّ عَنْ ابْنِ مَعِينٍ قَالَ: (الليثُ وابنُ أبي ذُنْبٍ أُثْبِتُ فِي الْمَقْبُرِيِّ مِنْ ابْنِ عَجَلَانَ)^(٤).

وَقَالَ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ: قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: (الليثُ بنُ سعدٍ أُثْبِتُ مَنْ رَوَى عَنْ الْمَقْبُرِيِّ)^(٥).

- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: (أَصْحُ النَّاسِ حَدِيثًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ: لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، يَفْصِلُ مَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَا رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. هُوَ ثَبَّتُ فِي حَدِيثِهِ جَدًّا)^(٦).

(١) شرح علل الترمذي ٦١٦/٢.

(٢) الطبقات «ضمن ثلاث رسائل حديثة»، ص ٦٠.

(٣) تاريخ الدوري ٥٠١/٢.

(٤) الجرح والتعديل ١٧٩/٧.

(٥) الجرح والتعديل ١٧٩/٧ - ١٨٠.

(٦) العلل برواية عبد الله: رقم ٦٥٩، تاريخ بغداد ١٢/١٣.

وقال حَنْبَلُ بن إِسْحَاقَ: (سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ عَنِ الْمُقْبِرِيِّ، أَوْ ابْنُ عَجْلَانَ عَنِ الْمُقْبِرِيِّ؟ قَالَ: ابْنُ عَجْلَانَ اخْتَلَطَ عَلَيْهِ سَمَاعُهُ مَعَ سَمَاعِ أَبِيهِ، وَلَيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ فِيمَا يَرُوي عَنِ الْمُقْبِرِيِّ)^(١).

- وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: (هُوَ أَحْفَظُ الْجَمَاعَةِ عَنِ الْمُقْبِرِيِّ)^(٢).

في بكير بن عبد الله الأشج:

قال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: (لا أعلم أحداً أحسن حديثاً عن بكير بن عبد الله من ليث بن سعد). وقال: (هو أحسن حديثاً - عندي - من عمرو بن الحارث، ومن ابن لهيعة)^(٣).

في الزهري:

- قال عثمان بن سعيد الدارمي: سألت ابن معين عن أصحاب الزهري، قلت: (فإبراهيم بن سعد أحب إليك أو ليث؟ فقال: كلاهما ثقتان)^(٤).

- وقال يعقوب بن شيبه: (الليث بن سعد ثقة، وهو دونهم في الزهري؛ يعني: دون مالك، ومعمّر، وسفيان بن عيينة، وفي حديثه عن الزهري بعض الاضطراب)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ١٢/١٣ - ١٣، وانظر: علل أحمد برواية عبد الله رقم ٦٠٢، ٥٢٧٠.

(٢) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣٣٣/١.

(٣) شرح علل الترمذي ٧٣٢/٢، وللکلام بقية.

(٤) تاريخ الدارمي: رقم ٧.

(٥) تهذيب الكمال ٢٦٤/٢٤.

- وذكر ابنُ رجب أصحابَ الزهري، ورَتَّبَهُم في خمس طبقات، وقال: (الطبقة الثانية: أهلُ حفظ وإتقان، لكنْ لم تُطَلَّ صحبتُهُم للزهري، وإنما صَجِبُوهُ مدَّةً يَسِيرَةً، ولم يمارسوا حديثه، وهُم في إتقانه دون الطبقة الأولى، كالأوزاعيِّ، والليث، وعبد الرحمن بن خالد بن مُسافر، والنعمان بن راشد، ونحوهم. وهؤلاء يخرج لهم مسلم عن الزهري)^(١).

قلت: في بعض ما ذكره نظرٌ؛ فحديثُ الأوزاعي والليث وابن مسافر، ثلاثتهم عن الزهري، في الصحيحين.

في هشام بن عروة:

قال الدارقطني: (أثبتُ الرواة عن هشام بن عروة: الثوريُّ، ومالكُ، ويحيى القطان، وابنُ نُمير، والليث بن سعد)^(٢).

ما قيل في سهولته في أخذ الحديث:

قال يحيى بن معين: (كان يتساهل في الشيوخ والسماع، وكان من أهل المعرفة)^(٣).

وقال أحمد بن حنبل: (الليث بن سعد ثقة، ولكن في أخذه سهولةً)^(٤).

قال الذهبي في ردِّ ذلك: (وما تساهل فيه الليثُ فهو دليلٌ على الجَوَاز لأنه قدوة)^(٥).

(١) شرح علل الترمذي ٦١٤/٢.

(٢) شرح علل الترمذي ٦٨٠/٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣.

(٤) تهذيب الكمال ٢٦١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١٥٦/٨.

(٥) ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣.

قلت: قد مرّ الحديث عن تثبّته وتحريه في السّماع، والنزول في الإسناد والرواية عن هو أصغر منه، كراهيةً منه للتدليس وحرصاً على رواية الحديث على وجهه. وأما ما يذهب إليه من تحمّل الحديث بالإجازة والمناولة والمكاتبة، فهي طُرُق تحمّل صحيحة أخذ بها جمعٌ من الأئمة، وروايته بالمناولة عن عبّيد الله بن أبي جعفر، وبالمكاتبة عن هشام بن عروة، وحديثه عنهما في الصحيحين.

ما قيل في إرساله:

- قال ابن وهب: قال الليث بن سعد: (لم أسمع من عبّيد الله بن أبي جعفر، إنما كان صحيفة كتّب إليّ، ولم أعرضه عليه)^(١).

وقال أبو صالح كاتبه: (إن رواية الليث عن عبّيد الله العمري من كتابه إليه)^(٢). وقد ذكر العلّائي هذين الخبرين، ثم عقّب عليهما فقال: (قلت: تقدّم أن المكاتبة أحد أنواع التحمّل، فلا إرسال في هذين).

- قال أبو زرعة الرازي: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، وسمعته يقول: (لم يسمع الليث من مشرّح بن هاعان شيئاً، ولا يروي عنه).

قال ابن أبي حاتم: (سمعتُ أبا زرعة ودكر هذا بعقب حديث رواه أبو صالح كاتب الليث، وعثمان بن صالح السّهمي، عن الليث، عن مشرّح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بالتّيس المُستعّار»)^(٣).

(١) المراسيل، ص ١٨٠.

(٢) جامع التحصيل، ص ٣٢٠.

(٣) المراسيل، ص ١٨٠، جامع التحصيل، ص ٣٢٠.

قلت: قوله: (لا يروي عنه)، غير صحيح، بل روى عنه، وحديثه عنه عند ابن ماجه.

وقوله: (لم يسمع الليث من مِشْرَح بن هَاعَانَ شيئاً)، غير صحيح كذلك، فَمِشْرَح مِضْرِي، مات سنة (١٢٨هـ)، وَسِنَّ اللَيْثِ آنَذَاكَ نَحْوُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ مَعَهُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، فَمَنْ أَيْنَ يَنْهَضُ الدَّلِيلَ عَلَى عَدَمِ رِوَايَتِهِ عَنْهُ وَسَمَاعِهِ مِنْهُ؟! وَاللَّيْثُ غَيْرُ مَدْلَسٍ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي الرِّوَايَةِ عَدَّةً أَنْفُسٍ كَرَاهِيَةَ التَّدْلِيْسِ. ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى سَمَاعِهِ مِنْ مِشْرَحٍ، فَالْحَدِيثُ الْمَشَارُؤُ إِلَيْهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَالْحَاكِمُ.

قال ابن ماجه: (حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المِضْرِي، حدثنا أَبِي، قال: سمعت الليث بن سعد، يقول: قال لي أبو مُضْعَبٍ مِشْرَحُ بْنُ هَاعَانَ: قال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «هو المُحَلَّلُ، لَعَنَ اللهُ المُحَلَّلَ والمُحَلَّلَ له»^(١).

وفي المستدرك: (قال أبو صالح: حدثنا الليث بن سعد، قال: سمعتُ مِشْرَحَ بْنَ هَاعَانَ يَحْدُثُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ)، الحديث^(٢).

الليث وعلوم الحديث:

- أجاز الرواية بالمكاتبَة، وهو مذهبٌ كثيرٌ من المتقدمين والمتأخرين^(٣).

(١) سنن ابن ماجه: حديث ١٩٣٦، وحسنه الألباني، وقال شعيب: صحيح لغيره. وانظر كلامه على

سماع الليث من مشرح، في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٢) المستدرك ١٩٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٧٣ (النوع ٢٤ - القسم الخامس).

- ويرى جواز إطلاق: (حدَّثنا وأخبرنا) في الرواية بالمكاتبة^(١).

- وذهب في جماعة من الأئمة إلى صحة الرواية بالمُنَاوَلَة^(٢).

- وقال هارون بن سعيد الأيلي: حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد: (أنَّ الليث بن سعد كان يُجِيزُ كَتَبَ العلم لكلِّ مَنْ سألَه ذلك، ولا يَمْنَعُ، ويراهَا جائزة واسعة لمن أخذه وحدَّث به)^(٣).

عوالي حديثه:

جمع عواليه الحافظ ابن حجر، وانتقى منها أربعين حديثاً ساقها بأسانيده في «الرحمة الغيثية»، وقال الحافظ: (مات الليث سنة خمس وسبعين ومئة، فيكون له منذ مات إلى الآن ستمئة سنة وستون سنة^(٤))، لم تنقص سنة واحدة. وقد وقعت لنا من عوالي حديثه إليه جملة، بيني وبينه فيها ثمانية أنفس، أكثرها بالسَّماع المتصل إليه، وفي بعضها الإجازة، وقد انتقيت منها أربعين حديثاً، تكلمت على حالها، ومن أخرجها من الأئمة. وإذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة؛ كان قِسْطُ كلِّ واحدٍ منهم ثمانين سنة وزيادة^(٥).

ثم ساقَ الأحاديثَ الأربعين، وتكلم على أسانيدها، وهي كلها أحاديثُ صحاح.

(١) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٧٤، شرح علل الترمذي ٥٢٥/١.

(٢) شرح علل الترمذي ٥٢١/١.

(٣) المحدث الفاصل: رقم ٥١٢.

(٤) فيكون الحافظ قد صنف كتابه هذا سنة (٨٣٥هـ).

(٥) الرحمة الغيثية، ص ١٠٣.

وأخرج عوالمه أيضاً قاسم بن قُطْلُوْبُغَا، كما ذكر السَّخَاوِيُّ وحاجي خليفة^(١). وقد طبع محققاً.

الفقيه، وما قيل في مذهبه الفقهي:

** ذكر الإمام الليث: النَّسَائِيُّ في رسالته «تسمية فقهاء الأمصار»، وترجم له الشَّيرَازِي في «طبقات الفقهاء» وقال: (كان ابن وَهْبُ تَقْرَأُ عليه مسائلُ الليث، فَمَرَّتْ به مسألة فاستحسنوها، فقال رجل من الغرباء: أَحْسَنَ وَاللَّهِ الليث، كأنه كان يَسْمَعُ مالِكاً يَجِيبُ فيجيب، فقال ابن وَهْبُ للرجل: بل لعلَّ مالِكاً كان يَسْمَعُ الليث يَجِيبُ فيجيب، وَاللَّهِ الذي لا إِلَهَ إلا هو ما رأينا أحداً قَطُّ أَفْقَهُ من الليث)^(٢).

قال أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب - ابنُ أخي عبد الله بن وَهْب - : سمعت الشافعي، يقول: (الليثُ أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يَقُومُوا به)^(٣). وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ: (الليثُ أفقه من مالك، ولكن كانت الحُظُوةُ لمالك)^(٤).

قال الحافظ: (ولقد تتبعتُ كُتُبَ الخِلافِ كثيراً، فلم أقف فيها على مسألة واحدة انفردَ بها الليث عن الأئمة من الصحابة والتابعين، إلا في مسألة واحدة، وهي أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت، وقد نُقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية)^(٥).

(١) الضوء اللامع ١٨٦/٦، كشف الظنون ١١٧٨/٢.

(٢) طبقات الفقهاء، ص ٧٦، وفيات الأعيان ١٢٧/٤، الرحمة الغيثية، ص ١٠١.

(٣) تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤، الرحمة الغيثية، ص ٨٤.

(٤) الجرح والتعديل ١٨٠/٧، مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤.

(٥) الرحمة الغيثية، ص ١٠١.

وقال الحافظ أيضاً: (وأخذ عنه الفقه أيضاً مع ابن وهب: عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب، ويحيى بن بكير، وأبو صالح، وغيرهم، لكنه ما صنّف شيئاً من الكتب، ولا دَوَّن أصحابه المسائل عنه، ولذلك قال الشافعي: (ضَيَعَهُ أَصْحَابُهُ)، يعني لم يدوّنوا فقهه كما دَوَّنُوا فقه مالك وغيره، وإن كان بعضهم قد جمع منها شيئاً)^(١).

** قيل: كان حنفيّ المذهب، وقد ترجم له بعضهم في «طبقات الحنفية»^(٢).

وقال ابن النديم: (الليث بن سعد من أصحاب مالك وعلى مذهبه، ثم اختار لنفسه)^(٣).

قلت: بل هو إمام مجتهد مُطْلَق، لا يقلّد أحداً، وقد مرّ قول الشافعي وابن بكير أنه أفقه من مالك.

وقال ابن جبان: (كان أحد الأئمة في الدنيا فقهاً وورعاً...)^(٤).

وقال الليث بن سعد: (أحصيتُ على مالك بن أنس سبعين مسألة كلُّها مخالفةٌ لسُنَّةِ النبي ﷺ، مما قال مالك فيها برأيه. قال: ولقد كتبتُ إليه في ذلك)^(٥).

ومن تأمل رسالة الليث إلى مالك يرى نبوغَ هذا الإمام وبراعته في الفقه وتفوقه فيه.

(١) الرحمة الغيثية، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ١٤٧/٤، الجواهر المضية: رقم ١١٣١، الطبقات السُنِّيَّة: رقم ١٧٤٥.

(٣) الفهرست ٢٨١.

(٤) مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٠٣.

(٥) جامع بيان العلم ١٨٢/٢.

وقد ذكر العلامة فؤاد سزكين^(١) الليث بن سعد في فقهاء المدارس الفقهية المستقلة، مع الأوزاعي وغيره، وقد أحسن في ذلك وأصاب.

نبوغه في العلم ومناقشته بعض علماء عصره:

قال يعقوب بن سفيان الفسوي: سمعت يحيى بن بكير، يقول: قال عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ: (رَأَيْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عِنْدَ رِبِيعَةَ يُنَاطِرُهُمْ فِي الْمَسَائِلِ، وَقَدْ فَرَّفَرَ^(٢) أَهْلَ الْحَلْقَةِ)^(٣).

ويدخل في هذا الباب رسالة الليث إلى مالك بن أنس، وهي مطولة جداً، وقد ساقها بتمامها الدوري في «تاريخه»، والفسوي في «المعرفة»، ونقلها عنه ابن القيم في «إعلام الموقعين»^(٤).

تصانيفه:

ذكر ابن التديم أن الليث صنّف: «مسائل في الفقه» و«التاريخ»، وتابعه على ذلك البغدادي في «هدية العارفين»^(٥).

(١) تاريخ التراث العربي: المجلد الأول، ج ٢٥٠/٣ «الفقه».

(٢) أثبت محقق «المعرفة والتاريخ» الدكتور أكرم العمري بدلاً منها كلمة: (فاق)، وكتب في الحاشية: (في الأصل «فرفر»، والتصويب من ابن حجر: الرحمة الغيثية) انتهى. قلت: الصواب ما جاء في الأصل، وقد جاءت كذلك - أي: فرفر - في المصادر المذكورة في الحاشية التالية.

(٣) المعرفة والتاريخ ٤٨٥/٢، تاريخ بغداد ٥/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٨/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٧/٢٤، سير أعلام النبلاء ١٤٦/٨. وفَرَّفَرَ أَهْلَ الْحَلْقَةِ: كَسَّرَهُمْ وَغَلَّبَهُمْ بِحُجَّتِهِ. وَإِذَا جَعَلْتَ «أهل» فاعل «فرفر» فيكون المعنى: إن أهل الحلقة استبدَّ بهم الطُّيْشُ وَالْحِجْفَةُ لِقُوَّةِ عَارِضَةِ اللَّيْثِ وَبِرَاعَةِ اسْتِدْلَالِهِ.

(٤) تاريخ الدوري ٤٨٧/٤ - ٤٩٧، المعرفة والتاريخ ٦٨٧/١ - ٦٩٥، ٣٠٣/٢، ٤٨٥، إعلام الموقعين ٩٤/٣ - ١٠٠.

(٥) الفهرست، ص ٢٨١، هدية العارفين ٨٤٢/١.

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن شاهين في ترجمة شُعيب بن الليث من «الثقات»، قال: (قال أحمد بن صالح في شعيب بن الليث: ثقة. قيل لأحمد: سَمِعَ شُعَيْبَ الْكُتُبِ مِنْ أَبِيهِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ بَعْضًا، وَفَاتَنِي بَعْضٌ، وَهَذَا مِنْ ثِقَتِهِ. قِيلَ لَهُ: سَمِعْتَ مِنْهُ شَيْئًا؟ فَقَالَ: أَخَذْتُ مِنْهُ كِتَابَ التَّارِيخِ لِأَبِيهِ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ شَيْئًا قُرِئَ عَلَيْهِ وَأَنَا حَاضِرٌ)^(١).

المؤرخ:

ومما يؤيد أن لِيث تصانيف، أن بعض العلماء قد نَقَلُوا أقوالَ الليث في كثير من الحوادث التاريخية وَوَفَّيَاتِ الأعيان، كما فعل الفَسَوِي وابن زَبْر مثلاً.

فمن ذلك: ما رواه الفَسَوِي، عن يحيى بن بُكير، عن الليث أنه قال: (توفي رسولُ الله ﷺ يوم الاثنين، ليلَةَ خَلَّتْ من ربيع الأول - وفيه قديم المدينة - على رأس عشر سنين من مقدمه).

وقال ابن بُكير: حَدَّثَنِي الليث بن سعد، قال: (كانت اليرموك سنة خمس عشرة).

وقال ابن بُكير: حَدَّثَنِي الليث بن سعد، قال: (ثم كانت الرَّمَادَةُ وطاعون عَمَواس سنة ثمان عشرة)^(٢).

وغير ذلك كثير^(٣).

(١) ثقات ابن شاهين، ص ١٦٦ - ١٦٧ ت ٥١٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٨، ٣٧٨، ٣٨٥.

(٣) انظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٨٨، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٩، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥،

٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٩ - ٤٥٠، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٦٨، ٦٩، ٧٣،

نشره العلم:

** قال إسماعيل بن عمرو الغافقي: سمعت أشهب بن عبد العزيز، يقول: (كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها: أما أولها، فيجلس لنائبة السلطان في نوابه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمراً، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل. ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نَجَّحُوا أَصْحَابَ الحَوَانِيتِ، فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم. ويجلس للمسائل، يغشاه الناس فيسألونه. ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيردّه، كَبُرَتْ حاجته أو صَعُرَتْ^(١)).

وقال محمد بن صالح الأشج: (سئل قتيبة بن سعيد: من أخرج لك هذه الأحاديث من عند الليث؟ فقال: شيخ كان يُقال له: زيد بن الحُبَاب)^(٢).
وروى عبد الملك بن شعيب بن الليث، عن أبيه قال: (قيل لِّلَيْثِ: أَمْتَعَ اللهُ بك، إنا نسمع منك الحديث ليس في كُتُبِكَ، فقال: أَوْ كُلُّ ما في صدري في كُتُوبِي؟! لو كتبتُ ما في صدري، ما وسعَه هذا المَرَكَبُ)^(٣).

وقال أبو سعيد بن يونس: (وقد انفرد الغرباء عن الليث بأحاديث ليست عند المصريين عنه، فمنها: حديث مروان بن محمد، عن الليث، عن يزيد بن عمرو المَعافري، عن أبي ثور الفهمي، ليس بمصر عند

(١) تاريخ بغداد ٩/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٢/٢١، تهذيب الكمال ٢٧٥/٢٤ - ٢٧٦، سير أعلام النبلاء ١٥٠/٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٣/٢١.

(٣) مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٩/٢٤، سير أعلام النبلاء ١٥٣/٨، الرحمة الغيضية، ص ٨٣. وانظر رواية أخرى في الحلية ٣١٩/٧.

المصريين. ومنها: حديث قُتَيْبَةَ بن سعيد، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الطُّفَيْل، عن معاذ بن جَبَل، حديث الصلاة، ليس بمصر أيضاً. وأحاديث أُخِرَ للغُرباء عن الليث، ليست بمصر^(١).

** قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِي: حدثنا أبو مُسْهَر، قال: (قَدِمَ عَلَيْنَا الليث بن سعد، فكان يُجَالِسُ سَعِيدَ بنَ عبد العزيز، فَأَتَاهُ أصحابُنَا فَعَرَضُوا عَلَيْهِ، فلم أَرِ أَخْذَهَا عَرَضاً، حتى قَدِمْتُ عَلَى مالِكِ بنِ أَنَسٍ)^(٢).

وقال أبو بكر الخطيب في صدر ترجمته: (وقدِمَ بِغَدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا، فروى عنه من أهلها: حُجَّيْنُ بن المُنْتَنِي، ومنصور بن سَلْمَةَ، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيى بن إِسْحَاقِ البَلْخِي، وشَبَابَةَ بن سَوَّار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد)^(٣).

وقال أبو صالح كاتب الليث: (كان الليث يقرأ بالعراق من فوق عُليَّةٍ على أصحابِ الحديث، والكتابُ بيدي، فإذا فَرَّغَ، رميتُ به إليهم، فَنَسَخُوهُ)^(٤).

** قال يحيى بن بُكَيْرٍ: (جاء رجلٌ إلى الليث بن سعد، فقال: كيف حَدَّثْتَكَ نافعٌ عن النبي ﷺ في «الذي نُشِرَتْ في أبيه القَصَّةُ»؟ فقال الليث: وَيَحْكُ! إنما هو في «الذي يَشْرَبُ في آنيةِ الفِضَّةِ يُجَزَّجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ»)^(٥).

(١) تهذيب الكمال ٢٤/٢٧١.

(٢) تاريخ أبي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِي، ص ٣٦١.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/١٥٣، تاريخ الإسلام، ص ٣٠٦. والعليَّة: الغرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٢٨، وانظر: المعرفة والتاريخ ١/١٦٦ - ١٦٧، ٢/١٤٣، ٤٤٤. والحديث أخرجه: البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥)، وابن ماجه (٣٤١٣).

وقال عيسى بن حماد المُلقَّب بزُغَبَة: (سمعتُ الليث بن سعد يقول، وقد أشرف على أصحاب الحديث، فرأى منهم شيئاً، فقال: ما هذا؟! أنتم إلى يسيرٍ من الأدب أحوجُّ منكم إلى كثير من العلم)^(١).

منزلته وثناء الأئمة عليه، وأقوالهم في علمه وتشبته وصحة حديثه:
الليث أحد كبار علماء الأمة، ممَّن اشتهرت عدالته بين أهل النقل وغيرهم، وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة والضبط والإتقان والرفعة والجلالة، بما يُستغنى عن ذكر أقوال معدِّليه، فهو إمام جَبَل لا يُسأل عن مثله، بل هو يُسأل عن الناس. ومع هذا نورِدُ هنا جملةً مما جاء في تزكياته، وأقوال العلماء في علوِّ قدره وجلالته وامتداحه، فقد أثنى عليه العامة والخاصة، وامتدحه الخلفاء والأمراء، وزكَّاه أسيَّاحُه وأقرانه وتلامذته ومن بعدهم من أئمة الدين.

** قال يحيى بن بُكير: حدثني شعيب بن الليث، عن أبيه قال: (لَمَّا وَدَعْتُ أبا جعفر أمير المؤمنين ببيت المقدس، قال: أعجبني ما رأيتُ من شدةِ عَقْلِكَ، والحمدُ لله الذي جعل في رعيتي مثلك).

قال شعيب: وكان أبي يقول: لا تُخبروا بهذا ما دمتُ حيًّا)^(٢).

- وقال محمد بن إبراهيم العَبْدِيُّ: سمعت ابن بُكير يحدث عن يعقوب بن داود وزير المهدي، قال: قال لي أمير المؤمنين لَمَّا قدِمَ الليث بن سعد العراق: (الزم هذا الشيخ، فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبقَ أحدٌ أعلم بما حَمَلَ منه)^(٣).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٦٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٧/١، ٤٤١/٢، الجرح والتعديل ١٨٠/٧، تاريخ بغداد ١٠/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥١/٢.

(٣) تاريخ بغداد ٥/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٩/٢٤.

- وقال يحيى بن بكير: حَدَّثَنَا شَرْحُبِيلُ بْنُ جَمِيلٍ بْنُ يَزِيدٍ - مَوْلَى شَرْحُبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ - قَالَ: (أَدْرَكْتُ النَّاسَ زَمَنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ مُتَوَافِرُونَ، وَكَانَ بِمِصْرَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَابْنُ هُبَيْرَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَمَنْ يَقْدَمُ عَلَيْنَا مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ لِلرَّبَّاطِ، وَاللَّيْثُ يَوْمَئِذٍ شَابٌ حَدِيثُ السَّنِّ، وَإِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ لَيْثَ فَضْلَهُ وَوَرَعَهُ وَحُسْنَ إِسْلَامِهِ، وَيُقَدِّمُونَهُ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ) (١).

** قال يحيى بن بكير: قال لي عبد العزيز الدَّرَاوَزْدِيُّ: (لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ إِذْ أَتَى يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ وَرَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّهُمَا لَيَتَزَحَّزَحَانِ لَهُ زَحْزَحَةٌ، وَيُعْظَمَانَهُ) (٢).

- وقال سعيد بن زكريا الأدمي: قال العلاء بن كثير: (الليث بن سعد سيِّدنا وإمامنا وعالمنا) (٣).

- وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت ابن بكير، يقول: أُخْبِرْتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: (لَوْ أَنَّ مَالِكًا وَاللَّيْثَ اجْتَمَعَا، لَكَانَ مَالِكٌ عِنْدَ اللَّيْثِ أَبْكَمًا، وَلَبَّاعَ اللَّيْثُ مَالِكًا فِيمَنْ يَزِيدُ. قَالَ: وَهُوَ يَضْرِبُ يَدَهُ عَلَى الْآخَرَى - يُرِينَا ذَلِكَ ابْنُ بُكَيْرٍ -) (٤).

(١) تاريخ بغداد ٥/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٤/٢٦٨، الرحمة الغيثية ٧٥ - ٧٦.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤/٢٦٨، سير أعلام النبلاء ٨/١٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/١٦١، تاريخ الإسلام ٣١٤.

(٤) تاريخ بغداد ٦/١٣ - ٧، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٠.

وعقَّبَ الذهبي على هذه الرواية فقال: (قلت: لا يصحُّ إسنادُها لجهالةِ مَنْ حَدَّثَ عن سعيد بها، أو أن سعيداً ما عرف مالكاً حقَّ المعرفة)^(١).

- وقال الإمام مالك في رسالته إلى الليث: (وأنت في إمامتِكَ وفضلِكَ، ومنزلتِكَ من أهل بلدك، وحاجةِ مَنْ قَبِلَكَ إليك، واعتمادِهِم على ما جاءهم منك...) ^(٢) وذكر باقي الرسالة.

وقال هارون بن سعيد بن الهيثم الأيليُّ: سمعت ابن وهب، يقول: (كلُّ ما كان في كُتُب مالك: «وأخبرني مَنْ أَرْضَى من أهل العلم»، فهو الليث بن سعد)^(٣).

- قال الرِّبيع بن سُلَيْمان: قال ابن وهب: (لولا مالكُ والليثُ لضلَّ الناس)^(٤).

وروى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السَّرْح، عن ابن وهب قال: (لولا مالك بن أنس والليث بن سعد، هلكتُ، كنتُ أظنُّ كلَّ ما جاء عن النبي ﷺ يُعمل به)^(٥).

وفي رواية عن ابن وهب قال: (لولا أن الله أنقذني بمالكِ والليثِ لضللتُ، فقليل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرتُ من الحديث فحيرني، فكنتُ أُعْرِضُ ذلك على مالك والليث، فيقولان لي: خُذْ هذا، ودَعْ هذا)^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٧/٨.

(٢) تاريخ الدوري ٤٩٩/٤، المعرفة والتاريخ ٦٩٦/١، مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٩/٢٤ - ٢٧٠.

(٣) تاريخ بغداد ٧/١٣، تهذيب الكمال ٢٦٧/٢٤.

(٤) تاريخ بغداد ٧/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٥٠/٢١.

(٥) تاريخ بغداد ٧/١٣، تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤.

(٦) ترتيب المدارك ٤٢٧/١ في ترجمة عبد الله بن وهب.

- قال أحمد بن حنبل: سمعت أبا كامل مُظَفَّرَ بن مُدْرِك، قال: (ما قَدِمَ علينا هاهنا من ناحية الشام رجلٌ أصحُّ حديثاً من ليث بن سعد)^(١).

وأبو كامل شيخ أحمد، روى عن الليث، وهو خراساني سكن بغداد. وقال عبد الملك بن يحيى بن بُكَيْر: سمعت أبي، يقول: (ما رأيتُ أحداً أكملَ من الليث بن سعد، كان فقيهُ البَدَن، عربيُّ اللسان، يُحسن القرآن، والنحو، ويحفظُ الشعر، والحديث، حسنَ المُذاكرة - وما زال يذكرُ خِصَلاً جميلةً ويعقدُ بيده، حتى عقد عشرة - لم أر مثله)^(٢).

** قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي، يقول: (ما فاتني أحدٌ فأسِفْتُ عليه ما أسِفْتُ على الليث بن سعد وابن أبي ذئب)^(٣).

- وقال ابن سعد: (وكان ثقةً، كثيرَ الحديث صحيحه، وكان قد استقلَّ بالفتوى في زمانه بمصر، وكان سرياً من الرجال، نبيلاً، سخياً، له ضيافة)^(٤).

- وقال عثمان بن سعيد الدارمي: (قلت ليحيى بن معين: فالليثُ بن سعد أحبُّ إليك أو يحيى بن أيوب؟ فقال: الليثُ أحبُّ إليّ، ويحيى ثقة)^(٥).

وفي رواية ابن طهمان، عن ابن معين قال: (ليث بن سعد ثقة صدوق)^(٦).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٦١٦.

(٢) تاريخ بغداد ٦/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٩/٢١، تهذيب الكمال ٢٦٨/٢٤ - ٢٦٩. وعزاه النووي في تهذيب الأسماء - ٧٤/٢ - للإمام أحمد، وهو خطأ، وتصحفت كلمة (المذاكرة) إلى (الذاكرة).

(٣) الإرشاد ٢٠٢/١، تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤، الرحمة الغيثية، ص ٩٩، توالي التأسيس، ص ٥٧ وفيه تعليق جيد لابن حجر على الخبر.

(٤) طبقات ابن سعد ٥١٧/٧.

(٥) تاريخ الدارمي: رقم ٧١٩، تاريخ بغداد ١٣/١٣.

(٦) سؤالات ابن طهمان: رقم ٣٦٩. وانظر: الجرح والتعديل ١٧٩/٧، تاريخ بغداد ١٣/١٣.

- وقال علي بن المَدِينِي: (الليث بن سعد ثبت) (١).

- قال أحمد بن سعد بن إبراهيم الزُّهْرِي: (سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عن الليث بن سعد، فقال: ثقة ثبت) (٢).

وقال أبو بكر الأَثْرَم: سمعت أبا عبد الله، يقول: (ما في هؤلاء المِصْرِيِّين أثبت من الليث بن سعد، لا عَمْرُو بن الحارث ولا أحد، وقد كان عَمْرُو بن الحارث عندي، ثم رأيتُ له أشياء مناكير. ثم قال لي أبو عبد الله: ليث بن سعد، ما أصحَّ حديثه! وجعل يُثني عليه. فقال إنسان لأبي عبد الله: إن إنساناً ضَعَفَه، فقال: لا يَدْرِي) (٣).

وقال أبو داود السَّجِسْتَانِي: سمعتُ أحمد، يقول: (ليس فيهم - يعني أهل مصر - أصحُّ حديثاً من الليث بن سعد، وعَمْرُو بن الحارث يُقَارِبُهُ) (٤).
وروى أبو طالب والفضل بن زياد، عن أحمد بن حنبل قال:
(الليث بن سعد كثير العلم، صحيح الحديث) (٥).

- قال أحمد بن محمد بن الحَجَّاج بن رَشْدِين بن سَعْد: (سمعتُ أحمد بن صالح، وذَكَرَ الليث بن سعد، فقال: إمامٌ قد أَوْجَبَ اللهُ علينا حقَّه. فقلتُ لأحمد: الليث إمامٌ؟ فقال لي: نعم إمام، لم يكن بالبلد بعد عَمْرُو بن الحارث مثلُ الليث) (٦).

(١) الجرح والتعديل ١٧٩/٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/١٣، تهذيب الكمال ٢٦١/٢٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/١٣، وبأخصر منه في الجرح والتعديل ١٧٩/٧.

(٤) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٥٩١، تاريخ بغداد ١٢/١٣.

(٥) المعرفة والتاريخ ١٣٩/٢، ١٨٢، الجرح والتعديل ١٧٩/٧.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/١٣، تهذيب الكمال ٢٧١/٢٤.

- وقال عمرو بن علي الفلاس: (ليث بن سعد صدوق)^(١).
- وقال أحمد بن عبد الله العجلي: (مِصْرِي فَهْمِي ثِقَةٌ)^(٢).
- وقال يعقوب بن شَيْبَةَ: (الليث بن سعد ثقة)^(٣).
- وقال ابن أبي حاتم: (سَأَلْتُ أَبَا زُرْعَةَ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ؟ فَقَالَ: صَدُوقٌ. قُلْتُ: يُحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ؟ قَالَ: إِي لَعْمَرِي).
- وقال ابن أبي حاتم أيضاً: سمعت أبي، يقول: (الليث بن سعد أحبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُفَضَّلِ بْنِ فَضَالَةَ الْمِصْرِيِّ)^(٤).
- وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خِرَاشٍ: (ليث بن سعد المِصْرِيُّ صَدُوقٌ صَحِيحُ الْحَدِيثِ)^(٥).
- وقال النَّسَائِيُّ: (أَبُو الْحَارِثِ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ الْمِصْرِيِّ ثِقَةٌ)^(٦).
- ** ترجم له ابن حِبَّانٍ فِي «مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ» فَقَالَ: (وَكَانَ أَحَدَ الْأَثْمَةِ فِي الدُّنْيَا فَفَقَهَا وَوَرَعًا، وَفَضْلًا وَعِلْمًا، وَنَجْدَةً وَسَخَاءً، لَا يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ فِي جَمَلَةٍ عِيَالِهِ، يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ كَمَا يُنْفِقُ عَلَى خَاصَّةِ عِيَالِهِ، فَإِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ زَوَّدَهُمْ مَا يُبَلِّغُهُمْ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ).

(١) الجرح والتعديل ١٧٩/٧، تاريخ بغداد ١٣/١٣.

(٢) تاريخ الثقات، ص ٣٩٩.

(٣) تهذيب الكمال ٢٦٤/٢٤، الرحمة الغيثية، ص ٨٥.

(٤) الجرح والتعديل ١٨٠/٧.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/١٤.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/١٣ - ١٤.

وقال في «الثقات»: (وكان رحمة الله عليه من سادات أهل زمانه فقهياً وعلمياً وورعاً وفضلاً وسخاءاً)^(١) وذكر نحو ما سبق.

- وقال أبو يعلى الخليلي: (الليث بن سعد إمام وقته بلا مدافعة)^(٢).

- وافتتح الذهبي ترجمته في «السير» بقوله: (الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية). وقال في موضع آخر: (كان الليث رَحْمَةً فَكَيْفَ مَصْرًا، ومحدثها، ومُحْتَشِمَهَا، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولّي مصر وقاضيتها وناظرها، ومن تحت أوامره، يرجعون إلى رأيه ومشورته).

وقال في العبر: (وكان إماماً ثقةً حجةً رفيعاً، واسع العلم، سخياً جواداً، مُحْتَشِماً).

ووصفه في الميزان بأنه: (أحدُ الأعلام والأئمة الأثبات، ثقةٌ حجةٌ بلا نزاع)^(٣).

- وقال الحافظ: (ثقةٌ، ثبتٌ، فقيهٌ، إمامٌ مشهور)^(٤).

من أخباره الشخصية:

أصله وولاه:

قال أبو الحسن الطحان: سمعت ابن زغبة، يقول: سمعت الليث بن سعد، يقول: (نحن من أصبهان، فاستوصوا بهم خيراً)^(٥).

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٠٣، الثقات ٣٦١/٧.

(٢) الإرشاد ٢٠٢/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨، ١٤٣، العبر ٢٠٦/١، ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣.

(٤) تقريب التهذيب ١٣٨/٢.

(٥) طبقات المحدثين بأصبهان ٤٠٥/١ - ٤٠٦، تاريخ أصبهان ١٣٨/٢، الحلية ٣٢١/٧، تاريخ بغداد

٦/١٣، تهذيب الكمال ٢٥٦/٢٤.

وقال يحيى بن بكير: (سعد أبو الليث بن سعد مولى لقريش، وإنما افترض أبوه سعد وجدّه والليث في فهم، كان ديوانه فيهم، فنسب إلي فهم، وأصلهم من أضبّهان)^(١).

قال ابن سعد وخليفة: (الليث بن سعد مولى لقيس)^(٢).

ويؤيده ما رواه يحيى بن بكير، عن الليث قال: (دخلتُ على نافع فسألني، فقلتُ: أنا رجلٌ من أهلِ مصر، قال: ممّن؟ قلت: من قيس)^(٣).

ابنه شعيب بن الليث^(٤):

روى عن: أبيه الليث، وموسى بن عُليّ بن رباح.

وحدّث عنه: ابنه عبد الملك بن شعيب، وأحمد بن عمرو بن السرح، والزبيح بن سليمان، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ويونس بن عبد الأعلى، وطائفة.

أخرج حديثه مسلم وأبو داود والنسائي.

ابنه الحارث بن الليث:

مرّ ذكره في ثنايا الترجمة.

(١) مختصر ابن عساكر ٢٤٧/٢١، تهذيب الكمال ٢٥٦/٢٤، وانظر: الرحمة الغيثية ٦٤ - ٦٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٥١٧/٧، طبقات خليفة، ص ٢٩٦.

(٣) المعرفة والتاريخ ١٦٦/١، ٤٤٣/٢.

(٤) تهذيب الكمال ٥٣٢/١٢ ت ٢٧٥٥.

حفيدَه عبد الملك بن شعيب بن الليث^(١):

روى عن: أبيه شعيب، وأسد بن موسى، وعبد الله بن وهب، وغيرهم.

وحدّث عنه: مسلم، وأبو داود، والنسائي، وإبراهيم بن داود الصيّرفي،

وأبو بكر عبد الله بن أبي داود، وأبو حاتم الرازي، وآخرون.

أخرج حديثه مسلم وأبو داود والنسائي.

مولده ووفاته وعمره:

مولده:

قال يحيى بن بُكير: أخبرني شعيب بن الليث، عن أبيه الليث قال:

كان يقول لنا: (قال لي بعض أهلي: وُلدتَ سنة اثنتين وتسعين، ولكن

الذي أُوقِنُ: في سنة أربع وتسعين)^(٢).

وقال أبو صالح كاتب الليث: سمعت الليث، يقول: (مات عمر بن

عبد العزيز، ولي سبع سنين) وعقب الحافظ على هذا فقال: (قلت: وكانت

وفاة عمر سنة إحدى ومئة، فيكون مولده سنة أربع - وتسعين -)^(٣).

وقال يحيى بن بكير: (وُلد الليث بن سعد سنة أربع وتسعين)^(٤).

وقال ابن سعد: (ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين)^(٥).

(١) تهذيب الكمال ٣٢٩/١٨ ت ٣٥٣٣.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/١٦٧، ٤٤٤/٢، تاريخ بغداد ٦/١٣، الرحمة الغيثية، ص ٦٦.

(٣) مختصر ابن عساكر ٢١/٢٤٧، الرحمة الغيثية ٦٦.

(٤) التاريخ الكبير ٧/٢٤٦، التاريخ الأوسط ٢/١٥٢، المعرفة والتاريخ ١/١٦٦، ٤٤٤/٢، تاريخ بغداد

٦/١٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/٥١٧.

قلت: الصحيح أنه ولد سنة (٩٤هـ)، وهو قول الليث نفسه، وتلميذه يحيى بن بكير، وصححه المزي والذهبي^(١).

ومولده بقرقشندة، قرية على نحو أربعة فراسخ من مصر^(٢).

وفاته:

قال محمد بن رُمح التَّجِيْبِيُّ: (مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومئة، في النصف من شعبان)^(٣).

وقال يحيى بن بكير: (وُلد الليث بن سعد الفهمي سنة أربع وتسعين، وتوفي يوم النصف من شعبان، يوم الجمعة، سنة خمس وسبعين ومئة، وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي، ودُفن بعد الجمعة)^(٤).

وكذا قال في تاريخ وفاته: عمرو بن خالد^(٥)، وسعيد بن أبي مريم، وعيسى بن حماد زُغَبَة^(٦).

وهؤلاء الخمسة من تلاميذ الليث.

وفيها أرخ وفاته: خليفة بن خياط، ودُحَيْم، وابن حَبَّان، وابن الجوزي، والذهبي، وابن حجر، وغيرهم.

وقيل: مات سنة ست أو سبع وسبعين ومئة^(٧). والصحيح الأول.

(١) تهذيب الكمال ٢٤/٢٧٨، سير أعلام النبلاء ٨/١٣٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣، معجم البلدان ٤/٣٢٧، تهذيب الكمال ٢٤/٢٥٦، الرحمة الغيثية ٦٧.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/١٦٦.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/١٦٦، ٢/٤٤٤، تاريخ بغداد ١٣/١٤، مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٥.

(٥) التاريخ الكبير ٧/٢٤٦، التاريخ الأوسط ٢/١٥٢.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/١٤.

(٧) تهذيب الكمال ٢٤/٢٧٨.

ووقع عند ابن سعد: (مات يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة خمس وستين ومئة، في خلافة المهدي)^(١).

وهو ذهولٌ شديد، أو وَقَعَ تصحيفٌ «سبعين» إلى «ستين»؛ فقد نقل أبو نَصْر الكَلَّابَازي^(٢)، وابنُ حجر^(٣) عن ابن سعد القولَ بوفاته سنة (١٧٥هـ).

عمره:

قال يحيى بن بكير: استكمل الليث إحدى وثمانين سنة^(٤).

وفي رواية ابن زُبَيْر، عن ابن بكير قال: مات الليث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة^(٥).

وهذا يمكن تخريجه بإدخال سنة (٩٤) في سني حياته، كما يفهم من قول الليث: (حججتُ سنة ثلاث عشرة ومئة، وأنا ابنُ عشرين سنة)^(٦).

جنازته وقبره:

قال خالد بن عبد السلام الصَّدْفِي: (جالستُ الليث بن سعد، وشهدتُ جنازته وأنا مع أبي، فما رأيتُ جنازةً قَطُّ بعدها أعظمَ منها، ورأيتُ الناسَ كلَّهم في جنازته عليهم الحزن، والناسُ يُعزِّي بعضهم

(١) طبقات ابن سعد ٥١٧/٧.

(٢) رجال صحيح البخاري ٦٣٤/٢.

(٣) الرحمة الغيثية، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) التاريخ الكبير ٢٤٧/٧، التاريخ الأوسط ١٥٢/٢.

(٥) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ١٧٠.

(٦) تاريخ بغداد ٦/١٣، مختصر ابن عساكر ٢٤٧/٢١.

بعضاً ويبكون، فقلت لأبي: يا أبتِ، كأن كلَّ واحدٍ من الناس صاحبُ
الجنّاة، فقال لي: يا بني، كان عالماً كريماً، حسنَ العقل، كثيرَ الإفضال،
يا بني، لا ترى مثله أبداً^(١).

ودُفن بمصر بالقَرَافة الصغرى^(٢).

رحم الله الإمام الكبير الليث بن سعد، وأجزل مثوبته، ورفع درجته
في أعلى درجات الجنة.

* * *

(١) مختصر ابن عساكر ٢١/٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٨/١٦٢، الرحمة الغيثية ١٠٢.

(٢) وفيات الأعيان ٤/١٢٨.

مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد ٥١٧/٧، تاريخ الدارمي: رقم ٧، ٥٢٤، ٧١٩، تاريخ الدوري ٥٠١/٢، ٤٨٧/٤ - ٥٠١، سؤالات ابن طهمان: رقم ٢٩٧، ٣١٦، ٣٦٩، ٣٧١، تاريخ خليفة ٤٤٩، طبقات خليفة ٢٩٦، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٢، ٦٥٩، ١٤٤٥، ٢٤٠٨، ٣٦١٦، ٥٢٧٠، ٥٨٨٤، سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٥٣، ٢٥٤، ٥٩١، التاريخ الكبير ٢٤٦/٧ - ٢٤٧ ت ١٠٥٣، التاريخ الأوسط ١٥٢/٢، صحيح مسلم: حديث ٢١٧٢، تاريخ الثقات للعجلي ٣٩٩ ت ١٤٣٠، سنن ابن ماجه: حديث ٢٥٤٧، سؤالات الأجرى: رقم ١٤٩٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥٣٨، المعارف ٥٠٥ - ٥٠٦، المعرفة والتاريخ ١٢٣/١، ١٦٤، ١٦٦ - ١٦٧، ٦٨٧ - ٦٩٧، ١٣٨/٢، ١٣٩، ١٤٢ - ١٤٣، ١٨٢، ٤٤٦ - ٤٤١، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٤، ١٨٢/٣، ٤٥٣، وانظر «فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي: انظر «فهرس الأعلام»، الطبقات للنسائي ٦٠، تسمية فقهاء الأمصار له ١٥٠ «ضمن ثلاث رسائل حديثة»، الجرح والتعديل ١٧٩/٧ - ١٨٠ ت ١٨٠، المراسيل ١٨٠ ت ٣٢٩، مشاهير علماء الأمصار ٣٠٣ ت ١٥٣٦، الثقات ٣٦٠/٧ - ٣٦١، المحدث الفاصل: رقم ٥١٢ طبقات المحدثين بأصبهان ٤٠٥/١ - ٤٠٦ ت ٥٦، الأسامي والكنى للحاكم الكبير ٤١٥/٣ ت ١٦٢٩، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٦٩، ١٧٠، الثقات لابن شاهين ٢٧٥ ت ١١٣٤، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٦٣٣/٢ - ٦٣٤ ت ١٠٠٥، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ١٥٩/٢ - ١٦٠ ت ١٣٩٨، حلية الأولياء ٣١٨/٧ - ٣٢٧ ت ٣٩١، ذكر أخبار أصبهان ١٣٨/٢ ت ١٣١٧، الفهرست ٢٨١، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي ٢٠١/١ - ٢٠٢، وانظر «فهرس الأعلام»، تاريخ بغداد ٣/١٣ - ١٤ ت ٦٩٦٦، السابق واللاحق ٣٠٧ - ٣٠٨ ت ١٦٠، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٢٨، ٩٦٧، ١٤٨٠، التعديل والتجريح للباي ٦٦٤/٢ ت ٤٤٨، طبقات الفقهاء ٧٥ - ٧٦، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٤٣٣/٢ ت ١٦٥٩، الأنساب ٣٥٣/٩ «الفهمي»، صفة الصفوة ٣٠٩/٤ - ٣١٣ ت ٨٣٥، المنتظم ١٢/٩ - ١٤ ت ٩٤٧ «وفيات ١٧٥هـ»، معجم البلدان ٣٢٧/٤ - ٣٢٨، «فرقشدة»، اللباب ٤٤٨/٢ «الفهمي»، علوم الحديث لابن الصلاح ١٠٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٤، ٢٣٩، ٤٠١، تهذيب الأسماء واللغات ٧٣/٢ - ٧٤ ت ٩٧، وفيات الأعيان ١٢٧/٤ - ١٣٢ ت ٥٤٩، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٢٤٦/٢١ - ٢٥٥، تهذيب الكمال ٢٥٥/٢٤ - ٢٧٩ ت ٥٠١٦، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣٣١/١ - ٣٣٣ ت ١٩٤، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات «١٧١ - ١٨٠هـ» ص ٣٠٢ - ٣١٥، العبر ٢٠٦/١، دول الإسلام ١٠٣، تذكرة الحفاظ ٢٢٤/١ - ٢٢٦ ت ٢١٠، الكاشف ١٢/٣ - ١٣ ت ٤٧٦٠، ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣ ت ٦٩٩٨، سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨ - ١٦٣، جامع التحصيل ٣٢٠ ت ٦٦٢، البداية والنهاية ١٦٦/١٠، الجواهر المضية ٧٢٠/٢ - ٧٢١ ت ١١٣١، شرح علل الترمذي ٥٢١/١، ٥٢٥، ٦١٤/٢، ٦١٦، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٨٠، ٧٣٢، وانظر «فهرس الأعلام»، صبح الأعشى ٣٩٩/٣ - ٤٠٠، غاية النهاية ٣٤٢/٢

٢٦٣٨، تهذيب التهذيب ٤١٢/٨ - ٤١٧، تقريب التهذيب ١٣٨/٢، الرحمة الغيثية بالترجمة اللبثية، لابن حجر، فتح الباري: حديث ٢٣٤٦، ٥٨٦٢، النجوم الزاهرة ١٠٤/٢ - ١٠٥ «وفيات ١٧٥هـ»، حسن المحاضرة ٣٠١/١ - ٣٠٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٠١ - ١٠٢ ت ٢٠٠، خلاصة تذهيب التهذيب ٣٢٣، كشف الظنون ١١٧٨/٢، شذرات الذهب ٢٨٥/١ - ٢٨٦، هدية العارفين ٨٤٢/١، تاريخ التراث العربي - المجلد الأول، ج ٢٥٠/٣ «الفقه».

* * *



شَرِيكُ النَّخَعِيِّ (٩٥هـ - ١٧٧هـ)

اسمه ونسبه ونسبته:

شَرِيكُ بن عبد الله بن أَبِي شَرِيكٍ وهو الحارث بن أَوْس بن الحارث بن الأذهل بن وَهَيْبِ بن سَعْدِ بن مالك بن النَّخَعِ، النَّخَعِيُّ، الكُوفِيُّ، القاضي، الحافظ، الفقيه^(١).

وَالنَّخَعِيُّ:

نسبة إلى النَّخَعِ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من مَذْحِجِ البَلِيَمَنِ، واسم النَّخَعِ: جَسْرُ بن عَمْرُو بن عُلَّةَ بن جَلْدِ بن مالك بن أَدَدِ. وقيل له: النَّخَعِ؛ لأنه ائْتَنَعَ عن قومه، أي بَعَدَ عنهم.

نزلت قبيلة النَّخَعِ الكوفة، ومنها انتشرَ ذِكْرُهُم^(٢).

قال يحيى بن معين: (شَرِيكُ بن عبد الله نَخَعِيٌّ من أَنْفُسِهِم)^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٨/٦، طبقات خليفة، ص ١٦٩، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٥، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ - ٢٨٠، وفيات الأعيان ٤٦٤/٢، تهذيب الكمال ٤٧٣/١٢، سير أعلام النبلاء ٢١٠/٨، توضيح المشتبه ٤٣/٤. وقيل في نسبه غير ذلك: انظر: الإكمال ٣٤٠/٣ - ٣٤١، رجال صحيح مسلم ٣٠٩/١، الأنساب ٦٢/١٢.

(٢) الإكمال ١٠٠/٢، الأنساب ٦٠/١٢، اللباب ٣٠٤/٣، وفيات الأعيان ٤٦٨/٢.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٤.

كنيته:

يُكنى أبا عبد الله، كناه بها الجميع، وخاطبه بها الخلفاء والأمراء والعلماء.

سيرته وشمائله:

يتبدى للمرء وهو يقلب صفحات حياة شريك أنه أمام واحدٍ من أئمة المسلمين الهداة، الذين رأسوا في العلم والعمل، واشتهروا بالصلاح والفضل، وعرفوا بالورع والنبل، وسطّروا في مسيرة حياتهم مواقف رائعة، ومشاهد باهرة، ومعالم هادية، وأدلة ناصعة على ما كان عليه علماء السلف من استقامة وإخلاص، وشجاعة وسيادة، ونُك وعبادة، وسيرة طيبة هي قبس من هذي الصحابة الكرام.

لقد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على جانبٍ كبيرٍ من العبادة والخشية، حتى رُئي أثرُ الشُجود في وجهه، وإن كان لَيَسْمَعُ بالكلمة فيضطرب لها فؤاده ويتغير من أثرها بولهُ، وشبهوه في سَمْتِهِ وخصاله بالأعمش الإمام الجليل، وكان بعضهم يلازمه ليتعلم من آدابه، وإذا صلّوا في جماعة قَدَّمُوهُ لِيَلِيَّ الإمامَ لعلمه وجلمه. وبلغ به التقشف والزهد أنه كان يَغْسِلُ ثيابه وينتظر جفافها ليخرج للناس، وهو إذ ذاك في منصب قضاء الكوفة، ومن مشاهير قضاة الإسلام.

اشتهر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجرأته وشجاعته وقوة نفسه، ومواقفه الشامخة أمام الخلفاء والأمراء والكبار، وقد كانت أيام قضاائه خيرَ شاهد على ذلك، وأجمع مترجموه على أنه كان قائماً بالحق، مُقيماً للعدل، كثيرَ الصواب، ما خاف غير الله، ولا داهنَ في قضية، ولا خشيَ سطوةَ حاكم، ولا طمع

بصلة أمير، ولا حرص على رضى غني أو ذم فقير، متمسكاً بنزاهة القاضي، واستقلال القضاء، وأن الكلمة للشرع، والجميع أمام الحق سواءً. وكان تباعاً للسنة، قاماً للبدعة، شديداً على أصحاب الأهواء، محبباً للصحابة، مقدماً للخلفاء الأربعة الراشدين، معظماً للشيخين، مُنافحاً عن عمل الصحابة وإجماعهم على اختيار أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأن من شك في صواب ذلك فهو مُتهم للصحابة بالغش والخيانة للمسلمين، وحاشاهم من ذلك، ومواقف شريك في هذا على الجادة التي عليها أهل السنة والجماعة، وقد اتهمه بعضهم بالميل والغلو وسوء المذهب والتشيع المُفرط، وهذا غلط كبير، وشريك منه براء، والذي رماه بذلك قد أفرط وجانب الصواب، وهذه مواقف شريك مسطورة شاهدة على صحة مذهبه وسلامته مسلكه.

طرف من شمائله وأخلاقه:

** قال سليمان بن أبي شيخ: حدثني عبد الرحمن بن شريك، قال: جاءت أم شريك من خراسان، فأراها أعرابي وهي على حمار، وشريك بين يديها وهو صبي، فقال الأعرابي: إنك لتحملين جندلة من الجنادل^(١).

وقال حفص بن غياث: (كان شريك أشبه الناس بالأعمش)^(٢).

وقال محمد بن عيسى ابن الطباع: (رأيت شريكاً قد أثر السجود في جبهته)^(٣).

(١) أخبار القضاة ١٥٤/٣.

(٢) الكامل لابن عدي ٨/٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٩٦/٤.

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: سمعتُ شريكاً، يقول: (إني لأسمعُ الكلمة، فيتغيّر لها بولي)^(١).

وقال يحيى بن معين: حدثني منجاب بن الحارث، قال: (قال رجلٌ لشريك: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال: أجدني شاكياً، غير شاكٍ لله وَعَلَى)^(٢).

** قال عيسى بن يونس بن أبي إسحاق: (ما رأيتُ في أصحابنا أشدَّ تقشُفاً من شريك، ربما رأيتُه يأخذ شاته يذهبُ بها إلى التَّيَّاس، وربما حررتُ ثوبيه قبل أن يلي القضاء بعشرة دراهم. وربما دخلتُ بيته، فإذا ليس فيه إلا شاة يحلبها، ومِطْهَرَةٌ، وباريَّة، وجرَّة، وربما بلَّ الخبز في المِطْهَرَة فيلقِي إليَّ كتبه، فيقول: اكتب حديثَ جدِّك، ومن أردتُ)^(٣)

وقال عمر بن الهَيَّاج بن سعيد الهَمْداني: (كنتُ من صحابةِ شريك، فأتيتُه يوماً - وهو في منزله - باكراً، فخرج إليَّ في فَرُو ليس تحته قميص، عليه كساء، فقلت له: قد أضحيتَ عن مجلس الحكم، فقال: غسلتُ ثيابي أمس فلم تَجِفَّ، فأنا أنتظر جُفوفها، اجلس، فجلستُ. فجعلنا نتذاكر باب «العَبْد يتزَوَّج بغير إذن مَواليه»،....)^(٤).

وقال شريك لسفيان الثوري: (ذهب الناس وبقينا على حُمُر عُزْج، فقال له سفيان: إن كنتَ على الطريق فستبلُغ، وإن كان حمازك أعرج)^(٥).

(١) ثقات العجلي، ص ٢٢٠.

(٢) تاريخ الدوري ٢٥١/٢ - ٢٥٢، أخبار القضاة ١٥٤/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨، تاريخ الإسلام، ص ١٧١ - ١٧٢. التيَّاس: الذي يُمسك التيوس.

المِطْهَرَة: كل إناء يُنظِّه منهُ. الباريَّة: الحَصِير، فارسي معرَّب.

(٤) أخبار القضاة ١٦٩/٣، تاريخ بغداد ٢٨٨/٩، والخبر طويل سيأتي بتمامه.

(٥) الكامل لابن عدي ٩/٤.

وقال منصور بن أبي مزاحم: سمعتُ شريكاً، يقول: (تركُ الجواب في موضعه إذابةً للقلب)^(١).

** قال حجاج بن يوسف الشاعر: سمعتُ أبا أحمد الزبيري، يقول: كنتُ إذا جلستُ إلى الحسن بن صالح رجعتُ وقد نغص عليّ ليلتي، وكنتُ إذا جلستُ إلى سفيان الثوري رجعتُ وقد هممتُ أن أعملَ عملاً صالحاً، وكنتُ إذا جلستُ إلى شريك بن عبد الله رجعتُ وقد استفدتُ أدباً حسناً^(٢).

وقال حفص بن غياث: (قال الأعمش يوماً: ليليني منكم أولو الأحلام والنهي. فقدّمنا شريكاً وأبا حفص الأبار)^(٣).

وفي رواية عن حفص قال: (خرج علينا الأعمش ذات يوم فقال: ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ليقيم شريك وعمر بن عبد الرحمن)^(٤). وهذه أغلى من الأولى وأعلى منها، لأنها شهادة من شيخه الأعمش.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: (كنا عند شريك يوماً، فظهر من أصحاب الحديث جفاءً، فانتهر بعضهم، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، لو رفقت، فوضع شريك يده على ركة الشيخ، وقال: النبيل عونٌ على الدين)^(٥).

(١) الكامل لابن عدي ٩/٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢٨١/٩.

(٣) تاريخ بغداد ٢٨١/٩. وأبو حفص الأبار هو عمر بن عبد الرحمن بن قيس الكوفي، من رجال التهذيب.

(٤) تاريخ بغداد ١٩٢/١١.

(٥) أخبار القضاة ١٥٥/٣، الضعفاء الكبير ١٩٥/٢، تاريخ بغداد ٢٨٥/٩، وفي أخبار القضاة: (الساعون) بدل: (النبيل عون)، وفي الضعفاء الكبير: (النبيل) بدل: (النبيل)، وكلاهما تصحيف.

وقال يعقوب السدوسي: حدثنا سليمان بن منصور، حدثنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: (قلتُ لمحمد بن الحسن: أما ترى كثرة قول الناس في شريك - يعني في حمده - مع كثرة خطئه وخطئه! قال: اسكُتْ ويحك! أهل الكوفة كلهم معه، يتعصبُ للعرب فهم معه، ويتشيعُ لهؤلاء الموالي الحمقى فهم معه)^(١).

حبه للصحابة، وإجلاله للخلفاء الأربعة، وما قيل في تشيعه:

** قال إبراهيم بن أعين: (سألت شريكاً قلت: يا أبا عبد الله، أرايتَ مَنْ قال: لا أَفْضَلُ أحداً على أحد؟ قال: ويقول هذا الأحمق؟! أليس قد فُضِّلَ أبو بكر وعمر؟!)^(٢).

وقال علي بن خَـسَـرَمَ: حدَّثني حفص بن غياث، قال: سمعتُ شريكاً، يقول: (قُبِضَ النبي ﷺ، فَاسْتَخَلَفَ المسلمون أبا بكر، فلو عَلِمُوا أن فيهم أحداً أفضلُ منه كانوا قد عَشُّونا. ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما حَضَرَتْهُ الوفاة، جعل الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب النبي ﷺ، فاجتمعوا على عثمان، فلو عَلِمُوا أن فيهم أفضلُ منه كانوا قد عَشُّونا). قال عليّ: (وأخبرني بعضُ أصحابنا من أهل الحديث، أنه عَرَضَ هذا الحديث على عبد الله بن إدريس، فقال عبد الله بن إدريس: أنت سمعتَ هذا من حفص بن غياث؟ قال: قلت: نعم، قال: الحمدُ لله الذي أنطقَ بهذا لسانه، فوالله إنه لَشِيعِيٌّ، وإن شريكاً لَشِيعِيٌّ)^(٣).

(١) أخبار القضاة ١٦٦/٣، سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨.

(٢) الكامل لابن عدي ٩/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠٥/٨.

(٣) الضعفاء الكبير ١٩٤/٢، سير أعلام النبلاء ٢٠٩/٨.

وعلقَ الذهبي على قول ابن إدريس، فقال: (قلتُ: هذا التشيعُ الذي لا محذورَ فيه إن شاء الله، إلا من قبيل الكلام فيمن حاربَ علياً عليه السلام من الصحابة، فإنه قبيحٌ يُؤدَّبُ فاعلُه، ولا تذكُر أحدًا من الصحابة إلا بخير، وترضى عنهم...).

وروى عباس الدوري، عن يحيى بن معين قال: قال شريك: (ليس يُقدِّم أحدٌ على أبي بكر وعمر أحدًا؛ فيه خيرٌ)^(١).

وقال يعقوب السدوسي: حدثني الهيثم بن خالد، قال: (حدَّث شريك يوماً بحديث: «وُضِعَتْ في كِفَّةٍ»، فقال رجلٌ لشريك: فأينَ كان عليٌّ عليه السلام؟ قال: مع الناس في الكِفَّة الأخرى)^(٢).

** روى موسى بن طالب، عن أبيه قال: (قلتُ لشريك: يا أبا عبد الله، إني في ناحيةٍ ما يُمكنني أن أذكرَ فضلَ أبي بكر وعمر، قال: صاحبكَ الهَمُّ! ما أدركتُ أحدًا يُفضِّلُ على أبي بكر وعمر علياً إلا كان مُفتَضِحاً. قلت: يا أبا عبد الله، إني لي قرابةٌ من الرافضة، أعطيهم من الزكاة؟ قال: لا)^(٣).

(١) تاريخ الدوري ٢٥٢/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨، تاريخ الإسلام ١٧٢. والحديث رواه ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «وُضِعَتْ في كِفَّةٍ، ووُضِعَتْ أمتي في كِفَّةٍ، فَوَزِنَتْ بهم، فَوَزِنَتْ بهم، ثم جيءَ بأبي بكر، فَوَزِنَ بهم، فَوَزِنَ. ثم جيءَ بعمر، فَوَزِنَ، فَوَزِنَ. ثم جيءَ بعثمان، فَوَزِنَ بهم. ثم رُفِعَتْ». أي الموازين. أخرجه أحمد في مسنده: حديث (٥٤٦٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة (٢٢٨)، وعبد بن حميد (٨٥٠)، وابن أبي عاصم في «السنّة»: حديث (١١٣٨)، (١١٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد - ٥٨/٩ - ٥٩ -: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات. وصححه الألباني، وضعفه شعيب!.

(٣) أخبار القضاة ١٦١/٣، وانظر: الكامل ٩/٤ - ١٠.

وقال سفيان بن عيينة: (قيل لشريك: ما تقول فيمن يُفضّل عليّاً على أبي بكر؟ قال: إذا يَفْتَضِح، يقول: أخطأ المسلمون)^(١).

وفي «أخبار القضاة» لمحمد بن خَلْف المعروف بوكيع: (تَنَاطَر عبد الله بن مصعب - الزُبَيْرِيُّ - وشَرِيك بين يدي المهدي، فلم يُدرك عبدُ الله شريكاً لتبحُّره، فقال عبد الله: مثلُ هذا يَطأُ بساطَ أمير المؤمنين؟! قال شريك: فمن يَطأُ بساطَ أمير المؤمنين؟! فوالله إني لقارئٌ للقرآنِ عالمٌ به، راويةٌ للحديث والفقه، وإني لرجلٌ من العرب متوسِّط في قوس، فقال عبد الله: إنك تشتمُّ أبا بكر وعمر، فقال شريك: والله ما استحللتُ ذلك من الزبير، فكيف أستحلُّه من أبي بكر وعمر؟!)^(٢).

** وفي «أخبار القضاة» أيضاً: (تحدّث شريك يوماً ببغداد في دار المهدي بفضائل لعلي بن أبي طالب، فأكثُر، فلما قام، قال له رجل من الكوفيين: يا أبا عبد الله، جئتَ اليوم بالدَّرِّ، قال: بماذا؟ قال: بفضائل علي، قال: فكيف لا أتحدّث بفضائل رجل كان يُشبَّه بعمر بن الخطاب، فأفسَدَ والله عليه كلَّ ما سَمِعَ)^(٣).

وقال أبو نُعيم: سمعت شريك بن عبد الله، يقول: (قُدِّمَ عثمانُ يوم قُدِّمَ، وهو أفضلُ القومِ)^(٤).

وعَقَّبَ الذهبي على هذا بقوله: (قلتُ: ما بعدَ هذا إنصافٌ من رجلٍ كوفيٍّ)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠٤/٨.

(٢) أخباره القضاة ١٥٦/٣، وانظر رواية أخرى في تاريخ بغداد ٢٨٧/٩، وستأتي رواية ثالثة ص ٢٨٥ حاشية (١).

(٣) أخبار القضاة ١٦٣/٣.

(٤) الكامل لابن عدي ١٠/٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٨.

عن حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ: كَانَ شَرِيكَ يَقُولُ: (مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ فِي الشُّورَى خَيْرٌ مِنْ عَثْمَانَ، فَقَدْ خَوَّنَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ) ^(١).

** قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ قَادِمٍ، قَالَ: (جَاءَ عَتَّابٌ وَآخِرٌ إِلَى شَرِيكَ، فَقَالَ لَهُ عَتَّابٌ: النَّاسُ يَقُولُونَ: إِنَّكَ شَاكٌ، قَالَ: يَا أَحْمَقُ، كَيْفَ أَكُونُ شَاكاً؟! لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ، فَخَضَبْتُ يَدِي بِسَيْفِي مِنْ دِمَائِهِمْ) ^(٢). أَيُّ مَنْ دَمَاءَ الَّذِينَ قَاتَلُوا عَلِيّاً.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الرَّهَاقِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ شَرِيكَاً يَقُولُ: (عَلِيٌّ خَيْرٌ مِنَ الْبَشَرِ، فَمَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَّرَ) ^(٣).

وَعَقِبَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» عَلَى هَذَا الْخَبَرِ بِقَوْلِهِ: (مَا ثَبَّتَ هَذَا عَنْهُ، وَمَعْنَاهُ حَقٌّ؛ يَعْنِي: خَيْرٌ مِنْ بَشَرِ زَمَانِهِ، وَأَمَّا خَيْرُهُمْ مُطْلَقاً، فَهَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ).

وَقَالَ فِي «الْمِيزَانِ»: (قُلْتُ: بَعْضُ الْكُذَّابِينَ يَرَوِيهِ مَرْفُوعاً، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَإِنَّ شَرِيكَاً لَا يَعْتَقِدُ قَطْعاً أَنَّ عَلِيّاً خَيْرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ خَيْرَ الْبَشَرِ فِي وَقْتِهِ، وَبَلَا شَكٍّ هُوَ خَيْرُ الْبَشَرِ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ).

قُلْتُ: صَدَقَ الذَّهَبِيُّ، فَفِيمَا قَدَمْنَاهُ دَلِيلَ نَاصِعٍ عَلَى أَنَّ شَرِيكَاً يَقْدَمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(١) أخبار القضاة ١٦٣/٣.

(٢) الضعفاء الكبير ١٩٤/٢، ميزان الاعتدال ٢٧٣/٢.

(٣) الكامل ١٠/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠٥/٨، ميزان الاعتدال ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

قال عبد السلام بن حَزْب: (قلت لِشريك: هلْ لكْ في أخٍ لكْ تعودُه؟ قال: مَنْ هو؟ قلتُ: مالك بن مِغُول، قال: ليس لي بأخٍ مَنْ أُرَى علي علي وعمار بن ياسر)^(١).

** قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: (شريك سيئ الحفظ، مضطرب الحديث، مائل)^(٢).

وذكر الذهبي هذا الخبر، ثم قال: (قلت: فيه تشيعٌ خفيف على قاعدة أهل بلده)^(٣).

وقال الساجي: (كان يُنسب إلى التشيع المُفْرِط).

وقال الأزدي: (كان صدوقاً، إلا أنه مائلٌ عن القصد، غالي المذهب)^(٤).

قلت: ما أنصفَ الجوزجاني والساجي والأزدي القول، وقولهم هذا في شريك هو الذي فيه إفراطٌ وميلٌ عن القصد، وقولُ الذهبي: (فيه تشيع خفيف)، يردُّه ما أوردناه - ونقلُ الذهبي كثيراً منه -، والحقُّ أن شريكاً كان على الجادة، مُنصفاً كلَّ الإنصاف في مذهبه ومواقفه من الصحابة، وبخاصة الخلفاء الأربعة، وهو أمرٌ لا يحتاج إلى مزيد بيان.

مواقفه من الخلفاء والأمراء:

ذكر ابن خَلْكان في ترجمته فقال: (دخل يوماً على المهدي، فقال له: لا بدَّ أن تُجيبني إلى خَصْلة من ثلاث خِصال، قال: وما هُنَّ يا أمير

(١) أخبار القضاة ١٦٠/٣، الكامل ١٠/٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢٨٤/٩، تهذيب الكمال ٤٧١/١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٢٩٦/٤.

المؤمنين؟ قال: إما أن تلي القضاء، أو تحدّث ولدي وتعلّمهم، أو تأكل عندي أكلة - وذلك قبل أن تلي القضاء -.. ففكر ساعة ثم قال: الأكلة أخفها على نفسي. فأجلسه، وتقدّم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من المخ المعقود بالسُّكَّر الطَّبْرَزْد والعسل وغير ذلك. فعمل ذلك، وقدمه إليه، فأكل، فلما فرغ من الأكل، قال له الطباخ: والله يا أمير المؤمنين، ليس يُفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً. قال الفضل بن الربيع: فحدّثهم - والله - شريك بعد ذلك، وعلم أولادهم، وولي القضاء^(١).

وتابعه في إيرادها الذهبي والصفدي^(٢)، فذكرها بصيغة التمریض، دونما إسناد.

قلت: ولو صحّت هذه الرواية فلا عيب في ذلك، ما دام العالم ملتزماً بدينه، معتزاً بعلمه، قوَّالاً بالحق، غير هيَّاب لأبَّهة الخلافة، ولا يُداهن في شؤون العباد والبلاد. ولئن لم يتولَّ أمثال شريك تعليم أولاد الخلفاء، والقيام بأمر القضاء، فلمن يُترك ذلك؟! وقد خيب الله ظنَّ ذاك الطباخ، فسيرة شريك نقية صافية، ومواقفه جريئة، وأقضيته عادلة، فما عُرف عنه سكوتٌ عن حقٍّ، أو غَضُّ ظرفٍ عن باطل، أو مُداهنةٌ لأميرٍ أو خليفة.

قال مُصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِي: حدّثني أبي، قال: (تقدّم إلى شريك بن عبد الله وكيلٌ لمؤنسة، مع خصمٍ له، فجعل يستطيلُ خصمه إذلالاً بموضعه من مؤنسة، فقال له شريك: كُفَّ لا أبأ لك، قال: أتقولُ لي هذا وأنا وكيلٌ مؤنسة؟! فأمر به فصُفِعَ عشر صفعات، فانصرف، ودخل

(١) وفيات الأعيان ٤٦٥/٢. والطبرزد - وذكره الجوهري وغيره بالذال - : السكر الأبيض الصلب.

المعرب للجواليقي ٤٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٨، الوافي بالوفيات ١٤٩/١٦.

على مؤنسة وشكى، فكتبت مؤنسة إلى المهدي، فعزل شريكاً. وكان قبل هذا قد دخل شريك على المهدي، فقال له: ما ينبغي أن تُقلد الحُكم بين المسلمين، قال: ولم؟ قال: لخلافك على الجماعة، وقولك بالإمامة، فقال: أما قولك: بخلافك على الجماعة، فعن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخالفهم وهم أصلي في ديني، وأما قولك: وقولك بالإمامة، فما أعرف إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأما قولك: مثلك ما يُقلد الحُكم بين المسلمين، فهذا شيء أنتم فعلتموه، فإن كان خطأ؛ فاستغفروا الله منه، وإن كان صواباً فأمسكوا عليه. قال: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: ما قال فيه جذاك العباس وعبد الله. قال: وما قال فيه؟ قال: فأما العباس فمات وعليّ عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج هو إلى أحدٍ حتى لحق بالله. وأما عبد الله؛ فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً مُتبعاً، وقائداً مُطاعاً. فلو كانت إمامة عليّ جوراً، كان أول من يقعد عنها أبوك؛ لعلمه بدين الله، وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عُزل شريك^(١).

وروى مصعب بن عبد الله الزُبيري، عن أبيه عبد الله قال: (حضرتُ شريكاً في مجلس أبي عُبيد الله^(٢))، وعنده الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والجريّ - رجلٌ من ولد جرير، وكان خطيباً للسلطان - فتذاكروا الحديث في التبيذ واختلافهم فيه، فقال شريك: حدّثنا أبو

(١) تاريخ بغداد ٢٩٢/٩، وفيات الأعيان ٤٦٧/٢.

(٢) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري مولا هم الشامي، وزير المهدي، وكان من رجال الكمال. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٨/٧.

إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عمر بن الخطاب قال: إنا نأكل من لحوم هذه الإبل، ونشربُ عليها من التَّبِيدِ، ليقطعها في أجوافنا وبطوننا. فقال الحسن بن زيد: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْأَخْرَةَ إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلُقُ﴾ [ص: ٧]، فقال شريك: أجلُ والله ما سمعته، شغلك عن ذلك الجلوس على الطنافس في صدور المجالس. ثم سكت. فتذاكر القوم الحديث في التَّبِيدِ، فقال أبو عبيد الله: أبا عبد الله، حَدَّثَ القومَ بما سمعتَ في التَّبِيدِ، فقال: كلاً، الحديثُ أعزُّ على أهله من أن يُعَرَّضَ للتكذيب، على من يردُّ على أبي إسحاق الهمداني، أم على عمرو بن ميمون الأودي؟! (١).

وأخرجه الرامهرمزي وابن عدي من طريق آخر بأطول منه، وفيه: (قال شريك للحسن: شغلك عن هذا جلوسك على الطنافس في صدور المجالس، هذا أمرٌ لم تسهر فيه عينك، ولم يَسْمَلْ فيه ثوباك، ولم تتمزق فيه خفاك، أصحابُ هذا يطلبونه في مظانه) (٢).

عن الحسن بن قحطبة قال: (غدوتُ على المهدي بغلسٍ، فدخلتُ عليه، فسلمتُ، فردَّ السَّلامَ وما قال لي اقعدُ، ثم قال للخادم: انظر من بالباب؟ قال: شريك، قال: عليَّ بجراب السُّيوف - قال الحسن: فاشتملتني رعدةٌ - ثم قال: ائذنْ له. فدخل شريك، فسلم، فلم يردَّ عليه السَّلامَ، ثم قال: قتلني الله إن لم أقتلك، قال: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ في النوم أني مُقبِلٌ عليك أكلُمك وأنت تُجيبني من قفاك، فأرسلتُ إلى المُعبَّر، فقال: هذا رجلٌ يطأ بساطك مُخالفاً لك. فقال له شريك: إنَّ رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب، وإن الدماء لا تُستحلُّ

(١) تاريخ بغداد ٢٩٤/٩، الجامع الأخلاق الراوي: رقم ٧٦٣.

(٢) المحدث الفاصل: رقم ١٦٤، الكامل ١٠/٤ - ١١.

بالأحلام، قال: فَتَكَسَّ المَهْدِيُّ ساعة، ثم قال بيده هكذا، أي اخرج. ثم أقبل عَلِيَّ المَهْدِي فَكَلَّمَنِي، ثم خرجتُ، فإذا شريكٌ واقف فقال لي: أَمَا رَأَيْتَ مَا أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ هَذَا بِنَا؟ فقلت: لَهِ دَرَكٌ، مَا ظَنَنْتُ أَنْي أَبْقَى حَتَّى أَرَى فِي الدُّنْيَا مِثْلَكَ^(١).

قال يحيى بن معين: (قال المهدي لشريك: كأنني أرى رأس زنديق يُضرب الساعة، فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن للزنادقة علامات: تركهم الجماعات، وشربهم القهوات، وتخلفهم عن الجمعات. فقال المهدي: يا أبا عبد الله لم نعنك بهذا. قال يحيى بن معين: وجدّه حاضر الجواب)^(٢).

وروى إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، عن أبيه قال: حدّثني شريك بن عبد الله، قال: (سَعَى بي الرَّبِيعُ إِلَى المَهْدِي، وَزَعَمَ أَنِي رَافِضِيٌّ، قَالَ: فَأَرْسَلُ إِلَيْي، فَأُخِذْتُ أَخْذًا عَنِيفًا، وَعَلِيٌّ كُمَّةٌ لَاطِئَةٌ وَكِسَاءٌ أَبْيَضٌ وَخُفَّانٌ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: لَا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، فوالله ما حَيَّيْتَنِي بِأَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِي وَلَا رَدَدْتَهَا عَلَيَّ، قَالَ: أَلَمْ أُوطِئِ الرِّجَالَ عَقْبِيكَ، وَأَنْتَ رَافِضِيٌّ مَلْعُونٌ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِثْلُكَ لَا يَمُنُّ بِمَعْرُوفِهِ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنِّي رَافِضِيٌّ؛ فَإِنْ كَانَ الرَّافِضِيُّ مَنْ أَحَبَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَفَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتِ

(١) أخبار القضاة ١٥٧/٣.

(٢) سؤالات ابن الجنيدي: رقم ٥١١، تاريخ بغداد ٢٩٤/٩. قوله: (القهوات): جمع القهوة وهي الخمر. لسان العرب ٢٠٦/١٥. ولشريك قصة مطولة مع الخليفة المهدي حيث وقع في الأعمش، فجلبه شريك بقوة ودافع عن شيخه الأعمش. انظر: الكامل ٢٢/٤ - ٢٣، سير أعلام النبلاء ٢١٥/٨ - ٢١٦.

الله عليهم أجمعين؛ فأنا أشهد الله وأشهدك أنني رافضي، أتبغضهم^(١) يا أمير المؤمنين؟! قال: معاذ الله. ثم قال: ما أحسبنا إلا وقد رؤو عنك، هاتوا بذرّة. فأتوا ببذرّة، فدفعت إليّ، فحملتها على عنقي. فلما خرجت قال لي الربيع: كيف رأيت؟ قال: قلت: إذا شئت فعُد^(٢).

توليه القضاء، وحكمه بالعدل، ومواقفه الباهرة فيه حتى مع الأمراء:

** روى أحمد بن أبي خيثمة، عن سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني أبي، قال: (دخلت سكة البريد بواسطة في حاجة لي، فلما خرجت تلقاني شريك على دابة من دواب البريد، معه حرسيّ على دابة أخرى، فدخل السكة، فرجعت فسلمت عليه، فعرضت عليه الحاجة، فقال: إن كان بينك وبين صاحب البريد معرفة فكلمه يحبسنى ما قدر عليه، فإن هذا الحرسيّ قد أتعبني. فكلمه، فحبسه ثلاثة أيام، والحرسيّ يُعجله، حتى حملة بعد ثلاث، فمضى به إلى الأهواز، فأجلسه على القضاء. فجلس، فجعل لا يتكلّم، حتى قام فهرب واختفى. ويُقال: إنه اختفى عند الوالي، وهو محمد بن الحسن العبدي)^(٣).

وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن سليم العبدي، قال: (كان شريك من رجال أهل الكوفة، فدعاه أبو جعفر المنصور فقال: إني أريد أن أولئك قضاء الكوفة، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، فقال: لست أعفّيك،

(١) في أخبار القضاة: (أتبغضهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) أخبار القضاة ١٥٥/٣ - ١٥٦، وانظر: وفيات الأعيان ٤٦٦/٢ - ٤٦٧. قوله (كُمة): هي القلنسوة المدورة تغطي الرأس. (بذرة): البذرة: كيس فيه مقدار من المال، يُقدّم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود..

(٣) أخبار القضاة ١٦٥/٣، وانظر ١٥٣، ١٦٤.

قال: أنصرف يومي هذا وأعود، فيرى أمير المؤمنين رأيته، قال: إنما تريد أن تخرج فتغيب عني، والله لئن فعلت لأقدمنَّ على خمسين من قومك بما تكرهه، فلما سمع شريك يمينه عاد إليه ولم يتغيب، فولاه قضاء الكوفة، فلم يزل عليها حتى مات أبو جعفر، وولي المهدي، فأقره على القضاء، ثم عزله^(١).

وقال سليمان بن أبي شيخ: حدثني المغيرة بن مُطَرِّف، قال: قال لي شريك: (أرسل إليَّ أبو جعفر، فدخلتُ عليه، فقال لي: أين وُلِدْتَ؟ قلت: بِفَرْغَانَةَ، قال: فأين نشأت؟ قلت: بهذا السَّوَادِ، وكنتُ آتِي المِصْرَ أتَعَلِّمُ القرآن فيه، قال: فقد وُلِّيتُكَ المِصْرَ الذي كنتَ تَعَلِّمُ القرآن فيه، قلت: يا أمير المؤمنين، لا عِلْمَ لي بالقضاء، قال: قد بَلَّغني ما صنعتَ بعيسى، وإيَّمُ اللهُ ما أنا كعيسى، يا ربيعُ يكونُ عندك حتى يَقْبَلَ. قال: فقمتُ مع الربيع، فقال لي: ليس يَدْعُكَ أو تَقْبَلَ، ولا بُدَّ لكَ من ذلك، فأجبتُ، فأدْخَلني عليه، وقال: يا أمير المؤمنين قد قبل، فقال لي أبو جعفر: قد بَلَّغني عنك صرامةً، فَارْزُدْ، قلت: فأعتمدُ عليك؟ قال: نعم)^(٢).

وقال سليمان بن أبي شيخ: (قال شريك بن عبد الله لبعض إخوانه: أَكْرِهْتُ عَلَى القِضَاءِ، قال له: فَأَكْرِهْتُ عَلَى أَخْذِ الرِّزْقِ؟)^(٣).

وعن شريك قال: (ما وليتُ القضاء حتى حَلَّتْ لي المِيتَةُ)^(٤).

(١) طبقات ابن سعد ٦/٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) أخبار القضاة ١٥١/٣، وله تنمة ستأتي ص ٢٨٥ حاشية (٢). وعيسى هو ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، ولي العهد بعد المنصور. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٤٣٤.

(٣) تاريخ بغداد ٩/٢٨٥.

(٤) تاريخ الإسلام، ص ١٧٦.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: (قَدِمَ هَارُونَ الكوفة، فعزل شريكاً عن القضاء، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة، فقال موسى لشريك: ما صنع أمير المؤمنين بأحدٍ ما صنع بك؛ عَزَلَك عن القضاء، فقال له شريك: هم أمراء المؤمنين، يَعْزِلُونَ القضاة وَيَخْلَعُونَ ولاةَ العهود، فلا يُعَاب ذلك عليهم. فقال موسى: ما ظننتُ أنه مجنونٌ هكذا^(١)، لا يُيَالِي ما تكلَّم به، وكان أبوه عيسى بن موسى وليَّ العهد بعد أبي جعفر، فَخَلَعَهُ بِمالٍ أعطاه إياه، وهو ابنُ عم أبي جعفر)^(٢).
وقال جعفر بن محمد بن عمار: (ولَّى المهدي شريكاً مع القضاء صلاة الكوفة وأحداثها، فولَّى على شُرطته إسحاق بن الصَّبَّاح)^(٣).

* قال أحمد بن عثمان بن حَكِيم الأودِي: أخبرني أبي، قال: (كان شريك القاضي لا يجلس للحُكْم^(٤) حتى يتغذى ويشرب أربعة أرطال نبيذ، ثم يأتي المسجد فيصلي ركعتين، ثم يُخْرِج رَقعةً من قَمَطَرِه فينظر فيها، ثم يدعو بالخصوم، وإنما كان يُقَدِّمُهُم الأول فالأول، ولم يكن يُقَدِّمُهُم بِرِقَاعٍ. قال: فقيل لابن شريك: يجب أن نعلم ما في هذه الرقعة، قال: فَتَنَظَر فيها، ثم أخرجها إلينا، فإذا فيها: يا شريك بن عبد الله، اذكر الصِّراط وِجْدَتَه، يا شريك بن عبد الله اذكر الموقفَ بين يدي الله تعالى)^(٥).

(١) يعني شريكاً، لحضور جوابه وجرأته فيه ومجاوبة موسى - أمير الكوفة - بما فعل أبو جعفر بأبيه عيسى.

(٢) ثقات العجلي، ص ٢١٩، تاريخ بغداد ٢٩٢/٩ - ٢٩٣، ومن طريق آخر بأخصر منه في أخبار القضاة ١٦١/٣.

(٣) أخبار القضاة ١٥٤/٣، وانظر ١٧٤.

(٤) أي للقضاء، وهذه الكلمة من سير أعلام النبلاء.

(٥) تاريخ بغداد ٢٩٣/٩ - ٢٩٤، سير أعلام النبلاء ٢١٦/٨. والقَمَطَرُ: شبه سَقَط تُصانُ فيه الكتب.

وقال سليمان بن أبي شيخ: (كان لشريك كاتب يقال له: أبو إسرائيل، وهو أسنُّ من شريك، فجاء شريك يوماً إلى مجلس القضاء، وقام يركع، فدنا رجلٌ من الكاتب فسأله عن شيءٍ من أمر القاضي، قال: متى يجلس أو نحو ذلك، فانفتل شريكٌ، فقال: ضَعُ قَلَمَنَا وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ، فغَضِبَ أبو إسرائيل وقال: ما شيءٌ أَغِيظُ إِلَيَّ من قوله: ضَعُ قَلَمَنَا، لَيْتَ ذَلِكَ الْقَلَمُ فِي عَيْنِيهِ)^(١).

قال عبد الله بن إدريس: (قَدَّمَنِي رَجُلٌ إِلَى شَرِيكٍ، فَادَّعَى عَلَيَّ أَلْفِي دَرَاهِمٍ، فَقَالَ لِي: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، لَهُ عَلَيَّ أَلْفَا دَرَاهِمٍ، قَالَ: قَدْ أَقَرُّ لَكَ. فَأَمَرَ بِحَبْسِي، فَقُلْتُ لَهُ: أَعَزَّكَ اللَّهُ، إِنَّهُ عَيَّنَنِي^(٢)، فغَضِبَ شَرِيكٌ فَقَالَ: لَمَّا أَخَذْتَهَا رَأَيْتَ الْعَيْنَةَ حَلَالًا، فَلَمَّا أَرَدْتَ قَضَاءَهَا رَأَيْتَ رَدَّهَا حَرَامًا؟! أَفَتِ بِهَذَا حَاكَّةَ الزَّعَافِرِ)^(٣).

وقال أبو نُعَيْمِ الْفَضْلِ بْنِ دُكَيْنٍ: (شَهِدَ ابْنُ إِدْرِيسٍ شَهَادَةً عِنْدَ شَرِيكٍ، أَوْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَ بِهِ شَرِيكٌ، فَأَقِيمَ وَدْفَعَ فِي قَفَاهُ، أَوْ وُجِيءَ فِي قَفَاهُ. وَقَالَ شَرِيكٌ: مِنْ أَهْلِ بَيْتِ حَمَقٍ مَا عَلِمْتُ)^(٤).

وَعَقَّبَ الذَّهَبِيُّ عَلَيَّ هَذَا فَقَالَ: (قُلْتُ: هَذَا لَمَّا كَانَ ابْنُ إِدْرِيسٍ شَابًا، ثُمَّ إِنَّهُ طَالَ عُمُرُهُ وَسَادَ أَهْلَ الْكُوفَةِ)^(٥).

(١) أخبار القضاة ١٦٤/٣.

(٢) هو من يُبِعُ الْعَيْنَةَ، عَيَّنَ التَّاجِرُ يُعَيِّنُ تَعْيِينًا وَعَيْنَةً، وَذَلِكَ: إِذَا بَاعَ مِنْ رَجُلٍ سَلْعَةً بِتَمَنِّ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهُ بِأَقَلِّ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي بَاعَهَا بِهِ. وَجَمْهُورُ الْأُمَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهَا. انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٤٠٢/٤.

(٣) الكامل لابن عسدي ٧/٤ - ٨، وبنحوه في أخبار القضاة ١٧٢/٣. وانظر رواية مختصرة في: تاريخ الدوري ٢٥١/٢، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٩٢، المعرفة والتاريخ ٦٨٢/٢، وفيه: (الدعافرة)، تحريف. والزعافر: بطن من الأود، وابن إدريس منهم.

(٤) الضعفاء الكبير للعقيلي ١٩٤/٢، سير أعلام النبلاء ٢١٠/٨.

(٥) تاريخ الإسلام، ص ١٧٦.

وقال عبد الله بن إسحاق: (كان شريك بن عبد الله على قضاء الكوفة، فحكّم على وكيل عبد الله بن مصعب - الزبيري - بحكم لم يوافق هوى عبد الله، فالتقى شريك بن عبد الله وعبد الله بن مصعب ببغداد، فقال عبد الله بن مصعب لشريك: ما حكمت على وكيلي بالحق، قال: ومن أنت؟ قال: من لا تُنكر، قال: فقد نكرتك أشد النكير، قال: أنا عبد الله بن مصعب، قال: لا كثير ولا طيب، قال: وكيف لا تقول هذا وأنت تُبغض الشيخين؟! قال: ومن الشيخان؟ قال: أبو بكر وعمر، قال: والله ما أبغض أباك وهو دونهما، فكيف أبغضهما؟!^(١)).

** قال سليمان بن أبي شيخ: حدّثني المغيرة بن مُطَرّف، قال: قال شريك: (قدِمْتُ الكوفة وعليها محمد بن سليمان بن علي، فقدم إليّ كاتبه حماد بن موسى، ولا أعرفه، فقضيتُ عليه، وقلت: سلّم، فقال: لا أسلّم، فحبستُه، فأتى من يخبرني أن محمد بن سليمان قد أطلقه، وأنه كاتبه، فقلت: هذه أول وهلة، وإن ضعفتُ فيها لم أزل ضعيفاً، فختمتُ قَمَطْرِي وقمتُ فدخلتُ عليه، فقلت: إنَّ أمير المؤمنين أمرني أن أعتد عليه لتقوى بذلك أحكامي، وإنك أضعفتها: أخرجت رجلاً من حبسي، والله لئن لم تزدّه، لا يكون وجهي إلا إلى أمير المؤمنين من بساطك، فطلب إليّ، فأبيتُ أن أُجيبه، فردّه إلى الحبس، فكان صاحبه هو الذي كلّمني فيه، فأخرجه)^(٢).

وقال عمر بن الهيثاج بن سعيد الهمداني: (كنتُ من صحابة شريك، فأتيتُه يوماً - وهو في منزله - باكرأ، فخرج إليّ في فرّو ليس تحته قميص،

(١) تاريخ بغداد ٢٨٧/٩، وفيات الأعيان ٤٦٤/٢ - ٤٦٥ وفيه أن ذلك وقع بحضرة المهدي أمير المؤمنين.

(٢) أخبار القضاة ١٥١/٣ - ١٥٢. صاحبه: أي خصمه.

عليه كساء، فقلت له: قد أَضْحَيْتَ عن مجلس الحُكْم، فقال: غَسَلْتُ ثيابي أمس فلم تَجِفَّ، فأنا أنتظر جُفُوفَهَا، اجلس، فجلستُ. فجعلنا نتذاكرُ باب: «العَبْدُ يتزَوَّجُ بغيرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ»، فقال: ما عندك فيه؟ ما تقول فيه؟ وكانت الخَيْرَانُ^(١) قد وَجَّهَتْ رجلاً نصرانيّاً على الطَّرَازِ^(٢) بالكوفة، وكتبتُ إلى موسى بن عيسى^(٣) ألاَّ يَعْصِي له أمراً، فكان مُطَاعاً بالكوفة، فخرج علينا ذلك اليوم من زُفَاقٍ يخرج إلى النَّخَعِ، معه جماعة من أصحابه، عليه جُبَّةٌ خَزٌّ وطَيْلَسَان، على بَزْدُونٍ فارهِ^(٤)، وإذا رجلٌ بين يديه مكتوفٌ وهو يقول: واغوثا بالله، أنا بالله ثم بالقاضي، وإذا آثارٌ سياطٍ في ظهره، فسَلَّم على القاضي شريك وجلس إلى جانبه. فقال له الرجلُ المضروب: أنا بالله ثم بك، أصلحك الله، أنا رجلُ أَعْمَلُ هذا الوَشْيِ، وكِرَاءٌ مِثْلِي مئة - درهم - في الشهر، أخذني هذا مُدَّ أربعة أشهر، فاحتبسني في طَرَازٍ، يُجْرِي عَلَيَّ القوت، ولي عيالٌ قد ضاعوا، فأفَلَّتُ اليوم منه، فَلَجِحْنِي ففعل بظهوري ما ترى. فقال شريك فم يا نصرانيُّ فاجلس مع خَصْمِكَ، فقال: أصلحك الله يا أبا عبد الله، هذا من خدام السيدة، فَمُرَّ به إلى الحَبْسِ، قال: فَمُ ويملك فاجلس معه كما يُقال لك، فقام فجلس معه. فقال شريك: ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل؟ مَنْ أَثَرَهَا به؟ قال: أصلح الله القاضي، إنما ضَرَبْتُهُ أسواطاً بيدي، وهو يستحقُّ أكثرَ من هذا، مُرَّ به إلى الحَبْسِ. فألقى شريك

(١) زوجة المهدي وأم هارون الرشيد.

(٢) الطَّرَازُ: عَلَمُ الثوب، فارسيٌّ معرَّب. والطَّرَازُ: ما يُنْسَجُ من الثياب للسلطان، فارسيٌّ أيضاً. والطَّرَازُ: موضعٌ معروف، وهو الموضع الذي تُنْسَجُ فيه الثياب الجياد. لسان العرب ٣٦٨/٥. والمعنى الأول: ما يُنْسَجُ من الثياب للسلطان، هو المراد هنا، والمعنى الثاني: اسم الموضع، هو المراد فيما يأتي.

(٣) هو أمير الكوفة.

(٤) البَزْدُونُ: البَغْلُ. فارهِ: جميل.

كسائه ودخل داره، فأخرج سَوْطاً رِبْدِيّاً^(١)، ثم ضَرَبَ بيده إلى مجامع ثوب النصراني، وقال للرجل: انطلق إلى أهلك، ثم رَفَعَ السَّوْطَ فجعل يَضْرِبُ به النصراني، وهو يقول: يا طَبَّحِي^(٢)، قَدَّمَنَّ قَفَا جَمَل^(٣) لا تَضْرِبُ والله المسلم بعدها أبداً. فهَمَّ أَعوانه أن يُخَلِّصوه من يديه، فقال: مَنْ هاهنا من فِتْيَانِ الحَيِّ؟ خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحَبْسِ، فهرب القومُ جميعاً، وأفردوا النصرانيَّ فَضْرَبَهُ أسواطاً، فجعل النصراني يَعْصِرُ عينيه ويبكي ويقول له: سَتَعَلِّمَ، فألقى السوط من يده في الدَّهْلِيزِ، وقال: يا أبا حفص، ما تقول في العَبْدِ يَتَرَوِّجُ بغيرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ؟ وأخذ فيما كنا فيه كأن لم يَصْنَعْ شيئاً.

وقام النصراني إلى البِرْدَوْنَ ليركَبَه فاستعصى عليه، ولم يكن له من يأخذ بِرِكابِهِ، فجعل يَضْرِبُ البِرْدَوْنَ، فقال له شريك: ارفُقْ به ويلك فإنه أطوعُ لله منك، فمضى. فقال لي شريك: خُذْ بنا فيما كنا فيه، قلت: ما لنا ولذا؟ قد والله فعلتَ اليومَ فَعَلَّةً ستكون لها عاقبةٌ مكروهة، قال: اسكُتْ، أعزَّ أمرَ الله يُعزِّكُ الله، خُذْ بنا فيما نحن فيه.

قال: وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى، فدخل عليه، فقال: مَنْ فَعَلَ هذا بك؟ وَغَضِبَ الأَعوانُ وصاحب الشُّرْطِ، فقال: شريكٌ فَعَلَ بي كَيْتَ وكَيْتَ، قال: لا والله ما أَتَعَرَّضُ لشريكٍ، فمضى النصراني إلى بغداد فما رَجَعَ^(٤).

(١) هو السَّوْطُ يكون له سُيُورٌ من جلد في رأسه.

(٢) طَبَّحٌ: حَمَقٌ، وهو أَطْبَحُ أَي أَحْمَقُ. والطَّبَّحُ: استحكامُ الحماقة. ووقع في تاريخ بغداد: (يا صبيحي)، وهو تحريف.

(٣) يَصْفُهُ بَغْلُظِ الجِسمِ وَعِزْضُ القِفا الذي يَضْرِبُهُ عليه. والعبارة في تاريخ بغداد: (قد مر قفا جمل)، وفي أخبار القضاة: (قدمن فاجمل)، وقد صَوَّبَهَا الشَّيْخُ عبد الفتاح أبو غدة في «صفحات من صبر العلماء» - ص ٢٣٣ - كما أثبتَّه، وتابعته على ذلك.

(٤) أخبار القضاة ١٦٩/٣ - ١٧٠، تاريخ بغداد ٢٨٨/٩ - ٢٨٩.

وقال عمر بن الهَيَّاج بن سعيد: (أَتَتْ شَرِيكاً امراًةً من ولد جَرِير بن عبد الله البجلي صاحبِ النبي ﷺ، وهو في مجلسِ الحُكْم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، أنا امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله صاحبِ النبي ﷺ، وَرَدَدَتْ الكلام، فقال: إِيهأُ عنكِ الآن، مَنْ ظَلَمَكَ؟ فقالت: الأميرُ موسى بن عيسى، كان لي بستانٌ على شاطئِ الفرات، لي فيه نَخْلٌ، ورثته عن آبائي وقاسمْتُ إخوتي، وبنيتُ بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه فارسياً في بيت يحفظ النخل ويقوم بيستاني، فاشتري الأمير موسى بن عيسى من إخوتي جميعاً، وساوَمَني وأرغَبَني فلم أبيعهُ، فلما كان في هذه الليلة بَعَثَ بخمسمئة فاعلٍ فاقتلعوا الحائط، فأصبحتُ لا أعرف من نخلي شيئاً، واختَلَطَ بنَخْلِ إخوتي، فقال: يا غلام، طينةٌ، فحَتَمْتُ، ثم قال لها: امضي إلى بابهِ حتى يَحْضُرَ معك. فجاءت المرأة بالطينة، فأخذها الحاجب، ودخل على موسى فقال: أَعَدَى شريكٌ عليك، قال: ادْعُ لي صاحبَ الشُّرَطِ، فدعا به، فقال: امضِ إلى شريك فقل: يا سبحان الله! ما رأيتُ أعجبَ من أمرِك؛ امرأةٌ ادَّعتُ دعوى لم تصحَّ أعديتها عليّ؟! قال: يقول له صاحبُ الشُّرَطِ: إنْ رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امضِ ويليكَ. فخرج، فأمرَ غلمانَه أن يتقدَّموا إلى الحبسِ بِفِراشٍ وغيره من آلة الحبس، فلما جاء فوقف بين يدي شريك، فأدَّى الرسالة، قال^(١): حُذِّ بيده فضَعَهُ في الحبس، قال^(٢): قد والله - يا أبا عبد الله - عرفتُ أنك تفعلُ بي هذا، فقدَّمت ما يُصلِحُني إلى الحبس، وبلَّغ الخبِرُ موسى بنَ عيسى، فوجَّه الحاجب إليه، فقال: هذا من ذاك رسول، أي شيء عليه؟ فلما وقف

(١) أي شريك.

(٢) أي صاحب الشرط.

بين يديه وأدى الرسالة، قال: أَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَحَبَسَ. فلما صَلَّى الأمير العصر، بَعَثَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ الصَّبَّاحِ الْأَشْعَثِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْكُوفَةِ مِنْ أَصْدِقَاءِ شَرِيكٍ، فَقَالَ: امضُوا إِلَيْهِ وَأَبْلِغُوهُ السَّلَامَ، وَأَعْلِمُوهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَخَفَّ بِي، وَأَنِّي لَسْتُ كَالْعَامَةِ. فَمَضُوا، وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَسْجِدِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَدَخَلُوا فَأَبْلَغُوهُ الرِّسَالَةَ، فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامُهُمْ قَالَ لَهُمْ: مَا لِي لَا أَرَاكُمْ جِئْتُمْ فِي غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ كَلَّمْتُمُونِي؟! مَنْ هَاهُنَا مِنْ فَتْيَانِ الْحَيِّ؟ فَيَأْخُذُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ، لَا يَتَمُّ وَاللَّهِ إِلَّا فِيهِ، قَالُوا: أَجَادُ أَنْتَ؟ قَالَ: حَقًّا، حَتَّى لَا تَعُودُوا بِرِسَالَةِ ظَالِمٍ، فَحَبَسَهُمْ. وَرَكِبَ مُوسَى بْنُ عَيْسَى فِي اللَّيْلِ إِلَى بَابِ الْحَبْسِ، فَفَتَحَ الْبَابَ وَأَخْرَجَهُمْ جَمِيعًا. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، وَجَلَسَ شَرِيكٌ لِلْقَضَاءِ، جَاءَ السَّجَّانُ فَأَخْبِرَهُ، فِدَعَا^(١) بِالْقَمَطَرِ فَخْتَمَهَا، وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ، وَقَالَ لِغَلَامِهِ: الْخَقْنِي بِثَقْلِي إِلَى بَغْدَادٍ، وَاللَّهِ مَا طَلَبْنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ أَكْرَهُونَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ ضَمِينَا لَنَا الْإِعْزَازَ فِيهِ إِذْ تَقَلَّدْنَاهُ لَهُمْ. وَمَضَوْا نَحْوَ قَنْطَرَةِ الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَادٍ، وَبَلَغَ مُوسَى بْنُ عَيْسَى الْخَبْرَ، فَرَكِبَ فِي مَوْكَبِهِ فَلَجِحَّه، وَجَعَلَ يُنَاشِدُهُ اللَّهَ وَيَقُولُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَثَبَّتْ، انظُرْ إِخْوَانِكَ تَحْبِسُهُمْ مَعَ أَعْوَانِي، قَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّهُمْ مَشَوْا لَكَ فِي أَمْرٍ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمُ الْمَشْيُ فِيهِ، وَلَسْتُ بِبَارِحٍ أَوْ يُرَدُّوا جَمِيعًا إِلَى الْحَبْسِ، وَإِلَّا مَضَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَعْفَيْتُهُ مِمَّا قَلَّدَنِي. وَأَمْرٌ بَرَدَّهُمْ جَمِيعًا إِلَى الْحَبْسِ، وَهُوَ وَاللَّهِ وَاقِفٌ مَكَانَهُ، حَتَّى جَاءَهُ السَّجَّانُ فَقَالَ: قَدْ رَجَعُوا إِلَى الْحَبْسِ، فَقَالَ^(٢) لِأَعْوَانِهِ: خَذُوا بِلِجَامِهِ، فُودُوهُ بَيْنَ يَدَيْ جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسِ الْحَكْمِ، فَمَرُّوا بِهِ بَيْنَ

(١) أي شريك.

(٢) أي شريك.

يديه حتى أدخل المسجد وجلس مجلس القضاء، ثم قال: الجَرِيرِيَّةُ^(١) المتظلمة من هذا، فجاءت، فقال: هذا خَصْمُكَ قد حَضَرَ - وهو جالس معها بين يديه - فقال^(٢): أولئك يُخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم. قال: ما تقول فيما تدَّعِيه هذه؟ قال: صَدَقْتُ، قال: فَرُدَّ جميع ما أخذت منها، وتبني حائطاً في وقت واحد سريعاً كما هُدم، قال: أفعُل. قال: بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة: بيتُ الفارسي ومتاعه، قال: يقول موسى بن عيسى: وَيُرَدُّ ذلك. بقي لك شيء تدَّعِيه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيراً. قال: قومي، وزبَرها. ثم وثب من مجلسه، فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه، ثم قال: السلامُ عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: أي شيء أمر؟! وضحك^(٣).

قلت: هكذا فليكن العلماء والقضاة في نصرة المظلوم، وإقامة العدل، وصلابتهم بالحق، وهكذا فليكن الأمراء والمسؤولون في رضوخهم للحق ورجوعهم إليه ورضاهم به.

** قال ابن خَلِّكان في ترجمة شريك: (وكان عادلاً في قضائه، كثير الصواب، حاضر الجواب)^(٤).

وتابعه على ذلك الصَّفَّدي في «الوافي بالوفيات».

وقال ابن كثير: (وكان مشكوراً في حكمه وتنفيذ الأحكام)^(٥).

(١) في تاريخ بغداد: (الجويرية)، وما أثبتته من أخبار القضاة.

(٢) أي أمير الكوفة موسى بن عيسى.

(٣) أخبار القضاة ٣/١٧٠ - ١٧١، تاريخ بغداد ٩/٢٨٩ - ٢٩١.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٤٦٨.

(٥) البداية والنهاية ١٠/١٧١.

عقيدته وشدته على المبتدعة:

قال أحمد بن حنبل: (كان شريك شديداً على أهل الريب والبدع)^(١).

وقال محمد بن إسحاق الصَّاعِغَانِي: حدثنا سَلْمُ بْنُ قَادِمٍ، حدثنا موسى بن داود، حدثنا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ قَالَ: (قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكٌ مِنْ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً، فَقَلْنَا لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ»، و«إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، فَحَدَّثَ شَرِيكٌ بِنَحْوِ مِنْ عَشْرَةِ أَحَادِيثٍ فِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا نَحْنُ فَأَخَذْنَا دِينَنَا عَنْ أَبْنَاءِ التَّابِعِينَ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَهُمْ عَمَّنْ أَخَذُوا؟!)^(٢).

وقال يحيى بن معين: حدثنا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ شَرِيكًا، يَقُولُ: (الْمُرْجِيَّةُ أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَكَفَى بِالرَّافِضَةِ حُبْنًا)^(٣).

وذكر مسلم بن جُنَادَةَ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ: (كَانَ شَرِيكٌ لَا يُجِيزُ شَهَادَةَ الرَّافِضَةِ وَلَا الْمُرْجِيَّةَ). قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: (وَنَظَرَ شَرِيكٌ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى، فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ: أَلَسْتَ الَّذِي يَقُولُ: الصَّلَاةُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ، ارْجِعْ فَلَا شَهَادَةَ لَكَ عِنْدِي)^(٤).

وقال إسحاق بن راهَوَيْه: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ آدَمَ، يَقُولُ: (كَانَ شَرِيكٌ لَا يُجِيزُ شَهَادَةَ الْمُرْجِيَّةِ، فَشَهِدَ عِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِي، فَلَمْ يُجِزْ شَهَادَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، فَقَالَ: أَنَا أُجِيزُ شَهَادَةَ مَنْ يَقُولُ: الصَّلَاةُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ؟!)^(٥).

(١) الضعفاء الكبير ١٩٤/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٨، مختصر العلو ١٤٩.

(٣) تاريخ الدوري ٢٥٢/٢، وبنحوه من رواية أحمد في العلو: رقم ٢٤٧٢.

(٤) أخبار القضاة ١٦٢/٣ - ١٦٣.

(٥) الكامل ١٧٥/٦، لسان الميزان ١٢١/٥ - ١٢٢، وفي أخبار القضاة ٢٦١/٣ أن ذلك وقع في حق أبي =

قلت: هذه مبالغة من شريك، والإرجاء مذهبٌ لعدّة من جِلَّة العلماء، لا ينبغي جرحهم به ولا التحاملُ عليهم لأجله، وليس إرجاؤهم بالبِدْعِيّ المذموم، كما أوضحنا ذلك الكتاب الذي أفردناه في ترجمة الإمام أبي حنيفة.

علمه:

جَدَّ شَرِيكَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ، وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهِ، وَتَعَبَ فِي اخْتِلَافِهِ إِلَى الْعُلَمَاءِ لِلأَخْذِ عَنْهُمْ وَالسَّمَاعِ مِنْهُمْ، وَكَانَ يَضْرِبُ اللَّبْنَ وَيَبِيعُهُ لِيَشْتَرِيَ بِشِمْنِهِ الْوَرَقَ، لِيَدُونُ الْعِلْمَ وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ. وَهَجَرَ مَضْجَعَهُ، وَزَهَّدَ فِي لَذِيذِ الطَّعَامِ، فَكَانَ يُبَكِّرُ فِي الْغَدَوَاتِ لِلْجُلُوسِ فِي حِلَقِ الْعِلْمِ، فَلَا زَمَّ أبا إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيَّ وَصَلَّى الْفَجْرَ مَعَهُ زَهَاءَ أَلْفِ مَرَّةٍ، وَثَنَى رِكْبَتَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ، وَأَخَذَ عَنِ جَمْعٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَانْتَقَى مِنْ حَدِيثِهِمْ، وَرَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا جَدًّا، فَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْقَضَاةِ، وَبِحُورِ الرِّوَايَةِ وَرِوَاةِ الْأَثَارِ.

تَكَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ، فَوَصَفُوهُ بِسُوءِ الْحِفْظِ وَخِفَّةِ الضَّبْطِ، مَعَ تَوْثِيقِهِمْ لَهُ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ. وَيَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ بِأَخْرَةِ، فَقَدْ كَانَ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ قَوِيَّ الْحَافِظَةِ كَمَا سَنَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْقَضَاةَ وَانْشَغَلَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ؛ قَلَّتْ مَذَاكِرَتُهُ لِحَدِيثِهِ وَمَدَارِسَتُهُ لَهُ، فَسَاءَ حِفْظُهُ. وَتَوَوَّلَ جُمْلَةَ أَقْوَالِ النِّقَادِ إِلَى أَنَّ حَدِيثَهُ مِنْ قَبِيلِ الْحَسَنِ كَمَا حَرَّرَ ذَلِكَ وَقَرَّرَهُ شَيْخُ النِّقَادِ فِي عَصْرِهِ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ.

= يوسف، فلعل ذلك تكرر من شريك. وفي ثقات العجلي، ص ٢١٨ رواية أخرى وقعت لشريك مع حماد بن أبي حنيفة

طلبه العلم:

** قال أبو خالد يزيد بن يحيى بن يزيد: حدثني أبي، قال: (مرّ شريك القاضي بالمُستنير بن عمرو النخعي، فجلس إليه، فقال: يا أبا عبد الله، من أدبك؟ قال: أدبنتي نفسي والله، وُلدت بيخاري من أرض خراسان، فحملني ابنُ عمّ لنا حتى طرّحني عند بني عم لي بنهر صرصر. فكنت أجلس إلى معلّم لهم، فعَلِقَ بقلبي تعلّم القرآن، فجئتُ إلى شيخهم، فقلت: يا عمّاه، الذي كنت تُجري عليّ هاهنا، أجره عليّ بالكوفة أعرّف بها السُنّة وقومي، ففعل. قال: فكنت بالكوفة أضرب اللبّن وأبيعه، وأشتري دفاتر وطُروساً، فأكتب فيها العلم والحديث، ثم طلبت الفقه، فبلّغت ما ترى. فقال المُستنير بن عمرو لولده: قد سمعتم قول ابن عمّكم، وقد أكثرت عليكم في الأدب ولا أراكم تفلحون فيه، فليؤدّب كل رجل منكم نفسه، ثم من أحسن فلها، ومن أساء فعليها)^(١).

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: سمعتُ بعض الكوفيين، يقول: قال شريك: (قدِمَ علينا سالم الأقطس، فأتيته ومعِي قِرطاس فيه مئة حديث، فسألته عنها، فحدّثني بها، وسفيان الثوري يسمع، فلما فرغ، قال لي سفيان: أرني قِرطاسك، فأعطيته إياه، فخرّقه، فرجعتُ إلى منزلي، فاستلقتُ على قفاي، فحفظتُ منها سبعةً وتسعين، وذَهَبتُ عليّ ثلاثة، وحفظها سفيان كلّها)^(٢).

قلت: هذا يدل على قوة حفظ شريك، وسفيان الثوري أحفظ منه وأتقن.

(١) أخبار القضاة ١٥٠/٣ - ١٥١، تاريخ بغداد ٢٨٠/٩، تهذيب الكمال ٤٧٣/١٢. وصرصر: قرينتان من سواد بغداد، صرصر العليا وصرصر السفلى، وهما على ضفة نهر عيسى. معجم البلدان ٤٠١/٣.

(٢) ثقات العجلي، ص ١٩٠، تهذيب الكمال ٤٧٠/١٢، سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨.



قال سلمة بن شبيب: حدثنا ابن الأصبهاني: (قيل لشريك: يا أبا عبد الله، ما بال حديثك مُنتقى؟ قال: لتزكي العَصَائِدَ بِالغَدَوَاتِ)^(١).

** عن شريك قال: (صَلَّيْتُ الغَدَاةَ مع أَبِي إِسْحَاقَ الهَمْدَانِيَّ سَبْعِمِئَةَ مَرَّةٍ). وفي رواية عنه قال: (صَلَّيْتُ مع أَبِي إِسْحَاقَ أَلْفَ غَدَاةٍ)^(٢).

وقد أورد الخطيب البغدادي هذا الخبر في كتابه القيم «الجامع لأخلاق الراوي» في فصل: «البكور إلى مجالس الحديث».

قال أبو أحمد الزُّبَيْرِي: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ: (عن أَبِي إِسْحَاقَ، عن حُبْشِيِّ بن جُنَادَةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عليٌّ مِنِّي وأنا منه، ولا يُؤَدِّي عني إلا أنا أو عليٌّ»). قال شريك: قلت لأبي إسحاق: أين سمعته منه؟ قال: وَقَفَ علينا على فرس له في مجلس في جَبَّانَةِ السَّيِّعِ)^(٣).

وقال إبراهيم بن مَهْدِي: سمعت أبا إسماعيل إبراهيم بن سليمان المؤدّب، يقول: (كنا عند هشام بن عروة، فقال لنا: اعرضوا، ومعنا شريك، فقال شريك: لا، إلا إملأء)^(٤).

المحدث:

روى عن:

إبراهيم بن جرير البجلي، وإبراهيم بن مهاجر، وإسماعيل بن أبي

(١) المحدث الفاضل: رقم ٨٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٤. والعصائد: جمع الغصيدة، وهي دقيقتان يُلْتَمَسُ بالسُّنَمِ وَيُطْبَخُ.

(٢) تاريخ بغداد ٢٨١/٩، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٣.

(٣) مسند أحمد: حديث ١٧٥٠٥، ١٧٥٠٦، والعلل برواية عبد الله: رقم ٤٣٠٨، المعرفة والتاريخ ٦٢٥/٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٢.

(٤) الكامل لابن عدي ٩/٤.

خالد، وأشعث بن أبي الشعثاء، وأبي بشر بَيَان بن بِشْرِ البَجَلِي، وجابر الجُعْفِي، وجامع بن أبي راشد، وأبي صخرة جامع بن شدّاد، وحبّيب بن أبي ثابت، وحبّيب بن زيد الأنصاري، والحجّاج بن أُرطاة، والحُرّ بن الصّياح، وحكيم بن جُبَيْر، وخالد بن علقمة، وخصيف بن عبد الرحمن الجَزْرِي، والرُّكَيْن بن الرّبيع، وزبيد الياميّ، وزياذ بن علاقة، وسالم الأَفْطَس، وسلّمة بن كهّيل، وسليمان الأعمش، وسماك بن حرب، وشعبة بن الحجّاج، وعاصم بن بهدلة، وعاصم بن سليمان الأحول، وعاصم بن كليب، والعباس بن ذريح، وعبد الله بن شبرمة، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وعبد الرحمن ابن الأصبهانيّ، وعبد العزيز بن رُفيع، وعبد الكريم بن مالك الجَزْرِي، وعبد الملك بن عمير، وعبيد الله بن عُمر، وأبي حصين عثمان بن عاصم، وعثمان بن عبد الله بن موهّب، وأبي اليقظان عثمان بن عمير، وعطاء بن السائب، وعلي بن بذيمة، وعمّار الدُّهْنِي، وعمارة بن القعقاع بن شبرمة، وأبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعيّ، وعوف الأعرابيّ، وقيس بن وهب، وليث بن أبي سليم، ومحمد بن إسحاق بن يسار، ومحمد بن جُحادة، ومُخارق الأحمسيّ، ومُخَوَّل بن راشد، والمقدّام بن شريح بن هانئ، ومنصور بن الْمُعْتَمِر، وهشام بن عروة، وهلال الوزان، ويعلّى بن عطاء، وأبي ربيعة الإياديّ، وأبي هاشم الرُّمّانيّ، وغيرهم كثير.

وحدّث عنه:

ابنه عبد الرحمن، وسلّمة بن تَمّام الشَّقْرِيّ، ومحمد بن إسحاق، وهما من شيوخه.

وإبراهيم بن أبي العباس، وإبراهيم بن مهديّ، وإسحاق بن عيسى ابن

الطَّبَّاع، وإسحاق بن منصور السَّلُولِيُّ، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وإسماعيل بن موسى الفَزَارِيُّ، والأسود بن عامر شاذان، وثابت بن موسى، وحجاج بن محمد، وحُسين بن حَسَن الأشقر، وحُسين بن محمد المَرْوَزِيُّ، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وأبو تَوْبة الربيع بن نافع الحَلْبِيُّ، وسَلْم بن قُتَيْبَة، وأبو داود سُلَيْمان بن داود الطَّيَالِسِيُّ، وطلُّق بن غَنَم النَّخَعِيُّ، وعبَّاد بن العَوَّام الواسطي، وعبد الله بن صالح العَجَلِيُّ، وعبد الله بن المبارك، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَة، وعبد الرحمن بن مَهْدِي، وأبو نُعَيْم عبد الرحمن بن هانئ النَّخَعِي، وعثمان بن محمد بن أبي شَيْبَة، وعلي بن الجَعْد، وعلي بن حُجْر المَرْوَزِيُّ، وعلي بن حَكِيم الأودِي، وعلي بن قادم، وأبو نُعَيْم الفَضْل بن دُكَيْن، والفَضْل بن موسى السَيْنَانِيُّ، وقُتَيْبَة بن سعيد، ومحمد بن سعيد ابن الأصبهاني، ومحمد بن سُلَيْمان لُوَيْن، ومحمد بن الصَّبَّاح الدُّولَابِيُّ، وأبو أحمد محمد بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ، ومحمد بن عيسى ابن الطَّبَّاع، ومنصور بن أبي مُزاحم، وأبو النضر هاشم بن القاسم، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطَّيَالِسِيُّ، وهُشَيْم بن بَشِير وهو من أقرانه، وهنَّاد بن السَّرِيِّ، ووَكَيْع بن الجَزَّاح، ويحيى بن آدم، ويحيى بن أبي بُكَيْر الكِزْمَانِيُّ، ويزيد بن هارون، ويونس بن محمد المؤدَّب، وخلق سواهم.

استشهد به البخاري في «الصحیح» وروى له في «رفع اليدين» وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتجَّ به الباقر.

قال الخطيب في ترجمة شريك من «السابق واللاحق»: (حدَّث عنه أبا ن ب ت غ لب، وعبَّاد بن يعقوب الرَّوَّاجِنِيُّ، وبين وفاتيهما مئة وعشر سنين، وقيل: وتسع، أو دون ذلك)^(١).

(١) السابق واللاحق، ص ٢٣٧، وانظر، ص ٢٣٨.

حديثه عن أبي إسحاق السبيعي^(١):

- قال عثمان بن سعيد الدارمي: (قلت ليحيى بن معين: شريك أحب إليك في أبي إسحاق أو إسرائيل؟ فقال: شريك أحب إليّ وهو أقدم، وإسرائيل صدوق)^(٢).

وفي رواية ابن طهمان عن ابن معين قال: (زهير وإسرائيل وشريك وأبو عوانة، هؤلاء الأربعة في أبي إسحاق واحد)^(٣).

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، يقول: (قال شريك عن أبي إسحاق، قال: كان ثبناً فيه)^(٤).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: (سَمِعَ شريك من أبي إسحاق قديماً، وشريك في أبي إسحاق أثبت من زهير وإسرائيل وزكريا)^(٥).

وقال الفضل بن زياد: (وسئلت أبو عبد الله عن شريك وإسرائيل عن أبي إسحاق: أيهما أحب إليك؟ فقال: شريك أحب إليّ؛ لأن شريكاً أقدم سماعاً من أبي إسحاق، وأما المشايخ فإسرائيل)^(٦).

وقال أبو بكر المروزي: (قلت لأحمد: من أصحاب أبي إسحاق

(١) انظر ما كتبه في ترجمة أبي إسحاق، في كتابي «مشاهير أئمة الحديث في القرن الثاني الهجري».

(٢) تاريخ الدارمي: رقم ٨٥، الجرح والتعديل ٣٦٧/٤.

(٣) سؤالات ابن طهمان: رقم ١١٠.

(٤) العلل: رقم ٣٤٨.

(٥) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤، وانظر: سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٠٥، والمعرفة والتاريخ

١٧٦/٢.

(٦) المعرفة والتاريخ ١٦٨/٢، تاريخ بغداد ٢٨٣/٩.

المشهورون؟ قال: شعبة وسفيان. وقال: شريك حسنُ الرواية عن أبي إسحاق^(١).

حديثه عن منصور بن المعتمر:

قال عثمان الدارمي: (سألت يحيى قلت: جرير أحبُّ إليك في منصور أو شريك؟ فقال: جرير أعلمُ به)^(٢).

وقال عثمان الدارمي: (قلت: فشريك أحبُّ إليك في منصور أو أبو الأحوص؟ فقال: شريك أعلمُ به). قال عثمان: (أراه قال: وكم روى أبو الأحوص عن منصور؟!)^(٣).

إتقانه وما جاء في خطئه وسوء حفظه:

** قال عيسى بن يونس: (مَنْ يُفْلِتُ مِنَ الْخَطَا؟ رُبَّمَا رَأَيْتُ شَرِيكًا يَخْطِئُ وَيُضَحِّفُ، حَتَّى أَسْتَحْيِي)^(٤).

وقال علي بن المدني: سمعت يحيى القطان، يقول: (قَدِمَ شَرِيكٌ مَكَّةَ، فَقِيلَ لِي: ائْتِهِ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيَّ مَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ. وَضَعَفَ حَدِيثُهُ جَدًّا. قَالَ يَحْيَى: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بِالْكُوفَةِ، فَأَمَلَى عَلَيَّ إِمْلَاءً، فَإِذَا هُوَ لَا يَدْرِي)^(٥).

(١) العلل برواية المروذي: رقم ٢٣.

(٢) تاريخ الدارمي: رقم ٨٨. وجرير هو ابن عبد الحميد الضبي.

(٣) تاريخ الدارمي: رقم ٨٩، الكامل ٨/٤، تاريخ بغداد ٢٨٢/٩ - ٢٨٣. وأبو الأحوص هو سلام بن سليم الحنفي.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨، تاريخ الإسلام ١٧١.

(٥) الضعفاء الكبير ٢/١٩٣، الكامل لابن عدي ٧/٤، تاريخ بغداد ٢٨٤/٩.

وروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه قال: (رأيت تخليطاً في أصول شريك)^(١).

وقال عبد الجبار بن محمد الخطَّابي: (قلت ليحيى بن سعيد: يقولون: إنما خلط شريك بأخرة؟ فقال: ما زال مَخْلُطاً)^(٢).

وقال علي بن المديني: (وكان يحيى بن سعيد حمل عن شريك قديماً، وكان لا يحدثُ عنه، وكان ربما ذكَّرها على التعجب، فكان بعضهم يحملها عنه)^(٣).

- قال محمد بن يحيى الذُّهلي: سمعت أبا الوليد الطَّيَالِسِيَّ، يقول: (كان شريك يحدثُ بشيءٍ يسبقُ إلى نفسه، لا يرجعُ إلى كتاب)^(٤).

- وقال محمد بن سعد: (كان يغلطُ كثيراً)^(٥).

- وقال أبو يعلى المَوْصِلِيَّ: قال يحيى بن معين: (شريك ثقةٌ، إلا أنه كان لا يُتَّقَرُّ ويغلطُ)^(٦).

- وقال علي بن المديني: (شريك أعلمُ من إسرائيل، وإسرائيلُ أقلُّ خطأً منه)^(٧).

- وروى الفضل بن زياد، عن أحمد بن حنبل وقيل له: (فشريك أو

(١) الضعفاء الكبير ١٩٥/٢، الكامل لابن عدي ٦/٤.

(٢) الكامل لابن عدي ٦/٤، الجرح والتعديل ٣٦٦/٤.

(٣) تاريخ بغداد ٢٨٤/٩.

(٤) تاريخ بغداد ٢٨٤/٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٣٧٩/٦.

(٦) الكامل لابن عدي ٨/٤، تاريخ بغداد ٢٨٣/٩.

(٧) تاريخ بغداد ٢٨٣/٩. وتصحفت كلمة (خطأً) إلى (حظاً) في تهذيب الكمال ٤٧١/١٢.

إسرائيل؟ قال: إسرائيل كان يؤدّي على ما سمع، كان أثبت من شريك، ليس على شريك قياس، كان يحدث الحديث بالتوهم^(١).

وروى عبد الله بن أحمد، عن أبيه قال: (كان زائدة - بن قدامة - إذا حدّث بالحديث يُتقنه، وكان شريك لا يُبالي كيف حدّث)^(٢).

- وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: (أخطأ شريك في أربعمئة حديث)^(٣).

** قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: (شريك سيئ الحفظ، مضطرب الحديث، ماثل)^(٤).

- وقال يعقوب بن شيبه: (شريك بن عبد الله ثقة صدوق، صحيح الكتاب، رديء الحفظ مضطرب)^(٥).

- وقال ابن أبي حاتم: (سألت أبا زرعة عن شريك: يُحتجُّ بحديثه؟ قال: كان كثير الحديث، صاحب وهم، يغلط أحياناً. فقال له فضل الصائغ: إن شريكاً حدّث بواسطة بأحاديث بواطيل، فقال أبو زرعة: لا تقل بواطيل).

- وقال ابن أبي حاتم أيضاً: (سألت أبي عن شريك وأبي الأخص:

(١) المعرفة والتاريخ ١٦٨/٢، تاريخ بغداد ٢٣/٧.

(٢) العلل: رقم ٢٦١١، وانظر: سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٠٥هـ.

(٣) الكامل لابن عدي ٨/٤.

(٤) أحوال الرجال: رقم ١٣٤، الكامل لابن عدي ٧/٤، ١٠، تاريخ بغداد ٢٨٤/٩. وفي الكامل: قال

ابن عدي (سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي) فذكره، وابن حماد: هو أبو بشر الدولابي، والسعدي: هو الجوزجاني.

(٥) تاريخ بغداد ٢٨٤/٩ - ٢٨٥.

أيهما أحبُّ إليك؟ قال: شريك أحبُّ إليَّ، شريك صدوق، وهو أحبُّ إليَّ من أبي الأحوص، وقد كان له أغاليط^(١).

- وقال الترمذي: (شريك كثير الغلط)^(٢).

ونقل الترمذي عن علي بن المديني قال: (ولم يَزِرْ يحيى - القَطَّان - عن شريك، ولا عن أبي بكر بن عيَّاش، ولا عن الرَّبيع بن صبيح، ولا عن المُبارك بن فضالة).

ثم عَقَّب الترمذي على هذا فقال: (وإن كان يحيى بن سعيد القَطَّان قد تَرَكَ الرواية عن هؤلاء، فلم يترك الرواية عنهم أنه اتَّهَمَهُم بالكذب، ولكنه تَرَكَهم لحالِ حَفْظِهِم. وذُكِرَ عن يحيى بن سعيد أنه كان إذا رأى الرجل يُحَدِّثُ عن حفظه مرة هكذا، ومرة هكذا، لا يَثْبُتُ على رواية واحدة، تَرَكَه. وقد حَدَّثَ عن هؤلاء الذين تركهم يحيى بن سعيد القَطَّان: عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من الأئمة)^(٣).

** قال ابن حِبَّان: (وكان في آخر أمره يُخْطِئُ فيما يروي، تَغَيَّرَ عليه حفظه، فسماعُ المتقدمين عنه الذين سمعوا منه بواسطة ليس فيه تخليط، مثل يزيد بن هارون وإسحاق الأزرق، وسماعُ المتأخرين عنه بالكوفة فيه أوهام كثيرة).

وقال في موضع آخر: (وكان يَهْمُ في الأحيين إذا حَدَّثَ من غير كتابه)^(٤).

(١) الجرح والتعديل ٣٦٧/٤.

(٢) السنن ٦٦/١ حديث ٤٥.

(٣) العلل الملحق بالسنن ٧٤٤/٥ - ٧٤٥، شرح علل الترمذي ٣٩٦/١.

(٤) الثقات ٤٤٤/٦، مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٦٩.

- وكذا جاء عن أحمد بن حنبل: أن سماعَ الذين أخذوا عنه بواسطة أصحَّ، لأنهم كتبوا عنه من كتابه^(١).

- وقال أبو أحمد بن عديّ: (ولشريك حديث كثير من المقطوع والمُسند وأصناف^(٢))، وإنما ذكرْتُ من حديثه وأخباره طرفاً منه، وفي بعض ما لم أتكلّم على حديثه مما أملتُ بعض الإنكار، والغالب على حديثه الصحة والاستواء، والذي يقع في حديثه من النكرة إنما أتى فيه من سوء حفظه، لا أنه يتعمد في الحديث شيئاً مما يستحقُّ شريك أن يُنسب فيه إلى شيء من الضعف^(٣).

- وقال الذهبي في صدر ترجمته في «السِّير»: (شريك أحدُ الأعلام، على لينٍ ما في حديثه، توقّف بعضُ الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده).

وقال في «التذكرة»: (كان شريك حَسَنَ الحديث، إماماً فقيهاً، ومحدثاً مُكثِراً، ليس هو في الإتقان كحماد بن زيد.... وحديثه من أقسام الحَسَن)^(٤).

- وقال الحافظ: (في حفظه ضَعْفٌ).

وقال في موضع آخر: (وشريك كان تغَيَّرَ حفظُه لَمَّا ولي القضاء، وسماعٌ مَنْ حَمَلَ عنه قبل ذلك أصحَّ)^(٥).

(١) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٣٩. وسيأتي بتمامه: ص ٣٠٩ حاشية (٧).

(٢) في تهذيب الكمال: (وأضاف)، تصحيف.

(٣) الكامل ٢٢/٤، تهذيب الكمال ٤٧٢/١٢، الكواكب النيرات، ص ٢٥٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٨، تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١.

(٥) الفتح ١٣٢/٢، ٤٢٢/٤.

تحسين بعض مفاريدہ:

١ - قال قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا شَرِيكَ بن عبد الله النَّخَعِيُّ، عن أبي إِسْحَاقَ، عن عطاء، عن رافع بن خَدِيج، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ زَرَعَ في أرضِ قومٍ بغيرِ إِذْنِهِمْ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الزَّرْعِ شَيْءٌ، وَلَهُ نَفَقَتُهُ»^(١).

قال الترمذي: (هذا حديث حسنٌ غريبٌ، لا نعرفه من حديث أبي إِسْحَاقَ إلا من هذا الوجه من حديث شريك بن عبد الله. وسألت محمد بن إِسْمَاعِيلَ عن هذا الحديث؟ فقال: هو حديثٌ حسنٌ. وقال: لا أعرّفه من حديث أبي إِسْحَاقَ إلا من رواية شريك).

٢ - روى الفُضْلُ بن موسى، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الله بن عُصْمٍ، عن ابن عُمر قال: قال رسول الله ﷺ: «في ثَقِيفٍ كَذَابٌ وَمُبِيرٌ»^(٢). قال الترمذي: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث شريك).

ما قيل عن تدليسه:

ذكر شريكاً في المدلسين الذين صَنَّفُوا فيهم، وقال العَلَاثِيُّ: (وليس تدليسه بالكثير)^(٣).

وتابعه سِبْطُ بن العَجْمِيِّ^(٤).

وقال الحافظ: (وكان يتبرأ من التدليس، ونَسَبَهُ عبد الحق في «الأحكام» إلى التدليس، وسبقه إلى وَصْفِهِ به الدَّارِقُطْنِيُّ)^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٠٣)، والترمذي (١٣٦٦)، وابن ماجه (٢٤٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٠) و(٣٩٤٤).

(٣) جامع التحصيل، ص ١٢٢.

(٤) التبيين لأسماء المدلسين، ص ١١١.

(٥) تعريف أهل التقديس، ص ٣٣.

وقد ذكره العلائي وابن حجر في «الطبقة الثانية من المدلسين»، وهم: (من احتمل الأئمة تدليسه، وخرّجوا له في الصحيح وإن لم يُصرّح بالسماع، وذلك: إما لإمامته، أو لقلّة تدليسه، في جنّب ما روى، أو لأنه لا يُدلس إلا عن ثقة).

قلت: وشريك لم يخرج له البخاري في الأصول بل في التعاليق، وروى له مسلم مقروناً، فيكون قد احتمل الأئمة تدليسه لإمامته وقلّة تدليسه في جنّب ما روى، بل الذي يظهر - والله أعلم - أنه لم يكن مدلساً، وقد كان يتبرأ من التدليس، وما وصّفه به أحد من المتقدمين.

ما قيل عن اختلاطه:

ذكره سبط بن العجمي في «الاعتباط» ونفى عنه الاختلاط، فنقل قول عبد الجبار بن محمد الخطابي ليحيى القطان: (زعموا أن شريكاً إنما اختلط بأخرّة)، وقول يحيى له: (ما زال مخلطاً)، وقول ابن حبان في «الثقات»: (كان في آخر عمره يُخطئ فيما يروي، تغير عليه حفظه). ثم قال سبط بن العجمي: (فَيَحْتَمَلُ أَلَّا يَرِيدَ يَحْيَى بِنَ سَعِيدَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ الْاِخْتِلَاطَ الْمَعْرُوفَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْهُ؛ لِقَوْلِهِ: مَا زَالَ مَخْلُطاً^(١)).

قلت: صدق سبط بن العجمي وأصاب، فإنما أراد يحيى القطان أن شريكاً كان سيئ الحفظ، يُخطئ ويغلط، وقد قال عنه: (رأيتُ تخليطاً في أصول شريك). وكذا قول ابن حبان: (كان في آخر عمره يخطئ فيما يروي، تغير عليه حفظه). فمثلُ هذا لا يُقال عنه: إنه اختلط، بل ساء حفظه بأخرّة، وذكره فيمن اختلط غلط، والله أعلم.

(١) الاعتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط، ص ٦٩.

كلامه في الرجال:

قال يعقوب بن شَيْبَةَ: حدثنا موسى بن منصور، حدثنا أو سلمة الخزاعي قال: (سمعت حماد بن سلمة، ومالك بن أنس، وشريك بن عبد الله، يقولون في الرجل يحدث: نخبرُ بأمره. يعنون ضَعْفَهُ من قوَّتِهِ، وصدَّقَهُ من كَذِبِهِ. قال: وقال شريك: كيف نعرف الضعيف من القوي إذا لم نُخبر به؟) ^(١).

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه قال: (سليمان بن عمرو النخعي كان كذاباً. سئل شريك عنه فقال: ذاك كذاب النخع) ^(٢).

سعة علمه وكثرة حديثه:

** قال عبد الرحمن بن شريك (كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي، وعشرة آلاف عن ليث بن أبي سليم) ^(٣).

وقال العجلي في ترجمته: (وكان أروى الناس عنه إسحاق بن يوسف الأزرق الواسطي، سمع منه تسعة آلاف حديث) ^(٤).

وعن عبد الحميد بن بيان قال: (سمع إسحاق الأزرق من شريك نحواً من ثمانية ^(٥) آلاف، ويزيد بن هارون نحواً من ثلاثة آلاف) ^(٦).

(١) شرح علل الترمذي ٣٥٣/١.

(٢) الكامل ٢٤٥/٣ - ٢٤٦، شرح علل الترمذي ٣٦٨/١.

(٣) الكامل ٨/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٨.

(٤) ثقات العجلي، ص ٢١٨، تاريخ بغداد ٢٨١/٩.

(٥) من تهذيب الكمال، وفي تاريخ بغداد: (خمسة).

(٦) تاريخ بغداد ٣٢٠/٦، تهذيب الكمال ٤٩٨/٢. وسيأتي بتمامه.

•• قال يحيى بن عبد الحميد الجَمَّاني: قال لي عبد الله بن المبارك: (أَمَا يَكْفِيكَ عِلْمُ شَرِيكَ؟!)(١).

وقال سَعْدُوَيْه سَعِيد بن سُلَيْمَانَ الوَاسِطِي: سمعت ابن المبارك - عند حُدَيْج بن معاوية - يقول: (شَرِيكَ أَعْلَمُ - وفي رواية: أَحْفَظُ - بحديث الكوفيين من سفیان الثوري)(٢).

وقال ابن طهمان: (قلت ليحيى بن معين: زَعَمَ إِسْحَاقُ بن أَبِي إِسْرَائِيلَ أَن شَرِيكَاً أَرَوَى عَنِ الكُوفِيِّينَ مِنْ سَفِيَانَ، وَأَعْرَفُ بِحَدِيثِهِمْ؟ فقال: ليس يُقَاسُ بِسَفِيَانَ أَحَدٌ، وَلَكِنْ شَرِيكَاً أَرَوَى مِنْهُ فِي بَعْضِ المَشَايِخِ: الرُّكَيْنِ، وَالعَبَّاسِ بن ذَرِيحٍ، وَبَعْضِ المَشَايِخِ - يعني الكوفيين - يعني أَكْثَرَ كِتَاباً)(٣).

وقال علي بن حَكِيم الأُودِي: سمعت وكيعاً، يقول: (لم يكن أحدٌ أَرَوَى عَنِ الكُوفِيِّينَ مِنْ شَرِيكَ)(٤).

الفقيه القاضي:

شريك من كبار الفقهاء وأعيان القضاة، ولي قضاء الكوفة زمناً طويلاً، فامتدح حكمه، وأثنى الأئمة والناس على قضاياه ومواقفه فيها، كما فصلنا القول في ذلك.

وأما الفقه فقد وصفه به الطبري وابن جَبَّان وغير واحد، وترجم له

(١) تاريخ بغداد ٢٨٠/٩.

(٢) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤، الكامل ٨/٤ - ٩، تاريخ بغداد ٢٨٢/٩.

(٣) سؤالات ابن طهمان: رقم ٣٢٢، تاريخ بغداد ٢٨٢/٩.

(٤) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤.

الشيرازي في «طبقات الفقهاء»، وقال الذهبي: (كان من كبار الفقهاء، وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع)^(١).

وكان رَضِيَ اللهُ تَبَاعاً لِلسُّنَّةِ، متمسكاً بالآثار، مقدماً لها على آراء الرجال.

قال عبّاد بن العوّام: قال شريك: (أثر فيه بعض الضّعف أحب إليّ من رأيهم)^(٢).

نشره العلم:

تصدّر شريك لنشر العلم، وحَدَّث بالكوفة وبغداد وواسط، وأخذ عنه خلق كثير، وحَدَّث عنه أئمة كبار، وحملوا عنه حديثاً كثيراً جداً، وحسبك أن إسحاق الأزرق قد روى عنه زهاء تسعة آلاف حديث، ويزيد بن هارون ثلاثة آلاف.

** قال حمدان بن الأصبهاني: (كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه، فقال: كأنك تَسْتَخِفُّ بأولاد الخليفة! قال: لا، ولكن العلم أزينُ عند أهله من أن يضيّعه. قال: فجئنا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يُطلب العلم)^(٣).

وقال أبو نعيم النخعي: سمعتُ شريكاً، يقول: (تري أصحاب الحديث هؤلاء، ليس يطلبونه لله رَضِيَ اللهُ تَبَاعاً، إنما يتنظرون به)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٨، تاريخ الإسلام، ص ١٧٦ وفيه تصحيف.

(٣) أخبار القضاة ١٦١/٣، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٣٤٦، سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٨.

(٤) أخبار القضاة ١٥٥/٣، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٧٦.

وقد أورد الخطيب هذا الخبر في «الجامع لأخلاق الراوي» في فصل: (من كان يمتنع أن يحدث من لا نيّة صحيحة له في الحديث).

وقد مرّ ما حدّث لشريك في مجلس أبي عبيد الله وزير المهدي، واعتراض الحسن بن زيد على حديثه في التّبئذ، فقال أبو عبيد الله لشريك: (أبا عبد الله، حدّث القوم بما سمعت في التّبئذ، فقال: كلا، الحديث أعزّ على أهله من أن يُعزّض للتكذيب).

(وحدّث شريك يوماً عند أبي عبيد الله بحديث، فقال عافية القاضي: ما سمعنا هذا الحديث، فقال شريك: وما يضُرُّ عالماً إن جهل جاهل؟!)(١).

وقال علي بن حُجر: (حدّث شريك ذات يوم بأحاديث، فقبل له: يا أبا عبد الله، ليس هذا عند أصحابك، يعنون سفيان وشعبة، قال: شغلهم أكلُ العصايد، إن الكوفة أرض باردة)(٢).

** قال خليل بن كُرَيْز: (قال رجلٌ لشريك: أفهمني أبا عبد الله، قال: ليس عليّ أن أفهمك، إنما عليّ أن أُحدّثك)(٣).

وقال أحمد بن علي الأبار (حدّثنا منصور بن أبي مَرّاحم، حدّثنا شريك، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن زيد بن ثابت قال: البراءة من كل عيب جائزة. قال منصور: جاء أبو يوسف إلى شريك، فسأله أن يحدّثه بهذا الحديث، فأبى شريك أن يحدّثه). وقال الأبار: سمعت علي بن حُجر، يقول: (كنا يوماً عند شريك، فقال: مَنْ كان

(١) أخبار القضاة ١٦٢/٣.

(٢) الكامل ٩/٤.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٣٤٠، وفيه (خليل بن كُرَيْر) و(كُرَيْر) تصحيف.

هناها من أصحاب يعقوب فَأَخْرَجُوهُ - قال: يعني أبا يوسف (-) (١).

قلت: هذا مبالغةٌ وغلوّ، والقاضي أبو يوسف من أئمة الإسلام الكبار، انعقدت الخناصر على إمامته وسعة علمه وإتقانه وثقة مروياته، وقد مرَّ بيانُ سبب هذا الموقف لشريك من أصحاب الرأي (٢).

قال عيسى بن يونس: (كان شريك يُلقني إليّ كُتبه، ويقول: اكتب حديثَ جدّك، ومن أردت) (٣).

** قال الخطيب في صدر ترجمته: (وقدم شريك بغداداً مراتٍ، وحدث بها) (٤).

وقال علي بن المديني: (وإنما كان حديثُ شريك وَقَعَ بواسطة، قدم عليهم في حفر نهر، فحمل عنه إسحاق الأزرق وغيره) (٥).

وقال أبو داود السجستاني: (سمعت أحمد بن حنبل، يقول: إسحاق - يعني الأزرق - وعباد بن العوام، ويزيد (٦)، كتبوا عن شريك بواسطة من كتابه، كان قديم عليهم في حفر نهر. قال أحمد. كان شريك رجلاً له عقل، فكان يُحدث بعقله. قال أحمد: سماعٌ هؤلاء أصح منه) (٧).

وقال أحمد بن علي الأتبار: (سألتُ عبد الحميد بن بيان عن إسحاق الأزرق، وكيف سمع من شريك؟ قال: سمع منه بواسطة، قلت له: في أي

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٦٦، وفيه (منصور بن المعتمر بن أبي مزاحم)، خطأ.

(٢) انظر: ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٤/٨. وجدّ عيسى هو أبو إسحاق الشيبعي.

(٤) تاريخ بغداد ٢٧٩/٩.

(٥) تاريخ بغداد ٢٨٣/٩ - ٢٨٤.

(٦) هو ابن هارون.

(٧) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٤٣٩، تاريخ بغداد ٣٢٠/٦.

شيء جاء إلى واسط؟ قال: جاء في كَري الأنهار، فأخذ إسحاق كتابه. قلت: أيما أكثر سَمَاعاً من شريك، إسحاق أو يزيد بن هارون؟ قال: إسحاق نحو من ثمانية آلاف، ويزيد نحو من ثلاثة آلاف^(١).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، يقول: قال لي حجاج بن محمد: (كتبْتُ عن شريك نحواً من خمسين حديثاً عن سالم، قبل القضاء؛ يعني: قبل أن يلي القضاء)^(٢).

وقال الفضل بن دُكَيْن: (حدَّثنا شريك عن أبي مَعْشَر بأحاديث، قبل أن يلي القضاء)^(٣).

وقال أبو نُعيم أيضاً: (لم أَكْتُبْ عنه بعد القضاء غيرَ حديثٍ واحد).

وعن وكيع قال: (ما كتبتُ عن شريك بعد ما ولى القضاء، فهو عندي على جَدّة)^(٤).

منزلته وثناء الأئمة عليه:

شريك إمام جليل، ثقة نبيل، حافظ كبير، من بحور العلم، وأئمة الرواية، أثنى عليه النقاد ورفعوا من شأنه، ووثقه جماهيرهم، ومن تكلم فيه كيحيى القطان وغيره فإنما تكلموا فيه من جهة حفظه، فكان يغلط ويهمل في حديثه بأخرة بعدما ولى القضاء، وحديثه من قبيل الحسن، كما يتضح من النظر في جملة أقوال الأئمة، وكما قرّر ذلك الحافظ الذهبي.

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٢٠، تهذيب الكمال ٢/٤٩٨.

(٢) العلل: رقم ٣٦٠٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/٣٧٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٢٠٤.

•• قال عمار بن رزيق: (كنتُ عند المغيرة بن مقسم، فكان يأتيه شريك وسفيان والحسن بن صالح وقيس بن الربيع، فقال المغيرة: ما من هؤلاء أحدٌ أعقلَ من شريك)^(١).

- وقال عبد الله بن مسلمة القعنبي: (كنا عند ابن عيينة فقالوا: هذا ابن الجماني، قال: هذا صاحبُ شريك، وشعبةٌ يقول: نفعني الله بشريك)^(٢).

- روى علي بن الحسن، عن ابن المبارك قال: (بقي بالعراق رجلان: شريك وشعبة. فلما بلغ سفيان أن شريكاً استقضي، قال: أيُّ رجلٍ أفسدوا)^(٣).

وفي رواية عن سفيان الثوري أنه كان إذا ذكّر شريكاً، قال: (أيُّ رجلٍ كان لو لم يُفسدوه)^(٤)، يعني بتوليّه القضاء.

قلت: كان سفيان يرى الابتعاد عن مناصب الدولة، ويهرب من القضاء، وقد حاول الخلفاء إجباره على تولّي القضاء فأبى وهرب واختفى منهم، فهو يخشى على نفسه الحيدة عن الحق، ومجاملة السلطان وأولي الأمر.

وبحمد الله فإن شريكاً لم يفسد بتوليّه القضاء، بل أصلح وأحسن وعدل في الأحكام.

رحم الله تلك النفوس النقية الشامخة.

(١) أخبار القضاة ١٥٠/٣.

(٢) سؤالات الأجرى: رقم ٢٩٥ وفيه: (رفعني) بدل (نفعني).

(٣) أخبار القضاة ١٦٣/٣، الكامل ٩/٤.

(٤) تاريخ بغداد ٢٨٧/٩.



** روى داود بن رُشيد، عن عبَّاد بن العَوَّام^(١) قال: (قَدِمَ عَلَيْنَا مَعْمَرُ وَشَرِيكُ، فَتَرَكْنَا مَعْمَرًا وَكَتَبْنَا عَنْ شَرِيكٍ، قُلْتُ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: كَانَ شَرِيكُ أَرْجَحَ عِنْدَنَا مِنْهُ)^(٢).

- وقال أبو تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بن نافع: سمعت عيسى بن يونس، يقول: (ما رأيتُ أحداً قَطُّ أَوْرَعَ في عِلْمِهِ من شريك)^(٣).

وقال أبو تَوْبَةَ: (كنا بالرَّمْلَةِ، فقالوا: مَنْ رجلُ الأَمَةِ؟ فقال قومٌ: ابنُ لَهَيْعَةَ، وقال قومٌ: مالك بن أنس. فسألنا عيسى بن يونس - وقَدِمَ عَلَيْنَا - فقال: رجلُ الأَمَةِ شريك بن عبد الله - وكان يومئذٍ حياً - قيل: فابنُ لَهَيْعَةَ؟ قال: رجلٌ سَمِعَ من أهلِ الحجاز، قيل: فمالكُ بن أنس؟ قال: شيخُ أهلِ مِصْرِهِ)^(٤).

- وقال سفيان بن عُيَيْنَةَ: (ما أدركتُ بالكوفةَ أَحْضَرَ جواباً من شريك بن عبد الله)^(٥).

- وقال أبو نعيم الفضل بن دُكَيْنٍ: (لو لم يكنْ عنده علمٌ لكان يُؤْتَى لعقلِهِ)^(٦).

** قال ابن سعد: (وكان شَرِيكُ ثقةً مأموناً، كثيرَ الحديثِ، وكان يَغْلُظُ كثيراً)^(٧).

(١) في أخبار القضاة: (عباد بن عمار)، خطأ.

(٢) أخبار القضاة ١٦٣/٣، تاريخ بغداد ٢٨١/.

(٣) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤.

(٤) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤.

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي، ص ٨٧.

(٦) تهذيب التهذيب ٢٩٥/٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٣٧٩/٦.

- قال ابن طهمان: سمعت يحيى بن معين، يقول: (شريك ثقة، وهو أحب إلي من أبي الأخوص وجرير، ليس يُقاس هؤلاء بشريك، وهو يروي عن قوم لم يرو عنهم سفيان)^(١).

وقال أيضاً: (قلت ليحيى: فروى يحيى بن سعيد القطان عن شريك؟ فقال: لم يكن شريك عند يحيى بشيء، وهو ثقة ثقة)^(٢).

وقال عبّاس الدوري: (قيل ليحيى: شريك أثبت أو أبو الأخوص؟ قال: شريك)^(٣).

وعقّب الذهبي على هذا بقوله: (قلت: مع أنّ أبا الأخوص من رجال الصحيحين، وما أخرجنا لشريك سوى مسلم في المتابعات قليلاً، وخرّج له البخاري تعليقاً)^(٤).

وروى معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين قال: (شريك بن عبد الله هو صدوق ثقة، إلا أنه إذا خولف فغيره أحب إلينا منه)^(٥).

وروى إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين قال: (شريك ثقة، من يسأل عنه؟!)^(٦).

- قال معاوية بن صالح: سألتُ أحمد بن حنبل عن شريك؟ فقال:

-
- (١) سؤالات ابن طهمان: رقم ٣٢.
(٢) سؤالات ابن طهمان: رقم ٣١ وفيه (ثقة) فقط، تاريخ بغداد ٢٨٢/٩، وفي ثقات ابن شاهين، ص ١٦٩ قوله: (ثقة ثقة).
(٣) تاريخ الدوري ٢٥١/٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠١/٨.
(٥) الكامل لابن عدي ٨/٤ تاريخ بغداد ٢٨٣/٩.
(٦) الجرح والتعديل ٣٦٦/٤ - ٣٦٧.

(كان عاقلاً صدوقاً محدثاً عندي، وكان شديداً على أهل الريب والبدع، قديم السماع من أبي إسحاق)^(١).

** قال أحمد بن عبد الله العجلي: (كوفي ثقة، وكان حسن الحديث)^(٢).

- وقال يعقوب بن شَيْبَةَ: (وكان شريك ثقةً مأموناً، كثير الحديث، أنكر عليه الغلط والخطأ)^(٣).

- وقال أبو حاتم: (شريك صدوق، وهو أحبُّ إليَّ من أبي الأحوص)^(٤).

- وقال أبو عبيد الأجرِّي: سمعت أبا داود، يقول: (شريك ثقةٌ يُخطئ على الأعمش، زهير وإسرائيل فوقه)^(٥).

- وقال إبراهيم الحربي: (كان ثقة)^(٦).

- وقال صالح بن محمد جَزْرَةَ: (شريك صدوق، ولمَّا ولي القضاء اضطرب حفظه)^(٧).

- وقال النَّسَائِي: (ليس به بأس)^(٨).

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ١٩٤/٢.

(٢) ثقات العجلي، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٣/٨، تاريخ الإسلام، ص ١٧١.

(٤) الجرح والتعديل ٣٦٧/٤.

(٥) سؤالات الأجرى: رقم ٩١، تاريخ بغداد ٢٨٤/٩.

(٦) تهذيب التهذيب ٢٩٥/٤.

(٧) تاريخ بغداد ٢٨٥/٩.

(٨) تهذيب الكمال ٤٧٢/١٢.

•• ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال في «مشاهير علماء الأمصار»: (وكان من الفقهاء، والمذكورين من العلماء، الذين واطبوا على العلم، ووقفوا أنفسهم عليه، وكان يهيم في الأحيان إذا حدث من غير كتابه)^(١).

- وقال ابن عدي: (وشريك بن عبد الله من أجلّة الناس، قاضي الكوفة، ولم يكن بالكوفة أحضر جواباً من الأعمش وشريك؟) وقال أيضاً: (والغالب على حديثه الصحة والاستواء)^(٢).

- وقال ابن عبد الهادي: (وقد كان - رَحِمَهُ اللهُ - إماماً فقيهاً، محدثاً كثيراً، حسن الحديث)^(٣).

- وأثنى عليه الذهبي في مواضع من كتبه، فقال في «السير»: (العلامة الحافظ القاضي، أحد الأعلام).

وافتح ترجمته في «الميزان» بقوله: (القاضي الحافظ الصادق، أحد الأئمة)^(٤).

- وقال الحافظ: (صدوق، يُخطئ كثيراً، تغيّر حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً، فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع).

وقال في موضع آخر: (مشهور، كان من الأثبات، ولما ولي القضاء تغيّر حفظه)^(٥).

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٦٩.

(٢) الكامل ٢١/٤، ٢٢.

(٣) طبقات علماء الحديث ٣٤٣/١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٨، ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢.

(٥) تقريب التهذيب ٣٥١/١، تعريف أهل التقديس، ص ٣٣.

من أخباره الشخصية:**جده:**

قال محمد بن سليم العبدي: سمعتُ شريكاً يحدثُ مشايخنا عنده، فقال: (أنا شريكُ بن عبد الله بن أبي شريك، وأبو شريك جدي شهد القادسية، أروني بالكوفة أقعد مني)^(١).

ابنه عبد الرحمن:

روى عن أبيه شريك.

وحدث عنه: إبراهيم بن أبي بكر بن أبي شئبة، وأحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، وسليمان بن أبي شيخ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير، وغيرهم.

أخرج حديثه البخاريُّ في «الأدب المفرد».

مولده ووفاته وعمره:**مولده:**

قال منصور بن أبي مزاحم: سمعتُ شريكاً، يقول: (وُلدت بِبُخَارَى مَقْتَلِ قُتَيْبَةَ بنِ مَسْلَمٍ، سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ)^(٢).

وكذا قال زكريا بن يحيى زَحْمَوِيَّه، وأحمد بن حنبل، وغيرهما^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٨/٦.

(٢) ثقات ابن حبان ٤٤٤/٦.

(٣) التاريخ الكبير ٢٣٧/٤، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦١٥٠، المعرفة والتاريخ ١٥٠/١، ١٦٨، الكامل ٧/٤، ٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ٩٢، تاريخ بغداد ٢٨٠/٩.

قال شريك: (وُلدت ببخارى من أرض خراسان)^(١).

وفاته:

قال ابن أبي خيثمة: سمعت الحسن بن حماد، يقول: (مات شريك وأنا شاهد بالكوفة، سنة سبع وسبعين ومئة)^(٢).

وكذا قال أبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الله بن أبي الأسود، وابن سعد، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وقعنّب بن المحرّر، وغير واحد^(٣).

وفيهما أرخه: ابن حبان، وابن ماکولا، وابن الجوزي، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم.

- وقال خليفة بن خياط: (مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومئة).
وجزم في «تاريخه» بوفاة شريك سنة ١٧٨هـ^(٤).

والصحيح الأول.

قال ابن سعد: (توفي شريك بالكوفة يوم السبت مستهلّ ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومئة، وهارون أمير المؤمنين بالحيرة، وواليه يومئذ موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، فشهد جنازة شريك

(١) أخبار القضاة ١٥٠/٣، تاريخ بغداد ٢٨٠/٩. وانظر رواية مطولة في تاريخ الدوري ٢٥٢/٢.

(٢) أخبار القضاة ١٦٨/٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٧٩/٦، التاريخ الكبير ٢٣٧/٤، التاريخ الأوسط ١٥٤/٢، المعرفة والتاريخ ١٦٨/١، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٧١، تاريخ بغداد ٢٩٤/٩ - ٢٩٥، تهذيب الكمال ٤٧٣/١٢ - ٤٧٤.

(٤) طبقات خليفة، ص ١٦٩، تاريخه، ص ٤٥٠.

فصلّي عليه، وجاء هارون أمير المؤمنين من الحيرة ليصلّي عليه، فوجده
قد ضلّي عليه، فانصرف من القنطرة^(١).

عمره:

قال أحمد بن حنبل: (مات شريك وهو ابن اثنتين وثمانين سنة)^(٢).

وكذا قال الذهبي^(٣).

قلت: وهذا واضح بالنظر إلى سَنَتِي مولده ووفاته، رحمه الله رحمة
واسعة.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ٦/٣٧٩.

(٢) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ١٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/٢١١.

مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد ٣٧٨/٦ - ٣٧٩، تاريخ الدارمي: رقم ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٤٨، تاريخ الدوري ٢٥١/٢ - ٢٥٢، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٩٢، ٤٦١، ٥١١، سؤالات ابن طهمان: رقم ٣١، ٣٢، ١١٠، ٢٠٥، ٣٢٢، تاريخ خليفة ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٦٤، طبقات خليفة ١٦٩، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٤٨، ٦٥٢، ٧٧٨، ٨١٦، ٢٣٠٢، ٢٤٧٢، ٢٦١١، ٢٦٦٥، ٢٩١٠، ٣٠٢٩، ٣٥٩٣، ٣٦٠٠، ٤٣٠٨، ٦١٥٠، ٦١٥٣، وبرواية المروزي: رقم ٢٣، ٢٠٩، سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ١٨، ١٦، ٣٣٥، ٣٩١، ١٤٠٥ هـ، ٤٠٧، ٤٣٩، سنن الدارمي: حديث ١٠٨٩، ٣٠٦٤، التاريخ الكبير ٤/٢٣٧ ت ٢٦٤٧، التاريخ الأوسط ١٥٤/٢، تاريخ الثقات للعجلي ٢١٧ - ٢٢٠ ت ٦٦٤، سنن أبي داود: حديث ٦٩١، سؤالات الأجرى: رقم ٩١ - ٩٤، ٢٩٥، ٥٠٠، ٧٥٣، المعارف ٥٠٨ - ٥٠٩، المعرفة والتاريخ ١٥٠/١، ١٦٨، ٧١٧، ١٦٨/٢، ١٧٦، ٦٢٥، ٦٥٢، ٦٨٢، ٧٧٦، ٨٢٧، ٩٣/٣، ٢٢٣، ٤٣٦، وانظر «فهرس الأعلام»، سنن الترمذي: حديث ٤٥، ١٣٦٦، ٢٢٢٠، ٣٩٤٤، العلل الملحق بالسنن ٧٤٤/٥، تاريخ واسط: انظر «فهرس الأعلام»، أخبار القضاة ١٤٩/٣ - ١٧٥، الضعفاء الكبير للعجلي ١٩٣/٢ - ١٩٥، الجرح والتعديل ٣٦٥/٤ - ٣٦٧ ت ١٦٠٢، المراسيل ٩١ ت ١٤٥، مشاهير علماء الأمصار ٢٦٩ ت ١٣٥٣، الثقات ٤٤٤/٦، المحدث الفاصل: رقم ٨٢، ١٢٧، ١٦٣، ١٦٤، الكامل لابن عدي ٦/٤ - ٢٣ ت ٨٨٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٩٢، ١٧١، الثقات لابن شاهين ١٦٩ ت ٥٢٨، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٣٠٩/١ - ٣١٠ ت ٦٦٩، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي ١٧٠/١، ١٧١، ٥٢٢/٢، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤١٥، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ - ٢٩٥ ت ٤٨٣٨، السابق واللاحق ٢٣٧ - ٢٣٨ ت ٩٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٢، ١٩٣، ١٩٤، ٣٤٠، ٣٤٦، ٤٢٨، ٧٦٣، ٧٦٦، ٧٧٦، ١٥٧٥، الإكمال ٣/٣٤٠ - ٣٤١، طبقات الفقهاء ٨٧، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢١٤/١ ت ٧٩٩، الأنساب ٦٢/١٢ «النخعي»، المنتظم ٢٩/٩ - ٣٤ ت ٩٥٨ «وفيات ١٧٧ هـ»، وفيات الأعيان ٤٦٤/٢ - ٤٦٨ ت ٢٩١، تهذيب الكمال ٤٦٢/١٢ - ٤٧٥ ت ٢٧٣٦، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣٤٢/١ - ٣٤٣ ت ٢٠١، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات «١٧١ - ١٨٠ هـ» ص ١٦٥ - ١٧٧، العبر ٢٠٨/١ - ٢٠٩، دول الإسلام ١٠٣، الكاشف ٩/٢ - ١٠ ت ٢٢٩٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٣٢ ت ٢١٨، من تكلم فيه وهو موثق ٩٩ ت ١٥٩، المغني في الضعفاء: رقم ٢٧٦٤، ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢ - ٢٧٤ ت ٣٦٩٧، سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٨ - ٢١٦، جامع التحصيل ١٢٢ ت ٢٣، ١٣٠، ٢٣٨ ت ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٤٨/١٦ - ١٥٠، البداية والنهاية ١٧١/١، شرح علل الترمذي ١٠١/١ - ١٠٢، ١١٠، ١١١، ٣٥٣، ٣٦٨، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٥٥، ٥١٧، ٧١٠/٢، ٧١١، ٧١٢، ٧٢١، ٧٥٩ - ٧٦١، الاغتباط بمن رمي بالاختلاط لسبط ابن العجمي: رقم ٥٥، التبيين لأسماء المدلسين، له ١١١ ت ٣٦، توضيح المشبه ٤٣/٤، تقريب التهذيب ٢٩٣/٤ - ٢٩٦، تعريف أهل التقديس ٣٣ ت



٥٦، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدحٍ أو ذمٍّ ٢٠١ - ٢٠٢ ت ٤٣٦، طبقات الحفاظ
للسيوطي ١٠٤ ت ٢٠٧، خلاصة تذهيب التهذيب ١٦٥، الكواكب النيرات في معرفة من اختلط
من الرواة الثقات، لابن الكيال: ٢٥٠ - ٢٥٧ ت ٣٢، شذرات الذهب ٢٨٧/١.

* * *



مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١٧٩هـ - ٩٣هـ)



اسمه ونسبه ونسبته:

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر نافع بن عمرو بن الحارث بن غَيمان بن خُثَيْل^(١) بن عمرو بن الحارث وهو ذو أَصْبَحٍ من حِمَيْرِ بن سَبَأ^(٢)، الحِمَيْرِيُّ الأَصْبَحِيُّ أَصْلاً، التَّيْمِيُّ حِلْفاً، المَدَنِيُّ بِلْداً ووفاءً، الحافظ الكبير، الفقيه الشهير، إمام دار الهجرة، أحد أعلام أئمة الأمة.

والحِمَيْرِيُّ: نسبة إلى حِمَيْرِ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْزُب بن قَحْطَانَ.

وحمير من أصول القبائل التي باليمن^(٣).

والأَصْبَحِيُّ: نسبة إلى ذي أَصْبَحٍ، واسمُه: الحارث بن عَوْف بن مالك بن زيد بن شداد بن زُرْعَة، وهو من يَعْزُب بن قحطان، وهي قبيلة كبيرة باليمن، وإليها تُنسَب السَّيَاط الأَصْبَحِيَّة^(٤).

(١) وبعضهم يقول: (عثمان بن خُثَيْل)، انظر: المؤلف للدارقطني ٧٦٨/٢ - ٧٦٩، الجمهرة لابن حزم، ص ٤٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٣، الثقات ٤٥٩/٧، الانتقاء، ص ٣٨، التعديل والتجريح ٧٦٣/٢، الإكمال

٥٦٥/٢ - ٥٦٦، ترتيب المدارك ١٠٢/١ - ١٠٣، تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢، وفيات الأعيان

١٣٥/٤، تهذيب الكمال ٩١/٢٧، سير أعلام النبلاء ٤٨/٨، ٧١، توضيح المشته ٣٥٣/٣ - ٣٥٤.

(٣) الجمهرة، ص ٤٣٢، الأنساب ٢٣٤/٤، اللباب ٣٩٣/١.

(٤) الأنساب ٢٨٧/١، اللباب ٦٩/١، وفيات الأعيان ١٣٨/٤، وانظر: ترتيب المدارك ١٠٣/١ - ١٠٥.



فالإمام مالك عربيّ صليبيّة، حميريّ يعرّبيّ، شريف كريم، صحيح النسب، ليس لأحدٍ عليه ولاءٌ ولا عهد.

قال أبو مُصعب الزُّهرِيُّ: (مالكُ بن أنس من العرب صليبيّة، وحلّفه في قریش، في بني تميم بن مُرّة)^(١).

وسياتي مزيدُ بيانٍ لذلك في آخر الترجمة إن شاء الله.

كنيته:

يُكنى أبا عبد الله، كناه بها كل من ترجم له، وخاطبه بها الخلفاء والأمراء، والخاصة والعامّة.

صفته وحليته، وملبسه وخاتمه ومركوبه، ومعيشته:

كان الإمام مالك حسنَ الصورة، بهيِّ الطلعة، من أحسنِ الناس وجهاً، وأحلام عيناً، يتأثّق في ملبسه، ويتجمّل في مجلسه، وبخاصة إذا جلس للحديث ونشر العلم، ويرى بذلك إعظام العلم ورفعة العالم، وكان في بداية أمره يركب بغلة سريّة، ثم ترك ذلك إجلالاً وإكراماً لتربة فيها قبر رسول الله ﷺ.

**** قال مُطَرِّف بن عبد الله اليَساريّ:** (كان مالك بن أنس طويلاً عظيمَ الهامة، أضعع، أبيضَ الرأس واللحية، أبيضُ شديدَ البياض إلى الشُقرة، وكان لبأسه الثياب العدنّية الجياد. وكان يكره حلقَ الشارب. ويعيئه، ويراه من المُثل، كأنه مثلٌ بنفسه)^(٢).

(١) الانتقاء، ص ٣٨. ومعنى (عربي صليبيّة): أي خالص النسب.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٤.

وقال عيسى بن عُمر المَدِينِي: (ما رأيتُ قَطُّ بياضاً ولا حُمْرةً أَحْسَنَ من وجه مالِك، ولا أَشَدَّ بياضِ ثوبٍ منه)^(١).

وقال مُصعبُ الزُّبَيْرِيُّ: (كان مالِك من أَحسنِ الناسِ وجْهاً، وأحلاهم عَيْناً، وأنقاهم بياضاً، وأتمَّهم طَوَلاً، في جَوْدَةِ بَدَنٍ)^(٢).

وقال الحَكَمُ بن عَبْدَةَ: (دخلتُ مسجدَ المدينة وإذا بمالِكٍ وله شعرة قد فرقها)^(٣).

وقال أحمد بن إبراهيم المَوْصِلِيُّ: (رأيتُ مالِكاً مضمومَ الشعر).

قالوا: ولم يكن يخضب، ويحتجُّ بعليٍّ رضي الله عنه، وهذا هو المشهور عنه^(٤).

** قال محمد بن الضحَّاك الجَزَامِيُّ: (كان مالِك نقيَّ الثوب رقيقه، ويكره أخلاق^(٥) اللُّبوس).

وقال خالد بن خِدَاش: (رأيتُ على مالِك طَيْلَساناً، وثياباً مرويةً جيداً).

وقال الوليد بن مسلم: (كان مالِك لا يلبس الخَزَّ، ولا يرى لُبْسَه، ويلبس البياض، ورأيتُه والأوزاعيَّ يلبسان السَّيجانَ، ولا يريان بلْبْسَها بأساً).

وقال بِشْر بن الحارث: (دخلتُ على مالِك فرأيتُ عليه طَيْلَساناً يُساوي خمسمئة، قد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك).

(١) ترتيب المدارك ١١٢/١، سير أعلام النبلاء ٦٩/٨.

(٢) ترتيب المدارك ١١٢/١، الديباج المذهب ٩٠/١.

(٣) ترتيب المدارك ١١٣/١، الديباج المذهب ٩١/١. قوله (له شعرة): أي شعر، وذلك قبل أن يصلح.

(٤) ترتيب المدارك ١١٣/١، الديباج المذهب ٩١/١.

(٥) في ترتيب المدارك: (أخلاق)، وفي سير أعلام النبلاء: (ويكثر اختلاف)، وفي الديباج

(اختلاف)، وكله تصحيف والصواب ما أنبته. وأخلاق اللباس: أي باليهما.

وقال أشهب: (كان مالك إذا اعتَمَّ جعل منها تحت ذَقْنِهِ، وأَسَدَلَ طرفها بين كتفيه)^(١).

وقال مصعب الزُّيَري: (كان مالك يَلْبَسُ الثياب العَدَنِيَّةَ الجِيادَ والخُرَّاسانيةَ والمِضْرِيَّةَ المرتفعةَ البِيضَ، ويتطَيَّبُ بِطِيبٍ جيدٍ، ويقول: ما أَحَبُّ لأحد أنعم الله عليه إلا ويُرَى أثرُ نعمته عليه وخاصة أهل العلم. وكان يقول: أَحَبُّ للقارئ أن يكون أبيضَ الثياب).

وقال أشهب: (كان مالك إذا اكتحل لضرورة جلس في بيته، وكان يَكْرَهُهُ إلا لعلَّة)^(٢).

• قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُوَيْس: (كان خاتم مالك بن أنس الذي مات وهو في يده فَصُّهُ حجر أسود مجسَّد نقشه سطران: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ». وكان يتختم به في يساره، وربما رأيت خاتمة كثيراً في يمينه، فلا أشكُّ أنه كان يحوِّله من يساره إلى يمينه حين يتوضأ من الغائط والبول. وكان مالك يعمل في نفسه ما لا يلزمه الناس. وكان يقول: لا يكون العالم عالماً حتى يعمل في نفسه بما لا يُفتي به الناس، يحتاط لنفسه ما لو تركه لم يكن عليه فيه إثم).

وقال مَعْن بن عيسى: (رأيتُ مالكاً متختماً في يساره)^(٣).

وقال مطرف بن عبد الله اليساري: (قلت لمالك بن أنس يوماً: ما نقش

(١) انظر هذه الأخبار في ترتيب المدارك ١١٣/١ - ١١٤، سير أعلام النبلاء ٦٩/٨ - ٧٠، الديباج المذهب ٩٢/١ - ٩٣. والسيجان: الطيالة السود أو الخضر، واحدها ساج. والطيلسان: الوشاح يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خالٍ من التفصيل والخياطة.

(٢) ترتيب المدارك ١١٤/١، سير أعلام النبلاء ٧٠/٨، الديباج المذهب ٩٢/١، ٩٣.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٤.

خاتمك؟ قال: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». قلتُ: فلمْ نقشته هذا النقش من بين ما ينقش الناس الخواتيم؟ قال: إني سمعتُ الله تبارك وتعالى يقول لقوم قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴿ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]، فقال مطرف: فمحوثُ نقش خاتمي، ونقشته: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(١).

وقال أبو السمح طلق بن السمح: (رأيت مالكا على بغلة سرية، بسرج سري عليها، وعليه ثياب سرية، وغلام يمشي خلفه، حتى إذا أتى باب داره دخل راكباً إلى موضع معرسه، فنزل وقعد، فأخذ الغلام منديلاً فمسح خفه ونزعه)^(٢).

والأخبار المشهورة عنه أنه: (كان لا يركب بالمدينة مع ضغفه وكبير سنه، ويقول: لا أركب في مدينة فيها رسول الله ﷺ مدفون)^(٣).

قلت: لعله كان يركب في أول أمره، ثم ترك ذلك إكراماً وتادباً مع النبي ﷺ.

قال الشافعي: (رأيت بباب مالك كُرَاعاً من أفراس خراسان وبِغَالٍ مصر، فقلت: ما أحسنها! فقال: هي هبة مني إليك، فقلت: دَعْ لِنَفْسِكَ مِنْهَا دَابَّةً تَرْكُبُهَا، قال: أنا أستحي من الله أن أظأ تربة نبي الله بحافر دابّة)^(٤).

** قال أحمد بن صالح: (كان مالك قليل الشيء، يُظهِر التَّجْمُلَ،

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٤ - ٤٣٥، ترتيب المدارك ١١٤/١، الدياج المذهب ٩٤/١، وبأخصر منه في الحلية ٣٢٩/٦.

(٢) ترتيب المدارك ١١٥/١ - ١١٦.

(٣) ترتيب المدارك ١١٦/١، وفيات الأعيان ١٣٦/٤.

(٤) ترتيب المدارك ١٨٠/١.

ضيق الأمر، ولم يكن له منزل، كان يسكن بكراء إلى أن مات، رحمة الله عليه^(١).

وقال ابن بُكَيْر: (مولدُ مالك بذي المَرزوة، وكان أخوه النضر يبيع البَرّ، وكان مالك معه بَرّاً، ثم طلب العلم، وكان ينزل أولاً بالعقيق، ثم نزل بالمدينة. وقيل لمالك: لِمَ تنزلُ العقيق فإنه يَشقُّ عليك إلى المسجد؟ فقال: بَلَّغني أن النبي ﷺ كان يحبُّه ويأتيه، وأن بعض الأنصار أراد التَّقَلُّ منه إلى قرب المسجد، فقال له النبي ﷺ: «أما تحتسبون خُطاكم»^(٢)).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: (كان مالك إذا أراد أن يدخل بيته فأدخل رجله قال: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، فقيل له: إنك إذا أردت أن تدخل بيتك قلت: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾؟ قال: إني سمعتُ الله قال في كتابه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، وجنته: داره^(٣)).

وقيل: (إن ذلك كان مكتوباً على باب مالك، ليتذكَّر برؤيته قولَ ذلك متى دخل)^(٤).

(وكانت داره التي ينزلها بالمدينة دار عبد الله بن مسعود، وكان مكانه من المسجد مكان عمر بن الخطاب، وهو المكان الذي يُوضع فيه فراش رسول الله ﷺ في المسجد إذا اعتكف)^(٥).

(١) ترتيب المدارك ١١٤/١، الديباج المذهب ٩٤/١.

(٢) ترتيب المدارك ١١٥/١.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٦ - ٤٣٧، ترتيب المدارك ١١٨/١ - ١١٩، وانظر، ص ١١٥.

(٤) ترتيب المدارك ١١٩/١، الديباج المذهب ٩٤/١.

(٥) ترتيب المدارك ١١٥/١، الديباج المذهب ٩٤/١.

وقال إسماعيل بن أبي أُويس: (كان لمالك كل يوم في لحمه درهمان، وكان يأمر خبازه سلمةً في كل جمعة أن يعمل له ولعياله طعاماً كثيراً).

وقال مُطَرِّف: (لو لم يجد مالك كلَّ يوم درهمين يبتاع بهما لحمًا إلا أن يبيع في ذلك متاعه؛ لَفَعَلَ).

وقال ابن أبي حازم: (قلتُ لمالك: ما شَرَّابُك يا أبا عبد الله؟ قال: في الصيف السَّكَّر، وفي الشتاء العَسَل).

وقال محمد بن مالك بن أنس: (كانت عمَّتي مع مالك في منزله تهَيَّئُ له فِطْرُه: خبزاً وزيتاً).

وقال ابن القاسم: (كان لمالك أربعمئة دينار يُتَجَرُّ له بها، فمنها كان قِوَامُ عَيْشِه)^(١).

** قال زياد بن يونس: (كان - والله - مالكٌ أعظَمَ الخَلْقِ مروءةً، وأكثرهم صمتاً، وكان إذا جلس جِلْسَةً لا ينحَلُّ منها حتى يقوم، ورأيتُه كثيرَ الصَّمْتِ، قليلَ الكلام، متحفِّظاً للسانِه).

وقال ابن المبارك: (كان مالك أشدَّ الناس مُداراةً للناس، وتَزَكُّ ما لا يَعْنِيه).

وقال ابن أبي أُويس: (كان مالك يَسْتَعْمَلُ الإنصافَ، ويقول: ليس في الناس أقلُّ منه، فأردتُ المداومة عليه).

وقال الزَّهراني: (كان مالك إذا أصبح لبس ثيابه وتعمَّم، ولا يراه أحدٌ

(١) ترتيب المدارك ١١٥/١ - ١١٦، الديباج المذهب ٩٥/١.

من أهله ولا أصدقائه إلا متعمماً لابساً ثيابه، وما رآه أحد قط أكل أو شرب حيث يراه الناس، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعينه^(١).

سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، وأخلاقه الرفيعة:

من العسير أن نجمل القول في وصف سيرة الإمام مالك وهدية وأخلاقه وشمائله ومواقفه ومآثره، فلقد كتب فيه الناس قديماً وحديثاً، وأطنبوا في ذكر مناقبه ومكارمه وفضائله، وهو أهل لكل ثناء ومديح، وحقيق بكل تبجيل وتقدير، ولا تتسع الترجمة في مثل هذا الكتاب للإفاضة في بسط الكلام عن ذلك وسمته وعبادته وخصاله، فلقد كان من أكابر أئمة السلف، متمسكاً بالسنة، ذاباً عن حريمها، مبيناً للبدعة قامعاً لأهلها، إذا ذكر عنده النبي ﷺ تغير لونه وانحنى وركبه أمرٌ عظيم حتى يصعب ذلك على جلسائه، مقتدياً بأصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان، شديداً على من يمس جناب الصحابة بسب أو شتم أو كراهية أو بغض. وكان رحمه الله ملازماً للخشوع وتلاوة القرآن، ويصلي الصبح بوضوء العشاء، ويطلب الدعاء، يرى الناظر إليه أعلام الآخرة في وجهه، طويل الصمت، ذا هيبة وحشمة وتجمل، يقبل الهدية، يأكل طيباً، ويعمل صالحاً.

ارتفع ذكره، وذاع صيته، وطار اسمه في الآفاق، وأحبه الناس، وأجله الحكام، وله معهم مواقف تُنبئ عن عزة العالم ورفعته واعتزازه بعلمه، وترفعه عن متاع الدنيا، مما أخضع له كبار الخلفاء، وحمل واحداً منهم، هو هارون الرشيد - وكان ملك الدنيا آنذاك - أن يجلس مع بنيه بين يديه ليسمع منه الحديث النبوي.

(١) ترتيب المدارك ١١٧/١، الديباج المذهب ٩٦/١.

ولم يكن مالك في العبادة وكثرة الصلاة والقيام والصيام كما كان عليه أكابر العباد ومشاهير الزهاد، ولما كُلم في ذلك أجاب بأن كل امرئ قد فُتح له بابٌ من الخير وأعمال البر، وهو قد صرّف جُلّ وقته لرواية الحديث ونشره بين الناس وتفقيهم وتعليمهم، حتى تخرج به الجُم الغفير، وأصبح لفقهِ مدرسة انتفع بها ملايين الناس مشرقاً ومغرباً، وهذا أفضل من نافلة الصلاة والصوم لمن أراد به وجه الله تعالى.

•• قال الزبير بن خبيب: (كنتُ أرى مالكا إذا دخل الشهر أحيا أول ليلةٍ منه، وكنتُ أظنُّ إنما يفعل هذا ليفتح به الشهر).

وقالت فاطمة بنت مالك: (كان مالك يصلّي كلَّ ليلة جزّبه، فإذا كانت ليلة الجمعة أحيها كلها).

وقال المُغيرة بن عبد الرحمن: (خرجتُ ليلةً بعد أن هَجَعَ الناس هجعةً، فمررتُ بمالك بن أنس، فإذا أنا به قائمٌ يصلّي، فلما فرغ من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ابتداءً بـ ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فبكى بكاءً طويلاً، وجعل يردّدها ويبكي، وشغلني ما سمعتُ وما رأيتُ منه عن حاجتي التي خرجتُ إليها، فلم أزل قائماً وهو يردّدها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع. فصرتُ إلى منزلي، فتوضأت ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرتُ فإذا أنا بوجهه قد علاه نورٌ حسن).

وقال محمد بن خالد بن عثمة: (كنتُ إذا رأيتَ وجهَ مالكٍ رأيتَ أعلامَ الآخرة في وجهه، فإذا تكلمتُ علمتُ أن الحقَّ يخرج من فيه).

وقال أبو مصعب الزهري: (كان مالك يُطيل الركوعَ والسجودَ في

وَرِدِهِ، وَإِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ خَشْبَةٌ يَابِسَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْ شَيْءٍ. فَلَمَّا ضَرَبَ قَيْلَ لَهُ: لَوْ خَفَّفْتَ فِي هَذَا قَلِيلاً؟! فَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ لِلَّهِ عَمَلًا إِلَّا حَسَنَةً، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١٧].

وقال ابن وهب: (ما رأيت عيني قط أروع من مالك بن أنس).

وقال ابن المبارك: (رأيت مالكا فرأيتُه من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أنني كثيراً ما كنت أسمعُه يقول: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ فُزْجَةٌ فِي قَلْبِهِ، وَيَنْجُو مِنْ غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: فَلْيَكُنْ عَمَلُهُ فِي السِّرِّ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ).

وقال ابن مهدي: (ما رأيت أحداً لله في قلبه أهيبُ منه في قلب مالك بن أنس).

وقال مصعب بن عبد الله: (كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه وانحنى، حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، كنت أتى محمد بن المُنْكَدَر، وكان سيّد القُرَاء، لا نكادُ نسأله عن حديث، إلا بكى حتى نرحمه).

وقال ابن وهب: (كان أكثر عبادة مالك في السِّرِّ بالليل والنهار حيث لا يراه أحد).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: (لقد رأيتُه يوماً وهو جالسٌ في المجلس بعد الصبح يدعو، ووجهه يصفُرُ ويخضُرُ، حتى أطال الدعاء، فأتاه سائلٌ عن مسألة فقطع عليه، فالتفت مُغْضَباً، فقال: يأتي أحدكم الرجل وهو في دعائه، وقد فتَحَ اللهُ عليه منه ما شاء أن يفتحه مما يستدعي به الإجابة، فيقطع ذلك عليه فلا يعود أبداً)^(١).

(١) ذكر هذه الأخبار وغيرها القاضي عياض في ترتيب المدارك ١/١٧٧ - ١٨٢.

قال ابن وهب: (قيل لأخت مالك بن أنس: ما كان شغل مالك بن أنس في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة)^(١).

وقال أبو بكر الأَوْسِي: (كان مالك قد أدامَ النظر في المصحف قبل موته بسنين، وكان كثيرَ القراءة طويلَ البكاء)^(٢).

** قال أبو داود الطَّيَالِسِيُّ: حدثنا المَاجِشُونُ؛ أنه ذَكَرَ مالكا فقال: (والله ما عَلِمناهُ إلا بِصَلاحٍ وَعِفافٍ)^(٣).

وقال نُعَيمُ بن حماد: سمعتُ ابنَ المَبارِكِ، يقول: (ما رأيتُ رجلاً ارتفعَ مثلاً مالِكِ بنِ أنسٍ، ليس له كثيرُ صلاةٍ ولا صَيامٍ، إلا أن تكونَ له سَريرةً)^(٤).

وَعَقَّبَ الذَهِبِيُّ على هذا فقال: (قلت: ما كانَ عليه من العَلمِ ونَشَرِهِ أَفضَلُ من نوافِلِ الصَومِ والصلاةِ لمن أرادَ به اللهُ)^(٥).

وقال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد»: (هذا كتبته من حفظي، وغاب عني أصلي: إن عبد الله العُمريَّ العابدَ كَتَبَ إلى مالِكِ يحضُّهُ على الانفرادِ والعملِ، فكتبَ إليه مالِكُ: إن اللهُ قَسَمَ الأَعْمالَ كما قَسَمَ الأرزاقَ، فَرُبَّ رجلٍ فُتِحَ له في الصلاةِ ولم يُفْتَحَ له في الصَومِ، وآخِرُ فُتِحَ له في الصَّدقةِ ولم يُفْتَحَ له في الصَومِ، وآخِرُ فُتِحَ له في الجهادِ. فَنَشَرُ العَلمِ من أَفضَلِ أَعْمالِ البِرِّ، وقد رَضِيتُ بما فُتِحَ لي فيه، وما

(١) مقدمة الجرح والتعديل ١٨/١.

(٢) ترتيب المدارك ١٨٠/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٥/١. والماجشون هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة.

(٤) الحلبة ٣٣٠/٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٩٧/٨.

أظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ
وَبِرٍّ^(١).

** قال محمد بن عُمر الواقدي: (كان مالك يأتي المسجد، ويشهدُ
الصلوات والجمعة والجنائز، ويعود المرضى، ويقضي الحقوق،
ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه. ثم تَرَكَ الجلوسَ في
المسجد، فكان يصلِّي ثم ينصرف إلى منزله، وترك شهود الجنائز، فكان
يأتي أصحابها فيعزيهم ثم ترك ذلك كله، فلم يكن يشهد الصلوات في
المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحداً يُعزيه، ويقضي له حقاً، واحتمل
الناس ذلك كله له، وكانوا أرغب ما كانوا فيه وأشدّه له تعظيماً، حتى
مات على ذلك، وكان ربما كُلَّم في ذلك فيقول: ليس كلُّ الناس يقدِّرُ
أن يتكلَّم بعُذْره)^(٢).

قال عتيق بن يعقوب ومصعب الزُّبيري: (فلما حضرته الوفاة سُئِل عن
تخلُّفه عن المسجد - قال عتيق: وكان تخلُّفه عنه قبل موته بسنين - فقال:
لولا أنني في آخر يوم من الدنيا وأوَّلِهِ من الآخرة ما أخبرتكم؛ سَلِسَ
بولي، فكرهتُ أن آتي مسجدَ رسول الله ﷺ على غير طهارة، استخفافاً
برسول الله ﷺ، وكرهتُ أن أذكر عِلَّتِي فأشكو ربي)^(٣).

وقال خالد بن خِدَاش: (وَدَعْتُ مالِكَ بنَ أنس، فقلتُ: أوصني يا أبا
عبد الله، قال: تقوى الله، وطلبُ الحديث من عند أهله)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ١١٤/٨، تاريخ الإسلام ٣٢٩.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٢، ترتيب المدارك ١٨١/١، المنتظم ٤٤/٩، سير أعلام النبلاء ٦٤/٨.

(٣) ترتيب المدارك ١٨١/١.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٠٢، مقدمة الكامل، ص ٩٠، الحلية ٣١٩/٦، التقييد ٢٣٧/٢.

•• قال عبد الله بن وهب: (سمعتُ مالكا سُئِلَ عن تخليل أصابع الرّجلين في الوضوء؟ فقال: ليس ذلك على الناس. فتركته حتى خَفَتِ الناسُ، فقلتُ له: عندنا في ذلك سُنةٌ، فقال: وما هي؟ قلتُ: حدّثنا اللَّيث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن عمرو المَعافريّ، عن أبي عبد الرحمن الحُبليّ، عن المُستورد بن شدّاد القرشيّ قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَدُلُّكَ بِخِصْرِهِ ما بين أصابع رِجْلَيْهِ». فقال: إن هذا الحديث حسنٌ، وما سمعتُ به قَطُّ إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يُسأل، فيأمر بتخليل الأصابع)^(١).

وقال ابن أبي أُويس: (سمعتُ خالي مالك بن أنس، وسأله رجلٌ عن زبور داود، فقال له مالك: ما أَجْهَلُكَ! ما أَفْرَعُكَ! أمّا لنا في «نافع عن ابن عمر عن نبيّنا» ما يشغلنا بصحيحه عمّا بيننا وبين داود ﷺ؟!)^(٢).

•• قال ابن وهب: (الذي تعلّمنا من أدب مالك أكثر مما تعلّمنا من علمه)^(٣).

وعن مالك قال: (ما جالستُ سفيهاً قَطُّ)^(٤).

وقال حَزْمَلَةُ: حدّثنا ابن وهب: سمعتُ مالكا، يقول: (اعلم أنه فسادٌ عظيم أن يتكلّم الإنسان بكل ما يسمع)^(٥).

(١) تقدمة الجرح والتعديل ٣١/١ - ٣٢. والحديث المرفوع أخرجه أبو داود (١٤٨)، والترمذي (٤٠)، وابن ماجه (٤٤٦)، وأحمد (١٨٠١٠)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه ابن القطان. انظر: التلخيص الحبير ٩٣/١ - ٩٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٣٢.

(٣) ترتيب المدارك ١١٧/١.

(٤) ترتيب المدارك ١١٧/١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦٦/٨.

وقال ابن وهب: قال لي مالك: (اعلم أنه ليس يسلم رجلٌ حَدَّثَ بكلِّ ما سَمِعَ، ولا يكونُ إماماً أبداً وهو يحدثُ بكلِّ ما سَمِعَ)^(١).

قال الذهبي: (قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا حِشْمَةٍ وَتَجَمُّلٍ، وَعَبِيدٍ، ودار فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهدية، ويأكل طيباً، ويعمل صالحاً. وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صُمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَيْطَةٌ لَهُ الْأَدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَّمِ)^(٢)

حبه للصحابة وموقفه ممن يتنقصهم:

** قال سَوَّار بن عبد الله العنبري: حَدَّثَنَا أَبِي، قال: قال مالك بن أنس: (مَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ غِلٌّ؛ فَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ حتى أتى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ [الحشر: ٧ - ١٠] الآية. فمن تنقصهم، أو كان في قلبه عليهم غلٌّ؛ فليس له في الفياءِ حقٌّ)^(٣).

وفي رواية أنهم: (ذَكَرُوا عِنْدَ مَالِكٍ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ مَالِكُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ حتى بَلَغَ:

(١) مقدمة صحيح مسلم، ص ١١، تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٥٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣٣/٨. سيطت: خُلِطَتْ وَمُزِجَتْ.

(٣) الحلية ٣٢٧/٦، وبلفظ آخر ومن طريق آخر في: الانتقاء ٧٣، ترتيب المدارك ١٧٥/١.

﴿يُعْجِبُ الرُّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: مَنْ أصبحَ في قلبه غَيْظٌ على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية^(١).

قال أشهب بن عبد العزيز: قال مالك: (لا ينبغي الإقامة بأرض يكون العملُ فيها بغير الحق، والسبُّ للسلف)^(٢).

** روى عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك قال: (ما أدركتُ أحداً إلا وهو يرى الكفَّ عما بين عثمان وعلي، ولا شكَّ في أبي بكر وعمر أنهما أفضلُ من غيرهما)^(٣).

وقال عبد العزيز بن أبي حازم: (سألتُ مالكا فيما بيني وبينه: مَنْ تُقدِّمُ بعد رسول الله؟ قال: أقدمُ أبا بكر وعمر. لم يزدُ على هذا)^(٤).

وقال يوسف بن عمرو الفارسي المِصْرِيُّ: (سُئِلَ مالك بن أنس عن عليٍّ وعثمان؟ قال: ما أدركتُ أحداً أفتدي به إلا وهو يُقدِّمُ أبا بكر وعمر، ويُمسِكُ عن عليٍّ وعثمان)^(٥).

وقال عبد الرزاق: (كان مالك بن أنس يقول: أبو بكر، وعمر، وعثمان. ثم يسكت)^(٦).

وقال وكيع بن الجراح: سمعتُ مالك بن أنس، يقول: (واعجبا! يُسألُ جعفر وأبو جعفر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)^(٧).

(١) الحلية ٣٢٧/٦، وانظر: ترتيب المدارك ١٧٥/١.

(٢) الانتقاء، ص ٧٢.

(٣) ترتيب المدارك ١٧٥/١.

(٤) الانتقاء، ص ٧٢.

(٥) المعرفة والتاريخ ٤٦٧/١.

(٦) المعرفة والتاريخ ٨٠٦/٢. وانظر: ترتيب المدارك ١٧٥/١.

(٧) الحلية ٣٢٧/٦.

عقيدته وأقواله في السُّنة والأهواء:

** قال مُطَرِّف بن عبد الله: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكِرَ عنده أحدٌ من أهل الأهواء، يقول: (قال عمر بن عبد العزيز: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاهُ الأمر بعده سُنَنًا، الأخذُ بها اتباعٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ من الخلق تغييرُها، ولا تبدلُها، ولا النظرُ في شيء خالفها، مَنْ اهتدى بها فهو مُهْتَدٍ، وَمَنْ استنصر بها فهو منصور، وَمَنْ تركها؛ اتَّبَعَ غيرَ سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأضلَّاه جهنمَ وساءتُ مصيراً)^(١).

وقال أبو ثور: سمعت الشافعي، يقول: (كان مالكُ بن أنس إذا جاء بعضُ أهل الأهواء، قال: أَمَا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَدِينِي، وَأَمَا أَنْتَ فَشَاكٌ، فَازْهَبْ إِلَى شَاكٍ مِثْلِكَ فَخَاصِمُهُ).

زاد في رواية ابن وهب: (ثم قرأ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨])^(٢).

قال عبد الله بن نافع: سمعت مالكا، يقول: (لو أن رجلاً ركب الكبائر كلها بعد ألا يُشرك بالله، ثم تخلَّى من هذه الأهواء والبِدَع - وذكر كلاماً - دخلَ الجنة)^(٣).

وقال عبد الله بن وهب: (سُئِلَ مالِكُ عن أهل الأهواء: أَيُسَلَّمُ عليهم؟ قال مالك: أهلُ الأهواء بثَسِّ القومِ، لا يُسَلَّمُ عليهم، واعتزالهم أحبُّ إليَّ)^(٤).

(١) الحلية ٣٢٤/٦، ترتيب المدارك ١٧٢/١، سير أعلام النبلاء ٩٨/٨.

(٢) الحلية ٣٢٤/٦، ترتيب المدارك ١٧٢/١، سير أعلام النبلاء ٩٩/٨، مختصر العلو ١٤٢.

(٣) الحلية ٣٢٥/٦.

(٤) تاريخ الدوري ٥٤٥/٢، ومن طريق ابن القاسم في الانتقاء، ص ٧١.

وقال عثمان بن عُمر بن فارس العَبْدِيُّ: (جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ كذا، فقال الرجل: أَرَأَيْتَ؟ قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ^(١).

وقال الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِيُّ: حدثنا شيخٌ لنا، قال: (جاء رجل إلى مالك، فقال: يا أبا عبد الله، أسألك عن مسألةٍ أجعلك حُجَّةً فيما بيني وبين الله ﷻ، قال مالك: ما شاء الله لا قوَّةَ إلا بالله، سَلْ، قال: مَنْ أَهْلُ السُّنَّةِ؟ قال: أهل السُّنَّةِ الذين ليس لهم لَقَبٌ يُعْرَفون به، لا جَهْمِي، ولا قَدْرِي، ولا رافِضِي) ^(٢).

وقال إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع: قال مالك: (كلُّما جاءنا رجلٌ أَجَدَلُ من رجلٍ، تركنا ما نزل به جبريلُ ﷺ على محمد ﷺ لِجَدَلِهِ؟! ^(٣)).

** قال الوليد بن مسلم: (سألت الأوزاعيَّ ومالكَ بنَ أنسٍ وسفيانَ الثوريَّ والليثَ بنَ سعد، عن الأحاديث التي فيها الصِّفَات؟ فكلُّهم قالوا لي: أَمِرُّوْهَا كما جاءتْ بلا تفسير) ^(٤).

وفي رواية عن الوليد قال: (سألتُ الأوزاعيَّ وسفيانَ الثوريَّ ومالكَ بنَ أنسٍ والليثَ بنَ سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها ذِكْرُ الرُّؤْيَةِ، فقالوا: أَمِرُّوْهَا كما جاءت، بلا كيف. وكان مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ كثيراً ما يتمثلُ بقول الشاعر:

(١) الحلية ٣٢٦/٦، وانظر: ترتيب المدارك ١٧١/١ - ١٧٢.

(٢) الانتقاء ٧٢، ترتيب المدارك ١٧٢/١.

(٣) الحلية ٣٢٤/٦، سير أعلام النبلاء ٩٩/٨، مختصر العلو ١٤٠، وبأطول منه في عِلل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٥٨٥.

(٤) مختصر العلو، ص ١٤٢، سير أعلام النبلاء ١٠٥/٨.

وخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُخْدَنَاتُ الْبِدَائِعُ^(١).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي، قال: حدثنا سُريج بن النعمان، قال: أخبرني عبد الله بن نافع، قال: (كان مالك بن أنس يقول: الإيمان قولٌ وعملٌ، ويقول: القرآنُ كلامُ الله، ويقول: مَنْ يقول القرآن مخلوقاً؛ يُوجَعُ ضَرْباً وَيُحْبَسُ حتى يتوب. وقال مالك: الله في السماء، وعلمُه في كل مكان، لا يخلو منه شيء)^(٢).

وقال سليمان بن أحمد الطبراني: حدثنا الحسين^(٣) بن إسحاق التُّستريُّ، حدثنا يحيى بن خَلْفِ بن الرَّبِيعِ الطَّرْسُوسِيّ - وكان من ثقات المسلمين وعبادِهِم - قال: (كنتُ عند مالك بن أنس، ودخل عليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق، اقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله، إنما أحكي كلاماً سمعته، فقال: لم أسمعُه من أحد، إنما سمعته منك. وعظّم هذا القول)^(٤).

وقال ميمون بن يحيى البكري: قال مالك: (مَنْ قال: القرآن مخلوق؛ يُستتاب، فإن تابَ وإلا ضُربتْ عنقه)^(٥).

قال يحيى بن يحيى التَّميمي^(٦) النِّسَابوريُّ، وجعفر بن عبد الله،

(١) الانتقاء، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٢٤٨، الانتقاء، ص ٧١، ترتيب المدارك ١٧٣/١ - ١٧٤، سير أعلام النبلاء ١٠١/٨.

(٣) في الحلية: (الحسن)، وهو تصحيف، والحسين من الحفاظ الرُّخالة، أكثر عنه الطبراني: سير أعلام النبلاء ٥٧/١٤.

(٤) الحلية ٣٢٥/٦، سير أعلام النبلاء ٩٩/٨، واختصره في ترتيب المدارك ١٧٤/١.

(٥) مختصر العلو، ص ١٤٣.

(٦) في مختصر العلو: (التميمي)، خطأ.

وطائفة: (كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكتُ بعودٍ في يده، حتى علاه الرُّخْضَاءُ - يعني العرق - ثم رفع رأسه، ورَمَى بالعود، وقال: الكَيْفُ منه غيرُ معقولٍ، والاستواءُ منه غيرُ مجهولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وأظنُّكَ صاحبُ بدعةٍ. وأمر به فأُخرج^(١).

وقال عبد الله بن نافع وأشهب - وأحدهما يزيد على الآخر - قلت: يا أبا عبد الله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ [إِن رَّبَّهَا نَاطِرَةٌ] ﴿القيامة: ٢٢، ٢٣﴾، ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم هاتين. فقلت له: فإن قوماً يقولون: لا يُنظر إلى الله، إن ﴿ناظرة﴾ بمعنى مُنتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا، بل يُنظر إلى الله، أما سمعتَ قولَ موسى ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أفترى موسى سألَ ربه مُحالاً؟! فقال الله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ في الدنيا لأنها دارُ فناء، ولا يُنظر ما بقي^(٢) بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقي إلى ما بقي. وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]^(٣).

وقال عبد الرزاق بن همام: (سمعت ابن جريج وسفيان الثوري ومعمّر بن راشد وسفيان بن عُيينة ومالك بن أنس، يقولون: الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص)^(٤).

(١) الحلية ٦/٣٢٥ - ٣٢٦، ترتيب المدارك ١/١٧٠ - ١٧١، سير أعلام النبلاء ٨/١٠٠، مختصر العلو ١٤١.

(٢) أي الله ﷻ، فهو الباقي، والإنسان يفنى.

(٣) ترتيب المدارك ١/١٧٢ - ١٧٣، ومن طرقٍ أخرى بأخصر منه في الحلية ٦/٣٢٦، الانتقاء، ص ٧٣.

(٤) الانتقاء ٧١، سير أعلام النبلاء ٨/١٠٨، وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/٤٩٨، وترتيب المدارك

وقال عبد الله بن نافع: كان مالك يقول: (الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيدُ وَيُنْقُصُ)^(١).

وقال ابن وهب: (سُئِلَ مالك بن أنس عن الإيمان، فقال: قولٌ وعملٌ، قلت: أيزيدُ وَيُنْقُصُ؟ قال: قد ذَكَرَ اللهُ سبحانه في غير آي من القرآن أن الإيمان يزيد، فقلت له: أَيْنُقُصُ؟ قال: دَعِ الكَلَامَ في نقصانِه وكُفِّ عنه، فقلت: فبعضُه أفضلُ من بعض؟ قال: نعم)^(٢).

** قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: حدثنا مَعْنُ بن عيسى، قال: (انصرف مالك يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي. قال: فَلَجَّحَهُ رجلٌ يقال له: أبو الجَوَيْرِيَّة، كان يُتَّهَمُ بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجُّك، وأخبرُك برأبي، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتَّبعتني، قال: فإن غلبتُك؟ قال: اتَّبعتُك، قال: فإن جاء رجل فكلَّمناه فغلبنا؟ قال: تَبِعناه. قال أبو عبد الله: بعث اللهُ محمداً بدين واحد، وأراك تتنقل، قال عمر بن عبد العزيز: مَنْ جعل دِينَه غَرَضاً للخصومات أكثرَ التنقل)^(٣).

وقال أشهب بن عبد العزيز: قال مالك: (أقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم أمروا بالبيت الحرام، فقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس. قال مالك: وإنني لأذكرُ بهذه الآية قولَ المُرَجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان)^(٤).

(١) الحلية ٣٢٧/٦، الانتقاء، ص ٧٣.

(٢) الانتقاء، ص ٦٩، ومن طريق آخر بأخصر منه في طبقات ابن سعد، ص ٤٣٩.

(٣) الانتقاء، ص ٦٨ - ٦٩، ترتيب المدارك ١٧٠/١، سير أعلام النبلاء ١٠٦/٨. والإرجاء هنا هو البُدعي.

(٤) الانتقاء، ص ٧١، وبأطول منه في ترتيب المدارك ١٧٣/١.

وقال ابن وهب: (سمعتُ مالكا يقول لرجل: سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَاكَحَ الْحَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١١٣]، فلا بد من أن يكون ما قال الله تعالى^(١).

وقال سعيد بن عبد الجبار: سمعت مالك بن أنس، يقول: (رأيت فيهم أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا؛ يعني: القدرية)^(٢).

وقال مروان بن محمد الطاطري: (سئل مالك بن أنس عن تزويج القدرية، فقرأ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ١٢١])^(٣).

وحدث أشهب عن مالك قال: (القدرية لا تُناكحوهم، ولا تُصلُّوا خلفهم)^(٤).

وقال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس، يقول: (لا تُصلِّ خلف القدرية، ولا تحمل عنهم الحديث)^(٥).

قلت: كان منهج الصحابة والتابعين التسليم بآيات الكتاب العزيز، وعدم الخوض في المتشابه، والبعد عن البحث في الصفات، وعلى ذلك مشى مالك وغيره من أئمة السلف. ولما نبغت الأهواء وتكلم المتكلمون، تصدَّى لهم أهل السنة، وحاربوا البدع والمبتدعين.

(١) الحلية ٣٢٦/٦، وبنحوه في الانتقاء، ص ٧٠.

(٢) الحلية ٣٢٦/٦، سير أعلام النبلاء ١٠٠/٨.

(٣) الحلية ٣٢٦/٦.

(٤) ترتيب المدارك ١٧٦/١، سير أعلام النبلاء ١٠٢/٨ - ١٠٣.

(٥) التقييد ٢٣٧/٢.

وقد نُقِلَتْ عن الإمام مالك أقوال كثيرة وطُعنوا في أهل الأهواء كالقَدْرِيَّة والمُزَجَّئِيَّة، ولا شكَّ أن في بعض طعونهم وتكفيرهم لهم مبالغةً واضحةً، فالقومُ مسلمون غيرُ مشركين، واعتقادهم بالله ونفي الشريك عنه من أرفع الاعتقاد وأجَلِّه، وبدعتهم لا تُخْرِجهم من المِلَّة، ولا يُكْفَرُونَ بها، ولا يُقْتَلُونَ بِالزَّنْدَقَةِ، واستشهادُ مالك بآية: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ غيرُ مقبول، وليس من أحدٍ يبرأ من الخطأ، وكلُّ يُؤخَذ من قوله ويترك، والعِصْمَةُ لِلأنبياء وحدهم. وفي كُتُب السُّنَّة - ومنها الصحيحان - روايات كثيرة للقَدْرِيَّة والمُزَجَّئِيَّة والخوارج وغيرهم^(١)؛ فإذا كانوا كفرةً ومشركين وزنادقة، فكيف نتلقى عنهم سُنَّة نبيِّنا؟!.

مع الخلفاء والأمراء:

** قال أبو حاتم الرازي: حدثني عبد المتعال بن صالح من أصحاب مالك، قال: (قيل لمالك بن أنس: إنك تدخل على السُّلطان، وهم يظلمون ويجورون، قال: يرحمك الله، فأين التكلُّم بالحق)^(٢).

وسُئِل عيسى بن عُمر المَدَنِي: (أكانَ مالك يَغشى الأمراء؟ قال: لا، إلا أن يبعثوا إليه فيأتيهم)^(٣).

وقال مالك: (حَقَّ على كل مسلم أو رجلٍ جَعَلَ اللهُ في صدره شيئاً من العلم والفقهِ، أن يدخل إلى ذي سُلطان، يأمره بالخير، ويُنْهَاه عن الشرِّ، وَيَعْطُهُ، حتى يتبيَّن دخولُ العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل

(١) ذكر الحافظ في «هدى الساري»، ص ٤٥٩ - ٤٦٠، أسماءهم وبدعتهم والكتب التي روت لهم، وهو فصل نفيس.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٩/١ - ٣٠، ترتيب المدارك ٢٠٧/١.

(٣) ترتيب المدارك ٢٠٧/١.

على السلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل^(١).

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: كان مالك يقول: (والله ما دخلت على ملك من هؤلاء الملوك حتى أصِلَ إليه، إلا نزعَ الله هيبته من صدري، حتى أقول له الحق)^(٢).

وقال مصعب الزبيري: قال مالك: (لما دخلت على أبي جعفر المنصور قال لي: إن رابك ريب من عامل المدينة، أو عامل مكة، أو أحد من عمال الحجاز، في ذاتك أو ذات غيرك، أو سوء سيرة في الرعية، فاكثب إليّ بذلك، أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت إلى عمالي بهذا، أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد إليهم، فأنههم عن المنكر، وأمرهم بالمعروف، تُوجز على ذلك، وأنت حقيق أن تطاع ويُسمع منك. قال مالك: ثم خرجت، فتبعني صلته)^(٣).

** قال يونس بن عبد الأعلى: حدثنا ابن وهب، عن مالك قال: (دخلت على أبي جعفر مراراً، وكان لا يدخل عليه أحد من الهاشمين وغيرهم إلا قَبَلُوا يده، فلم أقبل يده قط)^(٤).

وذكر القاضي عياض في ترجمة مالك خيراً قال فيه: (ناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد النبي ﷺ، فرفع أبو جعفر صوته، فقال له

(١) ترتيب المدارك ٢٠٧/١ - ٢٠٨.

(٢) ترتيب المدارك ٢٠٨/١، سير أعلام النبلاء ٦٦/٨.

(٣) ترتيب المدارك ٢٠٩/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٥/١، الانتقاء، ص ٨٣، ترتيب المدارك ٢٠٨/١. قلت: لعل تقبلهم يد الخليفة كان يقع في بعض المناسبات.

مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ إن الله تعالى أَدَبَ قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، ومدَّحَ قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذمَّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الحجرات: ٤]، وإن حرمته ميتاً كحرمة حياً، فاستكان أبو جعفر^(١).

قال حسين بن عروة: (قدِمَ المهدي، فبعثَ إلى مالك بالفضي دينار أو بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال له: أمير المؤمنين يحبُّ أن تُعادِلَه إلى مدينة السلام، فقال له مالك: قال رسول الله ﷺ: «والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون». والمال عندي على حاله)^(٢).

وقال ياسين بن عبد الأحد: حدَّثني عُمر بن المحبَّر الرُّعَيْنِي، قال: (حج المهدي فدخل المدينة، فسار إليه مالك، وأظهر المهدي من بره وإعظامه، وأمر ابنته موسى وهارون أن يسمعا منه. فبعثوا إليه، فلم يصل إليهم، وأعلموا المهدي، فبعث إليه: لِمَ لم تأتهم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، العلمُ أهلٌ لأن يُوقَّرَ ويؤتَى، قال: صدق مالك، صيروا إليه. فلما حضروه قالوا له: اقرأ علينا، فقال: إنَّ هذا البلد إنما يُقرأ فيه على العالم، كما يُقرأ الغلام على المعلم، فإذا أخطأ أفتاه، فانصرفوا عنه وأعلموا المهدي، فبعث إليه فقال: امتنعت أن تصير إليهم فصاروا إليك، فامتنعت أن تقرأ عليهم، قال: يا أمير المؤمنين، سمعتُ ابنَ شهاب يقول: جَمَعنا هذا العلم من

(١) ترتيب المدارك ٢١١/١.

(٢) الانتقاء، ص ٨٣ - ٨٤، وبأطول منه في ترتيب المدارك ٢١٠/١ - ٢١١، وفي مقدمة الجرح والتعديل ٣٠/١ أن ذلك كان مع هارون الرشيد، فلعل القصة تكررت. قوله (تعادله): أي تكون له عديلاً في المخويل، وتصاحبه في سفره إلى بغداد.

رجال في الروضة، وهم: سعيد بن المسيّب، وأبو سَلَمَة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسُلَيْمان بن يَسَار، ونافع، ثم نقل عنهم ابن هُرْمُز، وأبو الزُّنَاد، وربيعَة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وبحر العلم ابن شهاب، وكل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يَقْرؤون، فقال المهدي: اذهبوا فاقروا، ففي هؤلاء قدوة. فكان مؤدّبهم يقرأ عليهم^(١).

وحدّث عتيق بن يعقوب الزُّبَيْرِيّ^(٢) قال: (قدِم هارون الرشيد المدينة، وكان قد بَلَغَه أن مالك بن أنس عنده «الموطأ» يَقْرؤه على الناس، فوجّه إليه البرمكيّ فقال: أقرئته السلام، وقل له يحملُ إليّ الكتابَ ويقرؤه عليّ، فأتاه البرمكيّ، فقال مالك: أقرئته السلام، وقل له: إن العلم يُؤتى ولا يأتي، فأتاه البرمكيّ فأخبره، وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال: يا أمير المؤمنين، يبلغُ أهلَ العراق أنك وجّهتَ إلى مالك في أمر فخالفك، اعزم عليه، فبينما هو كذلك إذا دخل مالك، فسَلِّم وجلس، فقال له الرشيد: يا بن أبي عامر، أبعثُ إليك وتخالفني؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني الزهرِيُّ، عن خارجة بن زيد، عن أبيه قال: «كنتُ أكتبُ الوحيَ بين يدي رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]، وابنُ أم مكتوم عند النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رجلٌ ضريب، وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما قد علمت، فقال النبي ﷺ: (لا أدري)، وقلمي رَطْبٌ ما جَفَّ، ثم وَقَعَ فخذُ النبي ﷺ على فخذِي، ثم أُغْمِي على النبي ﷺ، ثم جلس النبي ﷺ فقال: (يا زيد اكتب: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]) ويا أمير المؤمنين، حَرَفٌ واحدٌ بُعِثَ فيه جبريلُ والملائكة

(١) ترتيب المدارك ١/١٥٨، سير أعلام النبلاء ٨/٦٣ - ٦٤.

(٢) في شذرات الذهب: (الزبيدي)، تصحيف. وعتيق أحد رواة الموطأ، حفظه في حياة مالك.

عليهم السَّلام من مسيرة خمسين ألف عام، أَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُعِزَّهُ وَأُجِلَّهُ؟! وإنَّ اللهَ تَعَالَى رَفَعَكَ وَجَعَلَكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِعِلْمِكَ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ أَوَّلَ مَنْ يُضَيِّعُ عِزَّ الْعِلْمِ فَيُضَيِّعُ اللهُ عِزَّكَ، فَقَامَ الرَّشِيدُ يَمْشِي مَعَ مَالِكٍ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَسْمَعَ مِنْهُ «الْمَوْطَأُ»، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الْمِنْصَةِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى مَالِكٍ، قَالَ لَهُ: تَقْرؤُهُ عَلَيَّ، قَالَ: مَا قَرَأْتُهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْذُ زَمَانٍ، قَالَ: فَيُخْرِجُ النَّاسُ عَنِّي حَتَّى أَقْرَأَهُ أَنَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: إِنْ الْعِلْمُ إِذَا مُنِعَ مِنَ الْعَامَّةِ لِأَجْلِ الْخَاصَّةِ لَمْ يَنْفَعِ اللهُ تَعَالَى بِهِ الْخَاصَّةَ. فَأَمَرَ مَعْنُ بْنُ عَيْسَى الْقَرَّازَ لِيَقْرَأَهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَدَأَ لِيَقْرَأَهُ، قَالَ مَالِكٌ لِهَارُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِيَلَدِنَا وَإِنَّهُمْ لَيُحِبُّونَ التَّوَضُّعَ لِلْعِلْمِ، فَزَلَّ هَارُونَ عَنِ الْمِنْصَةِ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمِعَهُ^(١).

قلت: لله دَرُّ هَذَا الْخَلِيفَةِ، وَلِلَّهِ دَرُّ هَذَا الْعَالَمِ، فَهَكَذَا فَلْيَكُنْ انصِياعُ الْخُلَفَاءِ لِلْحَقِّ وَمَتَابِعُهُمْ لِأَهْلِهِ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْعُلَمَاءُ وَاعْتِرَازُهُمْ بِعِلْمِهِمْ وَجِرَاتُهُمْ فِي قَوْلِ الْحَقِّ.

** قَالَ عَتِيقُ بْنُ يَعْقُوبَ: (كَانَ مَالِكُ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْوَالِيِّ وَعَظَّهُ وَحَثَّهُ عَلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَقَدْ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَحَثَّهُ عَلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ فِي فَضْلِهِ وَقَدَمِهِ يَنْفَخُ لَهُمْ عَامَ الرَّمَادَةِ النَّارَ تَحْتَ الْقُدُورِ، حَتَّى يَخْرُجَ الدِّخَانُ مِنْ لِحِيَّتِهِ، وَقَدْ رَضِيَ النَّاسُ مِنْكُمْ بِدُونِ هَذَا. وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَطْرَنْجٌ مَنْصُوبٌ، وَهُوَ يَنْظُرُ فِيهِ، فَوَقَفَ مَالِكٌ وَلَمْ يَجْلِسْ، وَقَالَ: أَحَقُّ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟! فَرَفَعَ هَارُونَ رِجْلَهُ وَقَالَ: لَا يُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدُ.

(١) شذرات الذهب ٢٩٠/١ - ٢٩١، ومن طريق آخر مختصراً في سير أعلام النبلاء ٦٦/٨.

وقال لبعض الولاة يوماً: افتقدُ أمورَ الرعية؛ فإنك مسؤولٌ عنهم، فإن عمر بن الخطاب قال: والذي نفسي بيده، لو هلكَ جملُ بشاطئِ الفرات ضياعاً، لظننتُ أن الله يسألني عنه يوم القيامة^(١).

قال محمد بن سلمة: (دخل مالك على المهدي، فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه؛ فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة مهاجري، وبها قبري، وبها بعثتي، وأهلها جيري، وحقيق على أمتي حفي في جيري، فمن حفظهم كنت له شهيداً أو شفيحاً يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيري، سقاه الله من طينة الخبال». فأخرج المهدي عطاءً كثيراً، وطاف بنفسه على دور المدينة. فلما أراد الخروج، دخل عليه مالك، فقال له: يا مالك، أما إني مُحْتَفِظٌ بوصيتك التي حدثتني بها، ولئن سلمت لا غفلت عنهم)^(٢).

وقال عتيق بن يعقوب: (خرجنا مع مالك إلى المصلّى يوم عيد، ومالك يمشي، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاحٍ وتعبئةٍ وراياتٍ وأعلامٍ، فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون، فبلغ ذلك عبد الملك فاتاه في المصلّى، فقال: يا أبا عبد الله، ما الذي أنكرت؟ قال: ما رأيتُ معك، إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة، ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر ألفاً، وكان راكباً، وحط راحلته، وتحتة قطيفة قيمتها أربعة دراهم، منكس الرأس وهو

(١) ترتيب المدارك ٢٠٨/١.

(٢) ترتيب المدارك ٢١٨/١.

يقول: الملكُ لله الواحد القَهَّار. وكان يأتي المصلَّى للعيدين والاستسقاء، مُتَوَكِّئاً على عصاً أو قوسٍ، منكِّساً رأسه خاشِعاً^(١).

محنة مالك:

** قال محمد بن جرير الطبري: (وكان مالك قد ضُربَ بالسَّياط، واختُلِفَ فيمن ضَرَبَهُ، وفي السبب الذي ضُربَ فيه، فحدَّثني العباس بن الوليد قال: حدثنا ابن ذُكْوَان، عن مروان الطَّاطِرِيِّ، أن أبا جعفر نَهَى مالكا عن الحديث: «ليس على مُسْتَكْرَهٍ طلاقٌ»، ثم دَسَّ إليه من يسأله عنه، فحدَّثَ به على رؤوس الناس، فضَرَبَهُ بالسَّياط).

قال الطبري: (وحدَّثني العباس قال: أخبرني إبراهيم بن حماد، أنه كان يَنْظُرُ إلى مالكٍ إذا أُقِيمَ من مجلسه، حَمَلَ يَدَهُ الِئْمَنَى أو يَدَهُ الِيسْرَى بالأخرى)^(٢).

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن محمد الواقدي، قال: (لَمَّا دُعِيَ مالكُ بن أنس، وشُووِرَ وَسُمِعَ منه وَقِيلَ قَوْلُهُ، شَنِفَ الناسَ له وَحَسَدُوهُ وَبَغَوْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ. فلما وُلِّي جعفر بنُ سليمان بن علي المدينة، سَعَوْا به إليه، وكَثُرُوا عليه عنده، وقالوا: لا يَرى أَيْمانَ ببيعَتِكُم هذه بشيءٍ، وهو يأخذُ بحديثٍ رواه عن ثابتِ الأحنفِ في طلاقِ المُكْرَه أنه لا يجوز. فغَضِبَ جعفر بن سليمان، فدَعَا بِمالكٍ، فاحتجَّ عليه بما رُفِعَ إليه عنه، ثم جرَّده ومَدَّهُ وضَرَبَهُ بالسَّياط، ومُدَّتْ يَدُهُ حتى انخَلَعَ كتفاه، وارْتَكَبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعد ذلك الضَّرْبِ في رفعةٍ عند الناس

(١) ترتيب المدارك ٢١٣/١ - ٢١٤. وأورد عياض أخباراً كثيرة في هذا الباب، انظر ٢٠٧/١ - ٢١٩.

(٢) الانتقاء ٨٧، ترتيب المدارك ٢٢٨/١، سير أعلام النبلاء ٧٩/٨ - ٨٠.

وعلوُّ من أمرِه وإعظامِ الناسِ له، وكأنما كانت تلك السَّيَاطُ التي ضَرَبَها حُلِيّاً حُلِيّاً به^(١).

وعن ابن وَهَب: (أن مالكاً لما ضَرِبَ حُلِقَ وحُمِلَ على بعير، فقبل له: نادِ على نفسك. فقال: أَلَا مَنْ عَرَفَنِي فقد عَرَفَنِي، ومن لم يَعْرِفَنِي فأنا مالكُ بن أنسِ بن أبي عامر الأصبَحي، وأنا أقول: طلاقُ المُكْرَه ليس بشيء. فبلغ جعفر بنَ سليمان أنه يُنادي على نفسه بذلك، فقال: أَدْرِكُوهُ، أَنْزِلُوهُ)^(٢).

•• قال مصعب الزُّبَيْرِيُّ: (كان ضَرَبُهُ سَنَةً ست وأربعين ومئة، وقيل: سنة سبع وأربعين ومئة)^(٣).

وقال مَكِّي بن إبراهيم: (ضَرِبَ مالك بن أنس في سنة سبع وأربعين ومئة، ضَرَبَهُ جعفر بن سليمان بن علي. قال: ضَرِبَ سبعين سَوَاطِئاً)^(٤).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله اليَسَّاري: (جَلَدَ جعفر بنُ سليمان مالكاً ثمانين سوطاً). وقاله ابن القاسم^(٥).

وقال مُطَرِّف: (فرأيتُ آثار السَّيَاطِ في ظَهْرِهِ، قد شَرَّخَتْهُ تشريحاً. وكان

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٤١ - ٤٤٢، الانتقاء، ص ٨٧ - ٨٨، ترتيب المدارك ٢٢٨/١، سير أعلام النبلاء ٨٠/٨. قوله (شَيْفَ الناسِ له): أي أبغضوه وتكروه. والشاهد في حديث «ليس على مستكره طلاق» أن مالكاً يرى أن يمين المُكْرَه على البيعة لا يُعتدُّ به، مثلما أن طلاق المُكْرَه لا يقع ولا يُعتدُّ به.

(٢) الحلية ٣١٦/٦.

(٣) ترتيب المدارك ٢٣١/١.

(٤) المعرفة والتاريخ ١٣١/١، وفيه: (ضربه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي)، والصواب ما أثبتته.

(٥) ترتيب المدارك ٢٢٩/١ - ٢٣٠.

حين مَدَّوهُ فِي الحبل بين يديه، خَلَعُوا كَتْفِيهِ، حتى ما كان يَسْتَطِيع أن يسوِّي رداءه).

وقال: (فلما وُلِّي جعفرُ عملَه الآخرَ، ودخل عليه مالك، سأله جعفر أن يجعله في جِلٍّ، وقال: إني جَهِلت واستزَلَّلت، والله ما جَلَدك إلا القرشيون، فقال له مالك: إنك ترى أنْ قد ظَلَمْتَنِي؟ قال: نعم، قال: فأنت في جِلٍّ، فوسَّع الله عليك)^(١).

•• قال أبو الوليد الباجي: (ولمَّا حَجَّ المنصور أقاد مالكا من جعفر بن سليمان، وأرسله إليه ليقْتَصَّ منه، فقال: أعودُ بالله، والله ما ارتفعَ منها سَوَوط عن جِسمي إلا وأنا أجعلُه في جِلٍّ من ذلك الوقت، لقرابته من رسول الله ﷺ)^(٢).

وكان مالك رَضِيَ اللهُ يَقُول: (ضُرِبْتُ فيما ضُرِبَ فيه محمد بن المُنْكَدِر، وربِيعَة، وابن المسيَّب. ثم قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أغيَّبُ أحداً لم يُصِبه في هذا الأمر أذى)^(٣).

قال الليث بن سعد: (إني لأرجو أن يرفع الله مالكا بكل سَوَوط درجة في الجنة)^(٤).

علم الإمام مالك:

كان من فضل الله على مالك أنه نشأ في مدينة رسول الله ﷺ، دار

(١) ترتيب المدارك ٢٣٠/١. وكان جعفر قد وُلِّي المدينة سنة (١٤٦هـ) ثم مكة معها، ثم غزل، فوُلِّي البصرة لهارون الرشيد.

(٢) ترتيب المدارك ٢٢٨/١ - ٢٢٩، الديباج المذهب ١٣١/١.

(٣) ترتيب المدارك ٢٢٩/١، ٢٣٠، الديباج المذهب ١٣٢/١.

(٤) ترتيب المدارك ٢٣٠/١.

الهجرة، ومنبع النور، وموئل الإيمان، ومهبط الوحي، ومصدر التشريع، ومنزل كبار الصحابة وأعيان علمائهم، ومدرسة الحديث والتفسير والفقه، ومحط رحال الطالبين، ومقصد المؤمنين، ومهوى أفئدة المسلمين. كما كان من تمام نعمة الله عليه، ومزيد توفيقه له؛ أنه نشأ في بيئة علم ورواية، فاعتنت به أسرته، ورعته أمه، وهيأته لطلب العلم، وألبسته ملابس العلماء، ووجهته إلى حلقات المحدثين.

وبكر مالك في طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتوجه إلى فقيه المدينة ابن هُرْمُز، واختلف إليه نحو ثلاث عشرة سنة، فكان ينقطع إليه النهار كله. ويَمَمَ شَطْرَ حَلَقِ رِبِيعَةِ الرَّأْيِ، وابن شهاب الزهري، ونافع، وأبي الزناد، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأضرابهم من بحور العلم وأئمة الرواية وأركان الحديث. وأقبل عليهم بقلب واع، وذهن وقاد، وحافظة باهرة، ورفق بهم وتأدب معهم، وربما أخذ بلجام دابة أحدهم واستعادة الحديث حتى يحفظه، وتتبع ظلال الشجر وأوى إليها ليتفرغ لحفظ الحديث. وورث علم علماء الصحابة، كقضايا عمر بن الخطاب وأقوال ابن عمر وعائشة، والفقهاء السبعة. وجمع بين المكثرين من الحديث والآثار كالزهري ونافع ويحيى بن سعيد ونحوهم، وبين رأي الفقهاء واستنباطاتهم ومسائلهم الكثيرة، كابن هرمز، وربيعه الرأي. فاستطاع بعبقريته الفذة أن يؤلف بين علم الفريقين، فكان بحق أكبر وأشهر محدث عرف بمضمره، وأكبر فقيه عرف بمضمره وعضره، وأضحى أحد المحدثين الفقهاء، وقل من يجمع بين هذين الوصفين، ويتحقق بهاتين الصفتين.

وامتاز الإمام مالك بتحرّيه الشديد في الأخذ والتحمّل، واحتياطه في الأداء والفتيا، وتفتيشه عن الإسناد، وانتقائه للرجال وانتقاده لهم، حتى

أطلق نقاد الحديث وأصحاب الصنعة الحديثية أنه لا يوجد في أشياخه غير رجل أو رجلين ممن وُصف بالضعف في الرواية، وبقيتهم - على كثرتهم - ثقات معروفون. لذا اقتضى الأئمة من بعده أثره، فإذا كتبت عن رجل كتبوا عنه، ووصفوه بأنه لا يروي إلا الصحيح من الحديث، وقدموه في هذا على أقرانه وأهل عصره، بل اعتبر إمام أئمة الحديث أبو عبد الله البخاري إسناده مالك من أصح الأسانيد، واحتجوا بأقواله في الرجال جزحاً وتعديلاً.

وعندما صنّف «الموطأ» تهافت العلماء وطلاب الحديث عليه، وأخذوه عنه قراءة وعرضاً، ورواه عنه الجهم الغفير، وطارث شهرته في الآفاق، واعتنى به العلماء أتم عناية من أيام مالك إلى عصرنا.

وتأهل مالك للفتيا وهو شاب طري في ذروة الشباب، وكانت له حلقة في حياة أساتيدته، وأصبح هو إمام أهل الحجاز والمقدم على الإطلاق، وضرب الناس إليه آباط المطي، وازدحموا على بابيه، وغصت حلقتة بالطلابين، وتخرج به أئمة كبار في الحديث والفقه.

وجمع أصحابه رواياته ومسائله ومختاراته، ولخصوها وخرروها وشرحوها، وخرجوا عليها، وتكلموا في أصولها وأدلتها، وتفرقوا في نواحي الأرض، ونشروا مذهبهم في الآفاق.

طلبه العلم، وأقواله فيه، وحضه عليه وعلى الالتزام بأدابه:

** قال مطرف بن عبد الله اليساري: سمعت مالك بن أنس، يقول: (قلت لأبي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت لي أمي: تعال فألبس ثياب العلماء، ثم اذهب فأكتب. قال: فأخذتني، فألبستني ثياباً مشمرة،

وَوَضَعَتِ الطَّوِيلَةَ عَلَى رَأْسِي، وَعَمَّمْتَنِي فَوْقَهَا، ثُمَّ قَالَتْ: اذْهَبِ الْآنَ فَاكْتُبْ^(١).

وقال مالك: (كانت أُمِّي تُعَمِّمَنِي، وتقول لي: اذْهَبِ إِلَى رِبِيعَةَ فَتَعَلِّمْ مِنْ أَدْبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ)^(٢).

وقال مالك أيضاً: (كان لي أَخٌ فِي سِنِّ ابْنِ شَهَابٍ، فَأَلْقَى أَبِي يَوْمًا عَلَيْنَا مَسْأَلَةً، فَأَصَابَ أَخِي وَأَخْطَأْتُ، فَقَالَ لِي أَبِي: أَلِهَتْكَ الْحَمَامُ عَنْ طَلْبِ الْعِلْمِ، فغَضِبْتُ، وانْقَطَعَتْ إِلَى ابْنِ هُرْمُزٍ سَبْعَ سِنِينَ - وَفِي رِوَايَةٍ: ثَمَانِ سِنِينَ - لَمْ أَخْلِطْهُ بغيره، وَكُنْتُ أَجْعَلُ فِي كَفِّي تَمْرًا وَأَنَاوِلُهُ صَبِيانَهُ، وَأَقُولُ لَهُمْ: إِنْ سَأَلَكُمْ أَحَدٌ عَنِ الشَّيْخِ فَقُولُوا: إِنَّهُ مَشْغُولٌ)^(٣).

وقال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ مَالِكٌ: (وَكَنْتُ آتِي ابْنَ هُرْمُزٍ بُكْرَةً، فَمَا أَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى اللَّيْلِ، وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ)^(٤).

وروى مروان بن محمد الطَّاطِرِيُّ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: (جَلَسْتُ إِلَى ابْنِ هُرْمُزٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكُنْتُ فِي الشِّتَاءِ قَدْ اتَّخَذْتُ سِرَاوِيلَ مَحْشُورًا، كُنَّا نَجْلِسُ مَعَهُ فِي الصَّخْنِ فِي الشِّتَاءِ. قَالَ: فَاسْتَحْلَفَنِي أَلَّا أَذْكَرَ اسْمَهُ فِي الْحَدِيثِ)^(٥).

(١) المحدث الفاصل: رقم ٨٠، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨٩٩. ومُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ ابْنَ أُخْتِ مَالِكٍ. وَالطَّوِيلَةُ: الْقَلَنْسُوءَةُ.

(٢) ترتيب المدارك ١١٩/١، الديباج المذهب ١١٠/١.

(٣) ترتيب المدارك ١١٩/١ - ١٢٠، الديباج المذهب ١١٠/١. وابن هرمز: هو عبد الله بن يزيد بن هرمز، فقيه المدينة، توفي سنة (١٤٨هـ). وقول الشيخ عبد الغني الدقر - في كتابه عن مالك ص ٦٣ - أنه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج؛ هو غلط.

(٤) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٦.

(٥) المعرفة والتاريخ ٦٥٥/١، مقدمة الجرح والتعديل ٢٨/١، وبأخصر منه في تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٢٢. قوله (في الصحن): أي صحن مسجد النبي ﷺ.



**** قال عبد الله بن مسَلَمَة القَعْنَبِيُّ: سمعت مالك بن أنس، يقول: (كان الرجلُ يَخْتَلِفُ إلى الرجلِ ثلاثين سنة يتعلَّم منه)^(١).**

وقال خالد بن نزار الأيْلِيُّ: (سمعتُ مالك بن أنس يقول لفتى من قریش: يا بن أخِي، تعلَّم الأدب قبل أن تتعلَّم العلم)^(٢).

وقال ابن وهب: (قيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسنٌ جميلٌ، ولكن انظرِ الذي يَلْزَمُك من حين تُصبحُ إلى حين تُمسي، فالزَمُهُ)^(٣).

وقال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس، يقول: (حَقَّ على مَنْ طَلَب العلم أن يكون له وقارٌ وسَكِينَةٌ وخَشْيَةٌ، والعلم حسنٌ لمن رزق خيرَه، وهو قَسَمٌ من الله، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوَفَّق للخير، وإن من شِقْوَةِ المرء ألا يزال يُخْطئ، وذُلٌّ وإهانةٌ للعلم أن يتكلَّم الرجل بالعلم عند مَنْ لا يُطيعه)^(٤).

وقال ابن وهب: سمعتُ مالكا، يقول: (إنَّ حقاً على مَنْ طَلَب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشيةٌ، وأن يكون مُتَّبِعاً لأثرِ مَنْ مَضَى قبله)^(٥).

**** قال أنس بن عِيَاض اللَّيْثِيُّ: (جالستُ ربيعة، ومالكٌ يومئذٍ معنا وما يُعرف إلا بمالك أخِي النَّضْر، ثم ما زال جِرْضُه في طَلَب العلم حتى صِرْنَا نقول: النَّضْر أخو مالك. وكان مالك حين طلبه يَتَّبَع ظلال الشجر**

(١) الحلبة ٣٢٠/٦.

(٢) الحلبة ٣٣٠/٦.

(٣) الحلبة ٣١٩/٦، ترتيب المدارك ١٨٤/١ - ١٨٥، صفة الصفوة ١٧٩/٢.

(٤) الحلبة ٣٢٠/٦، وانظر: ترتيب المدارك ١٨٦/١، ١٨٨، ١٨٩.

(٥) الحلبة ٣٢٤/٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٢١٢.

ليتفرغ لما يريد، فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوي مع الناس، فقال: يا بُنَيَّةَ، إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ^(١).

وقال ابن القاسم: (أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد)^(٢).

وقال سفيان بن عُيينة: (سمعت مالك بن أنس يسأل زيد بن أسلم عن حديث عمر: «أنه حمل على فرس في سبيل الله»، فجعل يرفق به ويسأله عن الكلمة بعد الكلمة والشيء بعد الشيء)^(٣).

وقال إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع: حدثني مالك بن أنس، قال: (لقيتُ ابنَ شهاب يوماً في موضع الجنائز وهو على بغلة له، فسألته عن حديث فيه طولٌ، فحدثني به، قال: فأخذتُ بلجام بغلته، فلم أحفظه، قلت: يا أبا بكر، أعده عليّ، فأبى، فقلت: أما كنت تحبُّ أن يُعاد عليك الحديث؟ فأعاده عليّ، فحفظته)^(٤).

** قال ابن عبد الحَكَم: قال لي مالك: (كنا نأتي ابنَ شهاب في داره في بني الدَّيْل، وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها، وندافع إذا دخلنا عليه)^(٥).

(١) ترتيب المدارك ١١٩/١.

(٢) ترتيب المدارك ١١٩/١، الديباج المذهب ١١٠/١.

(٣) الانتقاء، ص ٤٦.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٥٨٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٦٢، الانتقاء ٤٩، ومن طرق أخرى بالفاظ مقاربة في: سنن الدارمي، حديث ٤٥٣، المعرفة والتاريخ ٦٢١/١ - ٦٢٢، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤١٠.

(٥) ترتيب المدارك ١٢٠/١.

وقال شعيب بن حَرْب: قال مالك بن أنس: (كُنَّا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المُنْكَدِر، فيقول الزهريُّ: قال ابن عُمر كذا وكذا، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه، فقلنا له: الذي ذكرتَ عن ابنِ عُمر مَنْ أخبرك به؟ قال: ابنُه سالم)^(١).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله اليساريُّ: حدثنا مالك بن أنس، قال: (كنتُ آتي نافعاً مولى ابنِ عُمر نصف النهار، ما يُظَلِّني شيءٌ من الشمس، وكان منزله بالثَّقِيع بالصَّوْرَيْن، وكان حَدًّا، فَاتَحَيْنَ خروجه، فيخرج، فأدْعُه ساعة وأريه أني لم أُرْده، ثم أَعْرِضْ له فأسلِّم عليه، ثم أدْعُه، حتى إذا دخل البَلَّاط أقول: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فأخْبِس عنه)^(٢).

وقال ابن وَهَب: حدَّثني مالك، قال: (كنتُ آتي نافعاً مولى ابن عمر، وأنا يومئذٍ غلامٌ حديثُ السِّنِّ، ومعِي غلام لي، فينزل إليَّ فيقعده معي ويحدِّثني)^(٣).

وقال إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُوَيْس: (سُئِلَ مالك عن حديثه، أَسْمَاعٌ هو؟ فقال: منه سَمَاعٌ، ومنه عَرُضٌ، وليس العَرُضُ عندنا بأدنى من السَّمَاعِ)^(٤).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٧٦، المعرفة والتاريخ ٨٣٠/١، ترتيب المدارك ١٢٠/١.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٥، ترتيب المدارك ١٢٠/١. والتقيع: وإد يقع جنوب المدينة النبوية والصوران: ثنية صور، وهو الجماعة من النخل، وهو: موضع بالمدينة بين المدينة وبني قريظة، قرب العوالي مما يلي المدينة. والبلاط: موضع بين المسجد النبوي وسوق المدينة، مبلط بالحجارة، امتد فيما بعد حتى أحاط بالمسجد النبوي بمساحات مختلفة. انظر: المعالم الأثيرة.

(٣) المعرفة والتاريخ ٦٤٦/١.

(٤) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٧.

وقال علي بن المَدِينِي: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، قال: (قلتُ لمالكٍ - أي في سماعه من الزهري - قال: أقلُّه العَرَضُ)^(١).

وقال عبد الرزاق: قال لي عُبيد الله بن عمر: (ما أخذنا ويحيى ومالكُ عن ابنِ شهابٍ إلا عِرَاضَةً، وكان مالك يقرأ لنا، وكان حسنَ القراءة)^(٢).

•• قال الشافعي: (قيل لمالك بن أنس: عند ابن عُيينة أحاديثُ عن الزهريِّ ليست عندك؟! فقال مالك: وأنا أحدثُ عن الزهري بكل ما سمعتُ؟! إذا أريد أن أُضِلَّهُم).

وفي رواية: (وأنا كل ما سمعته من الحديث أحدثُ به الناس؟! أنا إذا أريد أن أُضِلَّهُم)^(٣).

قلت: كان مالك كثير التحري والتثبت، لا يروي إلا ما ثبتت صحته عنده - كما سيأتي - وليس في هذا تعريض بابن عيينة، فلقد كان من نظراء مالك، ومالك كان سيد علماء المدينة في عصره، كما كان ابن عيينة سيد علماء مكة في عصره، رحمهما الله تعالى.

قال أحمد بن صالح: سمعت ابنَ وَهْبٍ، يقول: قال مالك: (لقد سمعتُ من ابنِ شهابٍ أحاديثَ كثيرة، ما حدَّثتُ بها قطُّ، ولا أحدثُ بها)^(٤).

(١) المعرفة والتاريخ ١٥٨/٣.

(٢) المعرفة والتاريخ ١٥٨/٣.

(٣) الحلية ٣٢٢/٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٣٦٠، وفيه: (قيل لأنس بن مالك)، وهو سهو، وأخشى أن يكون من غلط الطباعة.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦٢/٨، ١٠٧.

وقال إسحاق بن محمد الفزوي: سمعت مالكا يقول: سمعت من ابن شهاب أحاديث لم أجدت بها إلى اليوم، قلت: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لم يكن العمل عليها، فتركها^(١).

قال الحارث بن مسكين: أخبرنا ابن القاسم، قال: (قيل لمالك: لِمَ لَمْ تكتب عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيتُه والناس يكتبون عنه قياماً، فأجللتُ حديثَ رسول الله ﷺ أن أكتبه وأنا قائم)^(٢).

وقال إبراهيم بن عبد الله بن قزيم الأنصاري قاضي المدينة: (مرَّ مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث، فجازته، فقيل له: لِمَ لَمْ تجلس؟ فقال: إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، وكرهتُ أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم)^(٣).

القارئ المضمر:

** أخذ مالك القراءة عَرَضاً عن نافع بن أبي نعيم، وروى القراءة عنه أبو عمرو الأوزاعي ويحيى بن سعيد القطان^(٤).
وقد ذكره أبو عمرو الداني في «طبقات القراء»، وأنه تلا على نافع^(٥).
وقال إسماعيل بن أبي أويس: قال لي مالك: (قرأتُ على نافع بن أبي نعيم)^(٦).

(١) الحلية ٣٢٢/٦، وانظر ٣٢١.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٧٦، سير أعلام النبلاء ٦٧/٨.

(٣) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥٠/٥، الحلية ٣١٨/٦ وفيه (ابن حازم) تصحيف، مقدمة الكامل في الضعفاء، ص ٩٠، الإرشاد في علماء الحديث ٢١١/١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٧٥.

(٤) غاية النهاية ٣٥/٢ - ٣٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٩٥/٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ١١٠/٨.

** وذكروا في مصنفات مالك: «التفسير لغريب القرآن»، الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي^(١).

وقد صنّف مكّي بن أبي طالب كتاباً فيما روي عن مالك في التفسير ومعاني القرآن^(٢).

وسمّاه ابن خَلْكان: (المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره) في عشرة أجزاء^(٣).

** قال بُهلُول بن راشد: (ما رأيتُ أنزَعَ بآيةٍ من مالك، مع معرفته بالصحيح والسقيم)^(٤).

وقال خالد بن نزار الأيليُّ: (ما رأيتُ أحداً أنزَعَ بكتابِ الله ﷻ من مالكِ بن أنس). قال ابن أبي حاتم: (وقد رأى خالدُ سفيانَ الثوري، وسفيانَ بنَ عُيينة، والليثَ بنَ سعد، وغيرَهم)^(٥).

وقال ضَمْرَة بن ربيعة: سمع مالكا، يقول: (لو كان لي سلطانٌ على مَنْ يفسّر القرآن، لضربتُ رأسه)^(٦).

وعلقَ الذهبي على هذا فقال: (قلت: يعني تفسيره برأيه، وكذلك جاء عن مالك من طريق أخرى)^(٧).

(١) ترتيب المدارك ٢٠٦/١، الديباج المذهب ١٢٥/١، سير أعلام النبلاء ٨٩/٨، طبقات المفسرين ٣٠١/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩٥/٨.

(٣) وفيات الأعيان ٢٧٦/٥ «ترجمة مكّي».

(٤) سير أعلام النبلاء ٩٥/٨.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ١٨/١.

(٦) الحلية ٣٢٢/٦.

(٧) سير أعلام النبلاء ٩٧/٨.

المحدث:

روى مالك عن:

إبراهيم بن عُقْبَةَ، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وأيوب السَّخْتِيَّانِي، وثور بن زيد الدِّيَلِي، وجعفر بن محمد الصادق، وحُميد بن قَيْس الأَعْرَج، وحُميد الطَّوِيل، وداود بن الحُصَيْن، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وزِيَاد بن سَعْد، وزيد بن أَسْلَم، وزيد بن أَبِي أَنَيْسَةَ، وزيد بن رباح، وسالم أَبِي النَّضْر، وسعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِي، وأبي حازم سَلْمَة بن دينار، وسُهَيْل بن أبي صالح، وشريك بن عبد الله بن أبي نَمْر، وصالح بن كَيْسَان، وصفوان بن سُليْم، وطلحة بن عبد الملك الأَيْلِي، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرُو بن حَزْم، وعبد الله بن دينار، وأبي الزناد عبد الله بن ذَكْوَان، وأبي طُوَالَة عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر، وعبد الله بن يزيد المَخْزُومِي مولى الأسود بن سُفْيَان، وعبد رَبِّه بن سعيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن حَزْمَة الأَسْلَمِي، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الكريم بن مالك الجَزْرِي، وعبد المجيد بن سُهَيْل، وعطاء الخُرَاسَانِي، وعَلْقَمَة بن أبي عَلْقَمَة، وعَمْرُو بن يحيى بن عُمارة المازني، والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، والفُضَيْل بن أبي عبد الله، وقَطَن بن وَهْب، ومحمد بن أبي بكر الثَّقَفِي، وأبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن تَوْفَل، ومحمد بن عَمْرُو بن خَلْحَلَة، ومحمد بن مُسْلِم بن شهاب الزهري، ومحمد بن المُنْكَدِر، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان، ومَخْزَمَة بن سُليمان، ومُسلم بن أبي مريم، وموسى بن عُقْبَة، ونافع مولى ابن عُمَر، ونُعَيْم بن عبد الله المُجْمِر، وهشام بن عروة، وَهْب بن كَيْسَان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن رُومان، ويزيد بن عبد الله بن

خَصِيْفَةَ، ويزيد بن عبد الله بن قَسَيْطٍ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، ويونس بن يوسف بن جَمَاس، وأبي بكر بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُمَر، وأبي بكر بن نافع مولى ابن عمر، وأبي الزُّبَيْر المَكِّي، وأبي لَيْلَى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَهْل الأنصاري، وأمهم سواهم. وروى مقاطيع عن خلق كثير، ذكر الذهبي طائفة منهم^(١).

وَقَلَّ ما روى عن غير أهل بلده^(٢).

وروى عن مالك خلائق:

وقد جمع الحافظ الخطيب البغدادي كتاباً كبيراً في «الرواة عن مالك وشيء من روايتهم عنه» ويقع في ستة أجزاء^(٣).

وصنّف عِياض كتاباً في «الرواة عن مالك» على حروف المعجم، ضمّ أزيد من ألفٍ وثلاثمئة راوي، وقد عدّ منهم في «ترتيب المدارك» نيفاً على ألف اسم^(٤).

وقال الذهبي: (وقد كنتُ أفردتُ أسماء الرواة عنه في جزء كبير، يُقارب عددهم ألفاً وأربعمئة)^(٥).

وألّف في «الرواة عن مالك» علماء آخرون^(٦).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٥١/٨ - ٥٢.

(٢) تاريخ الإسلام، ص ٣١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨٢/٨، ٨٢٠/١٨.

(٤) ترتيب المدارك ٢٥٤/١ - ٢٧٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٢/٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ٨٢/٨.

فممن حَدَّثَ عنه من شيوخه:

عُمُه أبو سُهَيْل نافع بن مالك، وزيد بن أبي أُنَيْسَةَ، وعُمَر بن محمد بن زيد، ومحمد بن مُسَلِّم بن شهاب الزهريُّ، ويحيى بن سعيد الأنصاريُّ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وغيرهم.

ومن أقرانه ومن هو أكبر منه:

جُوَيْرِيَّة بن أسماء، وحمَّاد بن زيد، وسفيان الثوريُّ، وشُعْبَة بن الحَجَّاج، وعبد الرحمن بن عَمْرُو الأوزاعيُّ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج، والليث بن سَعْد، ووَهَيْب بن خالد، وآخرون.

وحدَّث عنه:

أبو مُضْعَب أحمد بن أبي بَكْر الزهريُّ، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وإسحاق بن سليمان الرازيُّ، وإسحاق بن عيسى ابن الطَّبَّاع، وإسحاق بن محمد الفزويُّ، وإسماعيل بن أبي أُوَيْس، وإسماعيل بن عَلِيَّة، وأشهب بن عبد العزيز، وبِشْر بن عُمَر الزهرانيُّ، وخالد بن مَخْلَد القَطَوانيُّ، وخَلْف بن هشام البزار، وروُح بن عُبَادَة، وزيد بن الحُبَّاب، وسعيد بن الحَكَم بن أبي مَزِيْم، وسعيد بن كَثِير بن عَفِير، وسعيد بن منصور، وسفيان بن عُيَيْنَة، وأبو قُتَيْبَة سَلْم بن قُتَيْبَة، وسويد بن سعيد، وأبو عاصم الضَّحَّاك بن مَخْلَد، وعبد الله بن إدريس، وعبد الله بن المُبارك، وعبد الله بن مَسْلَمَة القَعْنَبِيُّ، وعبد الله بن نافع الزُّبيريُّ، وعبد الله بن نافع الصَّائغ، وعبد الله بن وَهْب، وعبد الله بن يوسُف التَّنِيْسِيُّ، وأبو مُسَهْر عبد الأعلى بن مُسَهْر، وعبد الرحمن بن غَزْوَان المعروف بِقُرَاد أبي نوح، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد العزيز بن عبد الله الأُوَيْسِيُّ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن

الماجشون، وعُقبة بن خالد السَّكُونِيُّ، وأبو نُعيم الفضل بن دُكَيْن،
 وقُتَيْبة بن سعيد البلُخِيُّ، وكامل بن طلحة الجَحْدَرِيُّ، ومحمد بن إدريس
 الشافعيُّ، ومحمد بن خالد بن عَثَمَة، ومُصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ،
 ومُطَرِّف بن عبد الله اليَسَارِيُّ، ومعاوية بن هشام القَصَّار، ومَعْن بن عيسى
 القَرَّاز، ومكِّي بن إبراهيم البلُخِيُّ، ومنصور بن أبي مُزَاحم، وموسى بن
 أَعْيَن الجَزْرِيُّ، وهشام بن عَمَّار الدَّمَشْقِيُّ، ووَكيع بن الجَرَّاح، والوليد بن
 مُسلم، ويحيى بن أيوب المِصْرِيُّ، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة،
 ويحيى بن سعيد القَطَّان، ويحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، ويحيى بن أبي عُمر
 العَدَنِيُّ، ويحيى بن قَزَعَة، ويحيى بن يحيى النَّيْسَابُورِيُّ، ويونس بن
 عبيد الله العُمَيْرِيُّ، وأبو إسحاق الفَزَارِيُّ، وأبو علي الحَنَفِيُّ، وأبو الوليد
 الطَّيَالِسِيُّ، وخلائق غيرهم.

وَأخِرُ أصحابه موتاً أبو حُدَافَة أحمد بن إسماعيل السَّهْمِيُّ، عاش بعد
 مالك ثمانين سنة، وهو من رواة «الموطأ».

•• قال الخطيب البغدادي: (حدَّث عن مالك: محمد بن مسلم بن
 شهاب الزهريُّ، وزكريا بن دُوَيْد الكِنْدِيُّ، وبين فاتيها مئة وسبع
 وثلاثون سنة أو أكثر من ذلك).

وتابعه ابن الصلاح والنووي والمِزِّيُّ على هذا التمثيل بزكريا بن
 دُوَيْد^(١)، وما كان ينبغي لهم الاعتداد بزكريا هذا، لأنه كَذَّاب وَضَّاع، ادَّعى
 السَّماعُ من مالك والثوري والكبار، وزاد فادَّعى أنه سمع من حُميد
 الطويل، وروى عنه نسخة موضوعة.

(١) السابق واللاحق، ص ٣٣١، علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٣١٨ «النوع ٤٦»، تهذيب
 الكمال ١٢٠/٢٧، تدريب الراوي ٢٦٣/٢ وتصحف فيه (دويد) إلى (زويد).

والصواب أن آخر أصحاب مالك أحمد بن إسماعيل السهمي، ومات سنة (٢٥٩هـ)، فبينه وبين الزهري مئة وخمسة وثلاثون سنة^(١).

نقده وتحريه وانتقاؤه للرجال، وروايته عن الثقات، وصحة حديثه، وأقوال العلماء في ذلك:

** قال بشر بن عمر الزهراني: (سألت مالك بن أنس عن رجل، فقال: هل رأيته في كُتبي؟ قلت: لا، قال: لو كان ثقةً رأيته في كُتبي)^(٢).

وعقب الذهبي على هذا بقوله: (فهذا القول يُعطيك بأنه لا يروي إلا عمَّن هو عنده ثقةً، ولا يلزم من ذلك أنه يروي عن كلِّ الثقات، ثم لا يلزم مما قال أن كل مَنْ روى عنه، وهو عنده ثقةً، أن يكون ثقةً عند باقي الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلا أنه بكلِّ حال كثير التحري في نقد الرجال، رَحِمَهُ اللهُ)^(٣).

قال إبراهيم بن المنذر الجزامي: حدثني معن بن عيسى، قال: (سمعت مالك بن أنس يقول: لا يُؤخذ العلم من أربعة، ويُؤخذ ممن سوى ذلك: لا يُؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفیه مُعلن بالسفاهة وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في

(١) انظر: ميزان الاعتدال ٧٢/٢ ت ٢٨٧٤، تدريب الراوي ٢/٢٦٣، فتح المغيب ٤/١٩٤ - ١٩٥ «فصل السابق واللاحق».

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٤١، ٢/٢٢، المحدث الفاضل: رقم ٤٣٢، مقدمة الكامل في الضعفاء، ص ٩١، الانتقاء، ص ٤٧، وللخبر روايات مطولة سأورد لها في فقرة (كلامه في الرجال).

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/٧٢، ونقل محقق «تهذيب الكمال» بشار عواد معروف - في هامش ١١٣/٢٧ - هذا الكلام، وتصرف فيه قليلاً، دون أن يعزوه إلى صاحبه، وقد رأيت كثيراً من المعاصرين يفعلون هذا، وليس ذلك من أمانة العلم.

أحاديث الناس وإن كنت لا تتَّهَمُهُمُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولا من رجلٍ له فَضْلٌ وَصَلَاحٌ وَعِبَادَةٌ إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ). قال إبراهيم بن المنذر: (فذكرتُ ذلكَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَسَارِيِّ، فقال: ما أدري ما تقول، غير أنني أشهدُ لسمعتُ مالكا يقول: أدركتُ ببلدنا هذا - يعني المدينة - مَشِيخَةً لَهُمْ فَضْلٌ وَصَلَاحٌ وَعِبَادَةٌ يُحَدِّثُونَ، فما كتبتُ عن أحدٍ منهم حديثاً قطُّ، قلتُ: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لأنهم لم يكونوا يعرفون ما يُحَدِّثُونَ)^(١).

وأورد ابنُ عبد البر الخبر السابق، ثم قال: (قد روينا عن ابن أبي أُوَيْسٍ، وأشهب بن عبد العزيز، وابن كِنانة عثمان، وعن بِشْرِ بْنِ عُمَرَ: عن مالك، معنى ما ذكرته عن مَعْنٍ وَمُطَرِّفٍ عَنْ مَالِكٍ. وفي حديث بعضهم عن مالك في المشايخ: وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ أَوْثَمَنَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكَانَ بِهِ أَمِيناً، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ. ثم قَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ شَهَابٍ فَكُنَّا نَزِدْحُمُ عَلَى بَابِهِ)^(٢).

قال ابن وهب: (حدَّثني مالك قال: أدركتُ بهذا البلد رجالاً بين المئة ونحوٍ منها، يُحَدِّثُونَ الْأَحَادِيثَ، لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ. فقلتُ لِمَالِكٍ: وَغَيْرَهُمْ دُونَهُمْ فِي السَّنِّ يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْهُمْ؟ قال: نعم)^(٣).

وقال علي بن المَدِينِي: أَخْبَرْنَا حَبِيبُ الْوَرَّاقِ، قَالَ: قَالَ لِي مَالِكُ:

(١) المعرفة والتاريخ ٦٨٤/١، المحدث الفاصل: رقم ٤١٨ - واللفظ له - مقدمة الكامل، ص ٩٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧١، الانتقاء، ص ٤٦ - ٤٧، وبأخصر منه في: مقدمة الجرح والتعديل ٣٢٢/٢، التقييد ٢٣٤/٢.

(٢) الانتقاء، ص ٤٧.

(٣) المعرفة والتاريخ ٦٧٥/١، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٥٧٣.

(يا حَبِيب، أدركتُ هذا المسجد وفيه سبعون شيخاً ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وروى عن التابعين، فلم نَحْمَل الحديثَ إلا عن أهله)^(١).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: سمعتُ مالكا، يقول: (أدركتُ جماعة من أهل المدينة، ما أخذتُ عنهم شيئاً من العلم، وإنهم لممن يُؤخذ عنهم العلم، وكانوا أصنافاً. فمنهم من كان كذاباً في أحاديث الناس، ولا يَكْذِبُ في علمه، فتركته لِكَذِبِهِ في غيرِ علمه. ومنهم من كان جاهلاً بما عنده، فلم يكن عندي أهلاً للأخذ عنه. ومنهم من كان يُؤبِنُ برأيِ سُوءِ)^(٢).

وقال محمد بن إسماعيل الترمذي: سمعت ابن أبي أُويس، يقول: سمعت خالي مالك بن أنس، يقول: (إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عَمَّن تأخذون دينكم، لقد أدركتُ سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ، عند هذه الأساطين - وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ - فما أخذتُ عنهم شيئاً، وإنَّ أحدهم لو أوْتُمِنَ على بيتِ مالٍ لكان به أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقَدِمَ علينا ابنُ شهاب فكننا نزدحمُ على بابهِ)^(٣).

** روى عثمان بن كِنانة، عن مالك قال: (ربما جَلَسَ إلينا الشيخُ فَيُحَدِّثُ جُلَّ نهاره، ما نأخذُ عنه حديثاً واحداً، ما بنا أن نَتَّهَمَهُ ولكن لم يكن من أهل الحديث)^(٤).

وقال ابن وهب: حدَّثني مالك، قال: (دخلتُ على عائشة بنت سعد بن

(١) المعرفة والتاريخ ١/٦٩٩، ٣/٣٣، مقدمة الكامل، ص ٩١، الحلية ٦/٣٢٣، وألفاظهم متقاربة، وهذه رواية ابن عدي. وانظر: ترتيب المدارك ١/١٢٣. والمسجد هو المسجد النبوي.

(٢) الانتقاء، ص ٤٥. يُؤبِنُ: أي يُعَابِثُ.

(٣) الانتقاء، ص ٤٦.

(٤) الانتقاء، ص ٤٨.

أبي وقاص، فسألْتُها عن بعضِ الحديث، فلم أرَضَ أن آخِذَ عنها شيئاً لضعفها^(١).

قلت: بل عائشة ثقة، أخرج لها البخاري، وذكرها ابن حبان في «الثقات»، ووثقها الذهبي في «تاريخ الإسلام»، وابن حجر في «تقريب التهذيب».

وذكر القاضي عياض خبر مالك هذا لكن سمى المرأة (عائشة بنت طلحة)^(٢)، وهو سهو وسبق قلم، لأنها توفيت سنة (١٠١هـ) ومالكٌ آتذٍ في الثامنة من عُمرِه، وبكل حال فعائشة بنت طلحة ثقة حجة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة.

قال ابن أبي أُويس: سمعتُ مالك بن أنس، يقول: (إن هذا العلم هو لحُمك ودمك، وعنه تُسألُ يومَ القيامة، فانظرْ عَمَّن تأخذه)^(٣).

** قال إسحاق بن موسى الأنصاري: سمعت مَعْن بن عيسى القَزَاز، يقول: (كان مالك بن أنس يُشَدُّدُ في حديثِ رسولِ الله ﷺ، في الباءِ والتاء ونحوهما)^(٤).

وقال هارون بن موسى بن أبي علقمة القَزَوِيُّ^(٥): حدثني أبي موسى بن عبد الله بن أبي علقمة، قال: سمعتُ مالكا، يقول: (قد رويتُ عن ابن شهاب أربعين حديثاً في مجلس، ثم شككتُ في إسنادِ حديث، فجئتُه أستثبته، فَصَجِرَ عليَّ وقال: ما هكذا كنَّا)^(٦).

(١) المعرفة والتاريخ ٦٩٩/١.

(٢) ترتيب المدارك ١٢٤/١.

(٣) المحدث الفاصل: رقم ٤٤٤.

(٤) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥٠/٥، الحلية ٣١٨/٦، التعديل والتجريح ٧٦٩/٢، ترتيب

المدارك ١٦٣/١، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٨.

(٥) في المحدث الفاصل: (العدوي)، وهو تصحيف. وهارون وأبوه موسى من رجال التهذيب.

(٦) المحدث الفاصل: رقم ٧٨٢.



وقال سعيد بن كثير بن عُفَيْر: (سألتُ مالكَ بن أنس عن الرجل يسمع الحديث، فيأتي به على معناه؟ فقال: لا بأس به، إلا حديث رسول الله ﷺ؛ فإنني أحبُّ أن يُؤتى به على ألفاظه)^(١).

وقال الرَّبِيع بن سُلَيْمان: سمعت الشافعيَّ، يقول: (كان مالك إذا شكَّ في بعض الحديث طَرَحَه كُلَّهُ)^(٢).

وقال عبد الله بن وهب: (كان علم الناس يزيد، وكان علم مالك ينقص في كل سنة من حديثه)^(٣).

قلت: لأنه كان كثيرَ التمييز والتحري، دائمَ النظر في حديثه، ينظر فيه كلَّ سنة ويُسْقِطُ منه، رَحِمَهُ اللهُ.

** قال علي بن المَدِيني: سمعت سفيان بن عُيينة، يقول: (ما كان أشدَّ انتقادَ مالكٍ للرجال، وأَعْلَمَه بشأنهم)^(٤).

وقال يحيى بن معين: قال سفيان بن عُيينة: (وما نحن عند مالك بن أنس؟! إنما كنا نتتبع آثارَ مالك، وننظرُ الشيخَ إن كان كتَبَ عنه مالكٌ كتَبنا عنه)^(٥).

وقال حاتم بن الليث الجَوْهريُّ الحافظ: حدثنا علي بن عبد الله بن المَدِيني، حدثنا سفيان بن عُيينة، قال: (كان مالك ينتقي الرجال،

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١١٠، ١١١١، التعديل والتجريح ٧٦٩/٢ - ٧٧٠.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١، الحلية ٣٢٢/٦، الانتقاء، ص ٥٥.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٥/١.

(٤) الجرح والتعديل ٢٠٤/٨، تقدمته ٢٣/١، ٤٧، مقدمة الكامل، ص ٩٠، الإرشاد ٢١١/١، الانتقاء، ص ٥٢.

(٥) الانتقاء، ص ٥٢ - ٥٣، التعديل والتجريح ٧٦٦/٢.

ولا يحدث عن كل أحد). قال عليّ: (ومالك أمانٌ فيمن حدّث عنه من الرجال، كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم إلا عمّن يعرف ما يقول)^(١).

وقال أبو داود السّجستانيّ: سمعت أحمد بن حنبل، قال: (كان ابنُ أبي ذئب ثقةً صدوقاً، أفضل من مالك بن أنس، إلا أن مالكا أشدّ تنقيّةً للرجال منه)^(٢).

وقال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني: سمعت أحمد بن حنبل غير مرة، يقول: (كان مالك بن أنس من أثبت الناس في الحديث، ولا تُبالي ألا تسأل عن رجلٍ روى عنه مالك بن أنس، ولا سيما مديني)، وقال يحيى بن معين: (أتريد أن تسأل عن رجالٍ مالك؟! كلٌّ من حدّث عنه ثقةً، إلا رجلاً أو رجلين)^(٣).

وقال يحيى بن معين: (كلٌّ من روى عنه مالك بن أنس فهو ثقةً، إلا عبد الكريم البصري أبو أمية)^(٤).

وقال علي بن المديني: (كل مدنيّ لم يحدث عنه مالك ففي حديثه شيء، ولا أعلم مالكا ترك إنساناً إلا إنساناً في حديثه شيء)^(٥).

وهذا الإطلاق تعقّب الحافظ ابن رجب الحنبلي؛ فقال: (وهذا على إطلاقه فيه نظر؛ فإن مالكا لم يحدث عن سعد بن إبراهيم، وهو ثقة جليل متفق عليه)^(٦).

(١) الحلية ٦/٣٢٢.

(٢) سوالات أبي داود لأحمد: رقم ١٩٢.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١٧/١، مقدمة الكامل، ص ٩٠ - ٩١، وبأخصر منه في الإرشاد ٢١١/١.

(٤) تهذيب الكمال ١١٢/٢٧ - ١١٣.

(٥) مقدمة الكامل ٩١، الإرشاد ٢١١/١.

(٦) شرح علل الترمذي ٨٧٩/٢.



قلت: ولم يرو مالك عن عمرو بن دينار المكي، وهو إمام جبل، وقد أوردنا سبب ذلك.

قال يعقوب بن سفيان الفسوي: (ومن كان من أهل العلم ونصح نفسه؛ علم أن كل من وضعه مالك في «موطئه» وأظهر اسمه؛ ثقة تقوم به الحجة). وقال في موضع آخر: (لم يضع مالك في «الموطأ» إسناداً وأظهر اسماً يحدث عنه؛ إلا وهو ثقة، خلا عبد الكريم أبي أمية، فإنه ضعيف وكان له رأي سوء)^(١).

وقال النسائي: (وليس أحد بعد التابعين أقل رواية عن الضعفاء من مالك بن أنس، ما علمناه حدث عن متروك، إلا عن عبد الكريم أبي أمية حديثين، وعن يحيى بن سعيد عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم، وعبد الغفار متروك الحديث. وروى عن عاصم بن عبيد الله، وعمرو بن أبي عمرو^(٢)، وليسا بذلك، ولم يرو عنهما من الأحكام شيئاً. وذلك أن كل من روى عنه مالك سوى هؤلاء؛ فهو فيهم حجة)^(٣).

** قال عبد الرحمن بن مهدي: (أخبرني وهيب بن خالد - وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال - أنه قدم المدينة قال: فلم أر أحداً إلا وأنت تعرف وتُنكر، غير مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري)^(٤).

(١) المعرفة والتاريخ ٣٤٩/١، ٤٢٥.

(٢) في التعديل والتجريح: (عمر بن أبي غمر)، تحريف. وما أثبتته من سؤالات الحاكم للدارقطني، وهو الصواب، وعمرو هذا أخرج له أصحاب الكتب الستة واحتج به الشيخان ووثقه جماعة، وتكلم فيه آخرون.

(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني: رقم ٥٢٣، التعديل والتجريح ٧٦٧/٢ - ٧٦٨.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١، الانتقاء ٥٨، وفي مقدمة الجرح والتعديل ١٣/١ من طريق آخر بأخصر منه.

وروى طاهر بن خالد بن نزار، عن أبيه، عن سفيان بن عُيينة، أنه ذَكَرَ مالك بن أنس، فقال: (كان لا يُبَلِّغُ من الحديث إلا صحيحاً، ولا يُحدِّثُ إلا عن ثقاتِ الناس، وما أَرَى المدينةَ إلا ستَّخَرْتُ بعد موتِ مالك بن أنس)^(١).

وروى ابن وهب عن سفيان بن عُيينة قال: (كان مالك لا يأخذُ الحديثَ إلا من جَيِّده)^(٢).

وقال نُعيم بن حمَّاد: سمعت عبد الرحمن بن مَهدي، يقول: (ما أُقَدِّمُ على مالكٍ في صحة الحديث أحداً)^(٣).

وقال علي بن المَدِيني: سمعت يحيى بن سعيد القَطَّان، يقول: (ما في القوم أصحُّ حديثاً من مالك، يعني بالقوم: الثوري، والأوزاعي، وابن عُيينة. قال: مالك أحبُّ إليَّ من مَعمر.

وقال يحيى بن سعيد: سفيانُ وشعبةُ ليس لهما ثالثٌ إلا مالك)^(٤).

وقال علي بن المَدِيني: سمعت يحيى بن سعيد القَطَّان، يقول: (كان مالكُ بن أنس إماماً في الحديث. قال: وسمعت يحيى، يقول: سفيانُ الثوري فوقَ مالكٍ في كل شيء)^(٥).

(١) الانتقاء، ص ٥٣، سير أعلام النبلاء ٧٣/٨. قوله (ستخرب بعد موت مالك): أي ستخرب من العلم.

(٢) الحلية ٣٢٢/٦.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١، الحلية ٣٢٢/٦، الانتقاء، ص ٥٨.

(٤) الانتقاء، ص ٥٨ - ٥٩، وبأخصر منه في: علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥١/٥، الجرح والتعديل ٢٠٤/٨، تقدمته ١٥/١، ٢٤٤.

(٥) الانتقاء، ص ٥٩.

وقال أيوب بن سويد الرَّمْلِيُّ: (ما رأيتُ أحداً قَطُّ أجودَ حديثاً من مالك بن أنس)^(١).

وقال الزُّبَيْع بن سُلَيْمان: سمعت الشافعي، يقول: (إذا جاء الحديث عن مالكٍ فاشدُّدْ به يدك)^(٢).

وقال علي بن المَدِينِي: (كان مالك صحيحَ الحديث)^(٣).

وقال أبو داود السَّجِسْتَانِي: سمعت أحمد بن حنبل، قال: (مالكٌ ما أصحَّ حديثه عن كلِّ)^(٤).

وقال أبو حاتم الرَّازِي: (مالكٌ نقيُّ الرِّجالِ نقيُّ الحديثِ، وهو أنقى حديثاً من الثوري والأوزاعي)^(٥).

وقال أبو يَعْلَى الخَلِيلِي: (أحاديثُ مالك التي تصحُّ عنه كلها مُحْتَجٌّ بها؛ فإنه لم يَزُو عن الضعفاء إلا عن عبد الكريم أبي أمية)^(٦).

أقواله في الرجال جرحاً وتعديلاً:

•• قال يحيى بن سعيد القَطَّان: (سألتُ سفيانَ الثوريَّ وشعبةَ ومالكاً وابنَ عُيينة، عن الرَّجلِ لا يكونُ ثَبْتاً في الحديثِ، فيأتيني الرَّجلُ فيسألني عنه؟ قالوا: أخْبِرْ عنه أنه ليس بِثَبْتٍ).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ١٣/١، الانتقاء، ص ٦٨.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١، مقدمة الكامل، ص ٩١، الحلية ٦/٣٢٢.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١.

(٤) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ١٩٢.

(٥) الجرح والتعديل ٢٠٦/٨، وتقدمته ١٧/١.

(٦) الإرشاد ٢٨١/١.

وفي رواية: (سألتهم عن الرجل يغلط في الحديث أو يكذب فيه؟ قالوا: بيّن أمره، بيّن أمره^(١)).

قال بشر بن عُمَر الزَّهرانيُّ: (سألتُ مالكَ بنَ أنسٍ عن محمد بن عبد الرحمن الذي يروي عن سعيد بن المسيَّب؟ فقال: ليس بثقة. وسألتُه عن صالح مولى التَّوامة؟ فقال: ليس بثقة. وسألتُه عن أبي الحُوَيْرث؟ فقال: ليس بثقة. وسألتُه عن شعبة الذي روى عنه ابنُ أبي ذئب؟ فقال: ليس بثقة. وسألتُه عن حَرَام بنِ عُثمان؟ فقال: ليس بثقة. وسألتُ مالكاً عن هؤلاء الخمسة؟ فقال: ليسوا بثقة في حديثهم^(٢)).

- قال بشر بن عُمَر: (نَهاني مالكُ بن أنسٍ عن إبراهيم بن أبي يحيى، قلتُ: من أجل القَدَر تنهاني عنه؟ قال: ليس في دينه بذلك).

وقال يحيى بن سعيد القَطَّان: (سألتُ مالكَ بن أنسٍ عن إبراهيم بن أبي يحيى أكان ثقة؟ قال: لا، ولا ثقة في دينه)^(٣).

- وقال عُمَر بن عبد الواحد: (قلتُ لمالكِ بن أنسٍ. يا أبا عبد الله، ابنُ سَمْعَانَ تعرِّفه؟ قال: نعم أعرفُه، كان كذاباً)^(٤).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٦٨٤، وبرواية صالح: رقم ١، وسؤالات أبي داود لأحمد: رقم ١٣٤، مقدمة صحيح مسلم، ص ١٧، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٣٩/٥، المحدث الفاضل: رقم ٨٥٠، ٨٥١، وألفاظهم متقاربة.

(٢) مقدمة صحيح مسلم، ص ٢٦، مقدمة الجرح والتعديل ٢٤/١، وانظر: المعرفة والتاريخ ٣١/٣، ٣٣. وهناك رواية أخرى عن حبيب كاتب مالك، في: المعرفة والتاريخ ٣٢٢/٣ - ٣٣، مقدمة الكامل ٩٢ - ٩٣، تهذيب الكمال ١١١/٢٧ - ١١٢.

(٣) الجرح والتعديل ١٢٦/٢، وتقدمته ١٩/١.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٠١/١، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٣٧٩. وابن سمعان: هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي.

- وقال عبد الرحمن بن القاسم: (سألت مالكا عن ابن سمعان؟ فقال: كذاب. قلت: فيزيد بن عياض؟ قال: أكذب وأكذب^(١)).

- وروى عبد الله بن إدريس، عن مالك أنه قال في محمد بن إسحاق: (دَجَالٌ مِنَ الدَّجَايِلَةِ)^(٢).

قلت: قد أوسعنا القول في ترجمة الإمام ابن إسحاق في ردِّ هذا، وأنه من كلام الأقران ببعضهم؛ فلا يُعتدُّ به.

** قال بشر بن عمر: سمعت مالكا، يقول: (كنتُ إذا سمعتُ نافعاً يحدثُ عن ابن عمر، لا أبالي ألا أسمعهُ من غيره)^(٣).

- وقال عبد الرحمن بن القاسم: سمعت مالكا، يقول: (بقي ابنُ شهاب وما لهُ في الدنيا نظيرٌ)^(٤).

- وقال عبد الله بن مسلمة القَعْنَبِيُّ: (كان مالك يُثني على مسلم بن أبي مريم، وقال: كان لا يكادُ يرفعُ حديثاً إلى النبي ﷺ)^(٥).

- وقال خالد بن نزار: (قال لي مالك بن أنس: ما فعل القاسم بن مَبْرُور؟ قلت: توفي. قال: كنتُ أحسب أنه يكون خلفاً من الأوزاعي)^(٦).

- وقال عبد الله بن وهب: حدَّثني مالك بن أنس، قال: (حدَّثني مَخْرَمَةُ بن بُكَيْرٍ، وكان رجلاً صالحاً)^(٧).

(١) المعرفة والتاريخ ٦٩٩/١، الجرح والتعديل ٢٨٣/٩، وفي تقدمته ٢١/١ سؤاله عن ابن سمعان فقط.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٠/١.

(٥) الجرح والتعديل ١٩٦/٨ وتقدمته ١٩/١.

(٦) الجرح والتعديل ١٢١/٧، تقدمته ٢٠/١ - ٢١. والقاسم من رجال التهذيب.

(٧) مقدمة الجرح والتعديل ٢١/١. وانظر: الجرح ٣٦٣/٨.



- وقال أحمد بن صالح: سمعت ابن وهب، يقول: (ما ذكر مالك بكثير بن الأشج إلا قال: كان من العلماء)^(١).

- وقال إبراهيم بن المنذر: حدثني مطرف ومعن ومحمد بن الضحّاك، قالوا: (كان مالك إذا سُئِلَ عن المغازي؟ قال: عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة؛ فإنه أصحّ المغازي)^(٢).

- وقال سلمة بن عيد سعيد: (قال مالك، وذُكر عنده الأوزاعي، فقال: كان إماماً يُقتدى به)^(٣).

- وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: (كان مالك بن أنس يُوثق الدرّاوردي)^(٤).

- وقال الشافعي: (سئل مالك بن أنس عن ابن شبرمة؟ فقال: كان مُقارباً. وسئل عن عثمان البتي؟ فقال: كان مُقارباً)^(٥).

وهذا باب واسع، اكتفينا بالإلماعة إليه.

متانة حفظه، وكثرة حديثه:

** قال نصر بن علي: حدثنا حسين بن عروة، عن مالك بن أنس قال: (قدِمَ علينا الزهري، فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدّثنا نيّفاً وأربعين حديثاً، ثم

(١) الجرح والتعديل ٤٠٣/٢، تقدمته ٢١/١، تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٤٢٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٧٤/٣، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٥١، وبأخصر منه في: مقدمة الجرح والتعديل ٢٢/١.

(٣) تاريخ أبي زرة الدمشقي، ص ٤٤٠.

(٤) الجرح والتعديل ٣٩٥/٥، وتقدمته ٢٢/١. والدرّاوردي هو عبد العزيز بن محمد.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٥/١. وابن شبرمة هو عبد الله، والبتي هو عثمان بن مسلم، وهما ثقتان؛ كما نعلم من النظر في أقوال الأئمة فيهما.

أتيناه الغد، فقال: انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه، رأيتم ما حَدَّثُكُمْ به أمس، أي شيء في أيديكم منه؟ قال: فقال له ربيعة: هاهنا من يَرُدُّ عليك ما حَدَّثْتَ به أمس، قال: ومن هو؟ قال: ابنُ أبي عامر، قال هات، قال: فحدَّثته بأربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنتُ أرى أنه بقي أحدٌ يحفظ هذا غيري^(١).

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي: حدثنا عتيق بن يعقوب، قال: سميت مالكا، يقول: (حدَّثنا ابنُ شهاب ببضعةٍ وأربعين حديثاً، ثم قال: إِيها، أعدها عليّ، فأعدتُ عليه أربعين حديثاً وأسقطتُ البضعة)^(٢).

وعن مالك قال: (شهدتُ العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفتُ من المصلّى حتى جلستُ على بابهِ، فسمعتُهُ يقول لجاريتهِ: انظري مَنْ على الباب، فنظرتُ، فسمعتُها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخِليه، فدخلتُ، فقال: ما أراك انصرفتِ بعدُ إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلتَ شيئاً؟ قلتُ: لا، قال: فاطعمم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدّثني، فحدّثني سبعة عشر حديثاً، ثم قال: وما ينفَعُك إن حدّثتُك ولا تحفظُها؟ قلت: إن شئتَ ردّذُتها عليك، فردّذُتها عليه). وفي رواية: (قال لي: هات، فأخرجت ألواحي، فحدّثني بأربعين حديثاً، فقلت: زدني، قال حسبك، إن كنتَ رويتَ هذه الأحاديثَ فأنت من الحفاظ، قلت: قد رويتُها، فجبذ الألواح من يدي، ثم قال: حدّث، فحدّثته بها، فردّها إليّ وقال: فم أنت من أوعية العلم، أو قال: إنك لِنِعَم المستودع للعلم)^(٣).

(١) الانتقاء، ص ٤٩، ترتيب المدارك ١٢١/١، سير أعلام النبلاء ٧٢/٨.

(٢) الانتقاء، ص ٥٠، سير أعلام النبلاء ٧٢/٨.

(٣) ترتيب المدارك ١٢١/١ - ١٢٢.

قال عباس بن عبد العظيم: (قيل ليحيى بن سعيد القطان: أمالكُ كان أحفظَ أم سفيانُ؟ قال: مالكُ، ما سألتُ مالكاَ عن حديثٍ فقال: أنظرُ، قال: وقد كنتُ أسألُ سفيانَ، فيقول: حتى أنظرُ)^(١).

وقال أبو قدامة عُبَيْدُ اللَّهِ بن سعيد السَّرْحَسِيِّ: (كان مالكُ بن أنسٍ أحفظَ أهلِ زمانه)^(٢).

•• قال علي بن المديني: (نظرتُ فإذا الإسنادُ يدور على ستة، ثم صار علمُ هؤلاء الستة إلى أصحاب التصانيف ممن صَنَّفَ، فمن أهل الحجاز: مالكُ بن أنسٍ، وابن جُرَيْجٍ، وسفيانُ بن عُيينة، ومحمدُ بن إسحاق)^(٣).

وقال البخاريُّ، عن علي بن المديني: (لمالكُ نحوُّ من ألفِ حديثٍ). وعقَّبَ الذهبيُّ على هذا فقال: (قلت: أراد ما اشتَهَرَ له في «الموطأ» وغيره، وإلا فعنده شيءٌ كثيرٌ، ما كان يفعلُ أن يَروِيَه)^(٤).

قال سعيد بن داود بن سعيد بن أبي زَنْبَرٍ: سمعتُ مالكاَ، يقول: (كتبتُ بيدي مئةَ ألفِ حديثٍ)^(٥).

وقال أحمد بن صالح: (نظرتُ في أصولِ كُتُبِ مالكٍ؛ فإذا شبيهةٌ باثني عشرَ ألفَ حديثٍ)^(٦).

(١) المعرفة والتاريخ ٦٨٢/١. وسفيان هو الثوري.

(٢) الانتقاء، ص ٦٢.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١٧/١، وانظر، ص ١٢٩ ففيه ذكر الستة الذين يدور عليهم الإسناد، وهم: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش. وقد ترجمنا لهؤلاء الأكابر، والله الحمد.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧٣/٨.

(٥) ترتيب المدارك ١٢١/١.

(٦) ترتيب المدارك ١٢١/١، ١٤٩.

وقال أحمد بن صالح: (أخرج إليّ ابن أبي أويس سماع مالك من الزهري، فإذا نحو ثلاثمئة وخمسين حديثاً. وأخرج إليّ كتاب مالك في قراطيس، غير كتاب ابن شهاب، فقدرنا ذلك بنحو من عشرة آلاف حديث)^(١).

قلت: فهذه الأخبار تؤيد ما قاله الذهبي، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الكلام على «الموطأ» وتصنيفه وعدد أحاديثه.

درجة حديثه في نافع:

- قال عبد الرحمن بن مهدي: (قال وَهَيْبُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: لَمْ أَرِ أَرَوَى عَنِ نَافِعٍ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ كَانَ حَافِظًا، فَقَالَ مَالِكٌ: صَدَقْتَ. قَالَ وَهَيْبٌ: وَقُلْتُ لَهُ: لَمْ أَرِ أَثْبَتَ عَنِ نَافِعٍ مِنْ أَيُّوبَ، فَضَحِكَ مَالِكٌ؛ أَيُّ: كَأَنَّهُ يَرِيدُ مَالِكًا نَفْسَهُ)^(٢).

- قال عمرو بن علي الفلاس: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: (مالكٌ في نافع أثبت من عبید الله، ومن موسى بن عُبَيْة، ومن إسماعيل بن أمية)^(٣).

- قال أبو زرعة الدمشقي: سمعت سليمان بن حرب، يقول: (قال يحيى وعبد الرحمن بن مهدي: عبید الله ومالك أثبت من أيوب في نافع - على التعجب -)^(٤).

(١) ترتيب المدارك ١٤٩/١. وثمّ عدة أخبار عن كثرة حديث مالك.

(٢) الجرح والتعديل ٢٥٥/٢ - ٢٥٦، مقدمة ١٩/١.

(٣) الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، تقدمته ١٥/١، الانتقاء، ص ٦٢.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٣٨.

- قال عثمان بن سعيد الدارمي: (قلت ليحيى: فمالكٌ أَحَبُّ إليك عن نافع أو عُبيد الله؟ فقال: كلاهما، ولم يُفَضَّلْ)^(١).

وروى إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين أنه قال: (مالك بن أنس ثقة، وهو أثبتُّ في نافع من أيوب، وعُبيد الله بن عمر، وليث بن سعد، وغيرهم)^(٢).

- قال أبو حاتم الرازي: (سُئِلَ علي بن المديني: مَنْ أثبتُّ أصحابِ نافع؟ فقال: مالكٌ وإتقانه، وأيوبُ وفضله، وعُبيد الله وحِفْظُه)^(٣).

- قال أبو داود السجستاني: (قلتُ لأحمد: أصحابُ نافع؟ قال: أعلمُ الناسَ بنافعِ عُبيدِ الله وأرواهم. قلت: فبعده مالكٌ؟ قال: أيوبُ أقدم، قلت: تُقدِّمُ أيوبَ على مالكٍ؟ قال: نعم)^(٤).

وقال أحمد بن حنبل: (أصحابُ نافع ثلاثةٌ: مالك، وأيوب، وعُبيد الله بن عمر، وأعلمُهم بنافع عُبيد الله بنُ عمر وهو أقدّمُهم به، وبعده هؤلاء الثلاثة في نافع ابنُ جُرَيْج)^(٥).

في الزهري:

- قال هارون بن معروف: قال ابن المبارك: (أصحابُ الزهري ثلاثةٌ: مالك، وسفيان بن عُيينة، ومَعْمَر)^(٦).

(١) تاريخ الدارمي: رقم ٥٢٥.

(٢) الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، تقدمته ١٦/١، وانظر روايات أخرى من عدة طرق في: الانتقاء، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) الجرح والتعديل ٢٥٦/٢، تقدمته ١٧/١، الانتقاء، ص ٦٥.

(٤) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ١٧٤، وبأخصر منه في العلل برواية المروزي: رقم ٤٠، وبأطول

في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٤٣٨.

(٥) الانتقاء، ص ٦٣.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ١٦/١.

- قال ابن المَدِينِي: قال يحيى بن سعيد القَطَّان: (أصحابُ الزهري: مالكٌ - فبدأ به - ثم سفيان بن عُيينة، ثم مَعْمَر. قال: وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يُقدِّم على مالك أحداً)^(١).

- قال عثمان بن سعيد الدَّارِمِي: (سألتُ يحيى بنَ معينَ عن أصحابِ الزهري، قلت له: مَعْمَرُ أَحَبُّ إِلَيْكَ فِي الزهريِّ أَوْ مالِكُ؟ فقال: مالك. قلت: فيونسُ أَحَبُّ إِلَيْكَ، وَعُقَيْلٌ، أَمْ مالِكُ؟ فقال: مالك)^(٢).

وقال ابن الجُنَيْدِ: (سمعتُ يحيى بن معين يقول: وأصحابُ الزهري: شعيب، ومَعْمَر، وَعُقَيْلٌ، ويونس، والأوزاعيُّ. قال رجل ليحيى: فمالكُ بن أنس؟ قال: ذلك من أرفعهم)^(٣).

وقال ابن أبي خَيْثَمَةَ: (وحدَّثنا إبراهيمُ بن المنذر قال: سمعتُ سفيان بنَ عُيينة، يقول: أَخَذَ مالِكٌ ومَعْمَرُ عن الزهريِّ عَرَضاً، وأخذتُ سَمَاعاً. فقال يحيى بن معين: لو أخذنا كتاباً كانا أثبتَ منه)^(٤).

وقال عثمان بن سعيد الدَّارِمِي: (قلت ليحيى بن معين: بعضُ الناس يقولون: سفيانُ بن عُيينة أثبتُ الناس في الزهري؟ فقال: إنما يقول ذلك مَنْ سمع منه، وأيُّ شيء كان سفيان؟! إنما كان غُلِيماً أيام الزهري)^(٥).

(١) تهذيب الكمال ١١٣/٢٧.

(٢) تاريخ الدارمي: رقم ١، ٢.

(٣) سؤالات ابن الجنيد: رقم ٥٤٥. وانظر أقوالاً أخرى لابن معين في: تاريخ الدوري ٥٤٣/٢، سؤالات ابن طهمان ١٣٨، ٤٠٠، سؤالات ابن الجنيد ١٥٦، الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، تقدمته ١٦/١، ١٧.

(٤) التعديل والتجريح ٧٦٤/٢.

(٥) تاريخ الدارمي: رقم ٤، التعديل والتجريح ٧٦٥/٢.

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: أيما أثبت أصحاب الزهري؟ فقال: لكل واحدٍ منهم علة، إلا أن يونس وعقيلاً يؤديان الألفاظ وشعيب بن أبي حمزة، وليس هم مثل معمر، معمر يُقارِبُهُم في الإسناد. قلت: فمالك؟ قال: مالك أثبت في كل شيء، ولكن هؤلاء الكثرة، كم عند مالك؟! ثلاثمئة حديث أو نحو ذا)^(١).

وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: (مالك بن أنس أحسن حديثاً عن الزهري من ابن عيينة، قلت: فمعمر؟ قال: مالك أتقن، ومعمر أكثر حديثاً عن الزهري)^(٢).

- قال عمرو بن علي الفلاس: (أثبت من روى عن الزهري ممن لا يُخْتَلَف فيه: مالك بن أنس)^(٣).

- قال أبو حاتم الرّازي: (مالك أثبت أصحاب الزهري، وإذا خالفتوا مالكا من أهل الحجاز حِكَمَ لمالك، وهو أقوى في الزهري من ابن عيينة وأقل خطأ منه، وأقوى من معمر، وابن أبي ذئب)^(٤).

أصحاب مالك وأثبتهم فيه:

- قال أبو طالب: (سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن مطرف؟ فقال: كانوا يُقدّمونه على أصحاب مالك)^(٥).

(١) العلل: رقم ٢٥٤٣ والخير طويل، وأورده مختصراً ابن أبي حاتم في: الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، وتقدمته ١٥/١.

(٢) الانتقاء، ص ٦٣، وبنحوه من طريق آخر في: الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، تقدمته ١٥/١.

(٣) الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، تقدمته ١٦/١.

(٤) الجرح والتعديل ٢٠٦/٨، تقدمته ١٧/١.

(٥) المعرفة والتاريخ ١٧٦/٢. ومطرف هو ابن عبد الله اليساري.

- وقال عثمان بن سعيد الدارمي: (سمعت علي بن المديني، وذكر عنده أصحاب مالك، فقيل له: معن، ثم القعبي؟ فقال: لا، بل القعبي، ثم معن)^(١).

- وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي، يقول: (أثبت أصحاب مالك وأوثقهم معن بن عيسى القرزاز، هو أحب إلي من عبد الله بن نافع الصائغ ومن ابن وهب)^(٢).

- وقال ابن سعد: (عبد الله بن نافع الصائغ، وكان قد لزم مالك بن أنس لزوماً شديداً، وكان لا يُقدّم عليه أحداً، وهو دون معن)^(٣).

أصح الأسانيد:

قال محمد بن إسحاق السراج، سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن أصح الأسانيد؟ فقال: مالك، عن نافع، عن ابن عمر^(٤).

قال العلامة المُحدِّث أحمد محمد شاكر: (الذي انتهى إليه التحقيق في أصح الأسانيد: أنه لا يُحكّم لإسنادٍ بذلك مُطلقاً من غير قيد، بل يُقَيّد بالصحابي أو البلد)^(٥).

من أقواله في علوم الحديث:

قال أحمد بن عبد الرحمن الوهبي: حدّثني عمّي عبد الله بن وهب

(١) سؤالات السجزي لأبي عبد الله الحاكم: رقم ٣٠٩.

(٢) الجرح والتعديل ٢٧٨/٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٤٣٨/٥.

(٤) تهذيب الكمال ١١٠/٢٧، سير أعلام النبلاء ١١٤/٨.

(٥) الباعث الحثيث، ص ٢١.

قال: (قيلَ لمالك: ما قُرئَ على العالم يقول فيه: حَدَّثنا؟ قال: نعم) (١).

وقال يونس بن عبد الأعلى: حَدَّثنا ابنُ وهب، قال: (قلتُ لمالك: إذا قرأنا عليك ما نقول؟ قال: قُلْ: حَدَّثنا مالكُ بن أنس، أليس الرجلُ يقرأ القرآنَ فيقول: أقرأني فلان؟! (٢)).

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: (صَحِبْتُ مالكاَ سبعَ عشرةَ سنة، فما رأيتهُ قرأ «الموطأ» على أحدٍ، وسمعتُه يَأبَى أشدَّ الإباءِ على مَنْ يقول: لا يُجزِيه إلا السماعُ، ويقول: كيف لا يُجزِيك هذا في الحديثِ ويُجزِيك في القرآن، والقرآنُ أعظمُ؟! وكيف لا يُقْنِعُك أن تأخذه عَرْضاً والمحدث أخذَه عَرْضاً؟! ولمَ لا تجوزَ لتفْسِك أن تَعْرِض أنتَ كما عَرَض هو؟! (٣)).

وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر: (لَمَّا عَرَضنا «الموطأ» على مالك، قال له رجلٌ من أهل المغرب: يا أبا عبد الله، أَحَدْتُ بهذا عنك؟ فقال: نعم، قال: وأقول: حَدَّثني مالكُ؟ قال: نعم، أما رأيْتني فَرَعْتُ نفسي لكم، وسمعتُ إلى عَرَضِكُمْ، وأقمتُ سَقَطَه وزَلَلَه؟ فَمَنْ حَدَّثكم غيري؟! نعم حَدَّث بهذا عَنِّي، وقُلْ: حَدَّثني مالكُ) (٤).

وقال بُنْدَار: حَدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: سمعت مالكاَ، يقول: (القراءةُ والسَّماعُ سَوَاءٌ) (٥).

(١) المحدث الفاصل: رقم ٤٦٠، وبنحوه من طريق ابن مهدي في الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١٦٣.

(٢) التقييد لابن نقطة: ٢٣٤/٢.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٨، معرفة علوم الحديث، ص ٢٥٩ واللفظ له.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٢٨/٢، وبنحوه في: الجامع لأخلاق الراوي، رقم ١١٦٤، ١١٦٥، وانظر: علل

أحمد برواية عبد الله، رقم ٥٤٢٥، والمحدث الفاصل، رقم ٤٥٦، ٤٥٩.

(٥) علقه البخاري في «كتاب العلم - باب ٦» الفتح ١٤٨/١، ووصله الدارمي في سننه: رقم ٦٤٠،

والرامهرمزي في المحدث الفاصل: رقم ٤٥٧، وغيرهما.



وفي رواية عن مالك قال: (ليس العَرَضُ عندنا بأدنى من السَّماع)^(١). قال إسماعيل بن أبي أُويس: (سألتُ مالكا عن أَصَحِّ السَّماعِ؟ فقال: قراءتُكَ على العالم - أو قال: المحدث - ثم قراءة المحدثِ عليك، ثم أن يَدْفَعُ إليك كتابَه فيقول: ارو هذا عني. فقلت لمالك: أقرأ عليك وأقول: حَدَّثني؟ قال: أو لم يَقُلِ ابنُ عباس: أقراني أبيُّ بنُ كعب، وإنما قرأ على أبيِّ؟!)^(٢).

قال الحافظ: (بالغِ بعضُ المدنيِّين وغيرهم فقالوا: إن القراءة على الشيخ أرفعُ من السَّماع من لفظه، ونقله الدَّارِقُطني في «غرائب مالك» عنه، ونقله الخطيب بأسانيد صحيحة عن شعبة وابن أبي ذئب ويحيى القطان. واعتلوا بأن الشيخ لو سَهَا لم يتهيأ للطالب الرُدُّ عليه. وعن أبي عبيد قال: القراءة عليَّ أثبتُّ وأفهمُ لي من أن أتولَّى القراءة أنا. والمعروف عن مالك كما نقله المصنِّف^(٣) عنه وعن سفيان - وهو الثوري - أنهما سَوَاءٌ. والمشهورُ الذي عليه الجمهورُ أن السَّماعَ من لفظِ الشيخ أرفعُ رتبةً من القراءة عليه، ما لم يَعْرض عارضٌ يُصَيِّرُ القراءة عليه أولى، ومَن ثَمَّ كان السَّماعُ من لفظه في الإملاء أرفعَ الدرجات؛ لِمَا يَلزَمُ منه من تحرُّزِ الشيخ والطالب. والله أعلم)^(٤).

الفقيه:

الإمام مالك أحدُ أكابر فقهاء الأمة، ومن الرؤوس الذين أَعْنُوا الفقه

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٧، معرفة علوم الحديث، ص ٢٥٩، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٠٣.

(٢) المحدث الفاضل: رقم ٥٠٦.

(٣) يعني البخاري.

(٤) فتح الباري ١٥٠/١، كتاب العلم، باب (٦). وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح،

ص ١٣٧ - ١٣٨ «النوع ٢٤»، وغيره من كتب الفن في هذا الباب.

الإسلامي، هيأ الله له من الشيوخ والأساتيد وأوعية العلم والفقهاء؛ ما مكّنه أن يتخرّج بهم ويبيّر نظراءه بل أشياخه. ومن أرفع من تأثر بهم في هذا الميدان: الحافظ الفقيه المجتهد ربيعة الرأي، الذي قال فيه مالك: (ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة)، وقد برز تأثيره في مالك في الفقه والاستنباط والأصول التي بنى عليها مذهبه وجعلها أساساً لفقهه. وكذلك تأثر أيما تأثر بابن هُرْمُز، والزهرّي، وأبي الزناد، ومن في هذه الحلبة.

وأقبل على أئمة عصره ينهل ما وعّوه من حديث، وما تناهى إليهم من فقه، فجمع العلم بكتاب الله وأحكامه، وروى حديثاً كثيراً جداً، فكان بهما إماماً، وورث الكثير من علم الصحابة وأكابر التابعين والفقهاء السبعة وأقوالهم وفتاويهم وآرائهم، وضمّ إلى ذلك علم الواردين إلى الحجاز وفقههم، فتحصّل لديه علمٌ غزير وفقهٌ واسع كبير، حتى أضحي فقيه دار الهجرة، والإمام المشار إليه، والعالم الذي يقصده الطالبون والمستفتون، ولا يزال يترقى في نبوغه في الفقه والفتيا، حتى كان المنادي يُنادي في المدينة: (لا يُفتي إلا مالك وابنُ الماجشون).

وهيأ الله لمالك من الأتباع والتلاميذ والأصحاب علماء كباراً، وفقهاء أجلاء، حفظوا علمه ودونوه، وأصلّوا عليه ووسّعوه، ونشروه في الآفاق، ونقلوه إلى من بعدهم، وبذلك حفظ الله علم مالك وفقهه، وصار مذهبه أحد المذاهب الإسلامية الفقهية الأربعة، التي عليها مدارُ فقه عامة هذه الأمة.

ولقد كان في عصر مالك علماء كبار، من أساطين الفقه والرواية، نظراء له في العلم والجلالة، كالأوزاعي والثوري والليث، وبقي الناس يأخذون بأقوالهم، وينشرون آراءهم، ويتبعون مذهبهم زمناً، لكنهم لم يستمرّوا على ذلك، ولم يقم أصحابهم بهم كما قام أصحاب مالك به،

فتلاشى أتباعهم، وماتت مذاهبهم، ولا توجد أقوالهم إلا في كتب الفروع والأمهات.

وكما كان مالك متحرّياً في الحديث منتقياً للرّجال، كذلك كان شديد التحري في الفقه، كثير الاحتياط في الفتيا، يُكثِر من قول: (لا أدري)، ولا يجد في هذا حَرَجاً ولا غَضَاضَةً، مقتدياً في هذا بأشياخه وأسلافه الصالحين من علماء الدين.

وتصدّر للفتيا وهو شابٌّ، وشهد له سبعون بالأهلية لهذا المنصب الجليل، وكانت له حلقة في حياة أشياخه.

وقد بالغ الأتباع في مدح مالك في هذا الجانب، وزعم بعضهم أنه جلس للناس وهو ابنُ سبعِ عشرة سنة، وقدّموه على بعض الأئمة الذين هم أقدمُ وفاةً منه وأعلى طبقة، وهكذا شأن المحبّين يُبالغون في إمامهم، فيجعلون من المستحيل ممكناً، ومن البعيد قريباً.

قال سفيان بن عيينة: (جلس مالك للناس وهو ابن سبع عشر سنة)، وذكر القاضي عياض روايات أخرى - سنورها - وقال: هذا كله صحيح^(١).

قلت: أما هذه الرواية فليست بصحيحة، ولا هي مقبولة ولا معقولة، فلقد قال الذهبي في صدر ترجمة مالك: (طلب العلم وهو حَدَثٌ بُعِيد موت القاسم وسالم). وقال في موضع آخر: (وطلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة)^(٢). وسالم توفي سنة (١٠٦هـ)، والقاسم توفي سنة (١٠٧هـ)، ومالك ولد سنة (٩٣هـ)؛ فيكون عمره عند طلبه العلم نحو أربع عشرة سنة، وقد انقطع إلى ابن هُرْمُز ولم يخلطه بغيره سبع - أو ثمان -

(١) ترتيب المدارك ١/١٢٥، ١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٤٩، ٥٥.

سنين، وفي رواية أنه اختلف إليه ثلاث عشرة سنة، فيكون عمره إذ ذاك زهاء إحدى وعشرين سنة في أقل تقدير، ثم التقى بنافع والزهري وربيعه مدة، فيكون سنه بضعاً وعشرين سنة، ويؤيد هذا الروايتان التاليتان اللتان سنوردهما.

وبكل حال فإن الإمام مالكا تبغ في العلم مبكراً، وجلس للناس وأفتاهم، وهو في سن دون السن التي يكون الرجل فيها صالحاً للفتوى ونشر العلم.

** روى عبد الله بن يوسف، عن خلف بن عمر قال: سمعت مالك بن أنس، يقول: (ما أجبْتُ في الفتيا حتى سألتُ من هو أعلمُ مِنِّي: هل تراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك. فقلت: يا أبا عبد الله، فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه)^(١).

وقال أبو مِصْعَبٍ أحمد بن أبي بكر الزهري: سمعت مالك بن أنس، يقول: (ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون أنني أهلٌ لذلك)^(٢).

وقال وهب بن جرير وغيره، عن شعبة، يقول: (قَدِمْتُ المدينةَ بعد موتِ نافعِ بسنةٍ، ولمالكِ يومئذٍ حلقة)^(٣).

(١) الحلية ٣١٦/٦ - ٣١٧، صفة الصفوة ١٧٧/٢، سير أعلام النبلاء ٦٢/٨.

(٢) الحلية ٣١٦/٦، صفة الصفوة ١٧٧/٢، سير أعلام النبلاء ٩٦/٨.

(٣) التاريخ الكبير ٣١٠/٧، التاريخ الأوسط ٤٢٦/١، المعرفة والتاريخ ٦٨٢/١، الجرح والتعديل ٢٠٥/٨، مقدمة الكامل، ص ٩٢، الحلية ٣١٩/٦، الانتقاء، ص ٥٤، سير أعلام النبلاء ٧٤/٨، ٩٦، ١٢٧. وفي رواية عن شعبة قال: (دخلت المدينة ونافع حي، ولمالك حلقة)، مقدمة الجرح والتعديل ٢٦/١. ونحوها عن أيوب السخيتاني؛ انظر: الإرشاد ٢٨٤/١، والانتقاء ٥٤، وأنكر ذلك الإمام أحمد: سؤالات أبي داود، رقم ١٩٩.

ومولد مالك سنة (٩٣هـ)، ووفاة نافع سنة (١١٧هـ)، فيكون عمر مالك نحو خمس وعشرين سنة عندئذٍ.

قال علي بن المديني: (قلت لسفيان بن عيينة: رأيت مالكا وهو يُفتي؟ قال: نعم، رأيتُه جاء إلى الزهري سنة ثلاث وعشرين، وأحسب ما بلغ ثلاثين، قال علي: فحسبنا سِنَّ مالك تلك الساعة، فقلت لسفيان: كان ابن ثمانٍ وعشرين، قال: نعم، ولكنه قد كان جالساً نافعاً قبل ذلك)^(١).

وقال ابن المنذر: (أفتى مالك في حياة نافع وزيد بن أسلم).

وقال ابن عبد الحكيم: (أفتى مالك مع يحيى بن سعيد)^(٢).

وروى أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، عن مصعب الزبيري، قال: (كان مالك بن أنس يجلس إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وعنه أخذ مالك بن أنس العلم، ثم اعتزله فجلس إليه أكثر مَنْ كان يجلس إلى ربيعة، فكانت حلقة مالك في زمن ربيعة مثل حلقة ربيعة وأكثر، وأفتى مع ربيعة عند السلطان)^(٣).

وقال مطرف: حَدَّثَنَا مالك، قال: (لَمَّا أَجْمَعْتُ تحويلاً عن مجلس ربيعة، جلستُ أنا وسليمان بن بلال في ناحية المسجد، فلما قام ربيعة بن أبي عبد الرحمن من مجلسه عدلَ إلينا، فقال: يا مالك، تلعب بنفسك، زفقتَ وصفقتَ لك سليمان بن بلال، أبلغتَ إلى أن تتخذ مجلساً لنفسك؟! ارجع إلى مجلسك)^(٤).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦/١ - ٢٧.

(٢) ترتيب المدارك ١٢٥/١.

(٣) الانتقاء، ص ٧٤.

(٤) الانتقاء، ص ٧٤ - ٧٥، سير أعلام النبلاء ٧٧/٨. وزفقت: أي زفقت.

قلت: توفي ربيعة وزيد سنة (١٣٦هـ)، وعمر مالك ثلاث وأربعون سنة، وتوفي يحيى بن سعيد سنة (١٤٣هـ)، وسن مالك خمسون سنة. وكل هذه الروايات صحيحة ومقبولة، في تحديد السن التي تأهل فيها مالك للفتيا، وأصبحت له حلقة في حياة أشياخه، وهي ترد الرواية السابقة القائلة بأنه جلس للفتيا وهو ابن سبع عشرة سنة.

** قال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر: حدثني إبراهيم بن صالح - وكان ثقة - عن ابن لهيعة، قال: (قَدِمَ علينا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل سنة - قال ابن بُكَيْر أظنه - أربع وثلاثين ومئة أو نحو ذلك، فقلنا له: هذا يحيى بن سعيد بالعراق، فمن تعدونه للفتيا بعد ربيعة؟ قال: شاب من ذِي أَصْبَح، يُقال له: مالك بن أنس)^(١).

وقال ابن وهب: (حَجَجْتُ سنة ثمان وأربعين ومئة، وصائح يَصِيحُ؛ لا يُفتي الناسَ إلا مالكُ بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون)^(٢).

** قال عبد الله بن شَبُويَه: (سُئِلَ عبد الرحمن بن مهدي: مَنْ أَعْلَمُ؛ مالكٌ أو أبو حنيفة؟ فقال: مالكٌ أَعْلَمُ من أستاذِ أبي حنيفة - يعني: حمادَ بنَ أبي سليمان - . قال ابنُ مهدي: ومالكٌ أَعْلَمُ عندي من الحَكَمِ وحمّاد)^(٣).

(١) المعرفة والتاريخ ٦٨٢/١، وبنحوه في الانتقاء، ص ٥٩، وترتيب المدارك ١٢٩/١، وانظر: مقدمة الجرح والتعديل ١١١/١، وتهذيب الكمال ١١٣/٢٧ - ١١٤. وأبو الأسود هو الذي يقال له: يتيم عروة، وهو من جَلَّةِ شيوخ مالك.

(٢) التعديل والتجريح ٧٦٦/٢، سير أعلام النبلاء ١٠٨/٨.

(٣) الانتقاء، ص ٦٢ - ٦٣، وفي مقدمة الجرح والتعديل ١٢/١ الجملة الأخيرة.

قلت: الحَكَم بن عُنَيْبَة وحمّاد بن أبي سليمان من طبقة شيوخ مالك، والصواب أن يُقارَن الرجل بأهل طبقتهم، والحَكَم من الحفاظ الفقهاء، وقد قال الأوزاعي: (قال لي يحيى بن أبي كثير ونحن بمِنَى: لقيت الحَكَم بن عُنَيْبَة؟ قلت: نعم، قال: ما بين لابتئنها أحدٌ أفقه منه. قال: وبها عطاءٌ وأصحابه). وحمّاد كان فقيه العراق في عصره، وهو أفقه أصحاب إبراهيم النخعي.

قال أبو بكر ابنُ أخت مروان الفَزَارِيّ: سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: (إذا لم يكن في الحديث إلا الرأْي، فرأْيُ مالك)^(١).

وقال عبد السلام بن عاصم: (قلتُ لأحمد بن حنبل: رجلٌ يحبُّ أن يحفظَ حديثَ رجلٍ بعينه، حديثٌ من ترى يحفظُ؟ قال: يحفظُ حديثَ مالك. قلت: فيريدُ ينظرُ في الرأْي، رأْي من ترى ينظرُ؟ قال: رأْي مالك)^(٢).

وقال أبو داود السَّجِسْتَانِيّ: سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: (مالكُ بن أنس أتبعُ من سفيان)^(٣).

أصول مذهب مالك:

قال الدكتور مصطفى السَّبَاعِيّ رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة مالك من كتابه القيم «السُّنَّة ومكانتها في التشريع». (عُرف مالك رَحِمَهُ اللهُ بالفقه والحديث معاً، وقد عُرف باحتجاجه بالمُرْسَل كأبي حنيفة، وقد أخرج من المراسيل عدداً

(١) مقدمة الجرح والتعديل ١٦/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١٦/١، ترتيب المدارك ١١٣/١، سير أعلام النبلاء ١١١/٨، وبأخصر منه في الانتقاء، ص ٦٤.

(٣) الانتقاء، ص ٦٣، ترتيب المدارك ١٣٢/١.

في «موطئه»، وكانت أصول مذهبه هي الأصول المعتمدة لدى الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وزاد عليها شيئين: عمل أهل المدينة، والمصالح المرسلة، أما هذه الأخيرة فقد قال بها أكثر الأئمة، وأما عمل أهل المدينة فقد اعتبره حجة دالة على ما كان عليه النبي ﷺ من فعل أو حال، ولا يعتبر عملهم حجة إلا إذا كانوا مجتمعين عليه متوارثين العمل به جيلاً بعد جيل حتى عهد الرسول الكريم، وهو يرى أنهم لا يلتزمون أمراً ويعملون به جميعاً إلا إذا كان أمراً مشروعاً عمل به الصحابة في عهد الرسول وأقرهم عليه، ثم توارثه من بعدهم ودرجوا عليه.

وعمل أهل المدينة عنده أقوى من حديث الأحاد، فإذا تعارض خبر الواحد مع عمل أهل المدينة، رجح الثاني، ومن هنا استدرك عليه الليث بن سعد سبعين سنة ترك الأخذ بها وهي في «موطئه».

ولم يوافق بقية الأئمة والعلماء من بعده على هذا، وممن ناقشه في ذلك الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، وتتالي العلماء من بعده يناقشونه في ذلك، ومن أشهر من رد حجة عمل أهل المدينة ابن حزم، فقد ناقشه في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» نقاشاً قوياً، وكذلك رد عليه في بحوث متفرقة من كتابه «المحلى»، وهو شديد الوطأة في نقاشه العلمي مع كل من يخالفهم^(١).

وقد أخصى القرافي أصول المذهب المالكي، وذكر أن هذه الأصول هي: القرآن، والسنة، والإجماع، وإجماع أهل المدينة، والقياس، وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة، والعرف، والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب، والاستحسان.

(١) السنة ومكانتها في التشريع، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

وكتب الإمام مالك إلى الليث بن سعد رسالةً يَحْمِلُهُ فيها على متابعة أهل المدينة وعدم مخالفتهم، فأجابه الإمام الليث برسالة مطوّلة تحمل في ثناياها أدب العلماء في الخلاف، وعلوّ أخلاقهم في المناقشة والمناظرة للوصول إلى الحق، وظَهَرَ فيها ما كان يتمتع به الليث من فقهٍ عظيم وفهمٍ دقيق ونظيرٍ مُحَكَّم واستنباطٍ عميق؛ رَدَّ فيه على مالك بعض ما ذهب إليه حتى عمل أهل المدينة، بالدليل الناصع من السُّنَّة وعمل الصحابة وكبار التابعين.

وقد أورد القاضي عياض رسالة مالك كاملة، وأما رسالة الليث فأورد منها سبعة أسطر، وهي في نحو ست صفحات، وكان من الحق والإنصاف أن يسوقها بتمامها، لا أن يقتصر منها على ما يؤيد طرائق مالك^(١).

انتشار مذهب مالك:

انتشر المذهب المالكي انتشاراً كبيراً في إفريقية، من مصر إلى المغرب إلى الأندلس، ولا يزال أهل المغرب - باستثناء مصر - على مذهب مالك، مع قليل من مذهب داود في الأندلس.

يقول عياض: (غلب مذهب مالك على الحجاز، والبصرة، ومصر، وما والاها من بلاد إفريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً، وضَعُفَ بها بعد أربعمئة سنة، وضَعُفَ بالبصرة بعد خمسمئة سنة، وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأبهر، وظهر بنيسابور أولاً، وكان بها

(١) ترتيب المدارك ٦٤/١ - ٦٥. وقد أشرت في ترجمة الليث إلى الكتب التي أخرجت رسالته إلى مالك.

وبغيرها له أئمةٌ ومدرسون، وكان ببلاد فارس، وانتشر باليمن، وكثير من بلاد الشام^(١).

مقارنة بين أبي حنيفة ومالك:

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم: سمعت الشافعيَّ، يقول: (قال لي محمد بن الحسن: أيهما أعلمُ صاحبنا أم صاحبكم - يعني أبا حنيفة ومالك بن أنس -؟ قلتُ: على الإنصاف؟ قال: نعم، قلت: فأنشُدكَ الله، مَنْ أعلمُ بالقرآنِ صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: صاحبكم - يعني مالكا -، قلت: فمن أعلمُ بالسُّنةِ صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: اللهمَّ صاحبكم، قلت: فأنشُدكَ الله من أعلمُ بأقوالِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ والمتقدِّمين صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: صاحبكم، قال الشافعي: فقلت: لم يبقَ إلا القياسُ، والقياسُ لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول فعلى أي شيءٍ يقيس؟)^(٢).

وأورد الذهبي هذه الحكاية في «تاريخ الإسلام» و«السِّيَر»، وعقَّب عليها هنا فقال: (قلت: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هما سواءٌ في علم الكتاب، والأول أعلمُ بالقياس، والثاني أعلمُ بالسُّنة، وعنده علم جَمِّ من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلمُ بأقوالِ عليٍّ وابنِ مسعود وطائفةٍ ممن كان بالكوفة من أصحابِ رسولِ الله ﷺ. فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقتٍ لا يُقدَّرُ الشخصُ على النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة)^(٣).

(١) ترتيب المدارك ٧٩/١ - ٨٠، سير أعلام النبلاء ٩٢/٨، الديباج المذهب ٦١/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٤/١، ١٢ - ١٣، الحلية ٣٢٩/٦، الانتقاء، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) تاريخ الإسلام، ص ٣٢٩ - ٣٣٠، سير أعلام النبلاء ٧٦/٨، ١١٢ - ١١٣.

مصنفات مالك:

كثيرٌ من الناس لا يعرفون للإمام مالك سوى «الموطأ»، مع أن له عدة مؤلفات أغلبها رسائل، وأشهر تصانيفه «الموطأ»، فإذا ذُكِرَ مالكُ ذُكِرَ «الموطأ»، وإذا ذُكِرَ «الموطأ» ذُكِرَ مالك.

و«الموطأ» من أشهرِ كُتُبِ الإسلام، ولمالكٍ فيه السَّبَقُ والرِّيادة من حيث محتواه وتركيبه وترتيبه وصحة أحاديثه. وقد اجتمع العلماء على تقديره وتفضيله والاحتجاج به، وجعله بعض الأئمة أحد الكتب الستة الكبار في السُّنَّة النبوية، واعتنى به العلماء قديماً وحديثاً على مرِّ القرون، حتى قال القاضي عياض - وفي قوله نظر - أنه لم يُعتنَ بكتابٍ من كتب الحديث والعلم اعتناءً الناس بالموطأ.

مَوْطَأُ مالِك:**تصنيف الإمام للمَوْطَأ والباعث له على ذلك:**

** قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عُمر، قال: سمعتُ مالكَ بن أنس، يقول: (لما حَجَّ أبو جعفر المنصور، دعاني فدخلتُ عليه، فحادثته وسألني فأجبته، فقال: إني قد عزمْتُ أن أمرَ بكُتُبِكَ هذه التي وَضَعْتَهَا - يعني «المَوْطَأ» - فَتُنْسَخْ نُسْخاً، ثم أبعثُ إلى كلِّ مِصْرٍ من أمصار المَسْلَمِينَ منها بنسخةٍ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدَّوه إلى غيره، ويَدْعُوا ما سوى ذلك من هذا العلم المُحَدَّث، فإني رأيتُ أصلَ العلمِ روايةَ أهلِ المدينة وعِلْمَهم. قال: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعلْ هذا، فإن الناس قد سَبَقَتْ إليهم أقاويلُ، وسمعوا أحاديثَ، ورَوَوْا رواياتَ، وأخذَ كلُّ قومٍ بما سَبَقَ إليهم، وعَمِلُوا به، ودانُوا به، من اختلافِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ

وغيرهم، وإن رَدَّهم عما اعتقدوه شديد، فدَعِ النَّاسَ وما هم عليه، وما اختار أهلُ كلِّ بلد منهم لأنفسهم، فقال: لَعَمْرِي لو طَاوَعْتَنِي على ذلك لَأَمَرْتُ به^(١).

وقال يونس بن عبد الأعلى: حدثنا خالد بن نزار الأيلي: (بعث أبو جعفر إلى مالك حين قَدِمَ - المدينة - فقال له: إن النَّاسَ قد اختلفُوا بالعراق، فَضَعَّ للناس كتاباً نجمعهم عليه فوضع «الموطأ»^(٢)).

وروى أبو مصعب الزُّهري: (أن أبا جعفر قال لمالك: ضَعَّ للناس كتاباً أحملهم عليه، فكلمه مالك في ذلك، فقال: ضَعُّهُ فما أحدٌ أعلم منك. فَوَضَعَ «الموطأ»، فلم يُفْرَغ منه حتى مات أبو جعفر)^(٣).

** قال الطُّبري: حدَّثني العباس بن الوليد، قال: حدَّثني إبراهيم بن حمَّاد الزُّهريُّ المَدِيني، قال: سمعت مالكا، يقول: (قال لي المَهدي: يا أبا عبد الله، ضَعَّ كتاباً أحملُ الأمةَ عليه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أما هذا الصُّفْع - وأشار إلى المغرب - فقد كَفَيْتُكَهُ، وأما الشام ففيهم الرجلُ الذي عَلِمْتَهُ - يعني الأوزاعي - وأما أهل العراق فَهُمُ أهلُ العراق)^(٤).

قلت: يحتاج كثير ممن ترجم للإمام مالك بهذه الروايات وغيرها على أن أبا جعفر المنصور أو ابنه المهدي قد طلب إلى مالك وحمله على

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٠ - ٤٤١، المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٥٩ - ٦٦٠، الانتقاء، ص ٨٠ - ٨١، ترتيب المدارك ١٩٢/١ - ١٩٣، سير أعلام النبلاء ٧٨/٨ - ٧٩.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١٢/١، سير أعلام النبلاء ١١١/٨.

(٣) ترتيب المدارك ١٩١/١ - ١٩٢. وانظر روايات أخرى في: مقدمة الجرح والتعديل ٢٩/١، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٣٩، ترتيب المدارك ١٩٢/١ - ١٩٣، سير أعلام النبلاء ٦١/٨ - ٦٢.

(٤) المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٥٩، الانتقاء، ص ٨٠، ترتيب المدارك ١٩٣/١.

تصنيف «الموطأ»، فاستجاب لذلك. وفي هذا نظر؛ لما يأتي:

أولاً: في الرواية الأولى التي سُقناها: (قال أبو جعفر: إني قد عزمتُ أن أمرَ بكتُبِك هذه التي وَضَعْتَهَا - يعني «الموطأ» - فتنسخَ نُسْخاً، ثم أبعثَ إلى كلِّ مِصْرٍ من أمصار المسلمين منها بنسخةٍ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدّوه إلى غيره)؛ فهذا يعني أن مالكا كان قد صنّف «الموطأ» بغير أمرِ أبي جعفر وطلبه، وإنما أراد المنصور حملَ الناس في الأمصار على «الموطأ» دون سواه.

ثانياً: تذكر الرواية الأخيرة أن المهدي هو الذي طلب إلى مالك تصنيف «الموطأ»، مع أن المهدي قد روى «الموطأ» وهو أمير، فكيف يطلب من مالك أن يصنّفه وهو خليفة المسلمين؟

ثالثاً: قد جاء عن الشافعي أنه حفظ «الموطأ» بمكة وهو ابن عشر سنين، والشافعي ولد سنة (١٥٠هـ)، فيكون حفظه للموطأ سنة (١٦٠هـ)، بعد وفاة أبي جعفر بسنتين، وهذا يعني أن «الموطأ» كان قد اشتهر، ونسخت منه نسخ انتشرت في الأمصار ومنها مكة.

رابعاً: قال العباس بن الوليد البيروتي: حدّثنا أبو خُلَيْد عُثْبَةَ بن حَمَّاد الدَّمَشَقِيُّ، قال: (أقمتُ على مالك بن أنس، فقرأتُ «الموطأ» في أربعة أيام، فقال مالك: علِّمُ جَمَعَهُ شيخاً في ستين سنة، أخذتموه في أربعة أيام، لافقهم أبدأ^(١)).

فلو كان هذا الكلام في آخر سنة من حياة مالك - وهي سنة ١٧٩هـ - فيكون بدءُ تصنيف «الموطأ» سنة (١١٩هـ) ولمالك ست وعشرون سنة،

(١) حلية الأولياء ٣٣١/٦، تهذيب الكمال ٣٠٥/١٩، مختصر ابن عساكر ٤٨/١٦.

هذا إذا قلنا بأن قوله (ستين سنة) على إطلاقه، وإذا اعتبرناه للمبالغة فيفيد بأنه صَنَّفَ «الموطأ» منذ دهرٍ طويلٍ.

ويؤيده ما جاء عن عُمر بن عبد الواحد - صاحب الأوزاعي - قال: (عَرَضْنَا عَلَى مَالِكٍ «الموطأ» فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَقَالَ: كِتَابٌ أَلْفَتْهُ فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَخَذْتُمُوهُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَا أَقَلَّ مَا تَفْقَهُونَ فِيهِ)^(١).

فهذا كله يدلُّ على أن الإمام مالكا قد صَنَّفَ «الموطأ» بنفسه، دون طلب أحدٍ، أو رغبةٍ من خليفة، وانتشر عنه وَحَمَلَهُ الأئمة والرواة، وصادَفَ أن جاشت في نفس المنصور وابنه المهدي رغبةٌ في توحيد الأمصار على كتابٍ واحدٍ يَجْمَعُ حديثَ رسولِ الله ﷺ وفقهَ أصحابِهِ وتابعيهِم، ومالكُ من يُخَضِّعُ لِعِلْمِهِ وفقهه وجلالته، فطلبوا منه ذلك، فصَرَفَهُمَا عنه بحكمةٍ ونظرٍ سديد، فصارا إلى رأيه، والله أعلم.

معنى الموطأ:

المُوطَأُ في اللغة: المُدَلَّلُ المُمَهَّدُ، وَسَمَّاهُ بِالْمُوطَأِ لِأَنَّهُ وَطَأَ بِهِ الْحَدِيثَ أَي يَسَّرَهُ لِلنَّاسِ. فَالْمُوطَأُ يَعْنِي: المُدَلَّلُ مُورَدُهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَى النَّاسِ فَهْمُهُ. قَالَ الزُّرْقَانِيُّ: (وَلَفْظَةُ الْمُوطَأِ: بِمَعْنَى المَّمَّهَدِ المُتَّفَحِّ).

وقال أيضاً: (قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكتاني الأصفهاني: قلت لأبي حاتم الرازي: موطأ مالك، لِمَ سُمِّيَ «الموطأ»؟ فقال: شيءٌ

(١) ترتيب المدارك ١٩٥/١، الديباج المذهب ١٢٠/١، شرح الزرقاني على الموطأ ١٠/١ ووقع في ترتيب المدارك - ونقله عنه في الديباج -: (صفوان بن عمر بن عبد الواحد)، والصواب: (صفوان عن عمر)، و صفوان هو ابن صالح الدمشقي، هو وشيخه عمر من رجال التهذيب. وفي ترتيب المدارك تصحيف كثير جداً، ومكتوب على غلافه: (تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود - منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت!!).



صَنَعَهُ ووَطَّأَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى قِيلَ: مُوَطَّأُ مَالِكٍ، كَمَا قِيلَ: جَامِعُ سَفِيَانَ. وَرَوَى أَبُو الْحَسَنِ بْنُ فَهْرٍ، عَنِ ابْنِ أَحْمَدَ الْخَلَنْجِي، سَمِعْتُ بَعْضَ الْمَشَائِخِ يَقُولُ: قَالَ مَالِكٌ: عَرَضْتُ كِتَابِي هَذَا عَلَى سَبْعِينَ فُقَيْهًا مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ، فَكُلُّهُمْ وَاطَّأَنِي عَلَيْهِ، فَسَمَّيْتُهُ «الْمُوَطَّأُ»^(١).

فهذا جعل تسمية «الموطأ» من المواطأة أي الموافقة، والقول الأول أحسن وأولى بالصواب.

محتواه ومبناه:

جمع مالك في «الموطأ» بين الحديث والأثر والفقه، وأورد فيه الأحاديث المسندة والمراسيل والمنقطعات والبلاغات، وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وأحياناً يفسر كلمات الحديث بعد سزده، ويبيّن المراد من بعض عباراته، وكان ينض على عمل أهل المدينة في الأبواب التي جاء فيها من حديث الأحاد ما يعارض ذلك العمل.

ورتب ذلك كله على أبواب العلم المختلفة^(٢).

مرتبته بين كتب السنة:

اختلفت آراء العلماء في مرتبة أحاديث «الموطأ»: فمنهم من قدّمه على (الصحيحين)، لمكانة مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولما عُرف

(١) تنوير الحوالك، ص ٧، شرح الزرقاني ١٠/١، السنة ومكانتها في التشريع، ص ٤٣١، الفضل المبين للقاسمي، ص ٢٣٢، بحوث في تاريخ السنة المشرفة للعمرى، ص ٣٠٩.

(٢) انظر شرح الزرقاني ١١/١ - ١٢، الرسالة المستطرفة، ص ٤ - ٧، السنة ومكانتها في التشريع، ص ٤٣٢.

عنه من التحري والتثبت، وممن ذَهَبَ إلى هذا الرأي ودافعَ عنه ابنُ العربي، وهو رأيُ جمهور المالكية.

ومن العلماء مَنْ جَعَلَهُ مع «الصحيحين» في مرتبة واحدة، وإليه يُشير كلام الدَّهْلَوِي الحنفي في «حُجَّةَ اللَّهِ الْبَالِغَةَ»، حيث تحدَّث عن طبقات كتب السُّنَّة، وجَعَلَ الموطأ والصحيحين في الطبقة الأولى.

وفريق ثالث رأى مرتبته دونَ مرتبة «الصحيحين»، وهو رأيُ جمهور المحدثين، وذلك لاحتوائه على المُرْسَلِ والمُنْقَطِعِ^(١).

ولا شكَّ أن شرط البخاري أقوى وأدقُّ وأتقن، بل أيضاً شرط مسلم، والصواب تقدِيمُ الصحيحين على الموطأ. قال العلامة المحدث محمد بن جعفر الكَتَّانِي: (مَوْطَأُ مالِكٍ في الرُّتْبَةِ بعد مسلم على ما هو الأَصَحُّ)^(٢).

وأما ما رواه يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي قال: (ما في الأرضِ كتابٌ من العلم أكثرُ صواباً من موطأ مالك). وفي رواية الرَّبِيعِ، عن الشافعي قال: (ما بعدَ كتابِ اللَّهِ تعالى كتابٌ أكثرُ صواباً من موطأ مالك)^(٣).

فقد قال النَّوَوِي: (قال العلماء: إنما قال الشافعيُّ هذا قبلَ وجودِ صحيحي البخاري ومسلم، وهما أصحُّ من الموطأ باتفاق العلماء)^(٤).

وقال الذهبي: (هذا قاله قبل أن يُؤلَّفَ الصحيحان)^(٥).

(١) تنوير الحوالك، ص ٨، حجة الله البالغة ٢٨١/١، السُّنَّة ومكانتها في التشريع، ص ٤٣٢، بحوث في تاريخ السُّنَّة، ص ٣١٠.

(٢) الرسالة المستطرفة، ص ١٣.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١٢/١، الحلبة ٣٢٩/٦.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٧٧/٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ١١١/٨.

وكذا قال ابن الصَّلَاح، وابن كثير، وغيرهما^(١).

رواة الموطأ ونُسَخُه، وعدد أحاديثه وآثاره:

** روى «الموطأ» عن مالكٍ جمعَ جَمٍّ، من أهل المدينة، ومكَّة، والشام، والعراق، ومصر، والمغرب، والأندلس، وغيرها من أمصار الإسلام، وقد عدَّ العلماءُ أزيدَ من ثمانين نفساً، ومن أعيانهم:

من أهل المدينة: مَعْن بن عيسى القَزَّاز، وعبد الله بن مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيُّ المَدَنِي ثم البَصْرِي، وأبو مُصْعَب أحمد بن أبي بَكْر الزُّهْرِيُّ، وبَكَّار بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ، وأخوه مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ، وَعَتِيق بن يعقوب الزُّبَيْرِيُّ، ومُطَرِّف بن عبد الله اليَسَارِيُّ، وإسماعيل بن ابي أُوَيْس، وعبد الله بن نافع الصَّائِغ.

ومن أهل مكة: يحيى بن قَزَّعة، ومحمد بن إدريس الشافعيُّ الإمام.

ومن أهل مصر: عبد الله بن وَهَب، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن عبد الحَكَم، ويحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، وسعيد بن كثير بن عَفِير، وأشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن يوسف التَّنِيسِيُّ، وأصله دمشقي.

ومن أهل العراق وغيرهم: عبد الرحمن بن مَهْدِي، وقُتَيْبَة بن سعيد البلخِي، ويحيى بن يحيى النَّسَابُورِيُّ، وإسحاق بن عيسى بن الطَّبَّاع البغداديُّ، ومحمد بن الحسن الشَّيْبَانِيُّ، وأبو حُدَافَة أحمد بن إسماعيل السَّهْمِي، ويحيى بن سعيد القَطَان، ورُوح بن عُبَادَة، وجُوَيْرِيَة بن

(١) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ١٨، الباعث الحثيث، ص ٢٨، ظفر الأمانى، ص ١٢٦.

أسماء، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، وأبو نعيم
الفضل بن دكين.

ومن أهل المغرب من الأندلس: زياد بن عبد الرحمن الملقب شبطون،
ويحيى بن يحيى الليثي، وسعيد بن عبدوس، والغاز بن قيس،
وقرغوس بن العباس.

ومن القيروان: أسد بن الفرات، وخلف بن جرير بن فضالة.

ومن تونس: علي بن زياد، وعيسى بن شجرة.

ومن أهل الشام: أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وعثبة بن حماد،
وعمر بن عبد الواحد، ويحيى بن صالح الوحاظي، وخالد بن نزار الأيلي^(١).

*** قال العلامة المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني: (والذي
اشتهر من نسخ الموطأ، ممن رويته، أو وقفت عليه، أو كان في روايات
شيوخنا، أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطآت: نحو عشرين نسخة،
وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة)^(٢).

وقال محمد بن جعفر الكتاني: (وأشهر روايات الموطأ وأحسنها:
رواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي، وإذا أُطلق في هذه
الأعصار «موطأ مالك» فإنما ينصرف لها. وأكبرها رواية عبد الله بن مسلمة
القعنبي. ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب أحمد بن أبي بكر
القرشي الزهري، قاضي المدينة. ومن جملتها رواية محمد بن الحسن

(١) ترتيب المدارك ٢٠٢/١ - ٢٠٣، سير أعلام النبلاء ٨٣/٨ - ٨٤، شرح الزرقاني ٦/١ - ٨، الرسالة

المستظرفة، ص ١٣ - ١٤، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣١٠ - ٣١١.

(٢) شرح الزرقاني ٨/١.

الشَّيباني، صاحب أبي حنيفة، وفي «موطئه» أحاديث يسيرة يرويها عن غير مالك، وأخرى زائدة على الروايات المشهورة، وهي أيضاً خالية من عدّة أحاديث ثابتة في سائر الروايات^(١).

** وهذه النسخ العشرون - أو الثلاثون - تختلف فيما بينها تقديماً وتأخيراً، وزيادة ونقصاً، لاختلاف الزمن الذي رويت فيه عن مالك، مع ما كان عليه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من إدامة النظر في «الموطأ»، فلا يبعد أن يزيد فيه أحياناً وينقص منه أحياناً، حسبما يقوده إليه تحريه وثبته واحتياطه، ولهذا اختلفت الأقوال في عدد أحاديث الموطأ، نظراً لاختلاف النسخ المتداولة: فعن سليمان بن بلال قال: (ألف مالك «الموطأ» وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر، ومات وهي ألف حديث ونيف، يخلصها عاماً بعد عام، بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين).

وقال أبو بكر الأبهري: (جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين: ألف وسبعمئة وعشرون حديثاً، المسند منها ستمئة حديث، والمرسل مئتان واثنتان وعشرون حديثاً، والموقوف ستمئة وثلاثة عشر، ومن قول التابعين مئتان وخمس وثمانون).

وقال عتيق بن يعقوب الزبيرى: (وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلاً لأسقطه كله).

وقال إلكيا الهراسي: (موطأ مالك كان تسعة آلاف حديث، ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعمئة)^(٢).

(١) الرسالة المستطرفة، ص ١٣ - ١٤.

(٢) ترتيب المدارك ١/١٩٣، الديباج المذهب ١/١١٩، شرح الزرقاني ١/٩ - ١٠، السنة ومكانتها في التشريع، ص ٤٣٤، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

اعتناء علماء الأمة بموطأ مالك:

قال القاضي عياض: (لم يُعتنَ بكتابٍ من كُتُب الحديث والعلم اعتناءً الناس بالموطأ)^(١).

قلت: في هذا نظر، فعناية الأمة بصحيح البخاري أعلى وأكثر بلا شك، وقد ذكر القاضي عياض نحو تسعين رجلاً تكلموا على «الموطأ» شروحاً وغيرها من تعلقاته^(٢)، والذين صنفوا حول «صحيح البخاري» أكثر بكثير، وقد عدَّ منهم صاحب «إتحاف القاري»^(٣) (٣٧٥)^(٤)، كتاباً، تناولت علوماً وفنوناً مختلفة حول الصحيح، على مرّ القرون حتى عصرنا الحاضر.

وبلا مرأى فقد كانت عناية العلماء بالموطأ كبيرة ومتنوعة، وذلك يتناول: شروح الموطأ، وشرح غريبه، وشواهد، ومسند الموطآت، واختلاف الموطآت، وطرق الموطأ، وأطرافه، والكلام على أسانيده، ورجاله، ووصل ما فيه من المرسل والمنقطع والمُعْضَل^(٥).

وأعظم تلك الكتب كتابان للحافظ أبي عمر بن عبد البر، هما: «الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطئه من الرأي والآثار»، و«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد».

وقد وصل في «التمهيد» ما في «الموطأ» من المرسل والمنقطع

(١) ترتيب المدارك ١٩٨/١.

(٢) ترتيب المدارك ١٩٨/١ - ٢٠١، شرح الزرقاني ١٣/١.

(٣) إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري، لمحمد عصام عرار.

(٤) والعدد يربو على هذا كثيراً، انظر كتابي «الإمام البخاري»: ص ٥٢٣ - ٥٧٦.

(٥) انظر: ترتيب المدارك ١٩٨/١ - ٢٠١، سير أعلام النبلاء ٨٥/٨ - ٨٨.

والمُعْضَل، قال: (وجميع ما فيه من قول مالك: بَلْغَنِي، ومن قوله: عن الثقةِ عنده، مما لم يُسْنِدْهُ: أَحَدٌ وستون حديثاً، كُلُّهَا مسنَّدة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تُعرف). ثم ذكرها^(١).

وصنَّف الحافظ ابن الصَّلَاح «رسالةً في وَضَل هذه البلاغات الأربعة»، وَقَفَ عليها العَلَّامة المَحَدِّث عبد الله بن الصديق العُمَاري وحقَّقها، وطُبِع منها عدد قليل، ثم أعاد نشرها العَلَّامة المَحَدِّث عبد الفتاح أبو غُدَّة، وألحقها بكتاب: «توجيه النظر» للعلامة طاهر الجزائري^(٢).

مصنفات أخرى للإمام مالك:

ذكر لمالك عدة تصانيف غير «الموطأ»، وهي:

- ١ - رسالة إلى ابن وهب في «القَدْر والردّ على القَدْرية»، وهي من خيار الكُتب في هذا الباب، وإسنادها صحيح.
- ٢ - كتاب في «النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر»، رواه سُحنون، عن عبد الله بن نافع الصائغ، عن مالك. وهو كتاب جيد مفيد جداً، قد اعتمد عليه الناس في هذا الباب.
- ٣ - رسالة في «الأقضية»، كُتِبَ بها إلى بعض القضاة، تقع في مجلد.
- ٤ - رسالة في «الفتوى» إلى أبي غسان محمد بن مُطَرِّف، وهو من كبار أهل المدينة، من أقران مالك، وحديثه في الكتب الستة.

(١) شرح الزرقاني ١١/١ - ١٢، الرسالة المستطرفة، ص ١٥، ١١٣، ١٩٥، توجيه النظر ٤٠٨/١، بحوث في تاريخ السُنَّة المشترقة، ص ٣١١.

(٢) توجيه النظر ٩١٣/٢ - ٩٣٧.

٥ - رسالة مشهورة في «الآداب والمواظ» إلى هارون الرشيد، إسنادها مُنقَطِع، قد أنكرها إسماعيل القاضي وغيره، فيها أحاديث لا تُعرف، وهي رسالة موضوعة. قال القاضي الأبهري: فيها أحاديث لو سَمِعَ مالكٌ مَنْ يحدِّثُ بها لأدَّبَه، وأحاديثُ تخالِفُ أصوله.

٦ - جزء في «التفسير لغريب القرآن»، يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي^(١).

٧ - رسالة إلى الليث بن سعد، مشهورة سبق الحديث عنها، وهي في «إجماع أهل المدينة».

٨ - كتاب «السرّ»، من رواية ابن القاسم عنه، في جزء واحد.

تصدُّره لنشر العلم، وصفةٌ مجلسه، وهُدْيُه وآدَابُه في التحديث والفتيا:

أضحى الإمام مالك عالماً كبيراً مليئاً وهو في ذروة الشباب، واشتهر اسمه، ولمع نجمه، وذاع صيته في الأمصار، وسارت بذكره الرُّكبان، وتصدَّر لنشر العلم في المسجد النبوي بعد أن شهد له جمعٌ جَمٌّ من الكبار الذين تُثنى لهم الأعناق بأنه أهلٌ للتحديث والفتيا.

وخَفَّ إليه العلماء وحملة الآثار، ورَحَلَ إليه الطالبون من الآفاق، وأمَّه الناسُ من مختلف الأمصار، وأسرعوا إليه جماعاتٍ تهتدي بجماعات؛ ليأخذوا الحديث نقياً من منبعه، ويغترفوا الفقه غضاً من مَعِينه، وينهلوا من العلم من رأس العين، فتكاثروا عليه، وتحلَّقوا حوله في حلقة نافست

(١) انظر ما تقدم: ص ٣٥٩ حاشية (١).

حَلَقَ أشياخه، وازدحموا على بابهِ، وأضحى مجلسه كَظِيظاً بطلاب العلم على اختلاف مشاربهم وتنائي بلدانهم، فكان إذا كثر جمعهم وتكامل ملؤهم؛ نادى منادٍ: ليدخل أهل الحجاز، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق.

وكانت له حَلَقَة علمٍ باهرة في داره، وكان مجلسه مجلس هيبة وإجلال ووقار، ليس فيه شيء من المِرَاء واللَّغْظ ورفَع الصوت، قد فرش فيه النمارق والزرابي، وعطره بالطيب والبخور، وفي صدره فراش لا يجلس فيه غيره. ويخرج للناس بهيبة العلماء وجلال المحدثين ووقار الفقهاء، قد اغتسل وتوضأ، وتطيَّب وتبخَّر، ومَشَطَ لحيته، ولبس أحسن ثيابه، وجلس جلسة المتمكِّن، والناس قد رَمَقُوهُ بأبصارهم، وألقوا إليه أسماعهم، وفتحوا له قلوبهم، وأضعفوا إليه وكان على رؤوسهم الطير، لا يلتفت أحد إلى أحد، ولا يكلم الرجل صاحبه، ولا يستطيع أحد مهما بلغ من الجرأة والعلم أن يتكلم بكلمة أو يُلقي سؤالاً إلا وقد هيأه في نفسه وأحكم أداءه ومناسبته وموضوعه، كما لا يستطيع أن يسأل إلا وهو في حالة رفيعة من الأدب، وصوتٍ منخفض لا يُرفع أدباً مع الحديث النبوي، وإذا رَفَع صوته أدبه وقال له: اغضض من صوتك فإن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. ولا يجرؤ مستمع أن يستزيد من الجواب أو الحديث، أو يستوضح مُشكِلاً، إلا إذا كان السؤال فيما يصعب أو يستشكل على ذوي الفهم، وإلا أخذته المقارع، وأخرج من المجلس.

وأسلوب الإمام مالك في هذا صعب، ولو وطأ مجلسه وركب مع الناس الدلول لكان أنصح وأنجح، ولم يسلك هذا السبيل من العلماء كبير أحد، ولكن هكذا خلق الله الخلق، وللناس أحوال وأمزجة مختلفة، وكل

ميسر لما خلق له، وكل مأجور، وهدي النبي ﷺ الحنيفية السمحة، والرأفة بالسامعين، والتلطف بالجفاة، والعفو عن الجاهلين.

والناس في مجلسه سواء، الكبار والصغار، والفقهاء وغير الفقهاء، والأشراف وعامة الناس، يهابُهُ الخلفاء والأمراء، ويخضع في مجلسه الوجهاء ومن دونهم، لا يقدم الشريف لشرفه، ولا يؤخر الآخر لضعفه، غير أنه يقول: ليلىني منكم أولو الأحلام.

ومن آدابه أنه كان لا يحدث ولا يجيب وهو ماشٍ أو واقف، تأدباً مع حديث رسول الله ﷺ وإجلالاً له، وليفهم عن السائل مسأله، فيحسن إجابته. ويكثر من قول: «لا أدري»، حتى إنه استفتي في ثمان وأربعين مسألة، أجاب عن اثنتين وثلاثين بقوله: «لا أدري» وإذا أغفل العالم «لا أدري» أصيب مقاتله.

ومكث الإمام ينشر الحديث، ويفقه الناس، ويفتي في المسائل، زهاء ستين سنة، فتخرج به محدثون كبار، وفقهاء عظام، وانتفع به خلائق لا يحصون، وحمل الناس عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ودونوه وتناقلوه، فاستمر النفع على مر القرون، وعم في الأمة إلى أيامنا، وسيبقى إلى أن يشاء الله.

** قال محمد بن عمر الواقدي: (كان مالك يجلس في منزله على ضجاع له، ونمارق مطرحة يمنة ويسرة في سائر البيت، لمن يأتيه من قريش والأنصار والناس، وكان مجلسه مجلس وقارٍ وجلّم. وكان مالك رجلاً مهيباً نبيلاً، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، ولا يجيب إلا الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه، وكان له كاتب قد نسخ كتبه يقال

له: حَبِيب، يقرأ للجماعة، فليس أحدٌ مَمَّن يحضره يدنو منه، ولا يَنْظُرُ في كتابه، ولا يَسْتَفْهَمُ، هَيْبَةٌ لِمَالِكٍ وإِجْلَالاً، وكان حَبِيبٌ إِذَا قرأ فأخطأ فَتَحَ عليه مالِك، وكان ذلك قليلاً^(١).

وقال قُتَيْبَةُ بن سعيد: (كُنَّا إِذَا دخلنا على مالِك، خَرَجَ إلينا مُزَيَّنًا مُكْحَلًا مطيَّبًا، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدَّر الحَلَقَةَ، ودَعَا بالمَراوح، فأعطى لكل منا مِرْوَحَةً)^(٢).

وقال أبو مصعب الزهريُّ ومُطَرِّفٌ وعبد الملك بن الماجشون وغيرُ واحد من أصحابه: (كان جلساءُ مالِكٍ كأنما على رؤوسهم الطير، تَسْتُمْتَأُ وأدباً)^(٣).

وقال ابن أبي أُوَيْسٍ: (كان مالِكٌ إِذَا جَلَسَ للحديث قال: لِيَلِينِي منكم ذُوو الأَحلام والنُّهى)^(٤).

وقال يحيى: (كنا نجتمع على باب مالِك، فإذا توافينا صَرَخَ الأذِن: ليدخل أهل المدينة، ثم يُؤدِّون لغيرهم، فندخل ونسلم عليه، ويسكت ونسكت ساعةً، فإذا رأى ازدحامنا قال: توقروا فإنه عَوْنٌ لكم، وليعرف صغيرُكم حقَّ كبيركم).

وفي رواية: (وكان مالِك لا يُوسِع لأحدٍ في حَلَقَتِهِ، ولا يرفعه، يَدْعُ أحدهم يجلس حيث ينتهي به مجلسه)^(٥).

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٢ - ٤٤٣، الانتقاء، ص ٨٢، ترتيب المدارك ١٥٣/١ - ١٥٤، الديباج

المذهب ١٠٨/١، سير أعلام النبلاء ٦٥/٨، ٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٤/٨، تاريخ الإسلام، ص ٣٢٤، تذكرة الحفاظ ٢١٠/١.

(٣) ترتيب المدارك ١٥٤/١، ١٥٥.

(٤) ترتيب المدارك ١٥٥/١، الديباج المذهب ١٠٩/١.

(٥) ترتيب المدارك ١٥٤/١ - ١٥٥.

وقال عبد الرزاق: (بَيَّنَّا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقِيلَ لَنَا: هَذَا مَالِكٌ، فَلَقِينَاهُ دَاخِلًا مِنْ بَابِ بَنِي هَاشِمٍ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ وَقَمِيصٌ صَنْعَانِي، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَخَرَجَ نَاحِيَةَ الصَّفَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ احْتَبَى، فَلَمَّا فَرَّغَ احْتَوَشَانَاهُ كَمَا يَصْنَعُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَامَ مِنْ بَيْنِنَا كَالْمُغْضَبِ، فَجِئْنَا مَشَايخِنَا، فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ كَتَبْتُمْ عَنْ مَالِكٍ؟ فَأَخْبَرْنَا هِمَّ بِالَّذِي فَعَلَ، فَقَالُوا: الَّذِي فَعَلْتُمْ لَا يَحْتَمِلُهُ مَالِكٌ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، جِئْنَا وَاحِدًا وَاحِدًا، وَعَلَيْنَا السُّكُونُ، فَحَدَّثْنَا، وَقَالَ: الَّذِي فَعَلْتُمْ أَمْسَ فِعْلُ السَّفَهَاءِ)^(١).

وقال ابن الماجشون: (دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ، فَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا خَادِمُهُ، فَمَا هَبَّتْهُ هَيْبَتِي مَالِكًا).

وقال سعيد بن أبي مريم: (مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ هَيْبَةً مِنْ مَالِكٍ، لَقَدْ كَانَتْ هَيْبَتُهُ أَشَدَّ مِنْ هَيْبَةِ السُّلْطَانِ).

وقال مصعب الزُّبَيْرِيُّ: (مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَهْيَبَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا الْخَلِيفَةَ).

وقال هشام بن عمار: (دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَلَمَّا وَقَعَ بَصْرِي عَلَيْهِ هَبَّتْهُ، حَتَّى ضَرَبْتَ عَلَى خَاصِرَتِي)^(٢).

وقال أبو مُضْعَبِ الزُّهْرِيُّ: (كَانُوا يَزْدَحْمُونَ عَلَى بَابِ مَالِكٍ، فَيَقْتَتِلُونَ عَلَى الْبَابِ مِنَ الزَّحَامِ، وَكُنَّا نَكُونُ عِنْدَ مَالِكٍ فَلَا يَكَلِّمُ ذَا ذَا، وَلَا يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا، وَالنَّاسُ قَائِلُونَ بِرُؤُوسِهِمْ هَكَذَا، وَكَانَتِ السُّلَاطِينُ تَهَابُهُ وَهُمْ قَائِلُونَ مُسْتَمْعُونَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي مَسْأَلَةٍ: لَا، أَوْ: نَعَمْ، وَلَا يُقَالُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَا؟)^(٣).

(١) ترتيب المدارك ١٥٦/١ - ١٥٧. احتوشناه: أي أحطنا به وجعلناه وسطنا.

(٢) هذه الأخبار وغيرها في ترتيب المدارك ١٦٦/١ - ١٦٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦/١، سير أعلام النبلاء ١١١/٨. قوله (قائلون): من القول بمعنى الفعل، كناية عن الخضوع والتأدب والإصغاء.

وقال أبو مصعب: (ما سمعتُ مالكا يُقيم الناسَ قَطُّ، إنما كان يقول: إذا شِئتم فارجِعوا)^(١).

** قال أبو بكر الأَعْيَن: حَدَّثنا منصور أبو سَلَمَةَ الخُزَاعِي، قال: (كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يُحَدِّث، تَوْضِأً وَضَوْءَهُ للصلاة، وَلَيْسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَلَيْسَ قَلْنُسُوتَهُ، وَمَشَطَ لِحْيَتَهُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَوْقِرْ بِهِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٢).

وقال أبو مصعب: (كان مالك لا يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الطَّهَارَةِ، إِجْلَالاً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٣).

وقال إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِيُّ: حَدَّثنا مَعْنُ بن عيسى القَزَّازِ، قال: (كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسلَ، وتبخَّرَ وتطيَّبَ، فإذا رَفَعَ أَحَدُ صَوْتِهِ فِي مَجْلِسِهِ زَبْرَهُ، وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَأَنَّمَا رَفَعَ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٤).

وقال عبد الرحمن بن مَهْدِي: (سَأَلْتُ مالكا بن أنس عن حديثٍ وأنا أصحبه في الطريق، فقال: هذا حديثٌ عن رسول الله، وأكرهُ أن أحدثك ونحن نستطرقُ الطريق، فإن شئتَ أن أجلسَ وأحدثك به فعلتُ، وإن شئتَ أن تصحبني إلى منزلي وأحدثك به فعلتُ. قال: فصحبته إلى منزله، فجلس، وتمكَّن، ثم حَدَّثني به)^(٥).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧/١.

(٢) المحدث الفاضل: رقم ٨٣٠، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩١٠.

(٣) الحلية ٣١٨/٦، ترتيب المدارك ١٥٥/١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٦٨، تهذيب الكمال ١١٠/٢٧ - ١١١.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٧٧.

وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر: (كان مالك إذا عُرِضَ عليه «الموطأ» تهيئاً، ولبس ثيابه وتاجه - أو ساجه - وعمامته، ثم أطرق، فلا يتنخم ولا يبزق ولا يعبث بشيء من لحيته، حتى يفرغ من القراءة؛ إعظماً لحديث رسول الله ﷺ^(١)).

** روى ابن وهب، عن مالك بن أنس قال: سمعتُ عبد الله بن يزيد بن هُرْمُز، يقول: (ينبغي للعالم أن يُورث جُلُساءه قول: لا أدري، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفرعون إليه، فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري، قال: لا أدري)^(٢).

وقال أحمد بن عمرو بن السرح: سمعت ابن وهب، يقول (لو أردتُ أن أنصرف كلَّ يوم بالواحي ملأى من عند مالك بن أنس، فيما يُسأل، ويقول: «لا أدري»؛ انصرفتُ بها. قال ابن السرح: وقد صار «لا أدري» عند أهل زماننا هذا عيباً)^(٣).

وعن مالك قال: (جنته العالم: «لا أدري»، إذا أغفلها أصيبت مقَاتِلُه)^(٤).

وقال الوليد بن عُتْبَة: حدثنا الهيثم بن جميل، قال: (شهدتُ مالك بن أنس سُئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري)^(٥).

وعن خالد بن خِدَاش قال: (قَدِمْتُ على مالك من العراق بأربعين

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٩٠٢.

(٢) الانتقاء ٧٥، سير أعلام النبلاء ٧٧/٨.

(٣) مقدمة الكامل، ص ٩٣، وبأخصر منه في الحلية ٣٢٣/٦.

(٤) تاريخ الدوري ٥٤٥/٢، الانتقاء، ص ٧٤.

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٢٢، الانتقاء، ص ٧٥.

مسألة، فسألته عنها، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل، وقال مالك: كان ابن عجلان يقول: إذا أخطأ العالم «لا أدري»، أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(١).

وقال عبد الرحمن العمري: قال لي مالك: (رَبِّمَا وَرَدَتْ عَلَيَّ الْمَسْأَلَةُ تَمْنَعُنِي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنُّوْمِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا كَلَامُكَ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا كَنَقْشٍ فِي حَجَرٍ، مَا تَقُولُ شَيْئاً إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْكَ، قَالَ: فَمَنْ أَحَقُّ أَنْ يَكُونَ كَذَا إِلَّا مَنْ كَانَ هَكَذَا؟!).

وقال ابن القاسم: سمعت مالكا، يقول: (إِنِّي لِأَفْكَرُ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْذُ بَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَمَا اتَّفَقَ لِي فِيهَا رَأْيٌ إِلَى الْآنِ).

وقال ابن مهدي: سمعت مالكا، يقول: (ربما وردت عليّ المسألة، فأسهرُ فيها عامّةً ليلي).

وقال ابن عبد الحَكَم: (كان مالك إذا سُئِلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، قَالَ لِلسَّائِلِ: انصِرْفْ حَتَّى أَنْظَرَ فِيهَا، فَيَنْظُرُ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا، فَقَلْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَبَكَى، وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ السَّائِلِ يَوْمَ وَأَيُّ يَوْمٍ)^(٢).

** قال أبو مُشْهَر: (سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنِ شَيْءٍ، فَقَالَ لِي: لَا تَسَلْ عَمَّا لَا تُرِيدُ، فَإِنَّكَ تَنْسَى مَا تُرِيدُ. قَالَ فَضَرَبَ لِي مَالِكٌ مِثْلًا، فَقَالَ: مَنْ اشْتَرَى مَا لَا يَرِيدُ يُوشِكُ أَنْ يَبِيعَ مَا يَرِيدُ)^(٣).

وقال خالد بن خِدَاش: (وَدَّعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: تَقْوَى اللَّهِ، وَطَلْبُ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ)^(٤).

(١) الانتقاء، ص ٧٥. وانظر الأخبار السابقة وغيرها في ترتيب المدارك ١٤٦/١.

(٢) ترتيب المدارك ١٤٤/١، وفيه أخبار أخرى.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٢٣.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص ٤٠٢، مقدمة الكامل، ص ٩٠، التقييد ٢٣٧/٢.

وقال أبو مُسَهِرٍ: سمعت مالك بن أنس، يقول: (من إهانة العلم أن تحدث كلَّ من سألك) ^(١).

وروى ابن وهب، عن مالك قال: (إن العلم ليس بكثرة الرواية، إنما العلم نور يجعله الله في القلب) ^(٢).

** قال سعيد بن سليمان: (قلَّما سمعتُ مالكا يُفتي بشيء إلا تلا هذه الآية: ﴿إِنْ نَظُنُّهُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِّقِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]) ^(٣).

وقال أحمد بن إبراهيم الدُّورقيُّ: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: (سأل رجلُ مالكا عن مسألة، وذَكَر أنهم أرسلوه يسأله عنها من مسيرة ستة أشهر، قال: هاتها، فأخبره بها، فقال: لا عِلْمَ لي بها، فأخبر الذي أرسلك أنني لا عِلْمَ لي بها، قال: ومن يَعْلَمُها؟ قال: من علَّمه الله. قال عبد الرحمن: قال مالك: قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]) ^(٤).

وقال ابن مهدي: (رأيتُ رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يُجيبه، فقال: يا أبا عبد الله، إنني أريد الخروج، قال: فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله، يا هذا إنني إنما أتكلَّم فيما احتسبُ فيه الخير، وليس أحسنُ مسألتك هذه) ^(٥).

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٣٧٢.

(٢) المحدث الفاصل: رقم ٧٥٥، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٧٤، الحلية ٣١٩/٦، صفة الصفة ١٧٩/٢.

(٣) الحلية ٣٢٣/٦.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ١٨/١، الحلية ٣٢٣/٦، الانتقاء ٧٥، صفة الصفة ١٧٩/٢، وألفاظهم متقاربة.

(٥) الحلية ٣٢٣/٦. وانظر: ترتيب المدارك ١٤٥/١ - ١٤٦.

وروى الحارث بن مسكين، عن عمرو بن يزيد - شيخ من أهل مصر صديق لمالك بن أنس - قال: (قلت لمالك: يا أبا عبد الله، يأتيك ناس من بلدان شتى، قد أنصوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم، تقول: لا أدري!! فقال: يا عبد الله، يأتيني الشامي من شاميه، والعراقي من عراقه، والمصري من مضره، يسألونني عن الشيء لعلني أن يبدو لي فيه غير ما أُجيبُ به، فأين أجدهم؟! قال عمرو: فأخبرْتُ الليث بن سعد بقول مالك)^(١).

** قال إسماعيل بن موسى ابن بنت السدي: (دخلنا على مالك بن أنس ونحن جميعاً من أهل الكوفة، فحدثنا بسبعة أحاديث، فاستزذناه، فقال: مَنْ كان له دينٌ فلينصرف، فانصرفت جماعة وبقيت جماعة أنا منهم، ثم قال: مَنْ كان له حياءٌ فلينصرف، فانصرفت جماعة وبقيت جماعة أنا منهم، ثم قال: مَنْ كانت له مروءةٌ فلينصرف، فانصرفت جماعة وبقيت جماعة أنا منهم، فقال: يا غلمان، أفتاءهم، فإنه لا بُقيا على قوم لا دين لهم ولا حياء ولا مروءة)^(٢).

وقال محمد بن خلف العسقلاني: سمعت رواد بن الجراح، يقول: (سألت مالكا عن أربعة أحاديث، فلما سألتُه عن الخامس، قال: ما هذا؟! ما هذا بإنصافٍ)^(٣).

(١) الحلية ٦/٣٢٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٠٣، فتح المغيبيث ٢٩٠/٣ «آداب طالب الحديث». قوله (أفتاءهم): أي عليكم أفتاءهم وأخرجوهم من المجلس. وأثبتها محقق «الجامع لأخلاق الراوي» الدكتور محمد عجاج الخطيب: (أقف أهم)، وحاول تأويلها فأبعد التُّجعة.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٠٢.

وقال إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السدي: (دخلتُ على مالك بن أنس، وسألته أن يُحدّثني، فحدّثني اثني عشر حديثاً، ثم أمسك، فقلت له: زدني أكرمك الله، وكان له سُودانٌ قيامٌ على رأسه، فأمرهم فأخرجوني من داره)^(١).

وقال الشافعي: (استأذنتُ على مالك، وكنتُ أريد أن أسمعَ منه حديث السقيفة، فقلت: إن جعلته أولاً خَشِيتُ أن يَسْتَطِيلَهُ ولم يحدّثني، وإن جعلته آخراً خَشِيتُ ألا أُبلِّغَهُ، فجعلته بعد عشرة أحاديث، فأخذتُ أسأله، فلما مرّت عشرة، قال: حَسْبُكَ، فلم أسمعهُ)^(٢).

•• قال ابن عبد الحكم: سمعتُ الشافعي، يقول: (قال محمد بن الحسن: أقيمتُ عند مالك بن أنس ثلاثَ سنين وكسراً. وكان يقول: إنه سمِعَ منه لفظاً أكثرَ من سبعمئة حديث، وكان إذا حدّثهم عن مالك امتلاً منزله، وكثر الناس عليه حتى يَضِيقَ بهم الموضع، وإذا حدّثهم عن غير مالك من شيوخ الكوفيين لم يَجِئْهُ إلا اليسير. وكان يقول: ما أعلمُ أحداً أسوأ ثناءً على أصحابكم منكم، إذا حدّثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضع، وإذا حدّثتكم عن أصحابكم - يعني الكوفيين - إنما تأتون مُكْرَهين)^(٣).

وقال أبو مُصعب الزهري: (رأيتُ مَعْن بن عيسى القَرَازَ جالساً على العتبة، وما يَنْطِقُ مالك بشيءٍ إلا كتبه)^(٤).

(١) الانتقاء، ص ٨٢ - ٨٣، ترتيب المدارك ١/١٦٥.

(٢) ترتيب المدارك ١/١٦٥.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١/٤١ - ٥٠، الحلية ٦/٣٣٠، الانتقاء، ص ٥٧ - ٥٨.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٦١.

وقال مجاهد بن موسى: سمعت معن بن عيسى، يقول: (ما من حديثٍ أُحدِّث به عن مالك، إلا وقد سمعته نحواً - أو: أكثرَ - من ثلاثين مرةً)^(١).

وقال أحمد ابنُ أخِي ابنِ وهب: حدَّثنا عَمِي، قال: (خرجتُ أنا وابن القاسم بضعَ عشرة سنةً إلى مالك، فسنةً أسألُ أنا مالكا، وسنةً يسألُه ابن القاسم)^(٢).

وقال ابن وهب: (حَجَجْتُ أربعاً وعشرين حَجَّةً، ألقى فيها مالكا)^(٣).

وقال الحسن بن الربيع^(٤): (كنا على باب مالك بن أنس، فخرج منادٍ فنادى: لِيَدْخُلْ أَهْلُ الْحِجَازِ، فما دخل إلا أَهْلُ الْحِجَازِ، ثم خرج فنادى: لِيَدْخُلْ أَهْلُ الشَّامِ، فما دخل إلا أَهْلُ الشَّامِ، ثم خرج فنادى: لِيَدْخُلْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فكنا آخِرَ مَنْ دَخَلَ، وكان فينا حماد بن أبي حنيفة، فلما دخل قال: السَّلامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ، وإذا مالك جالس على الفُرْشِ، وَالْخَدَمَ قِيَامٌ بِأَيْدِيهِمُ الْمُقَارِعُ، فأوماً الناس إليه بأيديهم: اسْكُتْ، فقال: وَيُحَكِّمُ! أفي الصلاة نحن فلا نتكلَّمُ؟! قال: فسمعتُ مالكا، يقول: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ، أَسْتَخِيرُ اللَّهَ، ثلاثاً، ثم قال: أخبرني نافع، عن ابن عُمر، فحدَّثنا بعشرين حديثاً)^(٥).

** قال ابن أبي أُوَيْسٍ: (سمعت مالكا، يقول: جاءني يحيى بن سعيد الأنصاري، فقال: يا أبا عبد الله، اكتب لي غُزْرَ حديث الزهريِّ ابنِ

(١) الحلبة ٣٢١/٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢١/٩.

(٣) ترتيب المدارك ٤٢٥/١.

(٤) في المحدث الفاصل: (الحسن بن أبي الربيع)، وهو الحسن بن يحيى، توفي سنة (٢٦٣هـ) ومولده قبيل وفاة مالك بسنة أو بعدها بسنة، فكيف يرحل إليه؟! وما أثبتته من ترتيب المدارك.

(٥) المحدث الفاصل: رقم ٨٣١، ترتيب المدارك ١٦٤/١.

شهاب. فكتبتُ له ثلاثة قراطيس، ثم لقيتهُ بها، فأخذها مني. فقال له رجل: يا أبا عبد الله، قرأتها عليه؟ قال: هو كان أفقَه من ذلك، بل أخذها عني وحدّث بها^(١).

وروى ابن وهب، عن مالك قال: (قَلَّ رجلٌ كنتُ أتعلّم منه ما مات حتى كان يجيئني فيستفتيني)^(٢).

حديث «ضرب أكباد الإبل في طلب العلم» ومن المراد به:

روى الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن ابن جُرَيْج، عن أبي الزُّبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يُوشِكُ أن يَضْرِبَ الناسُ أكبادَ الإبل في طَلَبِ العلم، فلا يَجِدونَ عالماً أعلَمَ من عالمِ المدينة»^(٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصحّحه ابن جِبّان، والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه النَّووي في «تهذيب الأسماء واللغات»، وقال ابن عبد البر في «الانتقاء»: (وهذا الحديث لا يرويه أحد إلا بهذا الإسناد، وهم أئمة كلهم).

قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري: قال لنا سفيان بن عيينة: (تُرَى هذا الحديث الذي يُروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تُضْرَبُ أكبادُ

(١) المحدث الفاضل: رقم ٥٠٧، وأخرجه الفسوي بألفاظ مختلفة عن ابن وهب ومطرف بن عبد الله: ٦٨٣/١، ٨٢٣/٢، ٨٢٤، ٥٥٠/٣، وبنحوه في معرفة علوم الحديث، ص ٢٥٩.

(٢) المعرفة والتاريخ ٦٨٣/١، ٨٢٤/٢، ٥٥٠/٣.

(٣) أخرجه أحمد: حديث (٧٩٨٠)، والترمذي (٢٦٨٠)، وابن أبي حاتم في مقدمة الجرح ١٢/١، وابن حبان (٣٧٣٦)، وابن عدي في مقدمة الكامل ٨٩، والبيهقي ٣٨٦/١، والحاكم ٩٠/١ - ٩١، والخليلي في الإرشاد ١١٠/١، وابن عبد البر في الانتقاء، ص ٥٠ - ٥١، وابن نقطة في التقييد ٢٣٥/٢.

الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة؛ أنه مالك بن أنس^(١).

وقال عبد الرزاق: (كنا نرى أنه مالك بن أنس)^(٢).

وذكر أبو المغيرة المَخْزومي أن معناه: (ما دام المسلمون يطلبون العلم، لا يجدون أعلم من عالم المدينة. فيكون على هذا: سعيد بن المسيّب، ثم بعده من هو من شيوخ مالك، ثم مالك، ثم مَنْ قام بعده بعلمه، وكان أعلم أصحابه).

وعقّب الذهبي على هذا فقال: (كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه: زيد بن ثابت، وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيّب، ثم الزهري، ثم عبّيد الله بن عمر، ثم مالك)^(٣).

وبوّب على ذلك ابن حبان فقال: (ذُكِرَ الخبر الدالّ على أن علماء أهل المدينة يكونون أعلم من علماء غيرهم)، ثم ساق الحديث^(٤).

وهذا مصير من هؤلاء العلماء إلى أن مراد الحديث غير محصور بالإمام مالك.

رؤى وبشائر:

يلاحظ على كُتُب التراجم لكثير من المؤلفين السابقين أنهم يُوردون ما روي من الرؤى والمنامات في ترجمة الشخص المترجم، ولا عجب

(١) سنن الترمذي ٤٧/٥، الانتقاء، ص ٥٠، ٥٢، ترتيب المدارك ٨٣/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١٢/١، الانتقاء ٥٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٧/٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٥٢/٩ حديث ٣٧٣٦.

في هذا، لكن العجيب والغريب أن يذهب بعضهم إلى الاحتجاج بها والاعتماد عليها في المسائل العلمية، والأحكام الشرعية، والترجيحات المذهبية، والتضعيف والترجيح، والجرح والتعديل، والتفضيل بين العلماء، ونحو ذلك، وكلُّ هذا تجاوزٌ بهذه الرؤى والمنامات عن قيمتها، وزَجَّ لها في غير ميدانها، إذ غاية ما تُفيدُه هو الاستثناس والاستبشار، فهي لا تفيد إثبات حُكم، ولا ترجيح مسألة، ولا تقوية مذهب، ولا تفضيل كتاب، ولا تقديم إمام على آخر، ولا غير ذلك مما هو في بابه.

وما أوردناه في هذه الترجمة - أو غيرها - وإنما هو من باب الاستبشار لصاحب الترجمة بحُسن المآل إن شاء الله.

قال خَلْفُ بنِ عُمَرَ: (دخلتُ على مالكٍ فقال لي: انظرُ ما ترى تحت مُصَلَّاي أو حَصِيرِي، فنظرتُ، فإذا أنا بكتاب، فقال: اقرأه، فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه، فقال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام في مسجده، قد اجتمع الناس عليه، فقال لهم: إني قد خَبَأْتُ لكم تحت منبري طيباً أو علماً، وأمرتُ مالكا أن يفرِّقه على الناس، فانصرفَ الناس وهم يقولون: إذا يُنفذُ مالك ما أمره به رسولُ الله ﷺ، ثم بكى، فقمْتُ عنه^(١)).

وقال محمد بن رُمح: (رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، منذ أكثر من خمسين ليلة، فقلت له: يا رسولَ الله، إن مالكا والليث يختلفان، فبأيهما نأخذُ؟ قال: مالكُ مالك^(٢)).

وروى أشهب بن عبد العزيز، عن عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَزِيِّ قال: (رأيتُ في منامي أني دخلتُ مسجداً رسولَ الله ﷺ، فوافيتُ

(١) الحلية ٣١٧/٦، صفة الصفوة ١٧٨/٢، سير أعلام النبلاء ٦٢/٨، وفي تهذيب الكمال ١١٨/٢٧ بسياق آخر.

(٢) تقدمت الجرح والتعديل ٢٨/١، الانتقاء، ص ٧٦ واللفظ له، وبنحوه في الحلية ٣١٧/٦.

رسول الله ﷺ يخطب الناس، إذ أقبل مالك بن أنس، فدخل من باب المسجد، فلما أبصره رسول الله ﷺ قال: إِيَّيَّ إِلَيَّ، فأقبل مالك حتى دنا منه، فَسَلَّ خَاتَمَهُ مِنْ خِنْصَرِهِ فَوَضَعَهُ فِي خِنْصَرِ مَالِكِ^(١).

وقال بشر بن بكر التَّنِيسِيُّ: (رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ الْأَوْزَاعِيَّ وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ وَلَمْ أَرَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَقُلْتُ: فَأَيْنَ مَالِكُ؟ قَالُوا: وَأَيْنَ مَالِكُ؟! وَأَيْنَ مَالِكُ؟! رُفِعَ مَالِكٌ. قَالَ: فَمَا زَالَ يَقُولُ: وَأَيْنَ مَالِكُ؟ رُفِعَ مَالِكٌ، حَتَّى تَسْقُطَ قَلْنُسُوَّتُهُ)^(٢).

وقال مصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ: سمعت أبي، يقول: (كنتُ جالساً مع مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ، إذ أتاه رجل فقال: أَيُّكُمْ مالك بن أنس؟ فقالوا له: هذا، فسلم عليه واعتنقه وضمه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيتُ رسول الله ﷺ البارحة جالساً في هذا الموضع، فقال: هاتوا بمالك، فأتي بك تُرْعَدُ فَرَائِصُكَ، فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، وكنتك، وقال: اجلس، فجلست، قال: افتح حجرك، ففتحتُه، فملاه مسكاً منثوراً، وقال: ضمه إليك وبثه في أمّتي. قال: فبكى مالك، وقال: الرؤيا تسرُّ ولا تغرُّ، وإن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله تعالى)^(٣).

وقد ساق القاضي عياض فصلاً مطوّلاً في هذا، وقال الذهبي فيه: (أورد القاضي عياض عدة مناماتٍ حسنة للإمام، وسائر كتابه بلا أسانيد، وفي بعض ذلك ما يُنكر)^(٤).

(١) الانتقاء، ص ٧٨، التقييد ٢/٢٣٦، سير أعلام النبلاء ٧٨/٨.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٨/١.

(٣) الانتقاء، ص ٧٨ - ٧٩، ترتيب المدارك ١/٢٤١.

(٤) ترتيب المدارك ١/٢٣٨ - ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١٣٢/٨.

منزلته الرفيعة وطرف من ثناء الأئمة عليه:

يتبوأ الإمام مالك مكانة سامقة ومنزلة رفيعة لم يبلغها إلا القليل من أعلام الأمة والصفوة النادرة من أعيانها، فهو الإمام شيخ الإسلام، رأس المُتَقِينِ، سيد المتبئتين، محدثُ الفقهاء وفقية المحدثين، قد أجمعت طوائف العلماء على إمامته وسيادته، واحترامه وتبجيله، وجلالته وعلو قدره، عند العامة والخاصة، والخلفاء والأمراء، والمحدثين والفقهاء، وأثنى عليه القريب والبعيد، والموافق والمخالف، وهو حقيقٌ بكل ذلك وجديرٌ به، فلقد كان من أعلام الهدى، ومعادن الصدق، وهو إمام دار الهجرة، والمُشار إليه من بين أعلام عصره في بلاد الحجاز، وإليه تتجه الأنظار، وبفنائه تحط الرّحال، والثناء عليه منتشر عريض.

ومالك كمنظرائه ممن استفاضت شهرته لا يُسألُ عنه، بل هو الذي يُسألُ عن الرجال توثيقاً وتضعيفاً، وجرحاً وتعديلاً، ويُرَبَّأُ به أن نستدلَّ على منزلته وعدالته ووثاقته بأقوال الرجال فيه، وإنما ندبجُ هذه الفقرة لتكامل جوانب الترجمة، ونذكر فيها شذرات مما قاله أعلام الأمة في الثناء عليه، وذلك كما قال الإمام ابن الأثير في صدر ترجمته لأصحاب الكتب الستة: (وإنما نذكر فيه^(١) طرفاً مما أشرنا إليه، ونكتاً مما نبهنا عليه، ليُعرفَ بالمذكور قدرُ المتروك، ويُستدلَّ بالشاهد على الغائب، فإن القوم كانوا أعلام الهدى، ومعادن الفضائل، واللسانُ في وصفهم مُطلق العنان)^(٢).

** قال أحمد بن عمرو بن السرح: حدثنا أيوب بن سويد، قال: (حدَّثنا

(١) أي في الباب الذي عقده لتراجم الأئمة الستة، وهم: مالك، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) جامع الأصول ١/١٧٩.



مَنْ نُصَدِّقُ عَنْ رِبِيعَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى مَالِكًا، قَالَ: قَدْ جَاءَ الْعَاقِلُ^(١).

- وروى الليث بن سعد، عن أبي حنيفة قال: (والله ما رأيتُ أسرعَ منه بجوابٍ صادق، ونقد تام)^(٢).

- وروي عن الأوزاعي أنه كان إذا ذكّر مالِكًا، يقول: (عالم العلماء، ومفتي الحرمين)^(٣).

- وقال يحيى بن حسان بن حَيَّان: (كنا عند وَهَيْب - بن خالد - فذكر حديثاً عن ابن جُريج ومالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم، فقلتُ لصاحب لي: اكْتُبْ ابن جريج ودَعْ مالِكًا، وإنما قلت ذلك لأن مالِكًا يومئذٍ حيٌّ، فسمِعَهَا وَهَيْب فقال: تقول دَعْ مالِكًا؟! ما بين شرقها وغربها أحدٌ آمنٌ عندنا على ذلك من مالك، ولَلْعَرُضُ على مالكٍ أحبُّ إليَّ من السَّماع من غيره)^(٤).

- وقال عبيد الله بن عُمر القَوَارِيرِيُّ: (كنا عند حماد بن زيد يوماً جلوساً، فجاء نَعْيُ مالك بن أنس، فبكى حماد حتى جعل يمسح عينيه بِخُرْقَةٍ كانت معه، ثم قال: يرحمُ الله أبا عبد الله، لقد كان من الإسلام بمكان)^(٥).

وقال إسحاق بن أبي إسرائيل المَرْوَزِيُّ: (كنتُ عند حماد بن زيد، فنُعِيَ له مالك بن أنس، فقال: أتُحَقِّقُ عندكم ذلك؟ قالوا: جاءَتْ به كتبُ التجار، فقال: اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَلَيْنَا الخِلافةَ بعده)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧/١.

(٢) ترتيب المدارك ١٣١/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٩٤/٨.

(٤) الجرح والتعديل ٢٠٤/٨ - ٢٠٥، تقدمته ١٤/١ - ١٥.

(٥) مقدمة الكامل، ص ٩٢، الإرشاد ٢٨٤/١، وبنحوه في الحلية ٣٢١/٦، والانتقاء، ص ٥٤.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ٣١/١، وانظر رواية أخرى ص ١٣.

- وقال أبو إسحاق الفزاري: (مالكٌ حُجَّةٌ رِضاً، كثيرُ الاتِّباعِ للأثار)^(١).
- وقال القاضي أبو يوسف: (ما رأيتُ أعلمَ من أبي حنيفة، ومالك، وابنِ أبي ليلى)^(٢).

- وقال أشهب بن عبد العزيز: (سألتُ المُغيرةَ المخزوميَّ، مع تباغُدٍ ما كان بينه وبين مالك، عن مالكٍ وعبدِ العزيز بن أبي سَلَمَةَ؟ فقال: ما اعتَدَلَا في العلمِ قَطُّ، ورَفَعَ مالكاَ على عبدِ العزيز)^(٣).

** قال الحارث بن مسكين: كان عبد الرحمن بن القاسم، يقول: (إنما أفتدي في ديني برجلين: مالك بن أنس في علمه، وسليمان بن القاسم في ورعه)^(٤).

- وقال العباس بن محمد بن العباس: أخبرنا الحارث بن مسكين، أنه سمع بعض المحدثين، يقول: (قدم علينا وكيع فجعل يقول: حدثني الثبت، حدثني الثبت، فظننا أنه اسم رجل، فقلنا: من هذا الثبت أصلحك الله؟ قال: مالك بن أنس)^(٥).

- وقال الحارث بن مسكين: سمعت عبد الله بن وهب، يقول: (لولا أنني أدركتُ مالكاَ والليثَ بن سعد لَضَلَلْتُ)^(٦).

(١) ترتيب المدارك ١/١٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٩٤.

(٣) الانتقاء، ص ٥٥، والمغيرة هو ابن عبد الرحمن المخزومي، من رجال التهذيب، كان فقيه المدينة وممن دارت عليه الفتوى في آخر زمان مالك وبعده.

(٤) الحلية ٦/٣٢١.

(٥) مقدمة الكامل، ص ٩٢، تهذيب الكمال ٢٧/١١٤.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٢ - ٢٣، الانتقاء، ص ٦٠ - ٦١.

وفي رواية عن ابن وهب قال: (لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لَضَلَلْتُ، ففيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرْتُ من الحديث فحَيَّرَنِي، فَكَنْتُ أَعْرِضُ ذلك على مالك والليث، فيقولان لي: خُذْ هذا، ودَعْ هذا)^(١).

- قال علي بن المدني: سمعت يحيى بن سعيد القطان، يقول: (كان مالكٌ إماماً في الحديث)^(٢).

وقال عبد الرحمن بن عمر رُستَه: قال يحيى بن سعيد القطان: (ما أقدِّمُ على مالكٍ في زمانه أحداً)^(٣).

- قال عبد الله بن مسَلَمَةَ القَعْنَبِيُّ: (أتينا سفيان بن عُيينة، فرأيتُه حزينا، فقيل: بَلَغَه موتُ مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم قال سفيان: ما تَرَكَ على الأرض مثله)^(٤).

وعن ابن عُيينة قال: (مالكٌ عالمٌ أهلِ الحجاز، وهو حُجَّةُ زمانه)^(٥).
- وأطْنَبَ عبدُ الرحمن بنُ مهدي في مدح شيخه مالكٍ والثناء عليه، فروى عبد الرحمن بن عمر رُستَه قال: سمعت ابن مهدي، يقول: (أئمةُ الناس في زمانهم أربعةٌ: حماد بن زيد بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام؛ يعني: في الحديث والعلم)^(٦).

(١) ترتيب المدارك ٤٢٧/١.

(٢) التاريخ الكبير ٣١٠/٧، التاريخ الأوسط ١٥٨/٢، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥١/٥، مقدمة الجرح والتعديل ١٤/١، مقدمة الكامل، ص ٩٠.

(٣) الحلية ٣٢١/٦.

(٤) الحلية ٣٢١/٦، سير أعلام النبلاء ١١٠/٨.

(٥) ترتيب المدارك ١٣٠/١، سير أعلام النبلاء ٥٧/٨، وانظر أقوالاً أخرى لسفيان في: الانتقاء، ص ٥٣، ترتيب المدارك ١٣٠/١.

(٦) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٥٠/٥، مقدمة الجرح والتعديل ٢٠٣/١، ٢٢/٢، الانتقاء، ص ٦٢.

وقال ابن مهدي: (ما رأيتُ محدثاً أحسنَ عقلاً من مالك بن أنس) (١).
وقال أيضاً: (ما بقيَ علي وجهِ الأرض أحدٌ آمنٌ علي حديث رسول الله ﷺ من مالك بن أنس) (٢).

وقال محمد بن عثمان بن أبي صفوان الثقفِي: قال لنا عبد الرحمن بن مهدي: (هل أحدٌ منكم عمّن لم ترّ عيناى مثله؟! ثم قال: حدّثنا مالك عن الزهري) (٣).

- روى يونس بن عبد الأعلى والرّبيع بن سُلَيْمان، عن الشافعيّ قال: (إذا جاء الأثرُ فمالكُ النَّجم) (٤).

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي، يقول: (مالكٌ وابنُ عُيينة القرينان) (٥).

وقال يونس والرّبيع، عن الشافعي: (لولا مالكٌ وابنُ عُيينة لذهَب علمُ الحجاز) (٦).

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعيّ، يقول: (إذا ذكِر العلماءُ فمالكُ النَّجم، وما أحدٌ آمنٌ عليّ من مالك بن أنس).

وقال محمد بن أبي عُمر العَدَنِيّ: سمعت الشافعيّ، يقول: (مالك بن أنس مُعلّمِي، وعنه أخذتُ العلم) (٧).

(١) تقدمة الجرح والتعديل ٢٧/١، الانتقاء، ص ٦٣.

(٢) الحلية ٣١٨/٦.

(٣) مقدمة الكامل، ص ٩٢.

(٤) الجرح والتعديل ٢٠٦/٨، تقدمته ١٤/١، الحلية ٣١٨/٦، الإرشاد ٢١٠/١، الانتقاء، ص ٥٥.

(٥) الجرح والتعديل ٢٠٦/٨، مقدمة الكامل، ص ٩٢، الحلية ٣١٨/٦. والقرينان: أي في الأثر.

(٦) تقدمة الجرح والتعديل ١٢/١، الحلية ٣٢٢/٦، الانتقاء، ص ٥٣.

(٧) الانتقاء، ص ٥٥.

** قال ابن سعد: (وكان مالك ثقةً، مأموناً، ثبتاً، ورِعاً، فقيهاً، عالماً، حجةً)^(١).

- قال ابن أبي مريم: (قلتُ ليحيى بن معين: الليثُ أرفعُ عندك أو مالكُ؟ قال: مالك. قلت: أليس مالك أعلى أصحاب الزهري؟ قال: نعم. قلت: فعبيدُ الله أثبتُ في نافع أو مالكُ؟ قال: مالكُ أثبتُ الناس. وقال يحيى بن معين: كان مالكُ من حُجَجِ الله على خلقه)^(٢).

وقال يحيى بن معين: (مالك أمير المؤمنين في الحديث)^(٣).

- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، يقول: (مالك وابن جريج حافظان). وذَكَرهما ثانية فقال: (هما مُسْتَثْبِتَان)^(٤).

وروى حنبل بن إسحاق، عن أحمد بن حنبل قال: (مالك بن أنس، وزائدة، وزهير، والثوري، وشعبة، هؤلاء أئمة)^(٥).

وقال حنبل أيضاً: سألتُ أبا عبد الله عن مالك، فقال: (مالك سيّد من سادات أهل العلم، وهو إمامٌ في العلم والفقّه. ثم قال: ومَنْ مِثْلُ مالك؟! متَّبِعٌ لآثارِ مَنْ تقدّم، مع عقلٍ وأدبٍ)^(٦).

وقال أبو بكر المروزي: سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: (مالك بن أنس عندي إمامٌ من أئمة المسلمين)^(٧).

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٤.

(٢) الانتقاء، ص ٦٥.

(٣) مقدمة الكامل، ص ٩٠، التعديل والتجريح ٧٧٠/٢.

(٤) العلل: رقم ٥١٤٠.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٧٧، وزهير هو ابن معاوية.

(٦) صفة الصفوة ١٧٩/٢.

(٧) العلل برواية المروزي: رقم ٢٠٠، وانظر ٤٢.

- قال أبو داود السَّجِسْتَانِي: (رَحِمَ اللهُ مالِكاً كانَ إماماً، رَحِمَ اللهُ الشافعي كانَ إماماً، رَحِمَ اللهُ أبا حنيفة كانَ إماماً)^(١).

- وقال أبو حاتم الرازي: (الحُجَّةُ على المسلمين الذين ليس فيهم لبس: سفيانُ الثوري، وشعبةُ، ومالكُ بنُ أنس، وسفيانُ بنُ عُيينة، وحمادُ بنُ زيد)^(٢).

وقال أبو حاتم أيضاً: (مالكُ بنُ أنس ثقة، إمام الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهري، وإذا خالفوا مالِكاً من أهل الحجاز حكم لمالك، ومالك نقي الرجال نقي الحديث، وهو أنقى حديثاً من الثوري والأوزاعي)^(٣).

- قال يعقوب بن سفيان الفَسَوِيُّ: (مالكُ والثوريُّ وابنُ عيينة إليهم تنتهي الأمانةُ في العلم والإتقان والحفظ)^(٤).

- قال الحسن بن رَشِيْق: سمعت النَّسَائِيَّ، يقول: (أَمَناءُ اللهُ ﷺ على علم رسول الله ﷺ: شعبةُ بن الحجاج، ومالكُ بن أنس، ويحيى بنُ سعيد القَطَّان)^(٥).

وقال النَّسَائِيَّ أيضاً: (ما عندي أحدٌ بعدَ التابعين أنبلُ من مالك بن أنس، ولا أجلُّ منه، ولا أوثقُ، ولا آمَنُ على الحديث منه، ثم يليه شعبةُ في الحديث، ثم يحيى بنُ سعيد القَطَّان، وليس أحدٌ بعدَ التابعين آمَنُ على الحديث من هؤلاء الثلاثة، ولا أقلُّ روايةً عن الضعفاء من هؤلاء الثلاثة)^(٦).

(١) الانتقاء، ص ٦٧.

(٢) الانتقاء، ص ٦٦.

(٣) الجرح والتعديل، ٢٠٦/٨، تقدمته ١٧/١.

(٤) المعرفة والتاريخ، ٣٤٧/١، ٤٧٢/٣.

(٥) الانتقاء، ص ٦٥، سير أعلام النبلاء ١٠٦/٨.

(٦) الانتقاء، ص ٦٥ - ٦٦، التعديل والتجريح ٧٦٧/٢.

** وذكره ابن جَبَّان في «الثقات» وأثنى عليه، وقال في «مشاهير علماء الأمصار»: (من سادات أتباع التابعين، وجِلَّة الفقهاء والصالحين، مَنَّ كَثُرَتْ عِنَايَتُهُ بِالسُّنَنِ، وَجَمَعَهُ لَهَا، وَذَبَّهَ عَنْ حَرِيمِهَا، وَقَمَعَهُ مَنْ خَالَفَهَا أَوْ رَامَ مُبَايَنَتَهَا، مُؤَثِّرًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ الْمُخْتَرَعَاتِ الدَّاحِضَةِ، قَائِلًا بِهَا دُونَ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْمُقَايَسَاتِ الْفَاسِدَةِ)^(١).

- وافتتح أبو نعيم ترجمته فقال: (إمام الحَرَمين، المشهورُ في البلدين الحجاز والعراقين، المستفيضُ مذهبُه في المغربين والمشرقين، مالكُ بن أنس رضي الله عنه، كان أحدَ الثُّبَلَاءِ، وأكملَ العُقَلَاءِ)^(٢).

- وترجم ابن الأثير لأصحابِ الكتب الستة، وقَدَّمَ مالكَأ، فقال: (وقد بدأنا بِذِكْرِ مالِكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَأَنَّهُ الْمُقَدَّمُ زَمَانًا وَقَدْرًا، وَمَعْرِفَةٌ وَعِلْمًا، وَنَبَاهَةٌ وَذِكْرًا، وَهُوَ شَيْخُ الْعِلْمِ، وَأَسْتَاذُ الْأُئِمَّةِ)^(٣).

- وقال النووي: (إمامُ دارِ الهجرة، وأحدُ أئمةِ المذاهبِ المتبوعة... وأجمعت طوائفُ العلماء على إمامتِهِ وَجَلالَتِهِ، وَعِظَمِ سيادَتِهِ، وَتَجْجِيلِهِ وَتَوْقِيرِهِ، وَالإِذْعَانِ لَهُ فِي الْحِفْظِ وَالتَّثْبُتِ وَتَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٤).

- وأثنى عليه الذهبي جَدًّا فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَافْتَتَحَ تَرْجَمَتَهُ فِي «السِّيَرِ» بِقَوْلِهِ: (مالِكُ الإِمَامِ، هُوَ شَيْخُ الإِسْلَامِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، إِمَامُ دارِ الهجرة)، ثُمَّ قَالَ: (وقد كان مالِكُ إِمَامًا فِي نَقْدِ الرِّجَالِ، حَافِظًا، مَجُودًا، مُتَّقِنًا).

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٢٣، وانظر: الثقات ٤٥٩/٧.

(٢) الحلية ٣١٦/٦.

(٣) جامع الأصول ١٧٩/١.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢ - ٧٦.

وقال في «التذكرة»: (الإمامُ الحافظُ، فقيهُ الأمة، شيخُ الإسلام)، واختتم الترجمة بقوله: (وقد اتَّفَقَ لمالكٍ مناقِبُ ما علمتُها اجتمعتُ لغيره؛ أحدها: طولُ العُمُرِ وعلوُ الروايةِ، وثانيُها: الذَّهْنُ الثاقِبُ والفهمُ وسَعَةُ العلمِ، وثالثُها: اتِّفاقُ الأئمةِ على أنه حجَّةٌ صحيحُ الروايةِ، ورابعُها: تجمُّعُهم على دينه وعدالتِه واتباعه السُّننِ، وخامسُها: تقدُّمُه في الفِقهِ والفتوى وصحَّةُ قواعده)^(١).

- وقال الحافظ: (مالكُ بنُ أنسٍ أبو عبد الله، الفقيهُ، إمامُ دارِ الهجرة، رأسُ المُتقِنين، وكبيرُ المُتنبِّئين)^(٢).

- وقال ابنُ تَغْرِي بَرْدِي: (وكان الإمامُ مالكٌ رَضِيَ اللهُ عَظِيمَ الجلالة، كثيرُ الوقار، غزيرُ العلم، متشدِّداً في دينه)^(٣).

- وقال ابنُ رَجَبِ الحَنبَلِي: (إمامُ دارِ الهجرة، المُجْتَمَعُ على إمامتِه وجلالته وفضله وعلمه)^(٤).

من أخباره الشخصية:

ما قيل في حلفه وولائه:

قال عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَزْدِيُّ: أخبرني أبو سُهيل نافعُ بن مالك - عمُّ مالك بن أنس - قال: (إنا قومٌ من ذِي أَصْبَح، قَدِمَ جَدُّنا

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨/٨، ٧١، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١، ٢١٢.

(٢) تقريب التهذيب ٢٢٣/٢، وفي طبعة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف: (المتقين) بدل (المتقنين) وهو تصحيف، وجاء على الصواب في طبعة الشيخ محمد عوامة، وتحريروا تقريب التهذيب للشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٣) النجوم الزاهرة ١٢٥/٢.

(٤) شرح علل الترمذي ٤٥٦/١.



المدينة وحاله خفيف، فتزوج مولاة للثيمين، فكان يحفظه ويكون معهم،
فُنسبنا إليهم، وليس لهم علينا نعم ولا غيرها^(١).

وقال مالك بن أبي عامر الأصبحي: (بينما نحن بطريق مكة في حَجٍّ
أو عُمرة تحت قَفْلَة - يعني شجرة - إذ قال لي عبد الرحمن بن عثمان بن
عُبَيْد الله التَّيْمِي: يا مالك، قلت: ما تشاء؟ قال: هل لك إلى ما دَعَانَا إِلَيْهِ
غَيْرِكَ فَأَبِينَا عَلَيْهِ؟ قلت: إلى ماذا؟ قال: إلى أن يكون دَمُنَا دَمَكَ، وَهَدْمُنَا
هَدْمَكَ، وبالله القائل: ما بَلَّ بحرٌ صُوفَةً. قال مالك: فأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ). قال
ابن سعد: (فَعِدَادُهُمَ الْيَوْمَ فِي بَنِي تَيْمٍ لِهَذَا السَّبَبِ)^(٢).

وقال رَوْح بن الْفَرَج الْقَطَّان: سمعت أبا مصعب الزهري، يقول:
(مالكُ بن أنس من العرب صَلِيبِيَّةٌ، وَحِلْفُهُ فِي قَرِيشٍ فِي بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ)^(٣).
وقال الْوَاقِدِيُّ: (مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر: من ذِي أَصْبَحٍ،
من جَمِيرٍ، له عِدَادٌ فِي بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ، إِلَى عَثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخِي
طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ)^(٤).

قال ابن عبد البر: (هذا لا أعلم أن أحداً أنكر أن مالكا ومن ولده،
كانوا حُلَفَاءَ لِبَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ مِنْ قَرِيشٍ، وَلَا خَالَفَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ
إِسْحَاقَ زَعَمَ أَنَّ مَالِكًا وَأَبَاهُ وَجَدَّهُ وَأَعْمَامَهُ مَوَالِي لِبَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ. وَهَذَا
كَانَ السَّبَبَ لِتَكْذِيبِ مَالِكٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَطَعَنِهِ عَلَيْهِ)^(٥).

(١) المعرفة والتاريخ ٦٨٣/١، ترتيب المدارك ١٠٦/١.

(٢) طبقات ابن سعد ٦٣/٥ - ٦٤، وبأخصر منه في: التاريخ الأوسط ٣٠١/١ - ٣٠٢، الانتقاء، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) الانتقاء، ص ٣٨، وانظر، ص ٤١، والإرشاد ٢٨٣/١.

(٤) الانتقاء، ص ٤٠، وفي طبقات ابن سعد ٤٣٣: حلفه إلى عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي. وانظر الحاشية (٢).

(٥) الانتقاء، ص ٤٠. وانظر التحقيق في نسب مالك في ترتيب المدارك ١٠٤/١ - ١٠٧.



جَدُّ أَبِيهِ أَبُو عَامِرٍ نَافِعُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ الْأَصْبَحِيِّ:

قيل: (إنه صحابي شهد المغازي كلها مع النبي ﷺ خلا بَدْرًا)، نقله القاضي عياض عن القاضي بكر بن العلاء القشيري. لكن قال غيره: (أبو عامر جَدُّ مالكِ الأعلى: كان في زمان النبي ﷺ ولم يَلْقَهُ، سمع عثمان بن عفان، فهو تابعي مُخَضَّرَم).

قال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة»: (لم أرَ أحداً ذكره في الصحابة). ونقله الحافظ في «الإصابة» ولم يزد عليه^(١).

جده مالك بن أبي عامر الأصبحي^(٢):

روى عن: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وأبي هريرة، وغيرهم.

وحدَّث عنه: بنوه أنس والرَّبِيع وأبو سُهيل نافع، وسالم أبو النَّضْر، وسليمان بن يَسَار، وآخرون.

روى له الجماعة.

أبوه أنس بن مالك بن أبي عامر:

روى عن أبيه، روى عنه: الزهري، وابنه مالك بن أنس^(٣).

روى مالك، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عُمر بن الخطاب مرفوعاً: «ثلاثُ

(١) ترتيب المدارك ١٠٧/١، الديباج المذهب ٨٥/١، الإصابة ١٤٤/٤ ت ٨٣٩ «الكنى»، شرح الزرقاني ٢/١.

(٢) تهذيب الكمال: ١٤٨/٢٧ ت ٥٧٤٥.

(٣) التاريخ الكبير ٣٠/٢ ت ١٥٨٢، الجرح والتعديل ٢٨٦/٢ ت ١٠٣٩.

يَفْرُحُ لَهَنَ الْجَسَدُ فِيرَبُو عَلَيْهِنَ: الطَّيِّبُ، وَالثَّوْبُ اللَّيِّنُ، وَشَرَبُ الْعَسَلِ»^(١).
قلت: لم يكن لأنسٍ اشتغالٌ بالحديث، ولو كانت له رواية لكان ابنه
مالك أول الرواة عنه.

أمه العالية بنت شريك:

هي العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزديّة^(٢).

أعمامه:

أويس بن مالك بن أبي عامر^(٣).

الربيع بن مالك بن أبي عامر^(٤).

نافع بن مالك بن أبي عامر^(٥).

أبناؤه:

ذكروا للإمام مالك من الأولاد: يحيى، ومحمد، وحماد، وفاطمة.
وذكر ابن عبد البر ابنة تُكْنَى أم البهاء بدل فاطمة، فلعلها كنية فاطمة،
أو لا، فيكون له من الأولاد خمسة، والله أعلم^(٦).

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ١٤١/٣، وأبو نعيم في الحلية ٣٤٠/٦، وغيرهما، وضعفه
الخطيب وغيره، وقال الألباني: موضوع. انظر: شرح الزرقاني ٢/١، سلسلة الأحاديث الضعيفة
٢٦٥/١ حديث ١٣٨.

(٢) الثقات ٤٥٩/٧، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٦.

(٣) التاريخ الكبير ٥٥/٢ ت ١٦٦٧، الجرح والتعديل ٣٢٦/٢ ت ١٢٤٦، الثقات ٨٤/٦.

(٤) التاريخ الكبير ٢٧٣/٣ ت ٩٢٩، وفيه: (عن مالك) والصواب: (عم مالك)، نُبّه عليه
عبد الرحمن المُعَلَّمي في ترجمته من الجرح والتعديل ٤٦٨/٣ - ٤٦٩ ت ٢٠٩٨.

(٥) تهذيب الكمال ٢٩٠/٢٩ ت ٦٣٦٨.

(٦) ترتيب المدارك ١٠٩/١ - ١١٠، اللديج المذهب، ص ٨٦ - ٨٧.

وقد ضَعَّف ابنُ حزم يحيى ومحمداً^(١).

قال هارون بن موسى بن أبي علقمة الفزوي: حدّثني أبي، قال: (كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه، فكان إذا نظر إليه أبوه يقول: هاه! إنّ ممّا يُطَيَّبُ نفسي أن هذا العلم لا يُورَث، وأن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم)^(٢).

وقد قيل: إن يحيى بن مالك روى عن أبيه «الموطأ»، وحَدَّث به باليمن^(٣).

والعجيب أن ابن فزحون نقل هذا في «الديباج» وأورد معه الخبر السابق عن الفزوي في دخول يحيى وخروجه، وعدم جلوسه للعلم في حلقة أبيه.

وليحيى ترجمة في «الضعفاء» للعقيلي، و«ميزان الاعتدال»، و«لسان الميزان»، وذكره ابن جبان في «الثقات».

مولده ووفاته ومبلغ عمره وتركته:

مولده وما قيل في مدة الحمل به:

** قال يحيى بن بُكير، وعطاف بن خالد: وُلد مالك بن أنس سنة ثلاث وتسعين للهجرة^(٤).

(١) الجمهرة، ص ٤٣٦.

(٢) المحدث الفاصل: رقم ١٤٩.

(٣) الثقات ٢٥٧/٩، الديباج المذهب ٨٦/١ - ٨٧، شرح الزرقاني ٥/١.

(٤) الانتقاء، ص ٣٦ - ٣٧، ترتيب المدارك ١١٠/١، الديباج المذهب ٨٨.

- وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم، وعُمارة بن وَثِيمة: وُلد مالك سنة أربع وتسعين^(١).

- وعن حُميد بن الأسود قال: سألت مالكا وسفيانَ، فاتفقا أنهما وُلدا في خلافة سُليمان بن عبد الملك^(٢). وكذا قال خليفة بن خياط في «تاريخه»^(٣).

وخلافة سُليمان بين سنتي (٩٦ - ٩٩هـ).

وقيل غير ذلك^(٤).

وصحح الذهبي القول الأول^(٥)، ويؤيده ما رواه يحيى بن بُكير قال: سمعت مالكا، يقول: وُلدتُ سنة ثلاث وتسعين^(٦).

** وقد ذكر الواقدي وغير واحد أن أم مالك حَمَلتُ به ثلاث سنين، وبعضهم يقول: حملت أمه به سنتين!

وقد توارَدَ على ذلك كثيرٌ ممن ترجم للإمام مالك^(٧).

قلت: وهذا باطلٌ لا يَثْبُت على النقد والتمحيص، ويردُّه العلمُ

(١) الانتقاء، ص ٣٦ - ٣٧، ترتيب المدارك ١١٠/١، الديباج المذهب، ص ٨٨.

(٢) التاريخ الأوسط ١١٣/٢، التعديل والتجريح ٧٦٦/٢.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٣١٩.

(٤) انظر: المعرفة والتاريخ ١٤٦/١، ١٧١، ترتيب المدارك ١١٠/١، الديباج المذهب، ص ٨٨ - ٨٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٩/٨، ٧١، تذكرة الحفاظ ٢١٢/١، تاريخ الإسلام ٣١٨.

(٦) تذكرة الحفاظ ٢١٢/١.

(٧) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٤، الثقات ٤٥٩/٧، رجال البخاري للكلاباذي ٦٩٤/٢، وفيات الأعيان

١٣٧/٤، ترتيب المدارك ١١١/١ - ١١٢، الانتقاء ٤٠، صفة الصفوة ١٧٧/٢، تهذيب الكمال ١١٩/٢٧،

سير أعلام النبلاء ١٣٢/٨، الديباج المذهب ٨٩/١.

الصحيح والنقلُ الصريح، وهو مخالِفٌ لطبيعة الأمور وما هو معهود في كل الأزمان ومألوف في كل البيئات. وما يُولَع به البعض من ذُكْر الغرائب في مناقب الأئمة لا داعي له، وقد أكرم الله مالكا بمناقب رفيعة ثابتة لا تحتاج إلى مثل هذا القول ليُخشَر معها، ولو كانت كرامةً لكان الأولى بها النبي ﷺ وخيار صحابته، ولم يُروَ عنهم ذلك.

والمعلوم علمياً وطبياً أنه عند اكتمال الحمل في الشهر التاسع - ولربما يستمر الحمل حتى الشهر العاشر في النادر - يتمزق الغشاء الأمنيوني المحيط بالجنين، ويتدفق السائل الأمنيوني ليسهل خروج الجنين، وإذا لم يخرج خلال وقت قصير يصبح معرضاً للخطر والموت.

بل إن القول بالحمل ثلاث سنين يُخالف ما جاء في التنزيل الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: ١٥]!

وفاته:

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُويس: (اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، فقال: تشهد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. وتوفي صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول، سنة تسع وسبعين ومئة، في خلافة هارون. وصلى عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهو ابنُ زينب بنتِ سليمان بن علي، بأمه كان يُعرف، يُقال: عبد الله بن زينب، وكان يومئذٍ والياً على المدينة، فصلّى على مالك في موضع الجنائز، ودُفِنَ بالبقيع، وكان يوم مات ابن خمس وثمانين سنة).

قال محمد بن سعد: (فذكرتُ ذلك لمصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِيّ، فقال: أنا أحفظُ الناسِ لموتِ مالك، مات في صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً^(١)). وكذا قال أنه توفِّي سنة (١٧٩هـ): عبدُ الله بن محمد بن أبي الأسود، ويحيى بن بُكَيْر، وأبو نُعَيْمِ الْفَضْلِ بن دُكَيْن^(٢). وفيها أرخه خليفة بن خياط، وعلي بن المدني، وأحمد، ودُخَيْم، وآخرون^(٣).

قال الذهبي: (تواترتُ وفاته في سنة تسع، فلا اعتبارَ لقول من غلط وجعلها في سنة ثمانٍ وسبعين، ولا اعتبارَ بقول حبيب كاتبه، ومُطَرِّف فيما حُكي عنه، فقالا: سنة ثمانين ومئة)^(٤).

واختلفوا في الشهر واليوم الذي مات فيه، والأكثر على أنه في ربيع الأول، وصحَّ القاضي عياض أن وفاته في ربيع الأول يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه^(٥).

وغسَّله ابنُ أبي زَنْبَرٍ وابنُ كِنَانَةَ، وابنه يحيى وكاتبه حبيب يَصُبَّانٍ عليهما الماء، ونزل في قبره جماعةً. وأوصى أن يُكفَّن في ثياب بيض، وأن يُصلَّى عليه في موضع الجنائز. وصلَّى عليه عبد الله بن محمد أمير

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٣ - ٤٤٤، الانتقاء، ص ٨٨ - ٨٩، تهذيب الكمال ١١٩/٢٧، سير أعلام النبلاء ١٣٠/٨.

(٢) التاريخ الأوسط ١٥٦/٢، المعرفة والتاريخ ١٧٠/١، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ١٧٢.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٤٥١، طبقاته، ص ٢٧٥، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٦٤٦، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٧٢، ١٧٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣١/٨.

(٥) ترتيب المدارك ٢٣٧/١، سير أعلام النبلاء ١٣٠/٨.

المدينة - المتقدم ذكره - ثم مشى أمام جنازته، وحمل نعشه. وبلغ كفه خمسة دنانير^(١).

عمره:

اختلف في عمره على عدة أقوال^(٢)، وبالنظر للصحيح في سنتي مولده ووفاته، يكون عمره ستاً وثمانين سنة.

تركته^(٣):

قال ابن القاسم: (مات مالك عن مئة عِمامة، فضلاً عن سواها).
وقال ابن أبي أُويس: (بيع ما في منزل خالي مالك من بُسْط، ومِنَصَّات، ومخاد، وغير ذلك، بما يُنيف على خمسمئة دينار).

وقال محمد بن عيسى بن خلف: (خلف مالك خمسمئة زوج من النعال، ولقد اشتهى يوماً كساء قوصياً، فما بات إلا وعنده منها سبعة، بُعثت إليه).

(وأهدى له يحيى بن يحيى النَّيسابوري هدية، فوجدت بخط جعفر: قال مشايخنا الثقات: إنه باع منها من فضلتها بثمانين ألفاً).

وترك من الناص^(٤) ألفي دينار وستمئة دينار وسبعة وعشرين ديناراً، ومن الدراهم ألف درهم.

(١) ترتيب المدارك ٢٣٧/١، سير أعلام النبلاء ١٣١/٨، الديباج ١٣٣/١ - ١٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٤٤٤، المعرفة والتاريخ ١٧٠/١، ترتيب المدارك ١١١/١، تهذيب الكمال ١١٩/٢٧، سير أعلام النبلاء ١٣١/٨ - ١٣٢.

(٣) ترتيب المدارك ٢٤٥/١ - ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ١٣٢/٨ - ١٣٣.

(٤) الناص: هو النقد من الدنانير والدراهم.

وما أحسنَ قولَ ابنِ المباركِ فيه:

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلَهُ وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا وَعَى القُرْآنَ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَيَّطَتْ لَهُ الأَدَابُ باللَّحْمِ وَالدَّمِ^(١)

قلت: لقد تَرَكَ هذا الإمام ما هو أرفعُ من ذلك وأعلى، فقد وَرَثَ للأمة «الموطأ»، وترك لهم علماً جمّاً وفقهاً غزيراً؛ فانتَفَعَ به خلائق لا يُحصون على مرِّ الأعصار، وسيبقون كذلك إلى يوم الدين، وله بكلِّ ذلك الأجرُ الكبير، والثوابُ الجزيل، والذِّكرُ الحسنُ، والثناءُ الجميل. وحَسَبُهُ ذلك العددُ الهائل من الناس الذين انتفعوا بالموطأ، والذين يتَّبعون المذهب المالكي الذي أَصَلَهُ الإمام، وحَمَلَهُ عنه أصحابُه ونَشَرُوهُ في الخافقين، فهل وراءَ ذلك مَفْخَرٌ، وهل فوقه منزلةٌ ومكانةٌ؟!.

رحمَ اللهُ الإمامَ مالكا، وأَعْلَى درجتهُ في عَلَيَّين، وجَزَاهُ خيرَ ما جرى العلماءُ العاملين، الذين يَحْمِلُونَ هذا الدين، وَيُنْفُونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين.

وقد طالَت ترجمة هذا الإمام، وبقي فيها أشياء ليست - فيما أَحَسَبَ - من المهمَّات، وقد طالعتُ عليها رُهاءَ ألفِ صفحة، اعتصرتها واختصرتها، وهذَّبْتُها وشدَّدْتُها، وأرجو أن أكون قد وُقِّفْتُ في هذا، وأسدِيتُ لهذا السيِّد بعضَ ما يستحقُّه، ففضلهُ على الأُمَّةِ كبيرٌ، وهذا جزءٌ من رَدِّ الجميل، والله حسبي ونعم الوكيل.

* * *

(١) سَيَّطَتْ: خَلِطَتْ وَمزِجَتْ.

مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد - القسم المتمم للمدنيين ٤٣٣ - ٤٤٤، تاريخ الدارمي: رقم ١، ٢، ٥٢٥، تاريخ الدوري ٥٤٣/٢ - ٥٤٦، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ١٥٦، ١٦٣، ٥٤٥، سؤالات ابن طهمان: رقم ١٣٨، ٣٧٣، ٤٠٠، تاريخ خليفة ٣١٩، ٤٥١، طبقات خليفة ٢٧٥، علل أحمد برواية عبد الله: انظر «فهرس الأعلام»، العلل برواية المؤوذي: رقم ٤٠، ٤٢، ٥١، ٥٦، ٦٣، ٢٠٠، وبرواية الميموني: رقم ٣٦، ١٤٠، وبرواية صالح: رقم ١، سؤالات أبي داود لأحمد: انظر «فهرس الأعلام»، سنن الدارمي: حديث ٤٥٣، ٦٤٠، ٨٩٦، ٩٢١، التاريخ الكبير ٣١٠/٧ - ١٣٢٣، التاريخ الأوسط ٤٢٦/١، ١١٣٢/٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، مقدمة صحيح مسلم: ص ٨، ١١، ١٧، ٢٦، ٣٢، سؤالات الأجرى أبا داود السجستاني: رقم ١١٩٠، ١٢٦٧، ١٣٤٤، ١٥١٤، المعارف ٤٩٨ - ٤٩٩، المعرفة والتاريخ ٦٢١/١ - ٦٢٢، ٦٦٣ - ٦٦١، ٦٨٢ - ٦٩٧، وانظر «فهرس الأعلام»، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٣٦/٥، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٨، ٧٥٩، تاريخ أبي زرعة الدمشقي: انظر «فهرس الأعلام»، المنتخب من ذيل المذيل ٦٥٩ - ٦٦٠، الجرح والتعديل ٢٠٤/٨ - ٢٠٦، ٩٠٢، تقدمته ٣/١، ٤، ٥، ١١ - ٣٢، ٤٧، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٤٤، ٢٦٥، ٢٢٢/٢، ٢٧، ٣٢، المراسيل ٢٢٢، ٤٠٣، مشاهير علماء الأمصار ٢٢٣ ت ١١١٠، الثقات ٤٥٩/٧ - ٤٦٠، المحدث الفاضل: رقم ٧٩، ٨٠، ٩٠، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ٤١٨، ٤٣٢، ٤٤٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٧٩، ٥٠٦، ٥٠٧، ٦٢٦، ٧٥٥، ٧٥٩، ٧٨٢، ٧٨٦، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٩٥، مقدمة الكامل في الضعفاء ٨٩/١ - ٩٣، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١١٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، المؤلف والمختلف للدارقطني ٧٦٨/٢، سؤالات الحاكم له: رقم ٥٢٣، ثقات ابن شاهين ٣٠١ - ١٢٦٧، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٦٩٣/٢ - ٦٩٤ ت ١١٣٨، سؤالات السجزي للحاكم: رقم ٣٢، ١٤٢، ٣٠٩، ٣١٤، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢٢٠/٢ - ٢٢١ ت ١٥٤٤، الحلية ٣١٦/٦ - ٣٥٥ ت ٣٨٦، الفهرست ٢٨٠ - ٢٨١، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي ٢٠٩/١ - ٢٢٧، ٢٨١ - ٢٨٥، وانظر «فهرس الأعلام»، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٣٦، السابق واللاحق ٣٣١ - ٣٤٠ ت ١٩١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧١، ٢١٢، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٧٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٦٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٦٥، ٦٧٣، ٧٤٤، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠٢، ٩١٠، ٩٦٨، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٨٤، ١٠١٥، ١١١٠، ١١١١، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١٢٢١، ١٣٢٨، ١٣٦٠، ١٤٠٨، ١٥٣٢، ١٥٧٤، ١٧٢٤، ١٧٣٩، ١٨٤٦، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٨٠، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبد البر ٣٣ - ١١٣، التعديل والتجريح للباجي ٧٦٣/٢ - ٧٧٠ ت ٥٩٨، الإكمال ٥٦٥/٢ - ٥٦٦، طبقات الفقهاء ٥٣ - ٥٤، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٤٨٠/٢ ت ١٨٦٢، ترتيب المدارك ١٠٢/١ - ٢٥٣، الأنساب ٢٨٧/١ «الأصبحي»، صفة الصفوة ١٧٧/٢ - ١٨٠ ت ١٨٩، المنتظم ٤٢/٩ - ٤٥ ت ٩٦٤، جامع الأصول ١٧٩/١ - ١٨٤، التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، لابن

نقطة ٢٣٢/٢ - ٢٣٨ ت ٥٨١، اللباب في تهذيب الأنساب ٦٩/١ «الأصباحي»، تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢ - ٧٩ ت ١٠٠، وفيات الأعيان ١٣٥/٤ - ١٣٩ ت ٥٥٠، تهذيب الكمال ٩١/٢٧ - ١٢٠ ت ٥٧٢٨، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣١٢/١ - ٣١٥ ت ١٨٣، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات (١٧١ - ١٨٠هـ) ص ٣١٦ - ٣٣٢، العبر ٢١٠/١ - ٢١١، دول الإسلام ١٠٤، الكاشف ٩٩/٣ ت ٥٣٣٣، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١ - ٢١٣ ت ١٩٩، سير أعلام النبلاء ٤٨/٨ - ١٣٥، جامع التحصيل ٣٣٣ ت ٧٢١، مرآة الجنان ٣٧٣/١ - ٣٧٧، البداية والنهاية ١٧٤/١٠ - ١٧٥، شرح علل الترمذي ٣٥٢/١ - ٣٥٣، ٣٧٧، ٣٨٠، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٥٦ - ٤٦٠، ٦١٥/٢، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٨٠، ٨٣٠، ٨٧٦ - ٨٧٨، وانظر «فهرس الأعلام»، الديباج المذهب ٥٥/١ - ١٣٩، غاية النهاية في طبقات القراء ٣٥/٢ - ٣٦ ت ٢٦٤٢، توضيح المشتبّه ٣٥٣/٣ - ٣٥٤، تهذيب التهذيب ٥/١٠ - ٨، تقريب التهذيب ٢٢٣/٢، النجوم الزاهرة ١٢٥/٢ - ١٢٦، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ٣٩١ ت ٩٤٩، التحفة اللطيفة ٤٤٢/٣ - ٤٤٣ ت ٣٥٥٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ٩٦ ت ١٨٩، خلاصة تهذيب التهذيب ٣٦٦، طبقات المفسرين للداوودي ٢٩٤/٢ - ٣٠١ ت ٦١٣، مفتاح السعادة ١٩٥/٢ - ١٩٩، كشف الظنون ١٩٠٧/٢ - ١٩٠٨، شذرات الذهب ٢٨٩/١ - ٢٩٢، شرح الزرقاني للموطأ ٢/١ - ١٣، الرسالة المستطرفة ٤، ٥، ٦، ٩، ١٣، ٩٧، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٧٤/٣ - ٢٨٠، السُّنة ومكانتها في التشريع للسباعي ٤٣٠ - ٤٣٨، تاريخ التراث العربي لسزكين - المجلد الأول، الجزء الثالث «الفقه» ١٢٩ - ١٤٢، وغير ذلك مما يقوت الحصر، وقد أفردته بالترجمة غير واحد قديماً وحديثاً.

* * *



عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ

(١١١٨هـ - ١١٨١هـ)

اسمه ونسبه ونسبته:

عبد الله بن المبارك بن واضح الحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ مولاهم، المَرْوَزِيُّ،
الْتُرْكِيُّ الْأَب، الخَوَارِزْمِيُّ الْأُمِّ، الإمام العَلَم الحافظ الثَّبَت، نادرة الزمان،
الذي جُمعت فيه خِصَالُ الخِير.

والْحَنْظَلِيُّ: نسبة إلى بني حَنْظَلَة، وهم بَطْن من تَمِيم، وهو: حَنْظَلَة بن
مالك بن زيد مَنَاة بن تَمِيم^(١).

وعبد الله مولى لهم وليس من أنفسهم.

والمَرْوَزِيُّ: نسبة إلى مرو الشاهيجان أشهر مدن خراسان، وتقع الآن
في شمال روسيا.

والنسبة إليها مَرْوَزِيٌّ على غير قياس، والثوب مَرْوِيٌّ على القياس^(٢).

قال ياقوت: (وقد أخرجت مرو من الأعيان، وعلماء الدين، والأركان،
ما لم تُخرج مدينة مثلهم).

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٢٢، ٤٦٦، الأنساب ٢٥١/٤، اللباب ٣٩٦/١. وانظر: رسم (حَنْظَلَة)
في معجم البلدان ٣١١/٢.

(٢) الأنساب ٢٦٠/١١، اللباب ١٩٩/٣، معجم البلدان ١١٢/٥ - ١١٣.

وقد جمع تاريخ علماء مَزُو الشَّاهِجَانِ عدد من الأئمة.

كنيته:

يُكْنَى أبا عبد الرحمن، كَنَاهُ بِهَا الْجَمِيعُ، وَخَاطَبَهُ بِهَا تَلَامِيذُهُ وَالنَّاسُ.
 قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عِيْسَى الْخَفَّافُ: سَمِعْتُ سَلْمَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: أَخْبَرَنَا
 عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ابْنُ مَنْ؟ فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تَرْضَوْنَ فِي كُلِّ
 حَدِيثٍ حَتَّى أَقُولَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَنْظَلِيُّ
 الَّذِي مَنْزِلُهُ فِي سَكَّةٍ صُغْدُ؟! ^(١).

سيرته الطيبة، وشمائله الكريمة، وخصاله الحميدة، وخلاله الفريدة:

عَبَدَ اللَّهُ بْنَ الْمُبَارَكِ أَحَدَ أَفْرَادِ الدَّهْرِ، وَأَكَابِرِ الْأُئِمَّةِ، وَحَسَنَاتِ الزَّمَانِ،
 قَلَّ أَنْ تَرَى الْعِيُونَ مِثْلَهُ، جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ خِصَالَ الْخَيْرِ، حَتَّى شَبَّهَهُ شَيْخُهُ
 سَفِيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ - وَحَسِبَكَ بِهِ - بِأَنَّهُ مِثْلُ الصَّحَابَةِ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ
 وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَفْضُلُونَهُ إِلَّا بِشَرَفِ صَحْبَتِهِمُ النَّبِيِّ ﷺ وَغَزْوِهِمْ
 مَعَهُ، وَاجْتِمَاعِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَخَذُوا يَعْدُونَ خِصَالَ الْخَيْرِ
 فِيهِ فَذَكَرُوا نَحْوَ عِشْرِينَ خِصْلَةً مِنْ رُؤُوسِ الشَّمَائِلِ وَأَرْفَعِ الْفَضَائِلِ،
 وَصَدَقُوا فِي ذَلِكَ، فَلَقْدَ كَانَ هَذَا السَّيِّدُ مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ، الَّذِينَ يُفْتَخَرُ
 بِذِكْرِهِمْ عَلَى مَرِّ الْأَعْصَارِ، وَيُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْأَمْصَارِ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ صَوَّامًا قَوَّامًا، كَثِيرَ الْحَجِّ، تَلَاءً لِكِتَابِ اللَّهِ، تَقِيًّا
 نَقِيًّا، وَرِعًا زَاهِدًا، كَرِيمًا جَوَادًا كَالْبَحْرِ سَخَاءً، مُجَاهِدًا غَزَاءً، بَطْلًا شَجَاعًا،
 فَارِسًا مُقَدِّمًا، مُنْصِفًا مُتَوَاضِعًا، تَبَاعًا لِلسُّنَّةِ، مُنَافِرًا لِلْبِدْعَةِ، مُبْجَلًّا لِلصَّحَابَةِ،

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٢٤٣، علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٣٦٢ «النوع ٥٤».

محبباً للعلماء، موثقاً للأئمة، متودّداً للطلبة، لطيف العشرة، عفّ اللسان، ذا حياء ومروءة ووقار وهيبة وجلالة، عالماً كبيراً، حافظاً مكثراً، متحريراً متثبتاً، متقناً نقاداً، فقيهاً أثرياً، أديباً نحوياً، لغوياً شاعراً، فصيحاً منطيقاً، رحالة في طلب العلم، ناشراً للشئنة والآثار، محتسباً في كل ذلك، يُكرم جليسه، ويتلطف بأهل الحديث والصالحين، ويبذل لهم ماله ووقته ونفسه.

أطنب الأئمة بالثناء عليه، وترجمه القدماء والمحدثون، وأجمعوا على أنه من نواذر الرجال، وأعلام الأئمة، وأكابر الأولياء.

إمام جمع خصال الخير:

قال وَهْبُ زَمْعَةَ: حدثنا معاذ بن خالد، قال: (تعرفتُ إلى إسماعيل بن عيَّاش بعبد الله بن المبارك، فقال إسماعيل بن عيَّاش: ما على وجه الأرض مثلُ عبد الله بن المبارك، ولا أعلمُ أن الله ﷻ خلق خَصْلَةَ من خِصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك، ولقد حدَّثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يُطعمهم الخَبِيصَ وهو الدهرَ صائمٌ)^(١).

وقال علي بن إسحاق بن إبراهيم: قال ابن عُيينة: (نظرتُ في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ، وغزؤهم معه)^(٢).

وقال وَهْبُ بن زَمْعَةَ: قال عبد العزيز بن أبي رَزْمَةَ: (ما رأيتُ مثلَ عبد الله قطُّ أحداً يشبهه في العلم، والفضل، وخصال كثيرة).

(١) تاريخ بغداد ١٥٧/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٢، صفة الصفوة ١٤٤/٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٣/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢١، صفة الصفوة ١٣٨/٤.

وقال عبد العزيز بن أبي رزمة أيضاً: (لم تكن خصلة من خصال البر إلا جمعت في عبد الله بن المبارك: حياءً، وتكراً، وحسناً خلقاً، وحسناً صحبة، وحسناً مجالسة، والزهد، والورع، وكل شيء).

وروى وهب بن زمعة، عن خالد بن المعتمر قال: (شبهت عبد الله بالمسك، كلما حرّكته تجد منه ريحاً)^(١).

قال أحمد بن مُحَرِّز: حدثنا الحسن بن عيسى بن ماسزجس^(٢)، قال: (اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك، مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر، فقالوا: تعالوا حتى نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير؛ فقالوا: جمع العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والشعر، والفصاحة، والورع، والإنصاف، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزوة، والسخاء، والشجاعة، والفروسية، والشدة في بدنه، وترك الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه. وكان كثيراً ما يتمثل:

وإذا صاحبت فاضحت ماجداً ذا حياءٍ وعفافٍ وكرمٍ
قوله للشيء: لا، إن قلت: لا وإذا قلت: نعم، قال: نعم)^(٣)

عبادته:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن حمزة، قال: قال علي بن الحسن بن شقيق: (لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك، ولا أحسن قراءة ولا أكثر صلاةً منه، كان يصلي الليل كله في السفر وغيره، وكان

(١) أخرج هذه الأخبار الثلاثة ابن عساكر في تاريخه، ص ٣٣٥.

(٢) إمام محدث ثقة جليل، كان نصرانياً وأسلم على يد ابن المبارك، وروى عنه، وحدث عنه أئمة، وعُدَّ في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٥.

يرتّل القراءة ويمدّها، وإنما تَرَكَ النوم في المَحْمِلِ لأنه كان يصليّ، وكان الناس لا يدرون^(١).

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت عبدة بن سليمان، يقول: (كان ابن المبارك إذا صلى العصر أتى مسجد المصبيصة - يعني مسجد الجامع - فاستقبل القبلة يذُكُرُ الله ولم يكلم أحداً، حتى تغرب الشمس)^(٢).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: أخبرني محمد بن أعين^(٣) - وكان صاحب ابن المبارك في الأسفار، وكان كريماً عليه - قال: (كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليُرِينِي أنه ينام، فقلت أنا بِرُمُحِي في يدي قبضتُ عليه، ووضعت رأسي على الرُمح كأني أنام كذلك، فظنّ أنني قد نمتُ، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر جاء فأيقظني، وظنّ أنني نائمٌ، وقال: يا محمد، فقلت: إني لم أنم، فلما سمعها مني ما رأيتُه بعد ذلك يكلمني ولا ينسبط إليّ في شيء من غزاته كلها؛ كأنه لم يُعجبه ذاك مني، لما فطنتُ له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلاً قط أسرّ بالخير منه)^(٤).

وقال أبو إسماعيل الترمذي: حدّثنا نعيم بن حماد، قال: (قال رجل لابن المبارك: قرأتُ البارحة القرآن في ركعة، فقال ابن المبارك: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يقرأ: ﴿أَلَمْ نَكْمُ الْتَكَاثُرُ﴾ إلى الصبح، ما قدّر أن يُجاوزها؛ يعني: نفسه)^(٥).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٦/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٩/١.

(٣) كان خادم ابن المبارك، ووصيه، وأحد خواصه. من رجال التهذيب.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٦/١ - ٢٦٧، وبنحوه في تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٠.

(٥) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤١.

وعن عبد الكريم الشُّكْرِي قال: (كان عبد الله يُعجبه إذا خَتَم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود)^(١).

وقال قَطَن بن سعيد: (ما أفطر ابن المبارك قَطْ، ولا رُئي نائماً قَطْ)^(٢). وكان يحج سنة ويغزو سنة^(٣).

ورعه وزهده وخشيته ورقته:

• قال علي بن الحسن بن شَقِيق: (لم أر رجلاً قَطْ أسرَّ بالخير من عبد الله بن المبارك)^(٤).

وقال الحَسَن بن عَرَفة: قال لي ابن المبارك: (استعرتُ قلماً بأرض الشام، فذهب عليّ أن أردّه إلى صاحبه، فلما قدِمْتُ مرو نظرتُ فإذا هو معي، فرجعتُ يا أبا علي - الحسن بن عرفة - إلى أرض الشام، حتى ردّذته على صاحبه)^(٥).

وقال الحسن بن الرَّبِيع: (كان ابن المبارك إذا رَقَّ، فخاف أن يظهر ذلك منه، قام، وربما أخذ في حديث آخر)^(٦).

وقال الحسن بن عيسى: (رأيتُ في منزل ابن المبارك حماماً طيّارة، فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفِرَاح هذه الحمام، فليس ننتفعُ بها اليوم،

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٨، تاريخ الإسلام ٢٢٨.

(٢) الحلية ١٦٧/٩، صفة الصفوة ١٣٩/٤.

(٣) الإرشاد ٨٨٨/٣، ترتيب المدارك ٣٠٢/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٩/١.

(٥) تاريخ بغداد ١٦٧/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٠، صفة الصفوة ١٤٥/٤.

(٦) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا: رقم ١٦٤.

قلت: وَلِمَ ذَاكَ؟ قال: اختلطتُ بها حمامٌ غيرها فتزاوجتُ بها، فنحن نكره أن ننتفع بشيءٍ من فراخها من أجل ذلك^(١).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: سمعت ابن المبارك، يقول: (لأنَّ أَرْدَ درهماً من شبهةٍ أحبُّ إليَّ من أن أتصدقَ بمئةِ ألفٍ ومئةِ ألف، حتى بلغ ستمئة ألف)^(٢).

وقال أحمد بن سنان الواسطي: سمعت عبد الله بن سنان الخراساني، يقول: (كان لعبد الله بن المبارك أخوات، وكان لأبيه المبارك بستان بمرور، فَتَحَلَّه عبد الله، فلما كَبِرَ عبد الله وترعرع وجالس أهل العلم وطلب العلم، جاء إلى أخواته فقال لهن: إن أبانا كان صنع أمراً لم يَبْغِ له أن يصنعه، نَحَلَنِي هذا البستان دونكم، وليس أحدٌ أحقُّ أن يُخْرِجَ أباه مما جعل فيه مني، فقد رَدَدْتُ هذا البستان وجعلته ميراثاً بيننا على كتاب الله ﷻ، فحللوا أبانا مما كان دخل فيه، فقلن له: أنتَ في حلٍّ، وأبونا في حلٍّ، وهو لك كما كان والدنا نَحَلَّكَ، قال: لا، ولكنه ميراثٌ بيننا، فحللوه، فحللوه. قال: فتزَوَّجَ عبد الله، فوُلد له ابنٌ، فَتَحَلَّنَ الأخواتُ ابنَ عبد الله حِصَصَهُنَّ من البستان، فمات الغلام، فَوَرِثَهُ عبد الله، فَرَجَعَ إليه البستان كما كان أبوه نَحَلَّهُ)^(٣).

وقال الحسن بن الربيع: (لما احتَضِرَ ابن المبارك في السفر، قال: أشتهي سويقاً، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة، فذكرنا ذلك لعبد الله، فقال: دعوه. فمات ولم يَشْرِبْهُ)^(٤).

(١) صفة الصفوة ٤/١٣٦.

(٢) صفة الصفوة ٤/١٣٩، وانظر: مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٨٠.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٦٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٤١١، تاريخ الإسلام، ص ٢٣٧.

** قال الحسين بن الحسن المَرْوَزِيُّ: (سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارِكِ وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ أَوَّلِ زَهْدِهِ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ يَوْمًا فِي بَسْتَانَ وَأَنَا شَابٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أُنْرَابِيِّ، وَذَلِكَ فِي وَقْتِ الْفَوَاكِهَةِ، فَأَكَلْنَا وَشَرَبْنَا، وَكُنْتُ مُوَلَّعًا بِضَرْبِ الْعُودِ، فَقَمْتُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، وَإِذَا غَصْنٌ يَتَحَرَّكُ عِنْدَ رَأْسِي، فَأَخَذْتُ الْعُودَ لِأَضْرِبَ بِهِ، فَمَازَا بِالْعُودِ يَنْطِقُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. قَالَ: فَضَرَبْتُ بِالْعُودِ الْأَرْضَ فَكَسَرْتُهُ، وَصَرَفْتُ مَا عِنْدِي مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا مِمَّا شَغَلَ عَنِ اللَّهِ، وَجَاءَ التَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ مَا سُهَّلَ لَنَا مِنَ الْخَيْرِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ)^(١).

وقال علي بن الفضيل بن عياض: (سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبُلْغَة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعلُ ذا لأصونَ به وجهي، وأكرمَ به عِرْضِي، وأستعينَ به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به. فقال له الفضيل: يا بن المبارك، ما أحسنَ ذا، إن تَمَّ ذا)^(٢).

** قال عثمان بن سعيد الدَّارمي: سمعت نعيم بن حماد، يقول: (كان ابنُ المبارك إذا قرأ كتاب الرِّقَاقِ يَصِيرُ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ مَنْحَوْرٌ، أَوْ بَقْرَةٌ مَنْحَوْرَةٌ، مِنَ الْبِكَاءِ، لَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ مَنَا أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ، أَوْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا دَفَعَهُ)^(٣).

وقال وَهْبُ بْنُ زَمْعَةَ: (أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن الأشعث، قال:

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٠، وانظر رواية أخرى في ترتيب المدارك ٣٠٣/١ - ٣٠٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٠/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٦١.

(٣) تاريخ بغداد ١٦٧/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٣، صفة الصفوة ١٣٧/٤ - ١٣٨.

مرض ابن المبارك مرضة، فجزعَ حتى رأوه جَزِعاً، فقيل له: إنه ليس بك كل ذلك، وأنت تجزع هذا الجزعَ، قال: مرضتُ وأنا بحالٍ لا أَرْضَاهُ.
قال أبو إسحاق: وقال الفُضيل يوماً، وذكر عبد الله، فقال: أما إني أحبه لأنه يخشى الله^(١).

وقال منصور بن عَمَّار: (ثلاثة تفتتت أكبادهم من الخوف: الفُضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، وابن المبارك)^(٢).
وقال ابن المبارك لبعض أصحابه: (لا تَغْفُلْ عن يومِ ذكره الله في كتابه في ثلاثة وستين موضعاً)^(٣). يعني يوم القيامة.

آدابه وسَمْتُهُ وتواضعه:

** قال أحمد بن سنان الواسطي: (بَلَّغَنِي أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد في أول الأمر، فنظر إليه فأعجبه سَمْتُهُ، فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل خُرَاسان، قال: من أي خراسان؟ قال: من مَرُو، قال: تعرف رجلاً يُقال له: عبد الله بن المبارك؟ قال: نعم، قال: ما فعل؟ قال: هو الذي تخاطب، قال: فسَلِّم عليه، ورحَّب به، وحَسَّن الذي بينهم)^(٤).

وروى بِشْر بن السَّرِيِّ، عن عبد الرحمن بن مهدي قال: (ابن المبارك آدَبُ عندنا من سفيان)^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٣.

(٢) ترتيب المدارك ٣٠٣/١.

(٣) ترتيب المدارك ٣٠٣/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٧/١، تاريخ بغداد ١٥٤/١٠، سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٨.

(٥) الحلية ١٦٣/٨.

وقال عبید بن جناد: (ما رأيت أحداً مثل ابن المبارك، إذا ذُكر أصحابه فخمهم، يقول: وأين مثل فلان؟! ثم يقول: الرفيع من يرفعه الله بطاعته، والوضيع من وضعه)^(١).

وقال الفضل بن موسى السنيني: (أخذت أنا وعبد الله بن المبارك في طريق، فانتبهنا إلى موضع ينبغي لأحدنا أن يتقدم، فقال لي عبد الله: مكانك حتى نحسب أيُّنا أكبر فيتقدم، قال: فكنت أنا أكبر منه بشيء، فتقدمت)^(٢).

وقال أحمد بن سنان القطان الواسطي: سمعت عبد الله بن سنان الخراساني، قال: (غدوتُ أنا وصاحب لي إلى عبد الله بن المبارك في يوم شديد البرد، فاستأذنا، فخرج إلينا وعليه قباء طاق، فقال: جئتم من موضع كذا هذه الساعة، فقعد معنا، فظننا أنه قعد مقدار ما جئنا من موضعنا حتى بلغناه، ليصيبه من البرد كما أصابنا)^(٣).

وقال محمد بن حميد: (عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول الرجل إذا عطس؟ قال: يقول: الحمد لله، قال: فقال له ابن المبارك: يرحمك الله. قال: فعجبنا كلنا من حسن أدبه)^(٤).

وقال الحسن بن عيسى: (رأيت ابن المبارك دخل زمزم، فاستقى دلواً، واستقبل البيت، ثم قال: اللهم إن عبد الله بن المؤمل حدثني عن أبي

(١) الحلية ١٦٩/٨.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٣٦٤١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٢٥٣، واللفظ لأحمد.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٨/١ - ٢٦٩. والقباء: ثوبٌ يلبس فوق الثياب ويمتطق عليه. والطاق: ضربٌ من الثياب.

(٤) الحلية ١٧٠/٨، تاريخ بغداد ١٥٥/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٠.

الزُّبَيْرِ، عن جابر، أن النبي ﷺ قال: «ماءٌ زمزمٌ لِمَا شَرِبَ له»، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْرِبُهُ لِعَطَشِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (فشرب) (١).

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت عبدة بن سليمان، قال: (كنا مع ابن المبارك بالمصيصة، فأول ما جاء الليل أهديتُ إليه جام لبأ على يدي بُنِّي لي، فقبل منه، وصرَّ في كفه ديناراً. ثم لقيته في السوق فقلت: يا أبا عبد الرحمن، وجهتُ إليك، فقال: اسكت لا تتكلم بشيء. وكنت قد كتبتُ عنه قبل ذلك حديثاً كثيراً) (٢).

قال عبد الرحمن المُعَلَّمي معلقاً على هذا الخبر: (كأنَّ عبدةً أراد أن يُعاتب ابنَ المبارك على إعطاء الدينار، فبادره ابنُ المبارك فسكته، وكأنَّ ابنَ المبارك خشي أن يكون بَعَثَ اللبأ مكافأةً على ما سمعه عبدةً منه من العلم، فكافأ على اللبأ لِيَسْلَمَ ثوابُ التعليم).

** قال عبد الملك الميموني: حدَّثني أبو جعفر الحَرَاني، قال: سمعت عيسى بن يونس، يقول: (كنا بأرض الروم أنا وابن المبارك، فربَّما استحييتُ من خدمة ابن المبارك إياي، يأخذُ بركابي، فإذا نزلنا قَدَّم لنا الخبيصَ فيُلَقِّمُني، ويقعدُ فيسألُني عن الحديث ويكتب، فأقول: يا شيخ - من صنعه وبرّه لي - لله أبوك، أما أن لك أن تشبع؟! فيقول: ومن يشبع من هذا الشأن؟! (٣).

وقال حجاج بن حمزة: أخبرني زُنيج صاحب الطيالسة، قال: أخبرني

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٣، وانظر روايات وطرقاً أخرى في: تاريخ بغداد ١٠/١٦٦، وتاريخ

ابن عساكر ٣٤١ - ٣٤٣، وكلام ابن عساكر عليه، وكذا كلام الذهبي في السير ٨/٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٧٧ - ٢٧٨. واللبأ: أول اللبن عند الولادة.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٧٨ - ٢٧٩.

فلانٌ - رجل صالح - قال: (رأيتُ ابنَ المبارك وعلى عاتقه طُنٌّ من حَطَبٍ،
يَدْخُلُ خان قريش)^(١).

وقال الحسن بن عيسى: (كنا على باب سفیان بن عُيينة يوماً
وأصحاب الحديث، وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدثه. فقال
رجل: أغياني أن أرى رجلاً يسوي بين الناس في علمه، فقال له آخر: هذا
عبد الله بن المبارك، قال: نعم، هات غيره، أتعرف غيره؟ فلما قدمتُ
الكوفة ذكرتُ لابن المبارك قولَ الرجل وأنه فلان، ولم أعلمه أنهم سمّوه،
فقال: أفلا قالوا الفضيل بن عياض؟)^(٢).

وقال الحسن بن عيسى: (كنت مع ابن المبارك يوماً، فأتينا على
سِقايةٍ، والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يعرفه الناس،
فَزَحَمُوهُ ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيشُ إلا هكذا. يعني حيث لم
نُعَرَفْ ولم نُوقِرْ)^(٣).

وقال وَهْب بن زمعة: أخبرنا علي بن عبد الله العابد قال: (كنت جالساً
مع عبد الله بن المبارك، فجاءته امرأةٌ، فقالت: يا عبد الله، إني رأيتُ لك
قَصْرًا من الشَّرَفِ كذا وكذا، قال: وعبد الله ساكتٌ، قال: ثم قال لها
بالفارسية: إنه تُرى الرؤيا الصالحة للرجل السَّوءِ)^(٤).

إجابة دعوته:

قال العباس بن مصعب: حدثني بعض أصحابنا، قال: سمعت

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٨/١. والطُّنُّ: حُزْمَةٌ القَصَبِ أو الحَطَبِ.

(٢) صفة الصفوة ١٣٥/٤ - ١٣٦.

(٣) صفة الصفوة ١٣٥/٤، وانظر مقدمة الجرح والتعديل ٢٨٠/١ - ٢٨١.

(٤) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٢. والشرف: جمع شرفة، وهي ما يوضع على أعالي البناء يحلّى به.

أبَا وَهَبٍ، يَقُولُ: (مَرَّ ابْنُ الْمُبَارَكِ بِرَجُلٍ أَعْمَى، فَقَالَ: أَسَأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصْرِي، فَدَعَا اللَّهَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ)^(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَعِيمٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَافِظَ يَحْكِي عَنْ شَيْوَخِهِ: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَدْ كَانَ نَزَلَ مَرَّةً رَأْسَ سَكَّةِ عَيْسَى، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَيْسَى يَرْكَبُ فَيَجْتَازُ بِهِ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ، وَالْحَسَنُ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ وَجَهًّا، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ نَصْرَانِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الْإِسْلَامَ. فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ فِيهِ)^(٢).

ملازمته السُّنَّةُ وكراهيته البدع:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَقِيقٍ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: (إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ)^(٣).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَقِيقٍ: (قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَاهُنَا فِي الْأَرْضِ. فَقِيلَ هَذَا لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: هَكَذَا هُوَ عِنْدَنَا)^(٤).

وَقَالَ أَفْلَحُ بْنُ مُحَمَّدٍ: (قُلْتُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: إِنِّي أَكْرَهُ الصِّفَّةَ، عَنِّي صِفَّةُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: وَأَنَا أَشَدُّ النَّاسِ كِرَاهَةً لِذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا نَطَّقَ الْكِتَابُ بِشَيْءٍ قَلْنَا بِهِ، وَإِذَا جَاءَتِ الْأَثَارُ بِشَيْءٍ جَسَرْنَا عَلَيْهِ)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ١٦٧/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٠، صفة الصفوة ١٤٤/٤.

(٢) تاريخ بغداد ٣٥٢/٧، تهذيب الكمال ٢٩٦/٦ - ٢٩٧. وقد مرَّ التعريف بالحسن بن عيسى.

(٣) المنتخب من ذيل المذيّل، ص ٦٦٠، سير أعلام النبلاء ٤٠١/٨. والجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، غالوا في التنزيه، وإنكار صفات الله، وتأويلها المفضي إلى تعطيلها.

(٤) المنتخب من ذيل المذيّل، ص ٦٦٠ - ٦٦١، سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٨، ٤٠٣، مختصر العلو، ص ١٥١.

(٥) مختصر العلو ١٥٢. وجسّر على الشيء: أقدم عليه.

وقال العلاء بن الأسود: (ذُكِرَ جَهَنَّمُ عند ابن المبارك، فقال: عَجِبْتُ لَشَيْطَانٍ أَتَى النَّاسَ دَاعِياً إِلَى النَّارِ وَاَنْشَقَّ اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّمَ)^(١)
 ** قال علي بن الحسن بن شقيق: قال ابن المبارك: (القرآنُ كلامُ الله، ليس بخالقٍ ولا مخلوق)^(٢).

وقال أحمد بن يونس: (سمعتُ عبدَ الله بن المبارك قرأ شيئاً من القرآن، ثم قال: مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)^(٣).
 ** قال إسماعيل الطوسي: قال ابن المبارك: (ليكنْ مجلسُك مع المساكين، وإياك أن تجلسَ مع صاحبِ بدعة)^(٤).

وذكر عبد الله بن عمر السرخسي: (أن الحارث قال: أكلتُ عند صاحبِ بدعةٍ أكلةً، فبلغ ذلك ابنَ المبارك، فقال: لا كلَّمْتُكَ ثلاثينَ يوماً)^(٥).

حُبُّهُ لِلصَّحَابَةِ وَتَقْدِيرُهُ لَهُمْ وَعَدَمُ خَوْضِهِ فِيهَا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ:
 قال الفضيل بن عياض: قال عبد الله بن المبارك: (خَصَلْتَانِ مِنْ كَانَتَا فِيهِ نَجَا: الصَّدُوقُ، وَحُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ)^(٦).

وقال عيسى بن سلمة بن وصيف: (سمع ابن المبارك وكيعاً يقدّم عليّاً على عثمان، فقال له: يا أبا سفيان، وإنك لعلي هذا؟! إنك لرجل لا كلَّمْتُكَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ﷻ)^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء ٤١١/٨، تاريخ الإسلام ٢٣٧.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٣.

(٣) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٣، سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٨.

(٤) الحلبي ١٦٨/٨، سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٨، ٤١١.

(٥) الحلبي ١٦٨/٨.

(٦) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٥.

(٧) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٣، مختصره ١٦/١٤.

ونقل أبو علي العسائي الجياني: (أن عبد الله بن المبارك سُئل: أيُّهما أفضلُ: معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضلُ من عمر بألف مرة، صلَّى معاويةُ خلفَ رسول الله ﷺ فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا؟!)(١).

وقال نُعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك، يقول: (السيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةً، ولا أقول لأحدٍ منهم هو مَفْتُونٌ)(٢).

جهاده وشجاعته وفروسيته:

قال عبدة بن سليمان المروزي: (كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فقتله، ثم آخر، فقتله، ثم آخر، فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنتُ فيمن ازدحم إليه، وهو يَلْتُمُ وجهه بكُمه، فأخذتُ بطرف كُمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا؟!)(٣).

وقال محمد بن المثنى: حدثنا عبد الله بن سنان، قال: (كنتُ مع ابن المبارك والمُعتمر بن سليمان بطرسوس^(٤)، فصاح الناس: النفير، النفير، فخرج ابن المبارك والمُعتمر، وخرج الناس. فلما اصطفت المسلمون

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٣٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٥، تاريخ الإسلام، ص ٢٢٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٦٧، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٣، صفة الصفوة ٤/١٤٤، المنتظم ٩/٥٩.

(٤) مدينة بجنوب تركيا، قرب المصيصة، وكلتاها من تركيا اليوم.

والعدو، خرج رجل من الروم يطلب البراز، فخرج إليه مسلمٌ، فشدَّ العِلْجَ على المسلم فقتلَ المسلمَ، حتى قَتَلَ ستَّةَ من المسلمين مبارزةً، فجعل يتبختر بين الصفيين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحدٌ، فالتفت إليَّ ابنُ المبارك فقال: يا عبد الله، إنَّ حَدَثَ بي حَدَثَ الموتِ فافعل كذا، وحرك دابَّته، وخرج العِلْجُ، فعالَجَ معه ساعة، فقتلَ العِلْجَ، وطلب المبارزة، فخرج إليه عِلْجٌ آخرُ، فقتله، حتى قَتَلَ ستةَ من العُلُوجِ مبارزةً، وطلب البراز فكانهم كاعوا عنه، فضربَ دابَّته، وطردَ بين الصفيين، وغاب، فلم أشعر بشيء، وإذا أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد الله، لئن حَدَّثْتُ بهذا أحداً وأنا حيٌّ - فذكر كلمةً - قال: فما حَدَّثْتُ به أحداً وهو حيٌّ^(١).

وقال محمد بن أحمد بن الحسين بن الربيع: (رأيتُ ابنَ المبارك يُقاتل بأرض الروم في يوم شديد الحر، قد وضعَ قَلنسوتهَ عن رأسه)^(٢).

تجارته العريضة، وجوده وسخاؤه وكرم نفسه، وإنفاقه على المحدثين وطلاب العلم، وقضاؤه ديون الناس وحوادثهم:

*** قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سمعتُ أبي، قال: (كان ابن المبارك إذا كان وقتَ الحَجِّ، اجتمع عليه إخوانه من أهل مَرَّو، فيقولون: نصحبتك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويُقفلُ عليها، ثم يكتري لهم، ويُخرِجهم من مَرَّو إلى بغداد، فلا يزال يُنفقُ عليهم، ويُطعمهم أطيبَ الطعام وأطيبَ

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٣ - ٣٥٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٨ - ٤٠٩. وكاغ عن الشيء: هابهُ وجَبُنَ عنه.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٠. وانظر خبراً آخر في جهاده في: مقدمة الجرح والتعديل ٢٨٠/١ - ٢٨١.

الْحَلْوَاءِ، ثُمَّ يَخْرِجُهُمْ مِنْ بَغْدَادٍ بِأَحْسَنِ زَيٍّْ وَأَكْمَلِ مَرْوَةٍ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: مَا أَمْرُكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ طَرَفِهَا؟ فَيَقُولُ: كَذَا، فَيَشْتَرِي لَهُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ، وَقَضَوْا حَاجَتَهُمْ، قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: مَا أَمْرُكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُمْ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَشْتَرِي لَهُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْ مَكَّةَ، فَلَا يَزَالُ يَنْفِقُ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا إِلَى مَرْوٍ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى مَرْوٍ جَصَّصَ أَبْوَابَهُمْ وَدَوَّرَهُمْ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ صَنَعَ لَهُمْ وَلِيمَةً وَكَسَاهُمْ، فَإِذَا أَكَلُوا وَسُرَّوْا، دَعَا بِالصَّنَدُوقِ فَفَتَحَهَا، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ صُرَّتَهُ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَهُ).

قال أبي: (أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافر بها دعوة، فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذج).

قال أبي: وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما أتجرت.

قال أبي: وكان يُنفقُ على الفقراء في كل سنة مئة ألف درهم^(١).

وقال عمر بن سعيد الطائي: حدثنا عمر بن حفص الصوفي - بمنج^(٢) - قال: (خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة، فصحبه الصوفية، فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحثشُمون أن يُنفقَ عليكم، يا غلام

(١) تاريخ بغداد ١٥٨/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٧ - ٣٥٨، صفة الصفوة ١٤٠/٤ - ١٤١، سير أعلام

النبيلاء ٣٨٥/٨ - ٣٨٦. قوله (جصص أبوابهم ودورهم): أي زخرفها بالنقوش، ابتهاجاً بعودة الحاج.

والخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٢) مدينة جميلة بسورية، تقع بين حلب والفرات.

هاتِ الطَّسْتِ، فألقى على الطَّسْتِ منديلاً، ثم قال: يُلقى كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يُلقى عشرة دراهم، والرجل يلقي عشرين درهماً. فأنفق عليهم إلى المِصْيِصَةِ، فلما بَلَغَ المِصْيِصَةَ قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقي، فجعل يُعطي الرجلَ عشرين ديناراً، فيقول: يا أبا عبد الرحمن، إنما أعطيتُ عشرين درهماً، فيقول: وما تُنكر أن يُبارك الله للغازي في نفقته؟! (١).

وقال الحسن بن عيسى بن ماسرُجيس: (صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد، فما رأيته أكل وحده) (٢).

ويقال: (إنه كان يحج عاماً، ويغزو عاماً، لا يمر بمدينة إلا قال لمشيختها من أهل العلم والإقلال: ليخرج معي من أراد الحج، نكفيهم مؤونتهم، ويفعل مثل ذلك إذا أغزى) (٣).

وقال حَبَّان بن موسى: (رأيت سُفْرة ابن المبارك حُمِلت على عَجَلَة).
وقال أبو إسحاق الطَّالْقاني: (رأيتُ بعيرين محمَّلين دجاجاً مشوياً لسُفْرة ابن المبارك).

وروى عبد الله بن عبد الوهاب، عن محمد بن عبد الرحمن بن سَهْم قال: (كنت مع ابن المبارك، فكان يأكل كل يوم، فَيُشوى له جَدْي، ويُتخذ له فالوذق، فقيل له في ذلك، فقال: إني دفعتُ إلسي وكيلي ألفَ دينار، وأمرته أن يُوسِّع علينا) (٤).

(١) تاريخ بغداد ١٥٧/١٠ - ١٥٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٧، سير أعلام النبلاء ٣٨٥/٨.

(٢) صفة الصفوة ١٣٦/٤.

(٣) ترتيب المدارك ٣٠٢/١.

(٤) ذكر الأخبار الثلاثة الذهبية في سير أعلام النبلاء ٤٠٩/٨، وتاريخ الإسلام، ص ٢٣٨، والفالوذق كالفالوذج.

** قال منصور بن دينار صاحب ابن المبارك: (إن عبد الله كان يتصدق لمُقامه ببغداد كلَّ يوم بدينار)^(١).

وقال علي بن خَشْرَم: (قلت لعيسى بن يونس: كيف فَضَلَكُم ابن المبارك ولم يكن بأسنَّ منكم؟ قال: كان يَقْدَمُ ومعه العِلْمَةُ الخُرَّاسَانِيَّةُ، والبِرَّةُ الحَسَنَةُ، فَيَصِلُ العُلَمَاءُ وَيُعْطِيهِمْ، وكنا لا نَقْدِرُ على هذا)^(٢).

وقال جعفر بن عبد الله الورَّاق: (قَدِمَ ابْنُ المَبَارِكِ الكُوفَةَ ومعه مالٌ، فقسَّمه، فَصَرَّ صُرَّاراً، فجعل يوجِّه إلى كل شيخ بِصُرَّةٍ، فوجَّه إلى أبي أسامة بِصُرَّةٍ، وكتب إليه بهذين البيتين:

وفتئ خَلاً من مالِهِ ومن المروءةِ غيرُ خالي
أعطاك قبلَ سؤالِهِ فكفَّاكَ مكرُوه السؤالِ)^(٣)

وقال أبو حاتم الرازي: حدثنا موسى بن المبارك الرازي، قال: (شكا أبو أسامة إلى ابن المبارك دَيْناً عليه، وسأله أن يكلم له بعض إخوانه، فعمد ابن المبارك إلى خمسمئة درهم من ماله فوجَّهها ليلاً مع رسول له، وتقدَّم إلى الرسول ألا يُعلمه مَنْ وجَّهه إليه. فأتاه الرسول، فدفع إليه الخمسمئة، فقبضها منه، وظنَّ أنها جاءت من مكان آخر. ثم إن أبا أسامة لقي عبد الله بن المبارك بعد ذلك، فذكَّره الحاجة، فسكت عنه ابنُ المبارك، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثاً، فقال له ابن المبارك: فلعلها قد أتتك)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٦١ - ٣٦٢، وانظر سير أعلام النبلاء ٤٠٩/٨ - ٤١٠. وأبو أسامة هو حماد بن أسامة.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٧/١.

وقال محمد بن الفضيل بن عياض: (أصابتنا مجاعة بالكوفة شديدة، وأنا يومئذ جائع، فجاء ابن المبارك، فدخل الكوفة، فأتيته، فلما رأيته قال: كيف أبو علي؟ ثم جاء إلى البيت، فما رأى في البيت شيئاً، فذهب فبعث بثياب وبألفي درهم، فتحمل بها فضيل إلى مكة^(١)).

وعن داود بن رُشيد قال: (كان ابن المبارك عند أبي الأخوص، فجاء رسول فلان الهاشمي بعض الولاة فقال: يُقرئك السلام، ويقول: يا أبا الأخوص، هذا شهر رمضان، وقد وسعنا على عيالنا، وهذه ألف درهم تُوسّع بها عليهم في هذا الشهر، قال أبو الأخوص: فَعَلَّ اللهُ به وفَعَلَ به، وقال: قلْ له يدْعُها عنده، حتى إذا احتجنا إليها بَعَثْنَا فأخذناها. قال: وانسلَّ ابن المبارك إلى منزله، فجاء بألف درهم، فقال: يا أبا الأخوص، هذه الألف تُنقِّها، فإني لا آمنُ أن يكون قد بَلَغَ أهلكَ فَيُخَاصِمُونك، وهذه من وجهٍ أرجو أن يكون أطيبَ، فقبَّلها)^(٢).

وقال نعيم بن حماد: (قدِمَ ابن المبارك أَيْلَةَ على يونس بن يزيد، ومعه غلام مُفَرَّغٌ لعمل الفالوج، يتخذه للمحدثين)^(٣).

وقال المسيب بن واضح: أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عيَّاش أربعة آلاف درهم، وقال: (سُدَّ بها فتنة القوم عنك). وفي رواية: (أنه أرسل إليه بأربعين ألف درهم)^(٤).

** قال جِبَّان بن موسى: (عُوتب ابن المبارك فيما يُفَرِّق المال في

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٧٠٨. وأبو علي كنية فضيل بن عياض.

(٢) صفة الصفوة ١٤٦/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٣٩، وأيلة: هي مدينة العقبة اليوم.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٨، ٤٢٠.

البلدان، ولا يفعلُ في أهل بلده، فقال: إني لأعرفُ مكان قوم لهم فضلٌ وصدقٌ، طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث، وحاجةُ الناس إليهم شديدة، وقد احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أغنيانهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلمُ بعد النبوة درجةً أفضلَ من بثِّ العلم^(١).

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت الحسن بن الربيع، يقول: (ما رأينا الزُّمَّاورِدَ إلا عند ابن المبارك بالكوفة، كان يتخذ طعاماً ويدعو أصحاب الحديث، ويمد كِرْبَاسَةً بالطول ويلقي عليه الثياب ويؤكل عليه، وكان يتخذ الفالوذجات المعقدة، ويطعم أصحاب الحديث)^(٢).

وروى وَهْبُ بْنُ زَمْعَةَ، عن أَبِي وَهْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُزَاحِمٍ قَالَ: (وَرِثَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ سِتْمَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ صَامَتٍ، فَأَنْفَقَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ فِي الْمَوَاضِعِ أَرْبَعَمِئَةِ أَلْفٍ وَسِتِّينَ - أَوْ خَمْسِينَ - أَلْفًا، وَمَاتَ عَنْ تَسْعِينَ أَلْفًا)^(٣).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب، فإنه إن لم يفعل لم آمن ألا يعطف على جاره، ولا يوسع على عياله)^(٤).

** قال المسيب بن واضح: (كنتُ عند ابن المبارك جالساً، إذ كلموه في رجل يقضي عنه سبعمئة درهمٍ ديناً، فكتب إلي وكيله: إذا جاءك كتابي هذا وقرأته وفهمته، فادفع إلى صاحب الكتاب سبعة آلاف درهم. فلما

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٠، تاريخ ابن عساكر ٣٦٠، ٣٦١، صفة الصفة ٤/١٣٨.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٧٧. والزماورد: الرقاق الملفوف باللحم، وحلوى يقال لها لقمة

القاضي. والكِرْبَاسَةُ والكِرْبَاشُ: ثوب غليظ من القطن.

(٣) تهذيب الكمال ١٦/٢٢. والصامت من المال: الذهب والفضة.

(٤) المنتظم ٩/٦١.

وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى الْوَكِيلِ وَقَرَأَهُ، التفت إلى الرجل فقال: أَيُّ شَيْءٍ قَصَّتُكَ؟ قال: كَلَّمُوهُ أَنْ يَقْضِيَ عَنِّي سَبْعِمِئَةَ دَرَاهِمٍ ذَيْنًا. فقال: الْكِتَابُ أَصَبْتُ فِيهِ غَلْطًا، وَلَكِنْ اقْعُدْ مَوْضِعَكَ حَتَّى أُجْرِيَ عَلَيْكَ مِنْ مَالِي، وَأَبْعَثْ إِلَى صَاحِبِي فَأَوْامِرُهُ فِيكَ. فكتب إلى عبد الله بن المبارك: أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، وسألت صاحب الكتاب، فذكر أنه كلمك في سبعمئة درهم، وهامنا سبعة آلاف درهم، فإن يكن منك غلطاً فاكتب إلي حتى أعمل على حسب ذلك. فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، فاذفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفاً، فكتب إليه: إن كان على ذا الفعل تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة، فكتب إليه عبد الله: إن كنت وكيلي فأنفذ ما أمرك به، وإن كنت أنا وكيلك فتعال إلى موضعي حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به^(١).

وقال يعقوب بن إسحاق: حدثني محمد بن عيسى، قال: (كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث. فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً، فخرج في التفرير، فلما قفل من غزوته، ورجع إلى الرقة، سأل عن الشاب، فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم. فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال، فدعا به ليلاً، ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلفه ألا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس، وأدّج عبد الله. فأخرج

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٨ - ٣٥٩، صفة الصفوة ١٤٣/٤، ومن طريق آخر بأخصره منه في تاريخ بغداد ١٥٨/١٠ - ١٥٩. قوله (فأوامره): أي فأشاوره.

الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا، وكان يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره، فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى، أين كنت، لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن، كنت محبوساً بديّن، قال: فكيف كان سبب خَلاصك؟ قال: جاء رجل ففضى دَينِي ولم أعلم به حتى أُخرجت من الحبس، فقال له عبد الله: يا فتى، احمَدِ الله على ما وفق لك من قضاء دَينك. فلم يُخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله^(١).

من أقواله وحكمه ووصاياه:

** قال أحمد بن سيّار المَرَوَزِيّ: حدثنا حَبِيب الجَلَّاب، قال: (سُئِلَ ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشير. قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل)^(٢).

وقال أحمد بن علي: سمعت أبا رَوْح، يقول: قال ابن المبارك: (إنَّ البُصْرَاءَ لا يَأْمَنُونَ من أربع خِصَال: ذَنْبٍ قد مضى لا يُدْرَى ما يصنع الربُّ فيه، وعُمُرٍ قد بقي لا يُدْرَى ماذا فيه من المُهْلِكَات، وفضلٍ قد أُعطي العبدُ لعلّه مكرٌ واستدراجٌ، وضلالةٍ قد زُيِّنَتْ له فيراها هدىً، وزيف القلب ساعة ساعة أسرع من طَرْفَةِ عين، فقد يُسلب المرءُ دينه وهو لا يشعر)^(٣).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٥٩، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٠، صفة الصفوة ١٤١/٤ - ١٤٢. أدلج: أي سار ليلاً. وانظر خبراً آخر مع أهل بيت فقراء قد حل لهم أكل الميتة، في: المنتظم ٦٢/٩ - ٦٣، ترتيب المدارك ١/٣٠٤ - ٣٠٥، البداية والنهاية ١٠/١٧٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٣ من طرق.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٤، سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٦، وقد ذكر في الخبر خمس خصال.



وقال الحسن بن عيسى: (سُئِلَ ابن المبارك فقيل له: مَنْ الناس؟ قال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهَّاد. قيل له: فمن السَّفِلة؟ قال: الذي يأكل بِدينه. قيل له: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة بن خازم وأصحابه. قيل: فمن الدنيء؟ قال: الذي يذكر غلاء السَّعر عند الضَّيف)^(١).

وروى سفيان بن عبد الملك، عن ابن المبارك قال: (حُبُّ الدنيا في القلب، والذنوب احتَوَّشَتْه، فمتى يَصِلُ الخَيْرُ إليه؟)^(٢).

** قال الحسن بن عيسى: (سُئِلَ ابن المبارك: مَنْ أَحْسَنُ الناسِ حالاً؟ قال: من انقطع إلى الله وَعَلَّيْكَ)^(٣).

وعن أحمد بن علي، عن ابن المبارك قال: (مَنْ استخفَّ بالعلماء ذهبَ آخرُته، ومَنْ استخفَّ بالأمراء ذهبَ دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبَ مروءته)^(٤).

وقال أبو نُعيم عُبيد بن هشام: سمعت ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث: (أنتم إلى قليلٍ من الأدب أحوجُّ منكم إلى كثيرٍ من العلم)^(٥).

وقال عتَّاب بن زياد: سمعت ابن المبارك، يقول: (يا ابنَ المبارك، إذا عرفتَ نفسك لم يضرك ما قيل فيك)^(٦).

(١) الحلية ١٦٧/٨ - ١٦٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧٠، صفة الصفوة ١٣٩/٤، ١٤٠، من طرق. وخزيمة ولي للرشيد وكان له منزلة عند الخلفاء.

(٢) الحلية ١٦٧/٨.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٤.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٠.

(٥) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٠.

(٦) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٢.

وقال الحسين بن الحسن المرزوي: سمعت ابن المبارك، يقول: (أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله ﷻ) (١).

وقيل: (إن ابن المبارك مرَّ براهب عند مقبرة ومزبلة، فقال: يا راهب، عندك كنز الرجل، وكنز الأموال، وفيهما مُعْتَبَرٌ) (٢).

** روى علي بن محمد، عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول: (سخاء النفس عما في أيدي الناس أكبر من سخاء النفس بالبذل، والقناعة والرّضى أكبر من مروءة الإعطاء) (٣).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: (سمعت ابن المبارك، وسأله رجل عن قَرْحَةٍ خرجت في رُكْبَتِهِ منذ سبع سنين، وقد عالجتُها بأنواع العِلاجِ، وسألتُ الأطباء، فلم أنتفع به. فقال له: اذهب فاحفِزْ بئراً في مكان حاجةٍ إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عينٌ، ويُمسك عنك الدّم. ففعل الرجل، فبرأ) (٤).

وقال علي بن الحسن: سمعت ابن المبارك، يقول: (لا يقع مَوْقَعُ الكَسْبِ على العيال شيءٌ، ولا الجهادُ في سبيل الله ﷻ) (٥).

وقال الفُضَيْلُ بن عياض: قال ابن المبارك: (أكثرُكم علماً ينبغي أن يكون أشدَّكم خوفاً). وقال لي ابن المبارك: (استعدَّ للموت ولما

(١) الحلية ١٦٧/٨، صفة الصفوة ١٣٨/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٠٩/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٣٨.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٠٧/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٢٩.

(٥) صفة الصفوة ١٣٩/٤، سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٨.

بعد الموت). قال الفُضَيْلُ: (فَشِهَقَ عَلِيٌّ شَهَقَةً، فلم يزلْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ
عامة الليل)^(١).

وذكر ابن أبي جميل، عن ابن المبارك أنه سأله رجلٌ عن الرِّباط، فقال:
(رَابِطٌ بِنَفْسِكَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تُقِيمَهَا عَلَى الْحَقِّ، فَذَلِكَ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ)^(٢).

** قال علي بن الحسن بن شقيق: سمعت ابن المبارك، يقول: (أول
العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النَّشْرُ)^(٣).

وقال أبو صالح محبوب بن موسى الفَرَّاء: سمعت ابن المبارك، يقول:
(الْحَبْرُ فِي الثِّيَابِ خَلُوقُ الْعُلَمَاءِ)^(٤).

وقال رُسْتَه الطَّالِقَانِيُّ: (قَامَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ فَقَالَ: يَا أَبَا
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِي أَيِّ شَيْءٍ أَجْعَلُ فَضْلَ يَوْمِي، فِي تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ أَوْ فِي
طَلْبِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: هَلْ تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تُقِيمُ بِهِ صَلَاتَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:
فاجعله في طلب العلم الذي يُعرف به القرآن)^(٥).

وقال الأَصْمَعِيُّ: سمعت ابن المبارك، يقول: (إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَّاءِ
كُلِّ طَلْقٍ مِضْحَاكٍ، وَأَمَّا مَنْ تَلَقَاهُ بِالْبِشْرِ وَيَلْقَاكَ بِالْعُبُوسِ، كَأَنَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكَ
بِعَمَلِهِ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي الْقُرَّاءِ مِثْلَهُ)^(٦).

وقال سَلَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: سمعت ابن المبارك، يقول: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ

(١) الحلية ١٦٨/٨. وعلي هو ابن الفضيل، وكان على سنن أبيه في الزهد والعبادة.

(٢) الحلية ١٧١/٨، ووقع فيها: (تقيها) بدل: (تقيمها).

(٣) جامع بيان العلم ١٤٣/١، ترتيب المدارك ٣٠٢/١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٥١٠، تاريخ ابن عساكر ٣٤٨. والخَلُوقُ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ.

(٥) الحلية ١٦٥/٨.

(٦) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٣.

تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ خَافَ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَنْ خَافَ مِنَ الذَّنْبِ هَرَبَ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ الذَّنْبِ نَجَا مِنَ الْحِسَابِ^(١).

علمه:

اتجه ابن المبارك إلى العلم وعمره نحو عشرين سنة، وأقبل عليه بهمة عالية، ونفس تواقّة، وعزيمة صبّارة، ودأب متواصل، وأدب رفيع، وأخلاق سامية، ورَحْلٌ في سبيل ذلك، فطاف أمصار الإسلام، وشرّق وغرّب، وأتّهم وأنجد، فأخذ عن علماء خراسان، وجال على العراق، والشام، والحجاز، واليمن، ومصر، وسمع من الأئمة الأعيان، وأخذ عن أقرانه ومن هم أصغر منه. وبَدَلْ له أبوه المال، فأعطاه ثمانين ألفاً، أنفقها في الطلب، واستمر عبد الله يُنْفِقُ من ماله الألوف الكثيرة على نفسه ومن يرحل معه ويطلب هذا الشأن. وثابّر على الطلب إلى آخر أيام حياته، ولمّا سُئِلَ: إلى متى تطلب العلم؟ قال: إلى الممات.

ولم يكن عبد الله ممن يرغب في الرحلة لمجرد جمع الحديث وتحصيل العالي من الأسانيد، بل كان حريصاً مع ذلك على صحة الآثار، وعدالة الرجال، واتصال الإسناد؛ فنقّب وفتّش، وعدّل وجرّح، وصحّح وعلّل، وأوّلَى الأسانيد أهمية بالغة، وله في الرجال والإسناد كلامٌ كثير قيم نافع معتدل، حفظه الأئمة من بعده، واعتمدوه ونهجوا على منواله، حتى إنهم كانوا يتحاكمون إليه في صحة الحديث وسقمه.

ورزقه الله ذاكرة قوية، وحافظة شابة، اعتمد عليها في حفظ السُّنّة، وزاد ذلك ضبطاً بأنه كان يكتب حديثه، ويدوّن مروياته، فصنّف الكُتُب

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧٠.

الجليلة النافعة، وروى الحديث الكثير الذي يربو على عشرين ألفاً، كما قال شيخ الصنعة يحيى بن معين، فعُدَّه أحدَ أمراء المؤمنين في الحديث. ولم يكُ عبد الله راويةً حديث وحمَّال آثار وحَسْب، بل كان فقيهاً بما يروي، عالماً بما تدل عليه الأحاديث من فقه، خبيراً بما يُستنبط منها من أحكام، فكان أحدَ فقهاء المحدثين.

وجَمَعَ إلى ذلك تمكُّنه من اللغة وعلومِها، فكان فصيحاً بليغاً، لغوياً أديباً، شاعراً مبدعاً، قال الشعر الرائع الحسن الذي تناول جوانب مختلفة، تدور في معظمها حول مكارم أخلاق الإسلام ومبادئه السامية.

وجلس للناس ينشر علمه الغزير الفياض، ومشى على نفس نهجه في طلب العلم، ملتزماً آدابَه الرفيعة وأخلاقه الكريمة، في الاحتفاء بطلبة العلم وإكرامهم، وإعزاز الحديث والمحدثين، فأقبل عليه الناس، ونهلوا من معينه، فتخرَّج به أئمة كبار في مختلف الأمصار، حتى حَدَّث عنه بعضُ أشياخه وأقرانه ومن هم أكبرُ منه.

طلبه العلم، ورحلاته فيه، ومذاكرته له، ومداومته عليه:

** قال أبو أسامة: (ما رأيتُ رجلاً أطلبَ للعلم من عبد الله بن المبارك؛ الشَّامِ ومِصرَ واليمنَ والحجاز)^(١).

وقال ابن سعد: (قدِمَ العراقَ والحجازَ والشَّامَ ومِصرَ واليمنَ، وسمعَ علماً كثيراً)^(٢).

(١) سنن النسائي ٣٣٥/٨، تاريخ ابن عساکر، ص ٣١١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٧.

وقال الفَاضِلُ بن زياد: قال أحمد بن حنبل: (لم يكن في زمان ابن المبارك أطلبُ للعلم منه، رحَلَ إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة، والكوفة. وكان من رِوَاةِ العلم وأهل ذلك. كتب عن الصغار والكبار؛ كتب عن عبد الرحمن بن مهدي، وعن الفزاري، وجمعَ أمراً عظيماً)^(١).

وروى ابنُ هانئٍ في «مسائله»، عن أحمد بن حنبل قال: (أقام ابن المبارك بالشام ثلاثَ سنين، ولا نعلمُ أحداً كان أطلبَ منه للحديث، وإن كان أحدٌ طلب العلم فابنُ المبارك أطلبُ منه)^(٢).

وقال أبو حاتم الرازي: (طاف ابن المبارك ربع الدنيا بالرحلة في طلب الحديث، لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة ولا البصرة ولا الكوفة)^(٣).

وقال الذهبي: (طلب العلم وهو ابنُ بضع عشرة سنة)، وقال في موضع آخر: (طلب العلم وهو ابنُ عشرين سنة)^(٤).

**** قال ابن المبارك: (طلبتُ الأدبَ ثلاثين سنةً، وطلبتُ العلم عشرين سنةً)^(٥).**

(١) المعرفة والتاريخ ١٩٦/٢ - ١٩٧، الرحلة في طلب الحديث: رقم ١٧، تاريخ ابن عساکر، ص ٣١١، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي طالب عن أحمد بن حنبل: الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٢/١ - ٢٦٣.

(٢) بحر الدم ٢٤٥ رقم ٥٥٢.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٤/١، وفيه (كان) بدل (طاف).

(٤) تاريخ الإسلام، ص ٢٢١، سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٨.

(٥) ترتيب المدارك ٣٠١/١.

وذكر الصّدي قال: (لَمَّا بَلَغَ ابْنُ الْمُبَارِكِ دَفَعَ إِلَيْهِ أَبُوهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ يَتَجَرَّبُ بِهَا، فَطَلَبَ الْعِلْمَ حَتَّى أَنْفَقَهَا، فَلَمَّا انصَرَفَ لِقِيَهُ أَبُوهُ، فَقَالَ: مَا جِئْتَ بِهِ؟ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الدَّفَاتِرَ فَقَالَ: هَذِهِ تِجَارَتِي، فَدَخَلَ أَبُوهُ الْمَنْزَلَ، فَأَخْرَجَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ أُخْرَى، وَقَالَ: هَذِهِ تَمَّمُ بِهَا تِجَارَتَكَ. فَأَنْفَقَهَا)^(١).

وقال الحسن بن عرفة: سمعت ابن المبارك، يقول: (كنا نطلب هذا الحديث وفي خفافنا المباخر، وكنا نطلبه لغير الله فردنا إلى الله)^(٢).

وقال ابن المبارك: (طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا، فَذَلَّلْنَا عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا)^(٣).

** قال عبدان بن عثمان: (خرج عبد الله إلى العراق أول ما خرج سنة إحدى وأربعين ومئة)^(٤).

وقال الذهبي: (ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومئة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف، وإلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة)^(٥).

وقال الذهبي أيضاً: (فَأَقْدَمَ شَيْخٌ لِقِيَهُ: هُوَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسِ الْخُرَّاسَانِي، تَحِيَّلَ وَدَخَلَ إِلَيْهِ إِلَى السَّجْنِ، فَسَمِعَ مِنْهُ نَحْواً مِنْ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً)^(٦).

وقال ابن سعد في ترجمة الربيع: (وكان الربيع قد طلب بخراسان

(١) ترتيب المدارك ٣٠١/١.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣١١، مختصره ١٥/١٤. وكلمة (المباخر) جاءت في تاريخ ابن عساكر (الخناجر)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) صفة الصفوة ١٤٥/٤.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٨/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٢١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٨.

حين ظَهَرَتْ دعوة ولد العباس، فتغَيَّب، فتخلص إليه عبد الله بن المبارك وهو مختفٍ، فسمع منه أربعين حديثاً. وكان عبد الله يقول: ما يَسْرُنِي بها كذا وكذا، لشيء سَمَّاهُ^(١).

وقال عَبْدَةُ بن سُلَيْمَانَ: قال ابن المبارك: (كان الرَّبِيع بن أنس مختفياً عند حائك، فَأَتَيْتُهُ، فَجَهَدْتُ أَنْ يَأْذَنَ لِي عَلَيْهِ فَأَبَى، فَأَعْطَيْتُهُ أَرْبَعِينَ دَرَهْمًا فَأْذَنَ لِي، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَمِعْتُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا، ثُمَّ عُدْتُ فَجَهَدْتُ أَنْ يَأْذَنَ لِي، فَأَبَى، فَتَرَكْتُهُ)^(٢).

** قال الحسن بن عيسى: حَدَّثَنَا ابن المبارك، قال: (دخلنا على موسى بن عُقْبَةَ، فسألناه أن يحدثنا، فقال: إِنْ أَكَلْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَأْكُلُوا مَا حَدَّثْتُمْكُمْ قال: قلنا: فنأكل، قال: فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا خَوَانًا عَلَيْهِ أَرْغَفَةٌ كَثِيرَةٌ، وليس غيره شيء، فأكلتُ)^(٣).

وقال الحسن بن عيسى: سمعت ابن المبارك، يقول: (كنت آتي سفياناً فأسمعُ مع الناس، ثم يقوم سفيان، فلا أسأله عن شيء، وأتبعه، فيومئ إليّ، فيميل إلى بعض المساجد، فينام نومَةً جيدة، ثم يقوم فيقول لي: أَيُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ؟ فَأَخْرَجَ رَقْعَةً فِيهَا مَا بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْمِئَةِ حَدِيثٍ، فيحدِّثُنِي، فكان لي هذا منه في كل يوم)^(٤).

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق، قال (وُلِدْتُ سَنَةَ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً، كُنَّا عَرَضْنَا أَوْلًا، كَانَ يَجِيءُ الْغَرِيبَ، وَنَسْمَعُ الشَّيْءَ حَتَّى

(١) طبقات ابن سعد ٣٦٩/٧ - ٣٧٠.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٤/١.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٨٢.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٠. وسفيان هو الثوري.

سمعنا، وكان عبد الله بن المبارك يَقْرَأُ عليه - يعني على مَعْمَر - التفسير، وَيَقْرَأُ مَعْمَرٌ عليه^(١).

وقال نعيم بن حماد: حَدَّثَنَا ابن المبارك، قال: (قَدِمْتُ على مَعْمَر فسمعتُ منه، وأمرتُ له بجارية وخمسين ديناراً، ثم ودَّعْتُهُ وخرجتُ، فلما كنتُ على مرحلةٍ ذَاكِرْنِي عنه إنسانٌ بحديثٍ لم أكنُ سمعتهُ منه، فقلت: لم أسمعُ منه هذا، فقال: ارجعُ فإنك منه قريب، فقلت: بعدما بررتُه! لا أرجعُ فيكون عليه فيه غَضاضَةٌ أن أرجعُ إليه بعد البرِّ، حَدَّثَنِي أنتُ عنه، فحدَّثَنِي عنه)^(٢).

وقال محمد بن كيسان: (حدَّثنا هارون بن المُغيرة، عن إسماعيل بن مُسلم، عن الحسن البصري قال: لا تشتري مودَّةَ ألفِ رجلٍ بعداوةَ رجلٍ واحدٍ. قال هارون: قَدِمَ عليَّ ابنُ المبارك، فجاء إليَّ وهو على الرَّحْلِ، فسألني عن هذا الحديث، فحدَّثتُه، فقال: ما وضعتُ رَحْلِي من مَرَوْ إلا لهذا الحديث)^(٣).

وقال ابن سعد: أخبرنا عَمْرُو بن عاصم الكِلَابِيُّ، قال: (حدَّثني مهديُّ بن ميمون، قال: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بن سَعِيدٍ^(٤) الأَعُورُ، قال: كُنَّا عند عطاء، فحدَّثَ رجلٌ بحديثٍ، فاعترضهُ رجلٌ، فغَضِبَ عطاءٌ فقال: ما هذه الأخلاق، ما هذه الطُّبَاعُ؟! والله إن الرجلَ ليحدِّثُ بالحديثِ لأنَّا أعلمُ به منه، ولعسى أن يكون سمعه مِنِّي، فَأُنصِتُ إليه وأُريه كأنِّي لم أسمعُه قبل

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٢٠، ٢٥٩٩.

(٢) المنتظم ٦٠/٩ - ٦١، وانظر رواية أخرى لهذا الخبر في: تقدم الجرح والتعديل ٢٧٦/١ - ٢٧٧.

(٣) الرحلة في طلب الحديث: رقم ٦٢.

(٤) وقال بعضهم: معاذ بن سعد. ذكره المزي تمييزاً: تهذيب الكمال ١٢٤/٢٨ ت ٦٠٢٩.

ذلك. قال عمرو بن عاصم: فحدَّثْتُ بهذا الحديثِ عبدَ الله بن المبارك، فقال: لا أنزِعُ نعلي حتى أذهب إلى مهديٍّ فأسمعه منه^(١).

•• قال أبو حاتم الرازي: (كان عبد الله بن المبارك يكتب عمَّن دونه، مثل: رشدين بن سعد وغيره، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، كم تكتب؟ فقال: لعلَّ الكلمة التي فيها نجاتي لم تَقَعْ إليّ)^(٢).

وقال قتيبة بن سعيد: (كتبْتُ الحديثَ مع ابن المبارك، وكتبْتُ عنه، وكتبَ عني)^(٣).

وقال إبراهيم بن موسى: حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، قال: (قال لي ابن المبارك: أخرج إليَّ حديثَ ثابت بن عجلان، قلت: إنها متفرقة، قال: اجمعها لي، فجعلت أتذكرها وأملي عليه)^(٤).

وقال عبدة بن سليمان: (رأيتُ ابنَ المبارك بين يدي أبي إسحاق الفزاريِّ ومعه ألواح، فقلت له في ذلك، فقال: ما أراني أدعه حتى أموت؛ يعني: طلبَ الحديثِ)^(٥).

وقال أبو جعفر الحرَّاني: سمعت عيسى بن يونس، يقول: (كنا بأرض الروم أنا وابنُ المبارك، فربما استحيتُ من خدمة ابن المبارك إياي، يأخذُ بركابي، فإذا نزلنا قَدَّم لنا الخبيص، فَيُلْقِمَنِي، ويقعد فيسألني عن الحديثِ

(١) طبقات ابن سعد ٤٦٩/٥، وأخرجه دون قوله ابن المبارك: أبو نعيم في الحلية ٣١١/٣، وابن الجوزي في المنتظم ١٦٥/٧، وصفة الصفوة ٢١٤/٢. وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٢٦.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٢٥.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧١/١.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٨٥/١.

ويكتب، فأقول: يا شيخ - من صنَّعه وبَّره لي - لله أبوك، أما آن لك أن تشبع؟! فيقول: ومن يشبع من هذا الشأن؟! (١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (كنتُ أمشي مع ابن المبارك أفيدته عن الشيوخ، فأذكر الحديث في الطريق، فيقول: لا أبرحُ حتى أكتبه عنك) (٢). قلت: أبو إسحاق الفزاري وبقية وعيسى بن يونس من أقران ابن المبارك، وقتيبة وابن مهدي من تلاميذه.

** قال نعيم بن حماد: سمعتُ ابن المبارك، يقول: (إذا سمعتَ من الشيخ سبعة أحاديث، فلا تبالي متى مات) (٣).

وقال عيسى بن سلمة بن وصيف: (اجتمع ابنُ المبارك ووكيعُ عند شريك يكتبان عنه، فكان وكيع إذا سَوَّدَ ورقته تركهما تجفَّ وأخذ في الكلام، وكان ابن المبارك إذا سَوَّدَ ورقته تركهما تجفَّ وقام يركع) (٤).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: (كنتُ مع عبد الله بن المبارك في المسجد في ليلة شتوية باردة، فقمنا لنخرج، فلما كان عند باب المسجد ذكّرني بحديثٍ وذاكرته بحديثٍ، فما زال يُذاكرني وأُذاكره، حتى جاء المؤذن فأذنَّ لصلاة الصبح) (٥).

وقال علي بن الحسن بن شقيق: (قيل لابن المبارك: إلى متى تطلبُ الحديث؟ قال: إلى أن أموت) (٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٨/١ - ٢٧٩.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٠١.

(٣) مقدمة الكامل ١٠٣/١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٤٤.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٣، مختصره ١٦/١٤.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٠٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٤/٨.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٢٧، وبنحوه من طريق نعيم بن حماد في: مقدمة الكامل ١٠٣/١، وجامع بيان العلم ١١٥/١.

قال محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة: حَدَّثَنَا أَبُو وَهَبٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُزَاحِمٍ، قَالَ: (بَلَّغْنِي أَنْ عَبْدِ اللَّهِ قِيلَ لَهُ بِالشَّامِ: إِلَى كَمْ تَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ؟! قَالَ: أَرْجُو أَنْ تَرُونِي فِيهِ إِلَى أَنْ أَمُوتَ.

قال: وقال غيره: أليس يُقال: يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ؟ فَلهَذَا مَثْرُكٌ؟! (١).

وقال عبد الله بن ضُرَيْسٍ (٢): (قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى مَتَى تَكْتُبُ هَذَا الْحَدِيثَ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفَعُ بِهَا مَا كَتَبْتُهَا بَعْدُ) (٣).

•• قال نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ: (قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، تُكْثِرُ الْقَعُودَ فِي الْبَيْتِ وَحَدَّكَ؟ قَالَ: أَنَا وَحَدِي؟! أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؛ يَعْنِي: النَّظَرَ فِي الْحَدِيثِ) (٤).

وقال شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ: (قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: إِذَا صَلَّيْتَ مَعَنَا لِمَ لَا تَجْلِسُ مَعَنَا؟ قَالَ: أَذْهَبُ مَعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، قَلْنَا لَهُ: وَمَنْ أَيْنَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ؟ قَالَ: أَذْهَبُ أَنْظُرُ فِي عِلْمِي فَأَدْرِكُ آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، فَمَا أَصْنَعُ مَعَكُمْ؟ أَنْتُمْ تَغْتَابُونَ النَّاسَ) (٥).

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٢ - ٣١٣، غاية النهاية ٤٤٦/١، والفصل الأول في الإرشاد للخليلي ٨٨٩/٣.

(٢) في الجرح والتعديل ٨٨/٥: (عبد الله بن أبي ضريس).

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٨٠/١، جامع بيان العلم ١١٥/١، تاريخ ابن عساکر ٣١٢، صفة الصفوة ١٣٨/٢، من طرق.

(٤) مقدمة الكامل ١٠٣/١، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٨١٤، تاريخ بغداد ١٥٤/١٠، تقييد العلم، ص ١٢٦، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، من طرق بالفاظ متقاربة.

(٥) الحلية ١٦٤/٨ - ١٦٥، تقييد العلم، ص ١٢٦، صفة الصفوة ١٣٧/٤.

وقال سعيد بن عيسى: سمعت أبا داود، يقول: (قلتُ لابن المبارك: مَنْ تجالسُ بخراسان؟ قال: أجالسُ شعبةً وسفيانَ، قال أبو داود: يعني أنظر في كتبهما)^(١).

القارئ المفسر:

ترجم له ابن الجزري في «غاية النهاية» فقال: (أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء، وردت الرواية عنه في حروف القرآن)^(٢). وأورده الداودي في «طبقات المفسرين»، وذكر له عدة تصانيف منها «التفسير»^(٣).

المحدث:

روى عن:

أبان بن يزيد العطار، وإبراهيم بن طهمان، وإبراهيم بن أبي عبلة، وإبراهيم بن عتبة، وإبراهيم بن نافع المكي، وأسامة بن زيد الليثي، وإسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل بن عياش، وإسماعيل بن مسلم المكي، وبريد بن عبد الله بن أبي بريدة، وجريير بن حازم، وجعفر بن بزقان، وحجاج بن أظاة، وحسين بن ذكوان المعلم، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وحمزة بن حبيب الزيات، وحميد الطويل، وحيوة بن شريح المصري، وخالد بن سعيد الأموي، وخالد بن عبد الرحمن بن بكير، وخالد الحذاء، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وزائدة بن قدامة،

(١) الحلية ١٦٤/٨. وأبو داود هو سليمان بن داود الطيالسي.

(٢) غاية النهاية ٤٤٦/١.

(٣) طبقات المفسرين ٢٥٠/١.

وزكريا بن أبي زائدة، وزهير بن معاوية، وسعيد بن إلياس الجُرَيْرِيُّ، وسعيد بن أبي أيوب المصري، وسعيد بن أبي عَزُوبَةَ، وسفيان الثوري، وسفيان بن عُيَيْنَةَ، وسُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، وسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، وسَلَامُ بن أبي مُطِيعٍ، وشعبة بن الحجاج، وصالح بن صالح بن حَيٍّ، وصفوان بن عمرو الحمصِيِّ، وطلحة بن أبي سعيد الإسكندراني، وعاصم الأحول، وعبد الله بن عَوْنٍ، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وعبد الملك بن أبي سليمان، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْجٍ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن عُمَرَ العُمري، وعِكْرَمَةُ بن عَمَارٍ، وعلي بن المبارك، وعُمَرُ بن دَرٍّ، وعُمَرُ بن سعيد بن أبي حُسَيْنٍ، وعمرو بن ميثم بن مهران، وَعَنْبُوسَةُ بن سعيد، وَعُوفُ الأعرابي، وعيسى بن طهمان، وفُضَيْلُ بن غَزْوَانَ، وفطر بن خليفة، وفُلَيْحُ بن سليمان، وكهمس بن الحسن، والليث بن سَعْدٍ، ومالك بن أنس، ومالك بن مِغْوَلٍ، ومُجَالِدُ بن سعيد، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن أبي حَفْصَةَ، ومحمد بن راشد المَكْحُولِيُّ، ومحمد بن عَجْلَانَ، ومِشْعَرُ بنِ كَدَامٍ، وَمَعْمَرُ بن راشد، وموسى بن عُقْبَةَ، وموسى بن عَلِيِّ بن رَبَاحٍ، ونافع بن عمر الجُمَحِيِّ، وهشام بن حَسَّانٍ، وهشام بن أبي عبد الله الدَّسْتَوَائِيِّ، وهشام بن عروة، وهَمَّامُ بن يحيى، وَوُهَيْبُ بن الوَردِ، ويحيى بن أبي أيوب المصري، ويحيى بن حَسَّانِ الفِلَسْطِينِيِّ، ويحيى بن سعيد بن حَيَّانِ التَّيْمِيِّ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويونس بن أبي إسحاق، ويونس بن يزيد الأيلي، وخلق كثير.

وحدَّث عنه:

داود بن عبد الرحمن العطار، وسفيان الثوري، وسفيان بن عُيَيْنَةَ، ومَعْمَرُ بن راشد، وأبو بكر بن عَيَّاشٍ، وهم من شيوخه.

وجعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ، وأبو الأَخْوصِ سَلَامُ بنِ سُلَيْمٍ،
والفُضَيْلُ بنِ عِيَاضٍ، وهم أكبر منه.

وأبو إسحاق الفَزَارِيُّ، وبَقِيَّةُ بنِ الوليد، ومُعْتَمِرُ بنِ سُلَيْمَانَ،
والوليد بن مُسْلِمٍ، وهؤلاء من أقرانه.

وحدَّث عنه:

أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن عيسى الطَّالِقَانِيُّ، وإبراهيم بن
عبد الله الخَلَّالُ، وأحمد بن محمد بن موسى المعروف بمَرْدُويه،
وأحمد بن مَنِيعِ البَغَوِيِّ، وإسماعيل بن أَبَانَ الوَرَّاقِ، وبِشْرِ بنِ السَّرِيِّ،
وبِشْرِ بنِ محمد السَّخْتِيَانِيِّ، وَجَبَّانُ بنِ موسى المَرَوَزِيِّ، والحسن بن
الرَّبِيعِ البُورَانِيِّ، والحسن بن عَرَفَةَ، والحسن بن عيسى بن ماسرَجِسٍ،
والحَكَمُ بنِ موسى القَنْطَرِيُّ، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وأبو تَوْبَةَ
الرَّبِيعِ بنِ نافع الحَلَبِيِّ، وزكريا بن عَدِيٍّ، وسعيد بن سليمان الواسِطِيُّ
سَعْدُويه، وسعيد بن منصور، وسفيان بن عبد الملك المَرَوَزِيُّ، وسَلَمَةُ بن
سُلَيْمَانَ المَرَوَزِيِّ، وأبو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بنِ داود الزَّهْرَانِيِّ، وعبد الله بن
عثمان الملقَّبُ عَبْدَانُ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَةَ،
وعبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ، وعبد الرزاق بن هَمَّامِ الصَّنْعَانِيِّ،
وعبد العزيز بن أبي رِزْمَةَ، وعَبْدَةُ بنِ سُلَيْمَانَ المَرَوَزِيِّ، وعثمان بن
محمد بن أبي شَيْبَةَ، وعَقَّانُ بنِ مُسْلِمٍ، وعلي بن الحَسَنِ بنِ شَقِيقٍ،
وقتيبة بن سعيد، وأبو صالح محبوب بن موسى الفراء، ومحمد بن
سُلَيْمَانَ لُؤَيْنٍ، ومحمد بن العَلَاءِ، ومحمد بن عيسى ابن الطَّبَّاعِ،
ومحمد بن الفضل السَّدُوسِي عَارِمٍ، ومحمد بن مَرَّاحِ المَرَوَزِيِّ،
ومحمد بن مُقَاتِلِ المَرَوَزِيِّ، ومعلَى بن منصور الرازي، ومنصور بن أبي

مزاحم، وأبو سلمة موسى بن إسماعيل، ونعيم بن حماد، وهناد بن السري، والهيثم بن جميل، وهب بن زَمْعَةَ المَرْوَزِيُّ، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن معين، وخلائق سواهم.

وحديثه حُجَّةٌ وهو في كلِّ الأصول وكتب السُّنَّةَ.

** قال الخطيب البغدادي: (حدَّث عن ابن المبارك: مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، والحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ البَلْخِيُّ، وبين وفاتيهما مئةٌ واثنان وثلاثون سنة، وقيل: وثلاثون، وقيل: وثمان، وقيل: وتسع وعشرون سنة). وتابعه الحافظ المِزِّيُّ^(١).

قلت: سَمَّحَ اللهُ هَذِينَ الإِمَامِينَ الجَلِيلِينَ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لهُمَا التَّمَثِيلُ بِالحُسَيْنِ هَذَا، فَقَدْ قَالَ الخَطِيبُ نَفْسَهُ فِي تَرْجُمَتِهِ مِنْ «تَارِيخِ بَغْدَادٍ»: (لَمْ يَكُنْ ثِقَةً)، وَتَرْجُمَتُهُ مُظْلَمَةٌ، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ لَا يَحْتَمِلُ سِنَّهُ السَّمَاعُ مِنْهُمْ^(٢).

قال الحافظ أبو يعلى الخليلي: (أخِرُ مَنْ رَوَى عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِالرِّيِّ: مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَبِبَغْدَادٍ: الحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ)^(٣).

ومحمد بن حميد توفي سنة (٢٤٨هـ)، وهو حافظ كبير لكنه ضعيف، والحسن بن عرفة توفي سنة (٢٥٧هـ) وهو إمام محدث ثقة مُسْنِدٌ وَقْتَهُ، وبين وفاته ووفاة مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ مئةٌ وأربَعُ سنين.

عدد شيوخه:

ذكر الخليلي عن ابن المبارك أنه قال: (كُتِبَتْ عَنْ أَلْفٍ وَسِتِّمِئَةِ شَيْخٍ)^(٤).

(١) السابق واللاحق، ص ٢٥٢، تهذيب الكمال ٢٤/١٦.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤٤/٨، ميزان الاعتدال ٥٣٤/١، لسان الميزان ٢٨٢/٢.

(٣) الإرشاد ٨٨٧/٣.

(٤) الإرشاد ٢٧٢/١.

وروى العباس بن مُضْعَب في «تاريخ مَرُو» له، عن إبراهيم بن إسحاق البُنَّاني، عن ابن المبارك قال: (حملتُ العلمَ عن أربعة آلاف شيخ، فرويتُ عن ألفِ شيخ). ثم قال العباس: (فتتبعْتُهُم حتى وَقَعَ لي ثمانمئة شيخ له)^(١).

كثرة حديثه، وسعة علمه:

قال إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيْد: سمعت يحيى بن معين، يقول: (كانت كُتُب ابن المبارك التي حَدَّث بها عشرين ألفاً، أو واحداً وعشرين ألفاً)^(٢).

وقال محمد بن عبد الرحيم بن سَهْم: (حَدَّث ابنُ المبارك بالمِصْبِصَة بسبعة عشر ألف حديث)^(٣).

وقال ابن الحَمَّاني: (قَدِم ابنُ المبارك بغدادَ، وأنا رَدِيْفُه، فأخذه الناس يَمَنَّةً وَيَسْرَةً، فما استُفْتِي ابنُ المبارك يومئذٍ في مسألةٍ إلا وروى في ذلك خبراً)^(٤).

وقال علي بن المَدِيني: (نظرتُ فإذا الإسنادُ يدور على ستة، ثم صار علمُ هؤلاء الستة إلى اثني عشر، ثم انتهى علمُ هؤلاء الاثني عشر إلى ستة: إلى يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجَرَّاح، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن آدم)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٢٤، تذكرة الحفاظ ٢٧٦/١.

(٢) سؤالات ابن الجنيدي: رقم ٤٢٢، تاريخ بغداد ١٦٤/١٠، تاريخ ابن عساكر ٣٣٧.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٦.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٥.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٢٠/١، ٢٣٤ - ٢٣٥، ٢٥٢ - ٢٥٣، ٢٦٤ - ٢٦٥.

أمير المؤمنين في الحديث:

قال أبو أسامة حماد بن أسامة: (ابنُ المبارك في أصحاب الحديث مثلُ أمير المؤمنين في الناس)^(١).

وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي: (قلت ليحيى بن معين: إذا اختلف يحيى القطان ووكيع؟ قال: القول قول يحيى. قلت: إذا اختلف عبد الرحمن ويحيى؟ قال: يحتاج من يفصل^(٢) بينهما. قلت: أبو نعيم وعبد الرحمن؟ قال: يحتاج من يفصل بينهما. قلت: الأشجعي؟ قال: مات الأشجعي ومات حديثه معه. قلت: ابن المبارك؟ قال: ذلك أمير المؤمنين)^(٣) يعني: في الحديث.

حديثه عن بعض شيوخه:

مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ:

قال محمد بن موسى: سمعت إبراهيم بن موسى، يقول: (كنتُ عند يحيى بن معين، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا زكريا، مَنْ كان أثبتَ في مَعْمَرٍ؛ عبد الرزاق أو عبد الله بن المبارك؟ وكان متكئاً فاستوى جالساً، فقال: كان ابنُ المبارك خيراً من عبد الرزاق ومن أهل قريته، ثم قال: تضمُّ عبد الرزاق إلى عبد الله؟!)^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١٥٦/١٠.

(٢) في تاريخ بغداد: (يفضل)، تصحيف.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٩٧٦، تاريخ بغداد ١٦٤/١٠ - ١٦٥، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٧ - ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٨. والأشجعي: هو عبيد الله بن عبد الرحمن، إمام حافظ ثقة مأمون، من أصحاب سفیان الثوري.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٥/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٨.

وروى إبراهيم الحزبي، عن أحمد بن حنبل قال: (إذا اختلف أصحاب
مَعْمَر في شيء، فالقول قول ابن المبارك)^(١).

وجاء هذا عن إبراهيم الحزبي من قوله^(٢).

وقال الدارقطني: (أثبت أصحاب مَعْمَر: هشام بن يوسف، وابنُ
المبارك)^(٣).

الأوزاعي:

قال أبو عبد الرحمن النسائي: (أثبت أصحاب الأوزاعي عبد الله بن
المبارك)^(٤).

خَيْوَة بن شريح المِصْرِي:

(سُئِل يحيى بن معين: مَنْ أَثْبِتُ فِي خَيْوَة: ابن المبارك أو ابنُ
وَهْب؟ قال: ابن المبارك أثبت منه - يعني ابن وَهْب - في جميع
ما يروي. ثم قال: ابنُ المبارك بابُه يحيى بن سعيد القَطَّان؛ يعني: أنه
يُشْبِهُه)^(٥).

سفيان الثوري:

قال أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة: (سمعت يحيى بن معين يقول، وذكر

(١) شرح علل الترمذي ٤٧٨/١، ٧٠٦/٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٥/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٦.

(٣) شرح علل الترمذي ٧٠٦/٢.

(٤) ذيل الضعفاء والمتروكين، ص ٢٧٢، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٣٩.

(٥) شرح علل الترمذي ٤٧٥/١ - ٤٧٦. وانظر ما سيأتي: ص ٤٨٩ حاشية (١).

أصحاب سفيان، فذكر ابن المبارك فبدأ به، وقال: هم خمسة: ابن المبارك، ووكيع، ويحيى، وعبد الرحمن، وأبو نعيم^(١).

وقال علي بن المديني: (أصحاب سفيان الثوري: يحيى، وعبد الرحمن، ووكيع، وأبو نعيم، والأشجعي، وعبد الله بن المبارك)^(٢).

حماد بن سلمة:

قال النسائي: (أثبت أصحاب حماد بن سلمة: عبد الرحمن بن مهدي، وابن المبارك، وعبد الوهاب الثقفي)^(٣).

أصحابه:

قال أبو داود السجستاني: سمعت أحمد بن حنبل، قال: (أصحاب ابن المبارك القدماء: سفيان - يعني ابن عبد الملك - وعلي بن الحسن، وجعل يعدُّ غيرهما. قال: وعتاب بن زياد بعدهم، وليس به بأس)^(٤).

وقال أبو غبيد الأجرئي: (سئل أبو داود عن سفيان بن زياد، فقال: من أصحاب ابن المبارك، أثبت أصحاب ابن المبارك، وبعده سليمان، وبعده علي بن الحسن بن شقيق).

وقال أبو داود: (سمع علي بن الحسن الكتب من ابن المبارك أربع عشرة مرة)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٤، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٧. وانظر: سؤالات ابن طهمان: رقم ٣٢٣، المعرفة والتاريخ ١/٧١٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/٧١٦.

(٣) ذيل الضعفاء والمتروكين، ص ٢٧٣، شرح علل الترمذي ٢/٧٠٧.

(٤) سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٥٦٢.

(٥) سؤالات الأجرئ: رقم ١٩٣٥، ١٩٣٦.

- قال الحافظ المِزِّيُّ: (سفيان بن زياد المَرُوذِيُّ: من كبار أصحاب عبد الله بن المبارك)^(١).

وقال المِزِّيُّ في ترجمة سُليمان بن صالح المَرُوزِيَّ المعروف بِسَلْمُويه: (قال أبو رجاء محمد بن حَمْدُويه صاحب «تاريخ المراوزة»: قال أبو علي محمد بن علي المَرُوزِيُّ: كان ابن المبارك يخصُّه بالحديث، سمع من ابن المبارك نحو ثمانمئة حديث، ممَّا لم يقع منه في الكتب)^(٢).

- وقال أبو يَعْلَى الخَلِيلِيُّ: (القُدَمَاءُ من أصحاب ابن المبارك: محمود بن غَيْلان، وعليُّ بن الحسن بن شَقِيق، وعبد العزيز بن أبي رِزْمَةَ، وعَبْدَان، ومحمد بن مُقاتل، وسُويد بن نَصْر، والحسن بن عيسى بن ماسْرَجِس)^(٣).

- وقال أبو عَمْرُو ابن الصَّالِح: (عَبْدَان عبد الله بن عثمان المَرُوزِيُّ، صاحبُ ابن المبارك وراويته)^(٤).

كتابه العلم وتدوينه له، وقوة حافظته:

** قال أبو صالح محبوب بن موسى الفَرَّاء: (سألتُ ابن المبارك عن كتاب الحديث، فقال: لولا الكتابُ ما حَفِظْنَا)^(٥).

(١) تهذيب الكمال ١٥١/١١، وساق النص الذي أوردناه عن الأجري، رقم ١٩٣٥.

(٢) تهذيب الكمال ٤٥٣/١١.

(٣) الإرشاد ٨٨٧/٣ - ٨٨٨.

(٤) علوم الحديث، ص ٣٤٣ (النوع ٥٢).

(٥) تقييد العلم، ص ١١٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٩/٨.

وقال الفضل بن زياد: قال أحمد بن حنبل: (ما كان أحدٌ أقلَّ سَقَطاً من ابن المبارك، كان رجلاً يحدث من كتاب، ومن حَدَّث من كتاب لا يَكادُ يكون له سَقَطٌ كبيرٌ شيء. وكان وكيع يحدث من حفظه، ولم يكن ينظر في كتاب، وكان يكون له سَقَطٌ، كم يكون حفظ الرجل؟)^(١).

وقال أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الزُّبيري: قال ابن المبارك: (من أحبَّ أن يستفيدَ فلينظر في كُتبه)^(٢).

•• قال نعيم بن حماد: سمعت عبد الله بن المبارك، قال: (قال لي أبي: لئن وجدتُ كتبك لأحرقنَّها، قال فقلت له: وما عليَّ من ذلك وهو في صدري)^(٣).

وقال محمد بن النَّضر بن مُساور: قال أبي: (قلتُ لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، هل تحفظُ الحديث؟ قال: فتغيَّر لونه، وقال: ما تحفظتُ حديثاً قطُّ، إنما آخذُ الكتاب فأنظر فيه، فما أشتهيهِ علق بقلبي)^(٤).

وقال الحسن^(٥) بن عيسى: أخبرني صخر صديق ابن المبارك، قال: (كنا غلماناً في الكتاب، فمررتُ أنا وابنُ المبارك، ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة، فلما فرغ قال لي ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم، فقال له: هايتها، فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حَفِظها)^(٦).

(١) المعرفة والتاريخ ١٩٧/٢، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٠٣١، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١١.

(٢) تقييد العلم، ص ١٤٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٦٦/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٦٥/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٥.

(٥) في تاريخ بغداد: (الحسين).

(٦) تاريخ بغداد ١٦٥/١٠ - ١٦٦، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٥.

وقال شعيب بن حَزْب: (كنا نأتي ابنَ المبارك فنحفظ عنه، هل نستطيع أن نعلق عليه بشيء، فلا نقدر على شيء من ذلك)^(١).

انتقاؤه الأحاديث، واهتمامه بالأسانيد، وتحاكمهم إليه في الحديث في صحته وسقمه، وأقوالهم في إتقانه وضبطه:

** قال عبد الله بن الخليل بن إبراهيم العمِّي: سمعت أبي، يقول: كان عبد الله بن المبارك يقول: (لنا في صحيح الحديث سُفْل عن سَقِيمه)^(٢).

وقال عبدة بن سليمان المرزوي: (قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: يعيش لها الجهابذة)^(٣).

وقال إسحاق بن بشر الرازي: قال ابن المبارك: (ليس جودة الحديث في قُرْب الإسناد، ولكن جودة الحديث في صحة الرجال)^(٤).

وقال عبدة بن سليمان: قال ابن المبارك: (بُعْدُ الإسنادِ أحبُّ إليَّ إذا كانوا ثقاتٍ لأنهم قد تربصوا به، وحديثٌ بعيدُ الإسنادِ صحيحٌ خيرٌ من قريبِ الإسنادِ سقيم)^(٥).

وقال المسيب بن واضح: (سمعتُ ابنَ المبارك، وسأله رجلٌ، فقال: ما تقول يا أبا عبد الرحمن: مَنْ طَلَبَ العلم هل له أن يُشَدِّد في الإسناد؟

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٦.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٢٤، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٦.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٣/١، ١٨/٢، مقدمة الكامل، ص ١٠٣.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٣٣٢، شرح علل الترمذي ٣٦٣/١.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٥/٢.

قال: نعم، مَنْ كَانَ طَلَبَهُ لِلَّهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْإِسْنَادِ أَشَدَّ وَأَشَدَّ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ ثِقَةً يَرُوي عَنْ ثِقَةٍ، وَتَجِدُ ثِقَةً يَرُوي عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ^(١).

** قال أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن عيسى الطالقاني: (قلتُ لعبدِ اللهِ بنِ المباركِ: يا أبا عبدِ الرِّحْمَنِ، الحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ: «إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ، أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبِيكَ مَعَ صَلَاتِكَ، وَتَصُومَ لِهَمَا مَعَ صَوْمِكَ»؟ فقال عبدُ اللهِ: يا أبا إسحاق، عَمَّنْ هَذَا؟ قلتُ له: هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِيْهَابِ بْنِ خِرَاشٍ، فقال: ثِقَةٌ، عَمَّنْ؟ قلتُ: عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ، قال: ثِقَةٌ، عَمَّنْ؟ قلتُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ، قال: يا أبا إسحاق، إن بينَ الحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وبينَ النَّبِيِّ ﷺ مَفَاوِزَ تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ)^(٢).

وقال عبدان بن عثمان: قال عبد الله بن المبارك: (الإسنادُ عندي من الدِّينِ، ولولا الإسنادُ لقال مَنْ شاءَ ما شاءَ، فإذا قيلَ له: مَنْ حَدَّثَكَ؟ بَقِيَ)^(٣).

وقال العباس بن أبي رزمة: سمعتُ عبدَ اللهِ، يقول: (بيننا وبين القومِ القوائِمُ؛ يعني: الإسنادُ)^(٤).

وقال أبو عيسى الترمذي: (حدَّثنا محمد بن علي بن الحسن، أخبرنا

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٦٧٠ بأطول مما هنا وقد اختصرته، واختصره في الحلية ١٦٦/٨.

(٢) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٦، مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٤/١، وبأخصر منه في الحلية ١٦٦/٨.

(٣) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٥، علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٤٠/٥، مقدمة الجرح والتعديل

١٦/٢، كتاب المجروحين لابن حبان ٣٠/١، المحدث الفاضل: رقم ٩٦، معرفة علوم الحديث،

ص ٦، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٠٢، وغيرهم، والفاظهم متقاربة. بقي: أي بقي ساكتاً

منقطعاً مُفْحَمًا.

(٤) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٥.

جَبَّان بن موسى، قال: ذُكر لعبد الله بن المبارك حديثٌ، فقال: يُحتاج لهذا أركاناً من أجْرٍ. قال أبو عيسى: يعني أنه ضَعَّفَ إسنادهُ^(١).

وقال سعيد بن يعقوب: (سمعت ابنَ المبارك، وسألناه؛ قلنا: نجدُ المواعظ في الكُتُب، فننظرُ فيها؟ قال: لا بأس، وإن وجدتَ على الحائضِ موعظةً فانظر فيها تعظ، قيل له: فالفقه؟ قال: لا يستقيمُ إلا بالسَّماعِ)^(٢).

** روى وَهْب بن زَمْعَةَ، عن فَضالةِ التَّسَوِي^(٣) قال: (كنتُ أَجَالِسُ أصحابَ الحديثِ بالكوفة، فكانوا إذا تشاجروا في حديث، قالوا: مُرُوا بنا إلى هذا الطبيبِ حتى نسأله يَعْثُون: عبدَ الله بن المبارك)^(٤).

وقال أبو وَهْب محمد بن مُزَاحم: (العجبُ ممَّن يَسْمَعُ الحديثَ من ابنِ المبارك عن رجلٍ، ثم يأتي ذلك الرجلَ حتى يحدثه به)^(٥).

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت إبراهيم بن موسى، يقول: (لَوَدِدْتُ أن جميع ما عندي من حديثِ الصنعانيين - يعني عبد الرزاق وهشام بن يوسف وابن ثور - عند رجل بِقَوْمَس ثقة مثل عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن مَعْمَر، فكنتُ أُعيدُه عنه)^(٦).

وقال أبو إسحاق الطَّالِقَانِيُّ: سمعت عبد الله بن إدريس، يقول: (كلُّ حديثٍ لا يعرفُه ابن المبارك فنحن منه بَرَاءً)^(٧).

(١) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٤٠/٥، وسنن الترمذي بتحقيق الشيخ شعيب: ٤٤٧/٦..

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٧٠٦.

(٣) في تاريخ بغداد: (النوسي)، تحريف.

(٤) تاريخ بغداد ١٥٦/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٧.

(٥) تاريخ بغداد ١٦٦/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٦.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٥/١.

(٧) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٧.

وقال الليث بن عبدة: (قال ابنُ أبي مريم ليحيى بن معين: مَنْ أثبتَّ في حَيَوة: ابنُ المبارك أو ابن وَهْب؟ فقال: ابنُ المبارك أثبتَّ منه في جميع ما يروي. ثم قال: ابن المبارك بابُه يحيى بن سعيد القطان)^(١).

وقال الليث بن عبدة: حدثنا يحيى بن معين، قال: (ابنُ المبارك نائمٌ أيقظَ عندنا من الوليد)^(٢). يعني ابنُ مُسلم الدمشقي الحافظ.

** قال يحيى بن المغيرة: أخبرني أبو حاتم ابنُ أخي ابن المبارك أو ابنُ أخته، قال: (كان ابن المبارك إذا حَدَّثَ عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، قال: حَدَّثَنِي الصدوق، عن الصدوق، عن الصدوق، عن الصدوق، عن الصدوق، عن الصادق المصدوق)^(٣).

وقال عبد الله بن عثمان بن جبلة المعروف بعبدان: (قلتُ لعبد الله بن المبارك: مَنْ هذا الرجلُ الذي رويتَ عنه حديثَ عبد الله بن عمرو: «يومُ الفِطْرِ يومُ الجوائزِ»؟ قال: سليمان بن الحجَّاج، انظرْ ما وَضَعْتَ في يدِكَ منه)^(٤).

وعن سفیان بن عبد الملك قال: قال عبد الله بن المبارك: (رأيتُ رُوحَ بِنِّ غُطَيْفٍ، صاحبِ «الدمِ قَدَرَ الدَّرْهِمِ»، وجلسْتُ إليه مجلساً، فجعلتُ أستحيي من أصحابي، أن يروني جالساً معه، كُزَّةَ حَدِيثِهِ)^(٥).

(١) مقدمة الكامل، ص ١٠٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٣ وفيه: (خبره) بدل (حَيَوة)، وهو ابن شريح الثَّجِيبِي المِضْرِي.

(٢) مقدمة الكامل، ص ١٠٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٧.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢/٢٥٠.

(٤) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٨.

(٥) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٨. (كره حديثه): أي كراهية له. قوله (صاحب الدم قدر الدرهم): يريد وصفه وتعريفه بالحديث الذي رواه روح هذا عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة يرفعه: «تعاد الصلاة من قدر الدرهم» يعني من الدم. قال النووي: وهو حديث باطل لا أصل له. انظر: شرح مسلم ١/١٤٢. وقال الألباني: موضوع. الأحاديث الضعيفة رقم ١٤٨.

وقال أبو إسحاق الطَّلَقَانِيُّ: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (لو خُيِّرْتُ بين أن أدخلَ الجنةَ وبين أن ألقىَ عبدَ اللهِ بنَ مُحَرَّرٍ، لاخترتُ أن ألقاهُ ثم أدخلُ الجنةَ، فلما رأيتُه، كانت بكرةٌ أحبُّ إليَّ منه)^(١).

وقال عَبْدَانُ: (كان عبد الله بن المبارك قرأ أحاديثَ بَكْرِ بنِ خُنَيْسٍ، فكان أخيراً إذا أتى عليها أعرَضَ عنها، وكان لا يَذْكَرُه).

وقال أحمد بن عَبْدَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو وَهَبٍ مُحَمَّدُ بنُ مُزَاحِمٍ قَالَ: (سَمَّوْا لِعَبْدِ اللهِ بنِ المَبَارِكِ رجلاً يُتَّهَمُ في الحديثِ، فقال: لَأَنْ أَقَطَعَ الطَّرِيقَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ عَنْهُ)^(٢).

وقال الأَجْرِيُّ: سمعتُ أبا داود، يقول: قال ابن المبارك: (ما يسرني أني حدثت عن عباد بن كثير ولي كذا وكذا من الدنيا)^(٣).

طرف من معرفته بعلل الأحاديث ونقد الأسانيد، وكلامه في ناقلة الأخبار جرحاً وتعديلاً:

** قال يوسف بن يعقوب الصَّفَّارُ: (ذُكِرَ لابنِ المَبَارِكِ حديثٌ رواه حَبِيبُ بنِ خَالِدِ المَالِكِيِّ، فقال: ليس بشيءٍ، فقليل لابن المبارك: إنه شيخ صالح، فقال ابن المبارك: هو صالح في كل شيء إلا في هذا الحديث)^(٤).

وقال أحمد بن سعيد الدَّارِمِيُّ: قال ابن المبارك: (حديثُ الزهري عندنا كأخذٍ باليد)^(٥).

(١) مقدمة صحيح مسلم، ص ٢٧.

(٢) أخرجهما الترمذي في العلل الملحق بالسنن ٧٤١، ٧٤٠/٥.

(٣) سؤالات الأَجْرِيِّ: رقم ١٣٥٣. وعباد بن كثير البصري؛ متروك.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٠/١ - ٢٧١، وساقه مطولاً ص ٢٧٠.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٤/١.

وقال يحيى بن معين: (سمعت ابن المبارك يَغْمِزُ عُمَرَ بن هارون في سماعه من جعفر بن محمد، وكان عُمر يروي عنه ستين حديثاً أو نحو ذلك)^(١).

وقال الحسن بن عيسى بن ماسرّجيس: سمعت ابن المبارك، يقول: (لا يُكْتَبُ عن جرير بن عبد الحميد حديثُ السَّرِيِّ بن إسماعيل، ومحمد بن سالم، وعُبَيْدَةَ بن مُعْتَبِ)^(٢).

** قال عبدة بن سليمان: (قلت لابن المبارك: يُكْتَبُ عن رجلٍ يُشَكُّ فيه ثقةٌ هو أم لا؟ قال: إن كان ثقةً ليس يَثْبُتُ عليه اسمُ السوء، وإن كان كذاباً ليس يَثْبُتُ عليه اسمُ الصدق)^(٣).

وقال نعيم بن حماد: (كان ابنُ المبارك لا يترك حديثَ الرجل حتى يبلغه عنه الشيء الذي لا يستطيع أن يدفَعَه)^(٤).

وقال إسحاق بن عيسى: سمعت ابن المبارك، يقول: (يُكْتَبُ الحديثُ إلا عن أربعة: غلاطٍ لا يرجع، وكذابٍ، وصاحبٍ هوى يدعو إلى بدعته، ورجلٍ لا يحفظ فيحدث من حفظه)^(٥).

وقال علي بن الحسين بن واقد: قال عبد الله بن المبارك: (قلتُ لسفيان الثوري: إن عبّاد بن كثير من تعرف حاله، وإذا حدّث جاء بأمر عظيم، فتري أن أقول للناس: لا تأخذوا عنه؟ قال سفيان: بلى. قال

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٣/١.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧١، وبأخصر منه في مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٢/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٩/٢.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٠/١، ٢٧٤.

(٥) شرح علل الترمذي ٣٩٩/١.

عبد الله: فكنتُ إذا كنتُ في مجلسٍ ذكر فيه عبَّادٌ، أثبتتُ عليه في دينه، وأقولُ: لا تأخذوا عنه^(١).

قال الحسن بن الربيع: قال ابن المبارك: (المعلّى بن هلال لا بأس به، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب. قال بعضُ الصوفية: يا أبا عبد الرحمن تغتابُ؟! قال: اسكُتْ، إذا لم نبيّن كيف يُعرف الحقُّ من الباطل؟! أو نحو هذا الكلام)^(٢).

** قال عبد الرزاق: سمعت ابن المبارك، يقول: (ما رأيتُ أحداً أروى عن الزهريِّ من معمر، إلا ما كان من يونس، فإن يونس كَتَبَ كلَّ شيء)^(٣). وقال سلّمة بن سُليمان: قال عبد الله بن المبارك: (إذا اختلفَ الناسُ في حديثِ شعبة، فكتابُ عُندر حَكَمَ فيما بينهم)^(٤).

وقال هشام بن عُبيد الله الرازي: (سألتُ ابنَ المبارك: مَنْ أروى الناسَ - أو أحسنُ الناسَ روايةً - عن المُغيرة، أجزيرٌ؟ قال: أبو عَوانة)^(٥).

وقال علي بن المَدِينِي: (سألتُ عبد الرحمن بن مَهْدِي عن يونس الأيَلِي، قال: كان ابن المبارك يقول: كتابه صحيحٌ. قال عبد الرحمن: وأنا أقول: كتابه صحيح)^(٦).

وقال سفيان بن عبد الملك: قال عبد الله بن المبارك: (إبراهيم بن طهمان والسُّكْرِيُّ - يعني أبا حمزة - صحيحا الكُتُب)^(٧).

(١) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٧.

(٢) المعرفة والتاريخ ٥٦/٣ - ٥٧، ١٣٧.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٠٩، مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٢/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧١/١.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٢/١.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٢/١.

(٧) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٠/١.

•• قال ابن المبارك: (ما وُصِفَ لي أحدٌ ورأيتُهُ إلا كانت رؤيته دون صِفَتِهِ، إلا حَيَوَةَ بن شَرِيح، فإن رؤيته كانت أكبرَ من صِفَتِهِ)^(١).

- وقال الحسن بن عيسى: سمعتُ ابن المبارك، يقول: (وهل الأمرُ إلا ما كان عليه داود الطَّائِي)^(٢).

- وقال الحسن بن عيسى: (كان ابن المبارك لا يُساوي بسفيانَ أحدًا، ولا أبي بكر بن عياش في زمان أبي بكر)^(٣).

- وقال علي بن الحسن بن شَقِيق: (كان عبدُ الله بن المبارك يقول: إذا اجتمع هذان على شيءٍ فَتَمَسَّكَ به؛ يعني: الثوريَّ وأبا حنيفة).

وقال عَبْدَان: (سمعتُ عبدَ الله بن المبارك وقد طَعَن رجلٌ في مجلسه على أبي حنيفة، فقال له: اسكُتْ، والله لو رأيتَ أبا حنيفة لرأيتَ عقلاً ونُبلاً)^(٤).

- وقال سعيد بن صالح: (رأيتُ ابنَ المبارك مرَّ على رجلٍ بهَمَدَانٍ يحدثُ عن يزيد بن زُرَّيع، فقال: عن مثله فحدثُ)^(٥).

- وقال محمد بن عبد العزيز بن أبي رَزْمَةَ: (أخبرني أبي، عن عبد الله بن المبارك، عن عمَّار بن سيف، وأثنى عليه خيراً)^(٦).

(١) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤١٢٤، وبرواية الميموني: رقم ١٢٠، وسؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٥١، والجرح والتعديل ٣/٣٠٦، وتهذيب الكمال ٧/٤٨١.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٢.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٣.

(٤) الانتقاء، ص ٢٠٦ - ٢٠٧، وثمة أقوال أخرى.

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٧٢.

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٧٢.

- وقال إبراهيم بن عيسى الطَّالِقَانِيُّ: (قلتُ لابن المبارك: شهاب بن خِرَاش؟ فقال: ثقة) (١).

- وقال ابن المبارك: (لم أَر رجلاً أفضلَ من يحيى بن أيوب) (٢).

- وقال أيضاً: (لم يكنْ بالمدينة أحدٌ أشبهَ بأهلِ العلم من ابنِ عَجْلانَ، كنتُ أُشَبِّهُه بالياقوتةِ بين العلماء) (٣).

- وقال أبو وهب محمد بن مُزاحم: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (رأيتُ أَعْبَدَ الناس، ورأيتُ أَوْرَعَ الناس، ورأيتُ أَعْلَمَ الناس، ورأيتُ أفقَه الناس، فأما أَعْبُدُ الناس فعبد العزيز بن أبي رَوَاد، وأما أَوْرَعُ الناس فالفُضَيْل بن عياض، وأما أَعْلَمُ الناس فسفيانُ الثوري، وأما أفقُه الناس فأبو حنيفة. ثم قال: ما رأيتُ في الفقه مثله) (٤).

** قال نُعيم بن حماد: (سمعت ابن المبارك، وذَكَرَ عنده حديثٌ لَسَلَمِ بنِ سالم، فقال: هذا من عقارب سَلَم).

وفي رواية عنه قال: (اتَّقِ حَيَاتِ سَلَمِ بنِ سالم لا تَلْسَعُكَ) (٥).

- قال أحمد بن عُبْدَةَ: حدثنا وَهْبُ بن زَمْعَةَ: (عن عبد الله بن المبارك أنه تَرَكَ حديث الحسن بن عُمارة، والحسن بن دينار، وإبراهيم بن محمد الأَسْلَمِي، ومُقاتل بن سُلَيْمان، وعثمان البُرَيْي، وَرَوْحُ بن مُسافر، وأبي

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٣/١، وهو في مقدمة صحيح مسلم، ص ١٦، في خبر طويل تقدم ذكره.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٣/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٣/١.

(٤) تاريخ بغداد ٣٤٢/١٣ - ٣٤٣، تهذيب الكمال ٢٨٧/٢٣.

(٥) الجرح والتعديل ٢٦٧/٤، تقدمته ٢٧٣/١.

شَيْبَةَ الْوَاسِطِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، وَأَيُّوبُ بْنُ خُوْطٍ، وَأَيُّوبُ بْنُ سُؤَيْدٍ، وَنَضْرُ بْنُ طَرِيفٍ أَبِي جَزْءٍ، وَالْحَكَمُ، وَحُبَيْبُ بْنُ حُجْرٍ. الْحَكَمُ رَوَى لَهُ حَدِيثًا فِي «كِتَابِ الرَّقَاقِ» ثُمَّ تَرَكَهُ، وَحُبَيْبٌ لَا أُدْرِي^(١).

- وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ: رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: (اطْرُخْ حَدِيثَ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ)^(٢).

- وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَيْسَى: (سَأَلْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ عَنْ أَسْبَاطٍ - بَنِي نَضْرٍ -، وَمُحَمَّدِ بْنِ فَضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، فَسَكَتَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ رَأَيْتَنِي، فَقَالَ لِي: يَا حَسَنُ، صَاحِبَاكَ لَا أَرَى أَصْحَابَنَا يَرْضَوْنَهُمَا)^(٣).

- وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَاقِ: (مَا رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يُفْصِحُ بِقَوْلِهِ: كَذَّابٌ، إِلَّا لِعَبْدِ الْقُدُوسِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ: كَذَّابٌ)^(٤).

- وَرَوَى وَهْبُ بْنُ زَمْعَةَ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: (بَقِيَّةُ صَدُوقِ اللُّسَانِ، وَلَكِنَّهُ يَأْخُذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ)^(٥).

قلت: وهذا بابٌ طويل، وأقواله مبثوثةٌ في كُتُبِ الرِّجَالِ والجِرْحِ والتَّعْدِيلِ، وله اجتهاداتٌ خالفه فيها معظمُ أئمةِ هذا الفنِّ، كراهيه في عبد السلام بن حَزْبٍ، ولكن ذلك قليل، وكلُّ إمامٍ نقَّادٍ له اجتهاده.

(١) علل الترمذي الملحق بالسنن ٧٤٠/٥، سنن الترمذي بتحقيق الشيخ شعيب: ٤٤٧/٦، شرح

علل الترمذي ٣٦٣/١ - ٣٦٤. وانظر: علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٤.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧١/١.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٨.

(٤) مقدمة صحيح مسلم، ص ٢٦. وعبد القدوس هو ابن حبيب الشامي، انظر: الضعفاء

والمتروكين للنسائي، ص ٢٠٨، الجرح والتعديل ٥٥/٦، ميزان الاعتدال ٦٤٣/٢.

(٥) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٩.

ومن هذه الفقرة والتي سبقتها، يتبيّن تهافتُ ما ادّعاهُ أحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام» من أن عبد الله بن المبارك (كان سليم النية يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح) وأنه (يأخذ عمّن أقبل وأدبر)^(١).

كراهيته التديس وذمه له:

قال أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني: (كان ابن المبارك يقول: لأن يخرّ من السماء أحبّ إليه من أن يدلس حديثاً)^(٢).
وقال عبدان: (ذكر لعبد الله بن المبارك رجلٌ ممن كان يدلس، فقال فيه قولاً شديداً، وأنشد فيه:

دَلَسَ لِلنَّاسِ أَحَادِيثَهُ وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ تَدْلِيسًا)^(٣)

وقال أبو سلمة موسى بن إسماعيل: سمعتُ ابنَ المبارك، يقول: (حدّثتُ سفيانَ الثوريَّ بحديثٍ ثم جئتُه بعد ذلك، فإذا هو يدلسه عني، فلما رأني استحيا وقال: نرويه عنك)^(٤).

وقال إسحاق بن راهويته: سمعتُ بعضَ أصحابِ عبد الله، قال: قال ابنُ المبارك: (نعم الرجلُ بقرية، لولا أنه كان يَكْنِي الأسماءَ ويُسمِّي الكُنَى، كان دَهراً يُحدّثنا عن أبي سعيد الوحاظي، فنظرنا فإذا هو عبد القدوس)^(٥) أي ابن حبيب الشامي.

-
- (١) فجر الإسلام، ص ٢٦٠، وقد رد عليه العلامة الدكتور مصطفى السباعي في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع»، ص ٢٤٩ - ٢٥٣.
(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٨، مختصره ٢١/١٤.
(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٨.
(٤) مقدمة الكامل، ص ١٠٤، الإرشاد ٨٨٨/٣.
(٥) مقدمة صحيح مسلم، ص ٢٦، المعرفة والتاريخ ٤٢٤/٢، ٤٥/٣، تاريخ بغداد ١٢٤/٧، موضح أوهام الجمع والتفريق ٢٤٧/٢. وعبد القدوس: متروك.

من أقواله وآرائه في علوم الحديث:

قال نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ: (ما رأيتُ ابنَ المَبَارَكِ يقولُ قَطُّ: «حَدَّثَنَا»، كان يرى «أخبرنا» أوسع)^(١).

وقال عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ: (سمعتُ ابنَ المَبَارَكِ وسُئِلَ عن: فُلانِ القَصِيرِ، وفُلانِ الأَعْرَجِ، وفُلانِ الأَصْفَرِ، وحُمَيْدِ الطَوِيلِ؟ قال: إذا أرادَ صِفَتَهُ ولم يُرِدْ عَيْبَهُ، فلا بأس)^(٢).

وقال الوليد بن مُسْلِمٍ: (اجتمعتُ أنا وابنُ المَبَارَكِ ومروانُ الفَزَارِيُّ عند سفيانِ الثوري، وسعيد بن سالمِ القَدَّاحِ، إذ جاء سفيان بن عُيَيْنَةَ، فتذاكرنا: مَنْ العَدْلُ في الإسلام؟ فكلُّنا نَظَرْنَا إلى سفيانِ الثوري أن يتكلَّم، فبادر عبدُ الله بن المَبَارَكِ فقال: مَنْ رَضِيَهِ أهلُ العلمِ فكتبوا عنه حديثه، فهو عدلٌ جازئُ الشهادة. فتبسَّم سفيانُ الثوري، وقال: أَحْسَنُ واللهِ أبو عبد الرحمن)^(٣).

وقال الحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ: (قيل لابنِ المَبَارَكِ: كيف رَوَيْتَ عن عبدِ الوارثِ وتَرَكْتَ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ؟ قال: إِنَّ عَمْرَأَ كانَ داعِياً)^(٤). يعني يَدْعُو إل بدْعةِ القَدَرِ.

وقال علي بن الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: سمعتُ عبدَ الله بن المَبَارَكِ يقول على رؤوسِ الناسِ: (دَعُوا حديثَ عَمْرُو بْنِ ثابِتٍ، فَإِنَّهُ كانَ يَسُوبُ السَّلْفَ)^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠٤/٨ - ٤٠٥، تذكرة الحفاظ ٢٧٧/١، شرح علل الترمذي ٥١٨/١.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٢٧٣.

(٣) مقدمة الكامل، ص ١٠٤.

(٤) المعرفة والتاريخ ٢٦٣/٢، ٤٦٨/٣، تاريخ بغداد ١٢/١٨٣، وانظر: مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٣/١، وشرح علل الترمذي ٣٥٦/١ - ٣٥٧.

(٥) مقدمة صحيح مسلم، ص ١٦، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٧٩.

وقال أبو حاتم الرازي: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: (قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ، وَرَوَى عَنْ رَجُلٍ حَدِيثًا، فَقِيلَ: هَذَا رَجُلٌ ضَعِيفٌ، فَقَالَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَوَى عَنْهُ هَذَا الْقَدْرُ، أَوْ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. قُلْتُ لِعَبْدَةَ: مِثْلُ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ؟ قَالَ: فِي أَدَبٍ، فِي مَوْعِظَةٍ، فِي زُهْدٍ، أَوْ نَحْوِ هَذَا)^(١).

الضقيه:

جَمَعَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ، وَانْتَفَعَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَكْبَارِ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، فَتَفَقَّهَ بِهِ، وَاطَّلَعَ عَلَى كُتُبِهِ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا دِقَاقَ الْمَسَائِلِ، كَمَا أَخَذَ الْفَقْهَ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ، وَغَيْرِهِمْ. وَلِهَذَا فَقَدْ عَدَّهُ بَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ مِنْ فُقَهَائِهِمْ، وَتَرَجَمُوا لَهُ فِي طَبَقَاتِ رِجَالِهِمْ، وَاعْتَبَرَهُ آخَرُونَ مِنْ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَذَكَرُوهُ فِي طَبَقَاتِ الْمَالِكِيَّةِ. وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَانَ فُقَيْهًا مُسْتَقِلًّا، إِمَامًا بِرَأْسِهِ، مُجْتَهِدًا لَا يَقْلُدُ أَحَدًا، وَلَا يَتَّقِيْدُ بِمَذْهَبِ إِمَامٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْأَكْبَارِ.

ولقد أثنى على فقهه أشياخه سفيان الثوري ومالك وابن عيينة، كما وصفه بعض تلامذته بأنه أفقه الناس، وذكره النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِهِ «تَسْمِيَةَ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ» فِي فُقَهَاءِ خُرَاسَانَ، كَمَا تَرَجَمَ لَهُ الشَّيْرَازِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ».

وأورد الإمام الترمذي في «سننه» كثيراً من أقوال ابن المبارك، مقروناً مع فقهاء الأمصار كالثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وابن راهويه، ومن في هذه الحلبة.

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٣٠/٢ - ٣١، شرح علل الترمذي ٣٧٢/١، وقد ذكر الحافظ ابن رجب هذا الخبر تحت عنوان: «جواز الرواية عن الضعفاء في الرقائق، وضابط ذلك».

وفقه ابن المبارك يجمع بين الرأي والأثر، وقد جاء عنه أن الرجل لا يُفتي حتى يكون عالماً بالأثر بصيراً بالرأي.

قال أبو عثمان حمدان بن أبي الطُّوسي: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (قَدِمْتُ الشَّامَ عَلَى الْأَوْزَاعِيِّ، فَرَأَيْتُهُ بِبَيْرُوتَ، فَقَالَ لِي: يَا خُرَّاسَانِي، مَنْ هَذَا الْمَبْتَدِعُ الَّذِي خَرَجَ بِالْكَوْفَةِ يُكْنَى أبا حَنِيفَةَ؟ فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَأَقْبَلْتُ عَلَى كِتَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا مَسَائِلَ مِنْ جِيَادِ الْمَسَائِلِ، وَبَقِيَتْ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَجِئْتُهُ يَوْمَ الثَّلَاثِ - وَهُوَ مُؤَدِّنُ مَسْجِدِهِمْ وَإِمَامُهُمْ - وَالْكِتَابُ فِي يَدِي، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْكِتَابُ؟ فَنَاولْتُهُ، فَنَظَرَ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْهَا وَقَعْتُ عَلَيْهَا: قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَمَا زَالَ قَائِمًا بَعْدَمَا أَدَّنَ حَتَّى قَرَأَ صَدْرًا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ وَضَعَ الْكِتَابَ فِي كُمَّهِ، ثُمَّ أَقَامَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَخْرَجَ الْكِتَابَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا، فَقَالَ لِي: يَا خُرَّاسَانِي، مَنْ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْخٌ لَقِيْتُهُ بِالْعِرَاقِ، فَقَالَ: هَذَا نَبِيْلٌ مِنَ الْمَشَائِخِ، اذْهَبْ فَاسْتَكْمِرْ مِنْهُ، قُلْتُ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ الَّذِي نَهَيْتَ عَنْهُ^(١).

وروى محمد بن وضَّاح، عن يحيى بن يحيى اللَّيْثِيِّ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ، فَاسْتَوْذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِالْدُخُولِ، فَأُذِنَ لَهُ، فَرَأَيْنَا مَالِكًا تَزْحُجُ لَهُ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ بِلِصْقِهِ، وَمَا رَأَيْتُ مَالِكًا تَزْحُجُ لِأَحَدٍ فِي مَجْلِسِهِ غَيْرِهِ، فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ عَلَى مَالِكٍ، فَرُبَّمَا مَرَّ بِشَيْءٍ فَيَسْأَلُهُ مَالِكٌ: مَا مَذْهَبُكُمْ فِي هَذَا؟ أَوْ: مَا عِنْدَكُمْ فِي هَذَا؟ فَرَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يُجَاوِبُهُ، ثُمَّ قَامَ، فَخَرَجَ، فَأَعْجِبَ مَالِكٌ بِأَدْبِهِ، ثُمَّ قَالَ لَنَا مَالِكٌ: هَذَا ابْنُ الْمُبَارَكِ فَفِيهِ خُرَّاسَانٌ)^(٢).

(١) تاريخ بغداد ٣٣٨/١٣، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٠/٨.



وقال أحمد بن جَمِيل المَرْوَزِيُّ: سمعت ابن المبارك، يقول: (دخلتُ على الثوريِّ بمكة، وقد شرب دواءً، وقد أصابَهُ في رأسه ريحٌ قد تحيَّر منها، فقلت: ما في البيت من بَصَلَةٍ؟ فأتيت بها، فشققْتُها، وناولْتُها سفيانَ الثوري فقلت: شُمَّه يا أبا عبد الله، فشَمَّه، فعَطَسَ، وطابتَ نَفْسُه. فقال: يا ابن المبارك، فقيهٌ وطيبٌ؟! ^(١)).

وقال نَصْر بن المَغيرة البُخاري: سمعت إبراهيم بن شَمَّاس، يقول: (رأيتُ أفقَةَ الناس، وأورَعَ الناس، وأحفظُ الناس، فأما أفقُهُ الناس فابن المبارك، وأما أورعُ الناس ففضيلُ بن عياض، وأما أحفظُ الناس فوكيع بن الجراح) ^(٢).

وقال إسماعيل بن مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيُّ ^(٣): حدثني محمد بن المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: (قلتُ لأبي: يا أبة، مَنْ فقيهُ العرب؟ قال: سفيان الثوريُّ. فلما مات سفيان، قلت: يا أبة، مَنْ فقيهُ العرب؟ قال: عبد الله بن المبارك) ^(٤).

** قال عَبْدان: سمعت ابن المبارك، يقول: (ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يُفسَّر لكم الحديث) ^(٥).

وقال علي بن الحسن بن شَقِيق: قال عبد الله بن المبارك لرجلٍ: (إن ابْتُلِيتَ بالقضاء فعليك بالأثر) ^(٦).

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٦ - ٣١٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٦٤. وانظر ما تقدم: ص ٤٩٤ حاشية (٤).

(٣) في الحلية: (الفضي)، تحريف.

(٤) الجرح والتعديل ٥/١٧٩، تقدمته ١/٢٦٢، مقدمة الكامل، ص ١٠٤، الحلية ٨/١٦٣، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٣٣.

(٥) الحلية ٨/١٦٥، جامع بيان العلم ٢/١٦٨.

(٦) الحلية ٨/١٦٦، جامع بيان العلم ٢/١٦٧.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: (سمعت عبد الله بن المبارك يُسأل: متى يَسْعُ الرجل أن يُفتي؟ قال: إذا كان عالماً بالأثر، بصيراً بالرأي)^(١).

** قال أحمد بن محمد بن شُبويه: (سُئِلَ ابنُ المبارك مسألةً في المسجد الحرام، فجعل يقول: مثلي يُفتي في المسجد الحرام؟ أو أنا أهلُّ أن أفتي في المسجد الحرام؟!)^(٢).

وقال عبد الرحمن الأخول: سمعت ابن المبارك، يقول: (بيننا أنا في مَرْحَلَة بين الكوفة ومكة، إذ جاءني رجلٌ معه حَبْلٌ قَتَّ، فجلس بين يدي فقال: يا أبا عبد الرحمن، أنا في هذه القرية ليس فيها حانوت غير حانوتي، يمرُّ بي المارُّ، فلو أُبَيِّتُ بهذا الحبل إلا مئةَ درهم، لم يجدُ بُدْأً من أن يشتريه مني، أفأبيعه؟ قال: فالتفت إليَّ رفقائي، قلت: شُدُّوا متاعكم، قال: فارتحلتُ ولم أُجِبْهُ بشيء، قال: فلما صِرْنَا في المرحلة الأخرى، قلتُ لرفقائي: تَدْرُونَ لِمَ سَكَّتْ عن صاحب الحَبْلِ؟ قالوا: لا، قال: كَرِهْتُ أن أقول له: لا تَبِعْهُ، فَأَحْرَمَ عليه شيئاً قد أَحَلَّهُ اللهُ وَرَجَّلَ له، وكَرِهْتُ أن أقول له: بَعْهُ، فَيَقْطَعَ أيدي الناس وأرجلهم بكلامي، فارتحلت وسكتُ)^(٣).

طَرَفٌ مما أورده الإمام الترمذي في «سننه» من أقوال ابن المبارك الفقهية:

- قال ابن المبارك: (قد وُسِعَ في البول في المُغْتَسَلِ إذا جَرَى فيه الماء)^(٤).

(١) جامع بيان العلم ٥٨/٢.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٣/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٢٧٩. والقت: الفِضْفِصَة، وهي الرُّطْبَة من غَلْفِ الدواب.

(٤) سنن الترمذي ٣٣/١ حديث ٢١.



- وقال: (لا آمنُ إذا زادَ في الوُضوءِ على الثَّلاثِ أن يَأْتِمَ)^(١).
- وقال: (إذا شكَّ في الحَدَثِ فإنه لا يجبُ عليه الوضوء حتى يَسْتيقِنَ استيقاناً يَقدِرُ أن يَحْلِفَ عليه).
- وقال: (إذا خَرَجَ من قُبُلِ المرأةِ الرِّيحُ وَجِبَ عليها الوضوء)^(٢).
- وقال الترمذي: (اختلف العلماء في الوضوء من النوم: فرأى أكثرهم ألا يجب عليه الوضوء إذا نام قاعداً أو قائماً، حتى ينام مُضطجِعاً، وبه يقول الثوري وابن المبارك وأحمد)^(٣).
- وقال ابن المبارك والثوري ومالك والشافعي: (أنَّ المستحاضَةَ إذا جاوزتْ أيامَ أَقْرَائِهَا، اغْتَسَلَتْ، وتوضَّأتْ لكل صلاة)^(٤).
- وقال أكثر أهل العلم من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم مثل: سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويته، قالوا: (لا تقرأ الحائضُ ولا الجُنُبُ من القرآن شيئاً، إلا طَرَفَ الآية والحرفَ ونحوَ ذلك، ورخصوا للجُنُبِ والحائضِ في التسبيح والتهليل)^(٥).
- وقال فيمن أتى امرأته وهي حائض: (يَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ، ولا كَفَّارَةَ عليه)^(٦).
- وقال ابن المبارك: (التَّثْوِيبُ أن يقولَ في أذانِ الفجر: الصلاةُ خيرٌ من النوم)^(٧).

(١) سنن الترمذي ٦٤/١ حديث ٤٤.

(٢) سنن الترمذي ١١٠/١ حديث ٧٥.

(٣) سنن الترمذي ١١٣/١ حديث ٧٨.

(٤) سنن الترمذي ٢٢٠/١، حديث ١٢٥.

(٥) سنن الترمذي ٢٣٦/١ - ٢٣٧ حديث ١٣١.

(٦) سنن الترمذي ٢٤٧/١ حديث ١٣٧.

(٧) سنن الترمذي ٣٨٠/١ حديث ١٩٨.



- وقال فيمن يأتون المسجدَ وقد فُرغَ فيه من صلاة الجماعة، قال: (يُصَلُّونَ فُرَادَى). وبه يقول الثوري ومالك والشافعي^(١).

- وقال ابن المبارك وأكثر أهل العلم بقراءة الفاتحة خلف الإمام.

وَرُوِيَ عن ابن المبارك أنه قال: (أنا أقرأ خلف الإمام، والناس يقرؤون، إلا قوماً من الكوفيين، وأرى أن مَنْ لم يقرأ صلَّته جائزة)^(٢).

- وكان يرى أن يُصَلِّي الرجل قبل الجمعة أربعاً، وبعدها أربعاً. وَيَذْهَبُ في هذا إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٣).

- وقال الترمذي في «كتاب الطلاق - باب: ما جاء لا طلاق قبل النكاح»: (ذُكر عن عبد الله بن المبارك أنه سُئِلَ عن رجل حَلَفَ بالطلاق أنه لا يتزوَّج، ثم بَدَأَ له أن يتزوَّج، هل له رخصةٌ بأن يأخذ بقول الفقهاء الذين رَخَّصُوا في هذا؟ فقال عبد الله بن المبارك: إن كان يرى هذا القول حقاً من قبل أن يُتلى بهذه المسألة، فله أن يأخذ بقولهم، فأما من لم يرضَ بهذا، فلما ابتلي أَحَبَّ أن يأخذ بقولهم، فلا أرى له ذلك)^(٤).

وهذا باب طويل جداً، نكتفي بهذه الإشارة.

الشاعر:

كان المبارك يحث ابنه عبد الله على طلب العلم، ويشجعه على حفظ

(١) سنن الترمذي ٤٣٠/١ حديث ٢٢٠، وقد أطل العلامه أحمد شاكر الكلام في هذه المسألة بكلام نفيس.

(٢) سنن الترمذي ١١٨/٢، ١٢٢ - ١٢٣، الحديثان ٣١١، ٣١٢.

(٣) سنن الترمذي ٤٠١/١ حديث ٥٢٣.

(٤) سنن الترمذي ٤٨٧/٣ حديث ١١٨١.

الشعر، ويبدل له المال لِيُنْفِقَهُ في سبيل ذلك، فأقبل ابن المبارك على الشعر، وحَفِظَ منه الكثير الطَّيِّب، حتى صار شاعراً مُبَرِّزاً.

ويمتاز شعره بالرِّقَّة والعذوبة، والأدب السامي، والعبارة الواضحة، والسَّبْك القوي، والرَّبْط المحكَّم، والتأثير البالغ. وتناول في أشعاره مواضيع كثيرة، وطَرَقَ جوانبَ متنوعة؛ شَمِلت العقيدة، ومدَّحَ النبي ﷺ وأصحابه الكرام، والزهدَ والرقائق، والفروسية والجهادَ، والمواعظ والنصائح، ووَصَفَ القيامةَ وأهوالها، والدنيا وزخارفها، والحثَّ على أعمال الخير والمكرمات، والأخلاق الفاضلة، والصفات الكريمة. وشعره في كل ذلك كثير، نومي إلى شذرات منه.

قال أحمد بن علي الأبار: (حدثنا أبو غَسَّان محمد بن عمرو الرَّاظِي المعروف بَزْتِيح، قال: قال أبو تُمَيْلَةَ يحيى بن واضح: كان أبي والمبارك - يعني أبا عبد الله بن المبارك - وكانا تاجرِين، وكانا قد جعلنا لنا مَنْ حَفِظَ منا قصيدةً فله درهمٌ. قال: فكنتُ أحفظُ أنا وابن المبارك القصائد. قال أبو غَسَّان: فخرجا شاعِرَيْن كِلاهما)^(١).

** قال إسحاق بن إبراهيم بن سُنَيْن: قال ابن المبارك:

لِين، ولستُ على الإسلام طَعَانَا	(إني امرؤٌ ليس في ديني لغامِزُه
وللرسولِ، مع الفُرْقَانِ أَعْوَانَا	شُغْلِي بَقومٍ مَضُوا كانوا لنا سَلْفًا
بالطَّعْنِ مَنِي، وقد فَرَطْتُ عِضْيَانَا	فما الدُّخُولُ عليهم في الذي عَمِلُوا
ولا أَسْبُ، معاذَ اللهِ، عُثْمَانَا	فلا أَسْبُ أبا بكرٍ، ولا عُمراً
حتى أَلْبَسَ تحت الثُّرْبِ أَكْفَانَا	ولا ابنَ عَمِّ رسولِ اللهِ أَشْتَمُهُ

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٢٧، تهذيب الكمال ٣٢/٢٦.

ولا الزُّبَيْرَ حواريَّ الرسول، ولا
ولا أقول «عليّ في السَّحَاب»^(١)، إذا
ولا أقول بقول الجَهَم، إنَّ له
ولا أقول: تخلَّى من خَلِيقَتِهِ
ما قال فرعونُ هذا في تجبُّرِهِ
لكن: على مِلَّةِ الإسلام، ليس لنا
إنَّ الجماعة حبلُ الله، فاعتصموا

وقال ابن المبارك:

(إني أحبُّ علياً حبُّ مُقْتَصِدٍ
أما عليّ فقد كانت له قَدَمٌ
وكان عثمانُ ذا صِدْقٍ وذا وَرَعٍ
ما يَعْلَمُ اللهُ من قَلْبِي مُشَايَعَةً
إني لأمنحهم بُغْضِي علانيةً
ولا أرى حُرْمَةً يوماً لمبتدعٍ
ولا أرى دونَه في الفُضْلِ عُثْمَانَا
في السَّابِقِينَ بها، في الناس قد بانَا
بِرّاً حَيِّياً، جَزَاهُ اللهُ عُفْرَانَا
لِلْمُبْغِضِينَ عَلِيّاً وابنَ عَفَانَا
ولستُ أَكْتُمُهُ في الصُّدْرِ كِثْمَانَا
وهنا يكونُ له مَنِي وإِذْهَانَا)^(٢)

•• قال أبو أمية الأسود: قال عبد الله بن المبارك:

(الصُّمْتُ أَزْيَنُ بِالْفَتَى
والصُّدْقُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى
وعلى الفتى بوقاره
من منطقٍ في غيرِ جِينِهِ
في القولِ عندي من يَمِينِهِ
سِمَةٌ تَلُوحُ على جَبِينِهِ

(١) الذي يقول بهذا عبد الله بن سبأ وأتباعه فرقة السَّبَيْئِيَّة. انظر: الفُزُق بين الفِرَق، ص ٢٣٣ - ٢٣٤،

المِلَل والنحل ٢٠٤/١.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٥ - ٣٥٦، سير أعلام النبلاء ٤١٣/٨ - ٤١٤.

(٣) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٥٦.

فَمَنْ الَّذِي يَخْفَى عَلَيَّ
رُبَّ امْرِيٍّ مُتَيَقِّنٍ
فَأزَالَه عَنْ رَأْيِهِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:

(لَا تَضْرَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
وَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
أَلَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرَجَوَ وَتَأْمَلُهُ
فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالَّذِينَ
فَإِنَّمَا هِيَ بَيْنَ الْكَافِ وَالْتُونِ
مِنَ الْبَرِيَّةِ مُسْكِينٍ بَنٍ مُسْكِينٍ)^(١)

•• قال أبو العباس السراج: أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك:

(أَبِإِذْنِ نَزَلَتْ بِي يَا مَسِيْبُ
وَكَفَى الشَّيْبُ وَاغْظًا غَيْرَ أَنِي
كَمْ أَنَادِي الشَّبَابَ إِذْ بَانَ مَنِّي
أَيُّ عَيْشٍ وَقَدْ نَزَلَتْ يَطِيبُ
أَمَلُ الْعَيْشِ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ
وَنِدَائِي مُؤَلِّيًّا مَا يُجِيبُ)^(٢)

وقال يونس بن عبد الأعلى: أنشدني سلم بن ميمون الخواص، عن ابن المبارك:

(رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ
وَهَلْ بَدَّلَ الدِّينَ إِلَّا الْمَلُوكُ
وَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبِحُوا
لَقَدْ وَقَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ
وَيُتْبِعُهَا الدُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وَأَجَارُ سَوْءٍ وَرُهْبَانُهَا
وَفِي الْبَيْعِ لَمْ تَغْلُ أَثْمَانُهَا
يَبِينُ لِذِي الْعَقْلِ إِنْتَانُهَا)^(٣)

(١) الحلية ١٧٠/٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٦/٨، تاريخ الإسلام ٢٤٣.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

وقال محمد بن حاتم المَرَوَزِيُّ: أنشدنا سُويد بن نَصْر المَرَوَزِي لعبد الله بن المبارك:

وأنت بما تُخفي الصدورَ عَلِيمٌ	أيا رب، يا ذا العرش أنتَ رحيمٌ
أرى الجَلَمَ لم يندم عليه حَلِيمٌ	فيا رب هَبْ لي منك جِلْماً، فإنني
أُقيِمُ به في الناس حيثُ أُقيم	ويا رب هَبْ لي منك عَزْماً على التقى
يُسامي بها عند الفَخارِ كريمٌ	ألا إن تقوى الله أكرمُ نِسْبَةٍ
خرجتَ من الدنيا وأنتَ سَلِيمٌ	إذا أنتَ نافستَ الرجالَ على التَّقَى
وأنتَ على ما لا يُحِبُّ مُقيِمٌ	أراك امرأً ترجو من الله عَفْوَهُ
ولم يَأمنوا منه الأذى لِلثَّيْمِ	وإنَّ امرأً لا يَزْتَجِي الناسَ عَفْوَهُ
تُبَارِزِ رَبِّي؟! إنه لرحيمٌ	فحتى متى تعصي الإله، إلى متى
لقد صَبْرَتَ لا يَلُوي عليك حَمِيمٌ ^(١)	ولو قد تَوَسَّدتَ الثرى وافتَرشتَهُ

وقال عَبْدَان بن عثمان: سمعت ابن المبارك، يقول:

إذا كنتَ خالياً مُسْتَرِيحاً	(اغْتَنِمِ رَكَعَتَيْنِ رُزِّمَى إِلَى اللَّهِ
طَلِّ فاجْعَلْ مكانه تَسْبِيحاً	وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالزُّورِ وَالْبَا
وَإِنْ كَانَ فِي الْكَلَامِ فَصِيحاً) ^(٢)	فَاغْتَنَامِ السَّكُوتِ أَفْضَلَ لِلْمَرْءِ

وقال محمد بن عبد الرحمن بن سَهْم: قال عبد الله بن المبارك:

فيها السَّرَائِرُ والجَبَّارُ مُطَّلِعُ	وطارتِ الصُّخْفُ فِي الأيدي مُنْشَرَّةُ
عما قليل، ولا تدري بما تقعُ	فكيف سَهْوَكُ، والأنباءُ واقعةُ
أم الجحيم فما تُبقي وما تَدْعُ	أفي الجِنَانِ وفوز لا انقطاعَ له

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٨. قوله (لا يَلُوي) : لَوَى عليه لَبّاً ولَوِيّاً: عطف، أو انتظر. ويقال: مَرَّ لا يَلُوي على أحدٍ: لا يُقيم عليه ولا ينتظره.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٦٤، تهذيب الكمال ٢٣/١٦، سير أعلام النبلاء ٤١٧/٨.

تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا وَقَعُوا
طَالَ الْبِكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُمْ
هِيَهَاتَ! لَا رِقَّةً تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
أَيَنْفَعُ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ
قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعِي فَمَا رَجَعُوا^(١)

** قال محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة: (أملى عليّ عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرُسوس، وودعته للخروج للحج، وأنفذهما معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومئة:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُمُوعِهِ
فَنُحُورُنَا بِدَمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ
فَنُحْيُونَا يَوْمَ الْكَرْبِهَا تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ، وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
رَهْجُ السَّنَابِكِ^(٢) وَالْعُبَارُ الْأَطِيبُ
وَلَقَدْ أَنَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
«لَا يَسْتَوِي وَغَبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
أَنْفِ امْرِئٍ، وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ»^(٣)
«لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيْتٍ»^(٤)، لَا يَكْذِبُ

فلقيتُ الفضيل بن عياض في مسجد الحرام بكتابه، فلما قرأه ذرقت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصّحني^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، تاريخ الإسلام، ص ٢٤١ - ٢٤٢، سير أعلام النبلاء ٤١٣/٨.

(٢) الرّهجُ والرّهجُ: العُبَار. والسَّنَابِكُ جمع سُنْبُك، وهو طرف حافر الخيل.

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَجْتَمِعُ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّعْ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا». أخرجه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» و«التاريخ»، والنسائي، والبيهقي، والحاكم، والبغوي، وصححه ابن حبان، والحاكم وأقره الذهبي. انظر: صحيح ابن حبان ٤٣/٨ حديث ٣٢٥١، وتخرجه فيه.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾. آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٥) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٤ - ٣٥٥، سير أعلام النبلاء ٤١٢/٨، طبقات الشافعية للسبكي ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

وقال ابن المبارك:

(كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ نُكْرًا غَيْرَ رَكْزِ الرُّمَحِ فِي فِي الْفَرَسِ
وَرُكُوبِي فِي لِيَالٍ فِي الدُّجَى أَحْرُسُ الْقَوْمِ وَقَدْ نَامَ الْحَرْسُ)^(١)

** قال محمد بن يونس الكندي: حدثنا عبدة بن عبد الرحيم المرزوي، قال: (كنتُ عند فضيل بن عياض، وعنده عبد الله بن المبارك، فقال له قائل: إن أهلك وعيالك قد أصبحوا مَجْهُودِينَ محتاجين إلى هذا المال، فاتقِ الله وخُذْ من هؤلاء القوم - يعني الخلفاء - فزجره عبدُ الله بن المبارك، ثم أنشأ يقول:

كُلُّ مِنَ الْجَارُوشِ وَالرِّ رَزٌّ وَمِنْ خَبَزِ الشَّعِيرِ
وَاجْعَلْنِ ذَاكَ حَلَالًا تَنْجُ مِنْ حَرِّ الشَّعِيرِ
وَأِنَّا مَا اسْطَعْتَ هَذَا كَ اللَّهُ عَنِ دَارِ الْأَمِيرِ
لَا تَزُرْهَا وَاجْتَنِبْهَا إِنَّهَا شَرُّ مَزُورِ
تُوهِنُ الدِّينَ وَتُدْ نِيكَ مِنَ الْخُوبِ الْكَبِيرِ
قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ يَا مَعْرُورُ فِي حُفْرَةِ بِيرِ
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ إِلَى ذِي الْ عَرْشِ وَالرَّبِّ الْقَدِيرِ
وَارْضَ يَا وَيْحَكَ مِنْ دُنْ يَاكَ بِالْقُوتِ الْيَسِيرِ
إِنَّهَا دَارُ بِلَاءٍ وَزَوَالٍ وَغُرُورِ
كَمْ لَعْمَرِي صَرَعَتْ قَبْ لَكَ أَصْحَابَ الْقُصُورِ
وَذَوِي الْهَيْئَةِ فِي الْمَجْ لِسِ وَالْجَمْعِ الْكَثِيرِ
أَخْرَجُوا كَرَاهًا فَمَا كَا نَ لَدَيْهِمْ مِنْ نَكِيرِ
كَمْ يَبْطِنُ الْأَرْضِ ثَاوٍ مِنْ شَرِيفٍ وَوَزِيرِ

(١) تاريخ الإسلام، ص ٢٤٤.

وصغيرِ الشَّانِ عَبدِ
لو تَصَفَّحْتَ وُجُوهَ الـ
لم تُمَيِّزْهُم ولم تَعـ
خَمَدُوا فالقومُ صَرُ
واستَوَوْا عندَ مَلِيكَ
حَكَمٍ يَعدِلُ لا يَظـ
فاخَذِرِ الصَّرْعَةَ يا وَيـ
أينَ فِرْعَوْنُ وهامَا
أَو ما تخشاهُ أن يَزـ
أَو ما تَحْذِرُ مِن يَوْ
اقْمَطِرِ الشَّرُّ فيه

خاملِ الذُّكْرِ حَقِيرِ
قَمُومٍ في يومِ بَصِيرِ
رِفْ غَنِيًّا مِن فَقِيرِ
عَى تحتَ أَشْواقِ الصُّخُورِ
بِمَسَاوِيهِم خَبِيرِ
لِمُ مَقْدَارِ النَّقِيرِ
حَكَ من دَهْرٍ عَثُورِ
نُ ونُمرودُ النُّسُورِ
ميكَ بالموتِ المُبِيرِ
مِ عبُوسٍ قَمَطَرِيرِ
بِعَذابِ الزَّمْهَرِيرِ

قال: فَعُشِيَّ عَلَى الْفُضَيْلِ، فَرَدَّهُ وَلَمْ يَأْخُذْ^(١)

** قال الحسن بن حماد العطار: (سمعتُ ابنَ المباركَ، وسأله
حاتم بنُ عبد الله العلاف حين أراد الخروجَ إلى مكة، فقال: أَمَا تُوصِينَا،
أَمَا تَقْوِينَا؟ فقال عبد الله بن المباركَ:

إذا صاحبتَ في الأسفارِ قوماً
بعيبِ النَّفْسِ ذا بَصَرٍ وَعِلْمٍ
ولا تأخذُ بعثرةَ كلِّ قومٍ
فإنَّ تأخذُ بعثرتهِم يَقْلُوا

فكنْ لَهُم كَذِي الرَّجْمِ الشَّفِيقِ
غنيِّ النَّفْسِ عن عيبِ الرَّفِيقِ
ولكنْ قُلْ: هَلُمَّ إلى الطَّرِيقِ
وتَبْقَى في الزمانِ بلا صَدِيقِ^(٢)

(١) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٨٤٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٦٨ - ٣٦٩، سير أعلام النبلاء
٤١٤/٨ - ٤١٦، وبين هذه المصادر بعض الاختلاف، وقد أثبت ما رأيتُه أولى وأحسن.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧٣، مختصره ٢٨/١٤.

وقال عبد السلام بن صالح: (سمع ابن المبارك رجلاً يتكلم بما لا يَعْنِيهِ، فقال:

تَعَاهَدُ لِسَانَكَ، إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وهذا اللسانُ بَرِيدُ الْفُؤَادِ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ^(١))

وقال أبو صالح الفَرَّاءُ: سمعت ابن المبارك، يقول:

(الْمَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ يَبْدُو ضَيَّالًا تَرَاهُ ثُمَّ يَتَّسِقُ
حتى إذا ما تَرَاهُ ثُمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ نَقْصًا ثُمَّ يَمَّحِقُ^(٢))

تصانيفه:

قال نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ: سمعت يحيى بن آدم، يقول: (كنتُ إذا طَلَبْتُ الدَّقِيقَ مِنَ الْمَسَائِلِ فَلَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، أَيْسَتْ مِنْهُ)^(٣).

وقال ابن سعد: (وصنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِي أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَصُنُوفِهِ، حَمَلَهَا عَنْهُ قَوْمٌ، وَكَتَبَهَا النَّاسُ عَنْهُمْ)^(٤).

وقال الذهبي: (وصنَّفَ التَّصَانِيفَ النَّافِعَةَ الْكَثِيرَةَ).

وقال في موضع آخر: (دَوَّنَ الْعِلْمَ فِي الْأَبْوَابِ، وَالْفِقْهِ، وَفِي الْغَزْوِ، وَالزَّهْدِ، وَالرَّقَائِقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ)^(٥).

وقد ذكر العلماء عدة مصنفات لابن المبارك، هي:

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٦٥، ومن طريق آخر، ص ٣٦٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٠/٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٥٦، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٥.



- ١ - التفسير^(١).
- ٢ - السنن في الفقه^(٢).
- ٣ - المسند، برواية الحسن بن سفيان النَّسوي^(٣).
- ٤ - الأربعون، في الحديث، وهو أول مَنْ صَنَّفَ في «الأربعينات»^(٤).
- ٥ - الزهد، مرتب على الأبواب، وفيه أحاديث واهية^(٥).
- ٦ - الدقائق في الرقائق^(٦).
- ٧ - البرِّ والصِّلَة^(٧).
- ٨ - الجهاد، وهو أول مَنْ صَنَّفَ في «الجهاد»^(٨).
- ٩ - التاريخ^(٩).

نشره العلم:

لم يفتُر هذا الرجل المبارك عن الرحلة والسَّفر، فقد جالَ في أقاليم الإسلام، ونَشَر فيها علمه، وأقبل عليه طلابُ العلم، وعلماءُ الأمة، ونَهَلوا

- (١) الفهرست، ص ٣١٩، طبقات المفسرين ٢٥٠/١، هدية العارفين ٤٣٨/١.
- (٢) الفهرست، ص ٣١٩، طبقات المفسرين ٢٥٠/١، هدية العارفين ٤٣٨/١.
- (٣) تاريخ التراث لسزكين ١٧٦/١.
- (٤) كشف الظنون ٥٧/١، هدية العارفين ٤٣٨/١، الرسالة المستطرفة، ص ١٠٢.
- (٥) الفهرست، ص ٣١٩، كشف الظنون ١٤٢٢/٢، هدية العارفين ٤٣٨/١، الرسالة المستطرفة، ص ٥١، تاريخ التراث ١٧٥/١.
- (٦) كشف الظنون ٩١١/١، هدية العارفين ٤٣٨/١.
- (٧) الفهرست، ص ٣١٩، فتح الباري ٥٦٣/٩ - ٥٦٤، ٥٦٤/١١، الرسالة المستطرفة، ص ٤٩، تاريخ التراث ١٧٦/١.
- (٨) كشف الظنون ١٤١٠/٢، هدية العارفين ٤٣٨/١، الرسالة المستطرفة، ص ٤٨، تاريخ التراث ١٧٦/١.
- (٩) الفهرست، ص ٣١٩، هدية العارفين ٤٣٨/١.

من بحر علمه الفياض، و حَدَّثَ عنه خلائق لا يُحْصَوْنَ، وروى عنه أشياخه وأقرانه ومَنْ هم أكبرُ منه، وتسابَقُوا إلى مجلسه من الليل، وكان يلحُون عليه في التحديث، فكان يَضْجَرُ من ذلك في بعض الأحيان، بل إن شيخه سفيان الثوريَّ قد طَلَبَ إليه أن يجلسَ للناس وبيثَ علمه، والثوريُّ مات وعُمُرُ ابنِ المباركِ ثلاثٌ وأربعونَ سنةً.

وتعددت طُرُقُ ابنِ المباركِ في نَشْرِ علمه، وتنوَّعتْ أساليبهُ في ذلك، فكان يفتح بيته للعلماء وطلاب العلم، ويكرمهم ويحدثهم ويُجيب على سؤالاتهم، ويقرؤون عليه الكتب، وبيث علمه في الحضر والسفر والغزو، فحملوا عنه علماً كثيراً جداً.

وكان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ورفَعَ منزلته - متأدباً بآداب العلماء وطلاب العلم في أرفع صورها، مُكرِّماً للأئمة، مُبْجَلًا للعلماء، متواضعاً للطلاب، مُعزِّزاً للعلم، لا يَتَقَدَّمُ بالجواب والحديث بين يدي الأكاير حتى يَطلبوا إليه ذلك، ولا يَعبأ بأبْهة السلطان والوالي، مع تفخيم أمره وإكبار مكانه. ويعتبر نَشْرَ الحديث وتعليم الناس وتفقيهِهم أرفعَ منزلةً من صلاة النافلة، وهذا فقهٌ عظيمٌ! ويَحْضُرُ على إفادة العلماء والطلاب بعضهم بعضاً، ويرى أن مَنْ بَخِلَ بعلمه ابْتُلِيَ بالنسيان وغيره. ونَهَى تلاميذه عن الأخذ عنه في المذاكرة وأمرهم أن يأخذوا عنه من كتاب، ليكون ما يُحمل عنه تاماً مُتَقَنًا مَضْبُوطاً، وكان لا يُحَدِّثُ وهو ماشٍ، أدباً مع حديثِ رسولِ الله ﷺ، وتوقيراً للعلم.

وبهذه الصفات جَمَعَ ابنُ المباركِ أطرافَ الخير في أداء العلم ونَشْرِهِ، وإفادة الطالبين، وتعميم نور العلم في الأمة.

** قال محمد بن عبد المجيد: حَدَّثَنَا عبد الله بن المبارك، قال: (كَتَبَ إِلَيَّ سَفِيَانُ بن سَعِيدٍ: إِلَى عبدِ الله بن المبارك، أَمَّا بَعْدُ: فَانْشُرْ فِي النَّاسِ مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَإِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ)^(١).

وقال إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطيبي^(٢): (بَلَّغَنِي عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد مُسَلِّمًا عليه، فقال أصحاب الحديث لحماد بن زيد: يا أبا إسماعيل، تسألُ أبا عبد الرحمن أن يُحَدِّثَنَا؟ فقال: يا أبا عبد الرحمن، تحدِّثْهُمْ، فإنهم قد سألوني؟ قال: سبحان الله يا أبا إسماعيل، أُحَدِّثُ وَأَنْتَ حَاضِرٌ؟! قال: فقال: أَقْسَمْتُ لَتَفْعَلَنَّ - أو نحوه -. قال: فقال ابن المبارك: خُذُوا؛ حَدَّثْنَا أَبُو إسماعيل حماد بن زيد، فَمَا حَدَّثَ بِحَرْفٍ إِلَّا عن حماد بن زيد)^(٣).

(وَسُئِلَ ابنُ المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنا نُهَيِّنَا أن نتكلَّم عند أكابرنا)^(٤).

** قال معاذ بن خالد: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: (إن أولَ منفعةِ الحديث أن يُفِيدَ بعضُكم بعضاً)^(٥).

وقال أبو صالح محبوب بن موسى الفراء: سمعت ابن المبارك، يقول: (مَنْ بَخَلَ بِالْعِلْمِ ابْتَلِيَ بِثَلَاثٍ: إما أن يموتَ فيذهبَ علمُه، أو يَنْسَى، أو يَتَّبِعَ السُّلْطَانَ)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٣/١.

(٢) انظر ترجمته في: الأنساب ١٤٧/٥، سير أعلام النبلاء ٥٢٢/١٥.

(٣) تاريخ بغداد ١٥٥/١٠، تاريخ ابن عساكر ٣٤٩، سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٨ - ٣٨٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٢٠/٨.

(٥) الحلية ١٦٦/٨، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٤٩٣، تاريخ ابن عساكر ٣٤٧ وفيه (يُفْتَل) بدل (يفيد).

(٦) الحلية ١٦٥/٨، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٢٧، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ من

طرق بالفاظ متقاربة.

وقال عبدة بن سليمان المَرَوَزِيُّ: سمعت ابن المبارك، يقول: (لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث، ما حدثتكم)^(١). ويريد بالصلاة النافلة.

وقد مرَّ قوله: (لا أعلم بعد النبوة درجةً أفضلَ من بثِّ العلم).

قال عباس بن محمد الدُّورِيُّ: سمعت يحيى بن معين، يقول: (ما رأيتُ أحداً يحدثُ لله إلا ستةَ نفرٍ، منهم عبدُ الله بن المبارك)^(٢).

** قال الحسن بن عيسى بن ماسرْجس: (كانت دار ابن المبارك بمَرَوَ كبيرةً صحن الدار، نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم، أو صاحب عبادة، أو رجلاً له مروءةٌ وقدرٌ بمرو، إلا رأيتُهُ في داره، يجتمعون في كل يوم خَلْقاً يتذاكرون، حتى إذا خرج ابن المبارك انضمُّوا إليه. فلما صار ابن المبارك بالكوفة، نزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله، لا يكاد يخرج منه، ولا يأتيه كثيرٌ أحدٍ. فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فَرَزْتُ من مرو من الذي تراك تحبُّه، وأحببتُ ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي، فكنتُ بمرو لا يكون أمرٌ إلا أتوني فيه، ولا مسألةٌ إلا قالوا: اسألوا ابنَ المبارك، وأنا هاهنا في عافية من ذلك)^(٣).

وقال عُمر بن مُدْرِك: حدثنا القاسم بن عبد الرحمن، حدثنا أشعث^(٤) بن شعبة المِصْبِي، قال: (قَدِمَ هارونُ الرشيد أمير المؤمنين

(١) مقدمة الكامل، ص ١٠٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٦٠، تاريخ ابن عساكر ٣٣٧، سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٧.

(٣) صفة الصفوة ٤/١٣٤ - ١٣٥.

(٤) في تاريخ بغداد: (شعيب)، وهو تحريف، وفي بقية المصادر كما أثبتناه، وهو الصواب، وأشعث من رجال التهذيب، روى له أبو داود.

الرَّقَّةَ، فأنجَفَلَ الناسُ خَلْفَ عبدِ اللهِ بنِ المباركِ، وتقطعت النُّعالُ، وارتفعت الغبرةُ، فأشرفتُ أمُّ ولدٍ لأمير المؤمنين من بُرْجٍ من قصر الخشب، فلما رأتِ الناسَ قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قديم الرَّقَّةِ، يُقال له: عبد الله بن المباركِ، فقالت: هذا والله المُلْكُ، لا مُلْكُ هارون الذي لا يجمع الناسَ إلا بِشُرْطٍ وأَعوانٍ^(١).

وقال إسماعيل بن عبد الله: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بنُ حَمَادٍ^(٢)؛ (حَدَّثَنَا الوليد بن مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بنِ المباركِ، عن خالدِ الحَدَّاءِ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الْبِرْكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ». قلتُ للوليد: أينَ سمعتَ من ابنِ المباركِ؟ قال: في الغزو)^(٣).

وقال سعيد بن رحمة الأصبَحي: (كنتُ أَسْتَبِقُ إلى حلقةِ عبدِ الله بنِ المباركِ بليلى مع أقراني، لا يَسْبِقُنِي أحدٌ، ويجيء هو مع الأشياخ، فقيل له: قد غَلَبْنَا عليك هؤلاء الصُّبيانَ، فقال: هؤلاء أَرْجَى عندي منكم، أنتم كم تعيشون؟ وهؤلاء عسى اللهُ أن يَبْلُغَ بهم. قال سعيد: فما بقي أحدٌ غيري)^(٤).

وقال الحسن بن عَرَفَةَ: (قَدِمَ عبدُ اللهِ بنِ المباركِ البصرةَ، فدخلتُ عليه، فسألته أن يحدثني، فأبى، وقال: أنت صبيٌّ). قال الحسن بن عرفة:

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٥٦، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥٢ - ٣٥٣، صفة الصفوة ٤/١٣٧، تهذيب الكمال ٢٢/١٦، سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٤. وانجفل الناس: أي مضوا خلفه مسرعين.

(٢) في الحلية: (جياذ)، تحريف.

(٣) الحلية ٨/١٧١ - ١٧٢، سير أعلام النبلاء ٨/٤١٠. والحديث صحيح، صححه ابن حبان (٥٥٩)، والحاكم ١/٦٢ ووافقه الذهبي. وانظر تخريجه في: صحيح ابن حبان ٢/٣١٩ حديث ٥٥٩، والصحيحة للألباني (١٧٧٨).

(٤) المحدث الفاضل: رقم ٦٧، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٦٨٧.

(فَأْتَيْتُ حَمَادَ بْنَ زَيْدٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ فَأَبَى أَنْ يَحْدِثَنِي، فَقَالَ: يَا جَارِيَّةُ، هَاتِي خُفِّي وَطَيَّلَسَانِي، وَخَرَجَ مَعِيَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِي، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَتَحَدَّثَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ حَمَادُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لِمَ لَا تَحَدِّثُ هَذَا الْغُلَامَ؟ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، هُوَ صَبِيٌّ لَا يَفْقَهُ مَا يَحْمِلُهُ، قَالَ لَهُ حَمَادُ: حَدِّثْهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَعَلَّهُ فِي الْغَدِ أَنْ يَكُونَ آخِرَ مَنْ يُحَدِّثُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا). قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ: (رَحِمَ اللَّهُ حَمَادًا، مَا كَانَ أَحْسَنَ فِرَاسَتَهُ، أَنَا آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ)^(١).

•• قال المسيب بن واضح: (رأيتُ أبا إسحاق الفزاري بين يدي ابن المبارك قاعداً يُسأله)^(٢).

وقال أبو صالح الفراء: (سأل رجلُ الفزاريَّ عن مسألة، فقال: كتبتُ فيها إلى إمام المسلمين؛ يعني: عبد الله بن المبارك)^(٣).

وقال الحضر بن محمد بن شجاع الحراني: (أتينا عبد الله بن المبارك بالكوفة، فكنا عنده، فأتاه رجلٌ فقال: رأيتَ الرَّجُلَ يدعو فيبدأ بِنَفْسِهِ؟ فقال: أنبأنا سفيان، عن الشيباني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَأَخَا عَادٍ»^(٤).

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٤٢. وقد توفي الحسن سنة (٢٥٧هـ)، فيكون قد عاش بعد ابن المبارك (٧٦ سنة)!

(٢) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٥/١، الحلية ١٦٥/٨، تاريخ بغداد ١٦٣/١٠، وانظر مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٦/١.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي؛ رقم ٦٥٦. والحديث أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٢) من طريق آخر عن سفيان به. وأخو عاد هو هود ﷺ.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (لم أكتب كتاب يونس بن يزيد إلا عن عبد الله بن المبارك، فإنه أخبرني أنه كتبه عنه من كتابه)^(١).

** قال عتبة بن عبد الله: (رأيت ابن المبارك وقد ألح عليه أصحاب الحديث، فصَجِرَ، فقليل له: يا أبا عبد الرحمن، تُوجِر، فقال: الأجرُ كثير، وأبو عبد الرحمن وحده)^(٢).

وقال أبو أسامة حماد بن أسامة: (مررتُ بعبد الله بن المبارك بطرسوس وهو يحدثُ، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني لأُنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه، ما هكذا أدركنا المشيخة، قال: فأضرب عن الحديث نحواً من عشرين يوماً، ثم مررتُ به وقد احتوشوه وهو يحدثُ، فسَلَّمْتُ عليه، فقال: يا أبا أسامة شهوةُ الحديث)^(٣).

وقال نُوْفَل بن المُطَهَّر: قال لنا عبد الله بن المبارك: (لا تَحْمِلُوا عَنِّي فِي المُذَاكِرَةِ شَيْئاً)^(٤).

وقال الحسن بن عيسى: (بيننا ابنُ المبارك بالكوفة يُقرأ عليه «كتاب المناسك»، انتهى إلى حديثٍ وفيه: قال عبد الله: وبه نأخذُ، فقال: مَنْ كَتَبَ هذا من قولي؟! قلت: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكُّه بيده حتى دَرَسَ، ثم قال: وَمَنْ أنا حتى يُكتب قولي؟!)^(٥).

وقال عُبيد بن محمد الورداق: قال بشر بن الحارث: (سأل رجلُ ابنَ

(١) مقدمة الكامل، ص ١٠٢.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤١٩.

(٣) الحلية ١٦٥/٨. احتوشوه: أي أحاطوا به وجعلوه وسطهم.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١١٢١. وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٢٣٤ (النوع ٢٦).

(٥) صفة الصفوة ١٣٥/٤.

المبارك عن حديثٍ وهو يمشي، فقال: ليس هذا من توقير العلم. قال بِشْرٌ: فاستحسنته جداً^(١).

** قال محمد بن حُميد ونوح بن حَبِيب: (كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْمُبَارَكِ فَأَلْحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَاتُوا كُتُبَكُمْ حَتَّى أَقْرَأَ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ إِلَيْهِ الْكُتُبَ مِنْ قَرِيبٍ، وَمِنْ بَعِيدٍ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ يَسْمَعُ كِتَابَ «الاسْتِثْذَانِ»، فَرَمَى بَكْتَابِهِ، فَأَصَابَ صَلْعَةً ابْنَ الْمُبَارَكِ حَرْفُ كِتَابِهِ، فَانْشَقَّ وَسَالَ الدَّمُ، فَجَعَلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُعَالِجُ الدَّمَ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ قَالَ: سَبْحَانَ اللَّهِ، كَادَ أَنْ يَكُونَ قِتَالًا، ثُمَّ بَدَأَ بِكِتَابِ الرَّجُلِ فَقَرَأَهُ)^(٢).

وقال الْحَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ: (أَتَى ابْنَ الْمُبَارَكِ ابْنُ الْوَالِيِّ خُرَّاسَانَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُحَدِّثْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِلَى بَابِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَأَلْتُكَ أَنْ تُحَدِّثَنِي فَلَمْ تُحَدِّثَنِي، وَخَرَجْتَ مَعِيَ إِلَى بَابِ الدَّارِ؟! فَقَالَ: أَمَا نَفْسِي فَهَيْتُهَا لَكَ، وَأَمَا حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أُجِلُّهُ عَنْكَ)^(٣).

** قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: (ذهبتُ إلى ابن المبارك لأسمعَ منه، فلقيني رجلٌ فقال: خرج اليوم، فرجعتُ).

وفي رواية عن أحمد قال: (ذهبتُ لأسمعَ منه، فلم أدركه، وكان قدِمَ فخرَجَ إلى الثَّغْرِ، فلم أسمعَ منه، ولم أره)^(٤).

(١) الحلية ١٦٦/٨، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٣٩٦.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٤٩.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٧٦٧. وانظر خبراً أطول مع والي مرو في الحلية ١٦٩/٨.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٤٢٣٠، تاريخ بغداد ١٠/١٦٨، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٨١. وانظر: المعرفة والتاريخ ١٩٧/٢، ففيه أن قدوم ابن المبارك كان سنة (١٧٩هـ).

وقال أبو بكر بن أسلم بن سليمان: (رَحَلَ أَبِي مِنْ نَيْسَابُورِ إِلَى مَزُو لِيَكْتُبَ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ أَبِيَاتٍ شَعَرَ أَنْشَدَهَا لِابْنِ الْمُبَارَكِ:

خَلَفْتُ عِزْسِي^(١) يَوْمَ السَّيْرِ بَاكِيَةً يَا بَنَ الْمُبَارَكِ تَبْكِينِي بِرِنَاتِ
خَلَفْتُهَا سَحْرًا فِي النَّوْمِ لَمْ أَرَهَا فِي فَوَادِي مِنْهَا شِبْهُ كَيَاتِ
أَهْلِي وَعِزْسِي وَصِبْيَانِي رَفَضْتُهُمْ وَسِرْتُ نَحْوَكَ فِي تِلْكَ الْمَفَازَاتِ
أَخَافُ وَاللَّهِ قُطَاعَ الطَّرِيقِ بِهَا وَمَا أَمِنْتُ بِهَا مِنْ لَدَغِ حَيَاتِ
مُسْتَوْفِزَاتٍ بِهَا رَقَشٌ^(٢) مَشْوَهَةٌ أَخَافُ صَوْلَتَهَا فِي كُلِّ سَاعَاتِي
اجْلِسْ لَنَا كُلَّ يَوْمٍ سَاعَةً بُكْرًا إِنَّ خَفْتُ ذَاكَ وَإِلَّا بِالْعَشِيَّاتِ
يَا أَهْلَ مَزُو أَعِينُونَا بِكَفِّكُمْ عَنَّا وَإِلَّا رَمِينَاكُمْ بِأَبِيَاتِ
لَا تُضْجِرُونَا فَإِنَّا مَعَشْرٌ ضَبْرٌ وَلَيْسَ نَرْجُو سِوَى رَبِّ السَّمَوَاتِ^(٣)

منزلته الرفيعة، وأقوال الأئمة في شمائله وعلمه، وشناؤهم العريض عليه:

ابن المبارك إمام كبير، عالي الذكر، رفيع المحل، جليل القدر، استفاضت شهرته، وذاع صيته في الأمصار، وطار اسمه في الآفاق، وسارت بطيب سيرته الرُّكبان، وانعقد لسان الإجماع على رفعة وجلالته وإتقانه وعلو منزلته. وهو واحد من أكابر أئمة الأمة الذين لا يُسأل عنهم، بل هم يُسألون عن الناس، ويُفزع إلى رأيهم، ويُزجَع إلى قولهم.

أثنى عليه الكبار، وامتدحه العلماء من أشياخه وأقرانه وتلامذته ومن

(١) عِزْسُ الرَّجُلِ: امْرَأَتُهُ، وَعِزْسُ الْمَرْأَةِ: زَوْجُهَا، وَهَمَا: عِزْسَانٌ، وَالْجَمْعُ: أَغْرَاسٌ. وَالْعُزْسُ: الرَّفَافُ وَالتَّزْوِيحُ، وَوَلِيْمَتُهُمَا.

(٢) هِيَ الْأَفْعَى، وَسُمِّيَتْ بِالرَّقَشَاءِ لِتَرْقِيشِ فِي ظَهْرِهَا وَهِيَ خَطُوطٌ وَنَقَطٌ.

(٣) تَقْدِمَةُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلُ ٢٧٥/١.

بعدهم من الأئمة. وهو أهلٌ لكل ثناء، وجديرٌ بكل مديح، وحقيقٌ بكل إطراء، فقد عَزَّ نظيره، وَقَلَّ أن ترى العيونُ مثله، ولا يُوجد في الدهر من طرازه إلا آحاد، رضي الله عنه وأرضاه.

** ١ - قال عبدان بن عثمان: (ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَعْمَشَ وما يَلْقَى الناسُ منه، ثم قال: لكن إسماعيل بن أبي خالد أتيتُه لأودِّعَه، وحوله ناسٌ، فقال لي: أَقَوْمٌ إِلَيْكَ)^(١).

٢ - وقال محمد بن أبي خالد: (لَمَّا أَتَى ابْنُ الْمُبَارَكِ ابْنَ جُرَيْجٍ، فَاسْتَنْطَقَهُ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ نَشَأْتَ؟ قَالَ: بِخُرَّاسَانَ، قَالَ: مَا ظَنَنْتُ خُرَّاسَانَ تُخْرَجُ مِثْلَكَ. وَأَمْكَنَهُ مِنْ كُتْبِهِ)^(٢).

وقال مَكِّي بن إبراهيم: (شَبَّحَ ابْنُ جَرِيحٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ: صَحِبَكَ اللَّهُ، مَا زِلْتَ مَوْمِقًا؛ يَعْنِي: مَعْشِقًا)^(٣).

٣ - وقال محمد بن حسان^(٤) السَّمْتِيُّ: حدثني أبو عثمان الكلبي، قال: (قال لي الأوزاعي: رأيتَ عبدَ الله بنَ المبارك؟ قلت: لا، قال: لو رأيتَه لَقَرَّتْ عَيْنُكَ)^(٥).

(١) تذكرة الحفاظ ٢٧٨/١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٤/١.

(٣) مقدمة الكامل ١٠٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٤.

(٤) في الحلية: (محمد بن الحسين)، ونقله عنه هكذا ابن عساكر ونبه على أن الصواب: (محمد بن حسان)، وتصحف في السير إلى: (محمد بن حيان)، وجاء على الصواب في بقية المصادر.

(٥) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٧/١، الحلية ١٦٢/٨، تاريخ بغداد ١٥٧/١٠، تاريخ ابن عساكر ٣١٤ - ٣١٥، سير أعلام النبلاء ٣٨٤/٨.



٤ - وقال عبد العزيز بن أبي رزْمَة: (قال لي شعْبَةُ: من أين أنت؟ قال: قلت: من أهل مَرْو، قال: تعرفُ عبدَ الله بنَ المبارك، قال: قلت: نعم، قال: ما قَدِمَ علينا مثله).

وفي رواية عن عبد العزيز بن أبي رزْمَة قال: (قال لي شعْبَةُ: عرفت ابن المبارك؟ قلت: نعم، قال: ما قَدِمَ علينا من ناحيتكم مثله)^(١).

٥ - وقال سُنَيْد بن داود: سمعت شُعَيْب بن حَرْب^(٢)، يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: (لو جَهَدْتُ جَهْدِي أَنْ أَكُونَ فِي السَّنَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ، لَمْ أَقْدِرُ)^(٣).

وفي رواية ابن أبي العَوَّام قال: سمعت أبي، يقول: سمعت شُعَيْب بن حرب، يقول: قال سفيان: (إني لأَشْتَهِي مِنْ عُمْرِي كُلَّهُ أَنْ أَكُونَ سَنَةً وَاحِدَةً مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، فَمَا أَقْدِرُ أَنْ أَكُونَ وَلَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)^(٤).

وقال عمران بن موسى الطرسوسي: (جاء رجلٌ فسأل سفيانَ الثوريَّ عن مسألة، فقال له: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ فقال: من أهلِ المشرق، قال: أوَّلِيسَ عندكم أعلمُ أهلِ المشرق؟ قال: وَمَنْ هُوَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قال: عبدُ اللَّهِ بنِ الْمُبَارَكِ. قال: وهو أعلمُ أهلِ المشرق؟! قال: نعم، وأهلِ المغرب)^(٥).

(١) الجرح والتعديل ١٧٩/٥، تقدمته ٢٦٥/١، مقدمة الكامل، ص ١٠١، تاريخ بغداد ١٥٧/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٠.

(٢) في الحلية: (سعيد بن زاذان سمعت سعيد بن حرب) وكلاهما تحريف.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٦/١، الحلية ١٦٣/٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٥. ووقع في طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤٠٤/١، وتذكرة الحفاظ ٢٧٦/١: (عن شعيب بن حرب) من قوله، وهو اختصار مخل.

(٤) تاريخ بغداد ١٦١/١٠ - ١٦٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٦٢/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٦، صفة الصفوة ١٣٨/٤.

٦ - وقال موسى بن إسماعيل التَّبُودَكِيُّ: سمعت سَلَامَ بن أبي مُطِيعٍ، يقول: (ما خَلَّفَ ابنُ المباركِ بالمشرقِ مثله) (١).

٧ - وقال عُبيد بن جَنَادٍ: (سمعت العُمريَّ، يقول: ما رأيتُ في دَهْرنا هذا أحداً يَصْلحُ لهذا الأمرِ إلا رجلاً أتاني إلى منزلي، فأقام عندي ثلاثاً يسألني عن غير ما يسألني عنه أهلُ هذا الدَّهر، فصيحُ اللسان، إلا أن اللغة مشرقية، يُكنى بأبي عبد الرحمن، معه غلامٌ يُقال له: سَفير. فقلنا له: هذا عبد الله بن المباركِ، فقال: هكذا ينبغي، إن كان بقي أحدٌ يَصْلحُ لهذا الأمرِ فذاك. قال عُبيد: يعني الاقتداءً بالعلم) (٢).

٨ - وقال إبراهيم بن رُسْتَمٍ: (سمعتُ داودَ بن عبد الرحمن - العطار - وقيل له: قدِمَ ابن المباركِ، فقال: قدِمَ خيرُ أهل المشرق) (٣).

٩ - وقال معاذ بن خالد بن شَقِيقٍ: قال إسماعيل بن عِيَّاشٍ: (ما على وجهِ الأرض مثلُ عبد الله بن المباركِ، ولا أعلمُ أن الله وَجَّكَ خَلقَ خصلة من خِصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المباركِ) (٤).

١٠ - وقال المسيَّب بن واضح: سمعت أبا إسحاق الفَزَارِيِّ، يقول: (ابن المباركِ إمام المسلمین).

وفي رواية عن أبي إسحاق قال: (ابن المباركِ إمام العالمين).

(١) التاريخ الكبير ٢١٢/٥، التاريخ الأوسط ١٦٤/٢، مقدمة الكامل، ص ١٠١، تاريخ بغداد ١٠١٠/١٦٤، تاريخ ابن عساكر ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) الحلية ١٦٢/ - ١٦٣، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٠٥٧/١٠، وقد مرَّ بأطول منه في صدر الترجمة.



وفي رواية أخرى عنه قال: (ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين)^(١).

١١ - وقال أبو الوَزيز محمد بن أَعْيَن خادِمِ ابنِ المبارك ووصيُّه: (قدِمْتُ على سفيانَ بنِ عُيينة، فقالوا له: هذا وصيُّ عبدِ الله، فقال: رحم الله عبدَ الله، ما خَلَّفَ بخراسان مثله، قال: فقالوا: لا يَرْضَوْنَ، قال: ما يقولون؟ قال: يقولون: ولا بالعراق، قال: ما أَخْلَقَ، ما أَخْلَقَ، ما أَخْلَقَ، ثلاثاً)^(٢).

وقال عَمْرُو بن محمد الناقد: (سمعت سفيانَ بنَ عُيينة يقول: ما قَدِمَ علينا أحدٌ يُشبهه عبدَ الله بنَ المبارك، ويحيى بنَ زكريا بن أبي زائدة - أراه قال - في الكَيْسِ والمعرفة)^(٣).

وقال عثمان بن عيسى المَرْوَزِيُّ: سمعت جِبَّانَ بنَ موسى، يقول: قال أبو عمران - شيخٌ من أصحاب ابن المبارك -: (ذَكَرْتُ عبدَ الله عند ابن عُيينة، فقال: لا تَرَى عيناك مثله)^(٤).

وقال إسحاق بن محمد بن إبراهيم المَرْوَزِيُّ: (نُعِيَ ابنُ المبارك إلى سفيانَ بن عُيينة، فقال: رَضِيَ اللهُ ، لقد كان فقيهاً، عالماً، عابداً، زاهداً، سخيّاً، شجاعاً، شاعراً)^(٥).

هؤلاء شيوخ ابن المبارك، وداود العطار وأبو إسحاق الفزاري من أقرانه، وقد روى عبد الله عنهما، ورويا عنه.

(١) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٥/١، مقدمة الكامل، ص ١٠١، الحلية ١٦٣/٨، تاريخ بغداد ١٦٣/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٢/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢١ - ٣٢٢. وما أَخْلَقَه بكذا: ما أجدره وأولاه به.

(٣) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٣/١، مقدمة الكامل، ص ١٠١، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢١. والكَيْس: العقل.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٤٠/١، مقدمة الكامل، ص ١٠٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٢.

(٥) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٢/١، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢١.



١٢ - وقال أحمد بن عبدة: (كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام، فطلع ابن المبارك من الثنية، فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق، فقال فضيل: هذا رجل أهل المشرق والمغرب وما بينهما)^(١).

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا أبو عظمة، قال: (شهدت سفياناً وفضيل بن عياض، فقال سفيان لفضيل: يا أبا علي، أي رجل ذهب - يعني ابن المبارك - فقال له فضيل: يا أبا محمد، وبقي بعد ابن المبارك من يستحيا منه؟!)^(٢).

وقال محمد بن أعين: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: (ورب هذا البيت، ما رأيت عينا مثل عبد الله بن المبارك)^(٣).

وقال عبد الرحمن بن عبيد الله: (كنا عند الفضيل بن عياض، فجاء فتى - في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين - فنعى إليه ابن المبارك، فقال فضيل: رَحِمَ اللَّهُ، أما إنّه ما خلف بعده مثله)^(٤).

١٣ - وقال المسيب بن واضح: سمعت المعتمر بن سليمان، يقول: (ما رأيت مثل ابن المبارك؛ نصيب عنده الشيء الذي لا يُصاب عند أحد)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٢٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣١٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٦٢٢ - ١٦٣، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٢، وفي تاريخ أبي زرة الدمشقي طرف منه، ص ٥٥٧.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٢.

(٤) الحلية ٨/١٦٤، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٣، صفة الصفوة ٤/١٣٦. وفي تاريخ ابن عساكر: (عبد الرحمن بن عبد الله)، وفي الحلية: (الفضل)، وكلاهما تصحيف.

(٥) المجرح والتعديل ٥/١٨٠، تقدمته ١/٢٦٣، الحلية ٨/١٦٣، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٤.

١٤ - وقال وَهَبُ بْنُ زَمْعَةَ الْمَرْوَزِيُّ: (حَدَّثَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بِحَدِيثٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الْحَمِيدِ، تُحَدِّثُ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ لَقِيتَ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ؟! فَغَضِبَ وَقَالَ: أَيْنَ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ، حَمَلَ عِلْمَ أَهْلِ خِرَاسَانَ، وَأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَأَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الشَّامِ؟!)(١).

١٥ - وقال زكريا بن عدي: سمعت أبا خالد الأحمر، وذكر ابن المبارك، فقال: (ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدتها لموت ابن المبارك)(٢).

١٦ - وقال عبيد بن جناد: (قال لي عطاء بن مسلم الخفاف: يا عبيد، هل رأيت ابن المبارك؟ قلت: نعم. قال: ما رأيت بعينيك مثله، ولا ترى بعينيك مثله، حتى تموت)(٣).

١٧ - وقال إبراهيم بن رستم: سمعت مَخْلَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ: (جَالَسْتُ ابْنَ عَوْنٍ، وَأَيُّوبَ، وَيُونُسَ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ مَنْ أَفْضَلُهُ عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ).

وفي رواية عن مَخْلَدٍ قَالَ: (جَالَسْتُ أَيُّوبَ، وَابْنَ عَوْنٍ، وَهَشَامًا، فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ مَنْ كُنْتُ أَفْضَلُهُ عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ)(٤).

١٨ - وقال عبد الصمد بن حميد: سمعت أبا الحسن عبد الوهاب بن

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠٤/٨، تاريخ الإسلام، ص ٢٢٦.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٦/١.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٧٧/١ - ٢٦٨، الحلية ١٦٢/٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٢ - ٣٣٣، صفة الصفوة ١٣٦/٤.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣١ - ٣٣٢. ويونس هو ابن يزيد الأيلي، وهشام هو ابن حسان.

عبد الحَكَم، يقول: (لَمَّا مَاتَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، بَلَغَنِي أَنَّ هَارُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: مَاتَ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ)^(١).

** ١٩ - وقال أبو نعيم عُبيد بن هشام الحَلْبِيُّ: (شَهِدْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ عِنْدَ وَكَيْعٍ وَهُوَ يُذَكِّرُهُ، فَجَعَلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَحَدِّثُهُ عَنِ الشَّامِيِّينَ، وَالْمِصْرِيِّينَ...)، فَذَكَرَ خَبْرًا طَوِيلًا وَفِي آخِرِهِ: (وَقَامَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ وَكَيْعٌ: لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَعَزَّ نَظِيرَهُ!)^(٢).

٢٠ - وقال علي بن صَدَقَةَ: سَمِعْتُ شُعَيْبَ بْنَ حَزْبٍ، قَالَ: (مَا لَقِيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ رَجُلًا، إِلَّا وَابْنُ الْمُبَارَكِ خَيْرٌ مِنْهُ)^(٣).

٢١ - وأُتِنِبَ الْإِمَامَ الْحَهْبِذَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ فِي مَدْحِ شَيْخِهِ وَالشَّيْنَاءِ عَلَيْهِ:

قال أبو حاتم الرازي: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى ابْنَ الطَّبَّاعِ، يَحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: (الْأُتَمَةُ أَرْبَعَةٌ: سَفِيَانُ الثُّورِيِّ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَحَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ)^(٤).

وقال عُبيد الله بن عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ: (لَمْ يَكُنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ يُقَدِّمُ أَحَدًا فِي الْحَدِيثِ عَلَى مَالِكِ وَابْنِ الْمُبَارَكِ)^(٥).

وقال يحيى بن معين: سَمِعْتُ ابْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: (كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَعْلَمَ مِنْ سَفِيَانِ الثُّورِيِّ)^(٦).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٣، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٧٩.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٥١.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣١، وانظر: تاريخ بغداد ١٠/١٥٦.

(٤) الجرح والتعديل ٥/١٨٠، تقدمته ١/٢٦٥، تاريخ بغداد ١٠/١٦٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٩.

(٥) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٥.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/١٦١، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٦.

وقال نعيم بن حماد: (قلت لعبد الرحمن بن مهدي: أيهما أفضل عندك: ابن المبارك أو سفيان الثوري؟ فقال: ابن المبارك، فقلت: إن الناس يُخالفونك، قال: إن الناس لم يجزّبوا، ما رأيتُ مثلَ ابن المبارك)^(١).

وقال أبو الوزير محمد بن أعين: (سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول - وقدمَ بغدادَ في بيع دارٍ له - فاجتمعَ إليه أصحابُ الحديث، فقالوا له: جالستَ سفيانَ الثوريَّ وسمعتَ منه، وسمعتَ من عبد الله، فأيهما أَرَجِحُ؟ فقال: ما تقولون، لو أن سفيانَ جَهَدَ جَهْدَهُ على أن يكون يوماً مثلَ عبد الله لم يَقْدِرِ)^(٢).

وقال أبو موسى محمد بن المُثنى: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: (ما رأيتُ عينايَ مثلَ أربعة: ما رأيتُ أحفظَ للحديث من الثوري، ولا أشدَّ تقشُفاً من شعبة، ولا أعقلَ من مالك بن أنس، ولا أنصحَ للأمة من عبد الله بن المبارك)^(٣).

وقال نوح بن حبيب: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: (حدثني ابن المبارك وكان نسيجَ وَحْدِهِ)^(٤).

وقال أبو إسحاق الطالقاني: (سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما رأيتُ مثلَ ابن المبارك، فقال له يحيى بن سعيد القطان: ولا سفيان، ولا شعبة؟! قال: ولا سفيان، ولا شعبة، كان ابن المبارك عالماً فقيهاً في

(١) الجرح والتعديل ١٧٩/٥، تقدمته ٢٦٦/١، تاريخ بغداد ١٦١/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٢٦، وفيه رواية أخرى.

(٢) تاريخ بغداد ١٦١/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٢٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٦١/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ من طرق بالفاظ متقاربة.

(٤) الجرح والتعديل ١٨٠/٥، تقدمته ٢٦٨/١، تاريخ بغداد ١٦١/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٣٠.

علمه، حافظاً، زاهداً، عابداً، غنياً، حجاجاً، غزاًء، نحوياً، شاعراً؛ ما رأيتُ مثله^(١).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي، يقول: (ما رأيتُ عيناى مثلَ سفيان، ولا أقدمُ على عبدِ الله بن المبارك أحداً)^(٢).

** ٢٢ - قال علي بن صدقة: سمعتُ أبا أسامة حماد بن أسامة، يقول: (كان ابن المبارك في أصحاب الحديث مثلَ أمير المؤمنين في الناس)^(٣).

٢٣ - وقال عبد العزيز بن أبي رزمة: (ما رأيتُ مثلَ عبد الله قَطُّ أحداً يُشبهه في العلم، والفضل، وخصال كثيرة)^(٤).

٢٤ - وقال عبد الرزاق الصنعاني: (ما رأيتُ أحداً من أهل المشرق أفضلَ من ابن المبارك)^(٥).

٢٥ - وقال إبراهيم بن شماس الغازي: (رأيتُ أفقهَ الناس، وأورَعَ الناس، وأحفظَ الناس، فأما أفقهُ الناسِ فابنُ المبارك، وأما أورَعَ الناسِ ففضيل بن عياض، وأما أحفظُ الناسِ فوكيع بن الجراح)^(٦).

٢٦ - وقال محمد بن مسلم بن وازة: قال أبو سلمة التَّبُوذَكِيُّ: (ما رأيتُ مثلَ عبد الله بن المبارك)^(٧).

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٧.

(٢) الحلية ١٦٣/٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٢٧.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣١.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٥.

(٥) مقدمة الكامل ١٠١، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٠.

(٦) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٤.

(٧) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٨/١.

٢٧ - وقال أبو الوليد الطيالسي: (ما رأيتُ أجمعَ من عبدِ الله بن المبارك)^(١).

٢٨ - وقال شُفيع بن إسحاق المحتسب: (قلتُ لسعيد بن منصور: مالكٌ لم تكتبَ حديثَ شعبة وسفيان؟ فقال: إني لقيتُ ابنَ المبارك، فلما رأيتُه هانَ عليَّ الناسُ!)^(٢).

** ٢٩ - قال محمد بن يحيى: أخبرنا يوسف بن واقد، قال: (ما رأيتُ العيونَ مثلَ ابنِ المبارك)^(٣).

٣٠ - وقال أبو حاتم الرازي: كتَبَ إليَّ عبد الله بن خُبَيْق، قال: سمعتُ يوسف بن أسباط، يقول: (ابنُ المبارك سيِّدُ القراء، وهو أحبُّ إليَّ من أبي)^(٤).

٣١ - وقال حاتم الجوهري: حدثنا أسود بن سالم، قال: (كان ابن المبارك إماماً يُقتدى به، كان من أثبتِ الناس في السُّنَّة، إذا رأيتَ رجلاً يغمزُ ابنَ المبارك بشيءٍ، فأتَّهَمه على الإسلام)^(٥).

٣٢ - وقال عيسى بن محمد بن عيسى: حدثنا العباس بن مُضْعَب، قال: (جَمع عبد الله بن المبارك الحديثَ، والفقهَ، والعربيةَ، وأيامَ الناس، والشجاعةَ، والتجارةَ، والسخاءَ، والمحبةَ عند الفِرَق)^(٦).

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٤/١، مقدمة الكامل، ص ١٠٢، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٦.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٨/١.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢٦٩/١. وانظر ترجمة عبد الله بن خبيب في: تكملة الإكمال لابن نقطة ٣٩٨/٢.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/١٦٨، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٣.

(٦) تاريخ بغداد: ١٠/١٥٥، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٣٦.

** ٣٣ - وقال ابن سعد: (كان ثقة، مأموناً، إماماً، حجّة، كثيرَ الحديث)^(١).

٣٤ - وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيْد: (سمعت يحيى بن معين، وذكروا عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال رجل: إنه لم يكن حافظاً، فقال يحيى بن معين: كان عبد الله بن المبارك كَيْساً، مُسْتَثْبِتاً، ثقةً، وكان عالماً، صحيحَ الحديث)^(٢).

وقال إبراهيم بن موسى: قال يحيى بن معين - وذكر عنده ابنُ المبارك، فقال -: سيّد من سادات المسلمين)^(٣).

٣٥ - وقال عثمان بن طلوت: سمعت علي بن المديني، يقول: (انتهى العلم إلى رجلين؛ إلى عبد الله بن المبارك، ومن بعده إلى يحيى بن معين)^(٤). وقال علي بن المديني: (عبد الله بن المبارك هو أوسعُ علماً من عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن آدم)^(٥).

٣٦ - وقال أبو داود السّجِسْتَانِي: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: (خَرَجَ مِنْ خُرَاسَانَ رَجُلَانِ: ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى)^(٦).

وقال أحمد بن حنبل: (ما أَخْرَجْتُ خُرَاسَانَ بَعْدَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مِثْلَ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى)^(٧).

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٧.

(٢) سؤالات ابن الجنيّد: رقم ٤٢٢، تاريخ بغداد ١٠/١٦٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٦٥، تاريخ ابن عسّاك، ص ٣٣٨.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/١٦٤، تاريخ ابن عسّاك، ص ٣٣٦.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/١٦٤، تاريخ ابن عسّاك، ص ٣٣٦.

(٦) تاريخ ابن عسّاك، ص ٣١٤. ويحيى بن يحيى هو النيسابوري، إمام حافظ كبير.

(٧) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥٨٦١، الجرح والتعديل ٩/١٩٧.

٣٧ - وقال محمود بن وَالْآن: سمعت عَمَّار بن الحَسَن يمدح ابن المبارك، يقول:

إذا سَارَ عبدُ الله من مَرْوَ ليلَةً فقد سَارَ عنها نورُها وجمَالُها
إذا ذُكِرَ الأحبارُ في كلِّ بلدةٍ فَهُمُ أنجُمٌ فيها وأنتَ هلالُها^(١)

٣٨ - وقال أحمد بن عبد الله العِجْلِي: (خُرَاسَانِيٌّ، ثِقَةٌ، ثَبَتٌ فِي الْحَدِيثِ، رَجُلٌ صَالِحٌ، وَكَانَ يَقُولُ الشُّعْرَ، وَكَانَ جَامِعاً لِلْعِلْمِ)^(٢).

٣٩ - وقال أبو زرعة الرازي: (عبد الله بن المبارك اجتمع فيه فقه، وسخاء، وشجاعة، وغزو، وأشياء)^(٣).

٤٠ - وقال أبو حاتم الرازي (عبد الله بن المبارك ثقة إمام)^(٤).

** ٤١ - وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خِرَاش: (عبد الله بن المبارك مَرْوَزِيٌّ ثِقَةٌ)^(٥).

** ٤٢ - قال النَّسَائِي: (أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، الثقة المأمون)^(٦).

٤٣ - وقال الطَّبْرِي: (كان من طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَرَوَاتِهِ، وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأَدْبِ وَالْعِلْمِ بِأَيَّامِ النَّاسِ وَالشُّعْرَ بِمَكَانٍ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ زَاهِداً سَخِيًّا)^(٧).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٣، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٣٩.

(٢) تاريخ الثقات، ٢٧٥، تاريخ بغداد ١٠/١٥٥.

(٣) الجرح والتعديل ٥/١٨١، تقدمته ١/٢٦٤.

(٤) الجرح والتعديل ٥/١٨١، تقدمته، ص ٢٦٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/١٦٦، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٣٩.

(٦) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٠٨.

(٧) المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٦٠.

٤٤ - وَأَطَابَ ابْنَ حَبَّانَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فِي «الثَّقَاتِ»، وَقَالَ فِي «مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ»:

(وكان أحد الأئمة فقيهاً، وورعاً، وعِلْماً، وفضلاً، وشجاعاً، ونجدة، مَثْنٌ رَاحِلٌ وَجَمْعٌ وَصَنَّفَ، وَحَدَّثَ وَحَفِظَ وَذَاكِرٌ، وَلَزِمَ الْوَرَعَ الْخَفِيَّ، وَالصَّلَابَةَ فِي الدِّينِ، وَالْعِبَادَةَ الدَّائِمَةَ، مَعَ حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ)^(١).

٤٥ - وَقَالَ الْحَاكِمُ: (هُوَ إِمَامٌ عَصِرِهِ فِي الْآفَاقِ، وَأَوْلَاهُمْ بِذَلِكَ، عِلْمًا وَزُهْدًا وَشَجَاعَةً وَسَخَاءً)^(٢).

٤٦ - وَقَالَ أَبُو يَعْلَى الْخَلِيلِيُّ: (الإمام المَثَقُّ عَلَيْهِ، لَهُ مِنَ الْكِرَامَاتِ مَا لَا يُحْصَى)^(٣).

٤٧ - وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: (كان من أئمة المسلمين الموصوفين بالحِفْظِ وَالْفِقْهِ وَالْعَزِيمَةِ وَالزُّهْدِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْحَسَّانُ، وَالشُّعْرُ الْمُتَضَمِّنُ لِلزُّهْدِ وَالْحِكْمَةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَزْوِ وَالْمُرَابِطَةِ)^(٤).

٤٨ - وَقَالَ النَّوَوِيُّ: (الإمام المُجْمَعُ عَلَى إِمَامَتِهِ وَجَلَالَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَةُ بِذِكْرِهِ، وَتُرْتَجَى الْمَغْفِرَةُ بِحُبِّهِ)^(٥).

٤٩ - وَقَالَ الْمِزِّيُّ: (أحدُ الأئمةِ الأعلامِ، وَحَفَاطِ لِإِسْلَامِ)^(٦).

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٠٩ ت ١٥٦٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٧/٥.

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٨٨٧/٣ - ٨٨٨.

(٤) المنتظم ٥٨/٩.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٥/١.

(٦) تهذيب الكمال ٦/١٦.

٥٠ - وافتتح الذَّهَبِيُّ ترجمته في «السير» بقوله: (الإمامُ شيخُ الإسلام، عالمُ زمانه، وأميرُ الأتقياء في وقته، الحافظُ، الغازي، أحدُ الأعلام).

وقال في «العبر»: (الإمامُ العَلَمُ، الفقيهُ، الحافظُ، الزاهدُ، ذو المَنَاقِبِ... كان رأساً في العلم، رأساً في العمل، رأساً في الذكاء، رأساً في الشجاعة والجهاد، رأساً في الكَرَم).

وقال في «التذكرة»: (الإمامُ الحافظُ العَلَّامة، شيخُ الإسلام، فخرُ المجاهدين، قدوةُ الزاهدين، التاجرُ السَّفَّار، صاحبُ التصانيف النافعة، والرَّحلات الشاسعة، أفنَى عُمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً.... واللهِ إِنِّي لأُحِبُّه في الله، وأرجو الخَيْرَ بحبِّه؛ لِمَا مَنَحَهُ اللهُ من التقوى، والعبادة، والإخلاص، والجهاد، وسعةِ العلم، والإتقان، والمواساة، والفتوة، والصفاتِ الحميدة)^(١).

٥١ - وقال ابن كثير: (وكان مؤصوفاً بالحفظ، والفقهِ، والعربية، والزهد، والكرم، والشجاعة، والشَّعر، له التصانيف الحَسَنان، والشَّعر الحَسَن المتضمَّن حِكْماً جَمَّةً، وكان كثيرَ الغزو والحج)^(٢).

٥٢ - وقال ابن رَجَب الحنبلي: (إمامُ خُرَاسان، الجامعُ بين الخِلال الحَسَنان)^(٣).

٥٣ - وقال ابن الجَزَرِي: (الإمامُ الكبير، أحدُ المجتهدين الأعلام)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨ - ٣٧٩، العبر ٢١٧/١، تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ - ٢٧٥.

(٢) البداية والنهاية ١٧٧/١٠.

(٣) شرح علل الترمذي ٤٧٣/١.

(٤) غاية النهاية ٤٤٦/١.

٥٤ - وقال الحافظ: (ثقةٌ، ثبتٌ، فقيهٌ، عالمٌ، جَوَادٌ، مجاهدٌ، جُمعت فيه خِصَالُ الخَيْرِ)^(١).

من أخباره الشخصية:

أبواه:

قال العباس بن مُصعب: (كانت أمُّ عبد الله بن المبارك خُوَارِزْمِيَّةً، وأبوه تُرْكِي، وكان عبداً لرجل من التجار من هَمَّذَانَ، من بني حَنْظَلَةَ. وكان عبدُ الله إذا قَدِمَ هَمَّذَانَ يخضع لولده ويعظّمهم)^(٢).

وقال عبد العزيز بن أبي رَزْمَةَ: سمعتُ عبدَ الله بن المبارك، يقول: (نظر أبو حنيفة إلى أبي، فقال: أدت أمُّه إليك الأمانة. وكان أشبه الناس بعبد الله)^(٣).

وقال ابن خَلِّكان: (يُحكى عن أبيه أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زمناً، ثم إن مولاه جاءه يوماً وقال له: أريد رُمَاناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً، فكسره فوجده حامضاً، فخرّد عليه وقال: أطلب الحلو فتحضّر لي الحامض؟! هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حرّده عليه، وفعل كذلك دفعةً ثالثة، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: لا، فقال: كيف ذلك؟ فقال: لأنني ما أكلتُ منه شيئاً حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل؟ قال: لأنك ما أدنّت لي، فكشّف عن ذلك، فوجد

(١) تقريب التهذيب ٤٤٥/١.

(٢) تاريخ بغداد ١٥٣/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٠٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٥٣/١٠، تاريخ ابن عساکر، ص ٣١٠.

قوله حقاً، فعَظَمَ في عينه، وزَوَّجَه ابنتَهُ. ويُقال: إن عبد الله رُزِقَه من تلك الابنة، فَنَمَتَ عليه بركةُ أبيه^(١).

مولده ووفاته ومبلغ عمره:

مولده:

- قال ابن سعد، وخليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل، وأبو حفص الفلاس، والطبري، وابن حبان، وابن زبير، وغيرهم: وُلد عبد الله سنة ثمان عشرة ومئة^(٢).

وكان مولده بمرو.

- وقال عبّدان بن عثمان: سمعت ابن المبارك، يقول: وُلدت سنة تسع عشرة ومئة^(٣).

وفاته:

- قال الحسن بن الربيع: (شهدتُ موتَ ابن المبارك، مات سنة إحدى وثمانين ومئة، في رمضان لعشرٍ مضين منه، مات سَحَرًا، ودَفَّنَاهُ بيهيت)^(٤).

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٢٢. وخرّد: غَضِب. وذكر هذه الحكاية اليافعي في مرآة الجنان ١/٣٧٩، وأورد قصة أخرى في سبب زواج المبارك بابنة سيده.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/٣٧٢، التاريخ الكبير ٥/٢١٢، والتاريخ الأوسط ٢/١٦٤، المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٦٠، الثقات ٧/٧، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ١١٤، تاريخ بغداد ١٠/١٥٣، ١٥٤، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٠٤ - ٣٠٥، ٣٠٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٥٤، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٠٥.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/١٧١. وهيت: مدينة عراقية مشهورة في لواء الدليم على جانب الفرات الغربي في محافظة الأنبار.

وقال عَبْدَانُ: توفي لثلاث عشرة خلت من رمضان، سنة إحدى وثمانين ومئة^(١).

وفيها أُرِخَ وفاته: ابن سعد، وخليفة بن خياط، والمسيب بن واضح، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو موسى محمد بن المثنى، والطبري، وابن حبان، وآخرون.

- وقال سعيد بن أسد، ونعيم بن حماد، وعلي بن المديني في رواية عنه: مات ابن المبارك سنة تسع وسبعين ومئة.

وذكر الحافظ ابن عساكر هذا القول في أواخر الترجمة، وجَزَمَ بأنه وَهَمٌ، والمحفوظ الأول.

عمره:

قال الحسن بن الربيع: (سألت ابن المبارك قبل أن يموت، قال: أنا ابن ثلاث وستين)^(٢).

وكذا قال ابن سعد، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي، والطبري، وآخرون^(٣).

احتضاره وتلقينه وقبره:

مات رضي الله عنه ورحمه منصوراً من غزو الروم^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٨.

(٢) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٠٩١، المعرفة والتاريخ ١/١٧٢، تاريخ بغداد ١٠/١٦٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/٣٧٢، المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٦٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٠٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/٣٧٢، المنتخب من ذيل المذيل، ص ٦٦٠، الإرشاد ٣/٨٨٨، صفة الصفوة

قال محمد بن عبد الوهاب الفراء: حدثنا عمر بن عُقبة: (عن ابن المبارك: أنه كان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الشَّهَادَةَ فِي غَيْرِ جَهْدٍ بَلِيَّةٍ، وَلَا تَبْدِيلِ نِيَّةٍ. فَمَنْ لَّهِ عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، فَأَمَاتَهُ شَهِيداً غَرِيباً فِي غَيْرِ تَرْبَتِهِ، مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ فِي الشَّهَادَةِ، وَلَا تَبْدِيلِ فِي الْإِرَادَةِ)^(١).

وقال الحسن بن عيسى: (لَمَّا حَضَرَتِ ابْنَ الْمُبَارَكِ الْوَفَاةَ، قَالَ لِنَصْرٍ مَوْلَاهُ: اجْعَلْ رَأْسِي عَلَى التَّرَابِ. قَالَ: فَبَكَى نَصْرٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَذْكَرُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَأَنْتَ هُوَ ذَا تَمُوتُ فَقِيراً غَرِيباً، فَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُحْيِيَنِي حَيَاةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَأَنْ يُمَيِّتَنِي مَيِّتَةَ الْفُقَرَاءِ. ثُمَّ قَالَ: لَقَّنْتِي، وَلَا تُعِدْ عَلَيَّ، إِلَّا أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ ثَانٍ)^(٢).

وقيل: (فَتَخَّ عَبْدُ اللَّهِ بِنَ الْمُبَارَكِ عَيْنِيهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَضَحِكَ، وَقَالَ: ﴿لِيُثَلِّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ [الصفات: ٦١])^(٣).

وقبره بهيت مشهورٌ يُزار^(٤).

روى أبو بكر الصُّولي عن بعضهم قال: (وَرَدَ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ كِتَابُ صَاحِبِ الْحِجْرَةِ مِنْ هَيْتٍ، أَنَّهُ مَاتَ رَجُلٌ بِهَذَا الْمَوْضِعِ غَرِيباً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى جَنَازَتِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بِنَ الْمُبَارَكِ الْخِرَاسَانِي. فَقَالَ الرَّشِيدُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، يَا فَضْلُ

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٩. وانظر رواية أخرى في: ثقات المعجلي، ص ٢٧٥، سنن الترمذي

٣٠٨/٣ حديث ٩٧٧، تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٩، صفة الصفوة ١٤٦/٤.

(٣) تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٩، مختصره ٣٠/١٤.

(٤) الثقات ٧/٧، غاية النهاية ٤٤٦/١.

- للفضل بن الربيع وزيره - ائذن للناس من يُعزِّينا^(١) في عبد الله بن المبارك. فأظهر الفضل تعجباً، فقال: وَيَحْك!! إن عبد الله هو الذي يقول:

اللَّهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانًا
لَوْلَا الْأَثْمَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة، ولا يعرف حقنا؟!^(٢).

رؤى وبشائر:

قال محمد بن فضيل بن عياض: (رأيتُ عبدَ الله بن المبارك في المنام، فقلت: أيُّ الأعمال وجدتَ أفضلَ؟ قال: الأمرُ الذي كنتُ فيه، قلت: الرِّباطُ والجهادُ؟ قال: نعم، قلت: فأَيُّ شيءٍ ضنَّعَ بك؟ قال: عَفَّرَ لي مغفرةً ما بعدها مغفرةً، وكَلَّمْتَنِي امرأةً من أهل الجنة، أو امرأةً من الحُورِ العِينِ)^(٣).

وقال أبو حاتم الفِرْبَرِيُّ: (رأيتُ عبدَ الله بن المبارك في المنام واقفاً على باب الجنة بيده مفتاح، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ما يُوقفك هاهنا؟ قال: هذا مفتاح باب الجنة، دفعه إليَّ محمد ﷺ، وقال: حتى أزورَ الربِّ، فكن أمني في السماء كما كنت أمني في الأرض)^(٤).

وقال إسماعيل بن إبراهيم المِصْبِيصِي: (رأيتُ الحارث بن عطية في النوم، فقلت: ما فَعَلَ اللهُ بك يا أبا عبد الله؟ قال: عَفَّرَ لي. قلت: فأين ابنُ

(١) في الحلية: (من يعذرنا).

(٢) الحلية ١٦٤/٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٦٨/١٠، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٨، صفة الصفوة ٤/١٤٧.

(٤) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٦، سير أعلام النبلاء ٤١٩/٨.

المبارك؟ قال: بَخِ بَخٍ! ابنُ المبارك في عِلَّتَيْنِ، مَمَّنْ يَلِجُ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ^(١).

وقال زكريا بن عَدِيٍّ: (رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارِكِ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَّرَ لِي بِرَحَلَتِي فِي الْحَدِيثِ)^(٢).

وقال صخر بن راشد: (رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارِكِ فِي مَنَامِي بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ مُتَّ؟! قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَمَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غَفَّرَ لِي مَغْفِرَةً أَحَاطَتْ بِكُلِّ ذَنْبٍ، قُلْتُ: فَسَفِيَانِ الثُّورِيِّ؟ قَالَ: بَخِ بَخٍ! ذَاكَ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]^(٣).

رحم الله ابن المبارك فلقد كان من رجال الكمال.

* * *

(١) تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٦ - ٣٨٧، سير أعلام النبلاء ٤١٩/٨.

(٢) الرحلة في طلب الحديث: رقم ١٦، وهو في تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٩ دون كلمة (الحديث). وانظر: مقدمة الكامل ١٠٤، سير أعلام النبلاء ٤١٩/٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٦٩، تاريخ ابن عساكر، ص ٣٨٧. والآية: رقم ٦٩ من سورة النساء.

مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد ٣٧٢/٧، تاريخ الدوري ٣٢٨/٢ - ٣٢٩، سؤالات ابن الجنيدي: رقم ٤٢٢، سؤالات ابن طهمان: رقم ٣٢٣، طبقات خليفة ٣٢٣، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٠٩، ٤٢٠، ١٧٠٨، ٢٥٩٩، ٢٦٢٢، ٢٨٩٣، ٣٦٤١، ٣٩٤٦، ٤١٢٤، ٤١٣٩، ٤٦٩٥، ٥١٩٤، ٦٠٦٩، ٦٠٧٠، ٦٠٨٢، ٦٠٩١، وبرواية المرودي: رقم ١١٠، ١١٦، وبرواية الميموني: رقم ١٢٠، سؤالات أبي داود لأحمد: رقم ٢٦، ١٤٢، ٢٣١، ٢٥١، ٥٦٢، التاريخ الكبير ٢١٢/٥ ت ٦٧٩، التاريخ الأوسط ١/١، ١٦١، ١٦٤، صحيح مسلم: مقدمته: ص ١٥ - ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣١، حديث ١٩١٠، ٢٧٧٠، تاريخ الثقات للعجلي ٢٧٥ - ٢٧٦ ت ٨٧٦، سنن ابن ماجه: حديث ٢٠٨٢، سؤالات الأجرى أبا داود السجستاني: رقم ١٧٧، ٣١٧، ٥٨٠، ١٣٥٣، ١٥٩٨، ١٩٣٥، ١٩٣٦، المعارف ٥١١، المعرفة والتاريخ: انظر «فهرس الأعلام»، سنن الترمذي: حديث ٢١، ٢٧، ٤٤، ٧٥، ٧٨، ١٢٥، ١٣١، ١٣٧، ١٦٨، ١٩٨، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٩٧، ٣١١، ٣١٢، ٣٤٤، ٤٨١، ٥٢٣، ٥٤٠، ٩٧٧، ١١٨١، ٢١٦٧، وغيرها كثير جداً، العلل الملحقة بالسنن ٧٣٦/٥، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٣، ٧٤٥، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٢٠٧، ٢٠٨، ٥٠٦، ٥٥٧، ٥٨٠، ٦٨١ - ٦٨٢، وانظر «فهرس الأعلام»، سنن النسائي ٣٣٥/٨، أخبار القضاة: انظر «فهرس الأعلام»، المنتخب من ذيل المذيل ٦٦٠ - ٦٦١، الجرح والتعديل ١٧٩/٥ - ١٨١ ت ٨٣٨، تقدمته ٣/١، ٤٠، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٦٢ - ٢٨١، ٢٨٥، ١٦/٢، ١٨، ٢٥، ٢٩، مشاهير علماء الأمصار ٣٠٩ ت ١٥٦٤، الثقات ٧/٧ - ٨، المحدث الفاضل: رقم ٦٧، ٨٧، ٩٦، ١٢٠، ١٤٤، مقدمة الكامل في الضعفاء ١٠١ - ١٠٥، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١١٤، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، رجال صحيح البخاري للكلايازي ٤٢٩/١ - ٤٣٠ ت ٦٢٦، تاريخ جرجان ٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٨، ٤١٠، رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٣٨٩/١ - ٣٩٠ ت ٨٦٠، الحلية ١٦٢/٨ - ١٩٠ ت ٣٩٧، الفهرست ٣١٩، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي ٢٧٢/١، ٤٩٨/٢، ٥٠٨، ٨٣٥/٣، ٨٨٧ - ٨٩٠، تاريخ بغداد ١٠١/١٥٢ - ١٦٩ ت ٥٣٠٦، السابق واللاحق ٢٥٢ - ٢٥٤ ت ٩٩، موضع أوهام الجمع والتفريق ٢٠٠/٢ - ٢٠١، الرحلة في طلب الحديث، رقم ١٦، ١٧، ٦٢، تقييد العلم ١١٤، ١٢٦، ١٤٠، الجامع لأخلاق الراوي: مواضع كثيرة، جامع بيان العلم ١٤/١، ١٥، ١١٥، ١٤٣، ١٩١، ١٩٧، ١٣/٢، ٥٨، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٣، الانتقاء ٢٠٤ - ٢٠٧، التعديل والتجريح للباقي ٩٢٤/٢ - ٩٢٥ ت ٨١٩، طبقات الفقهاء ١٠٧ - ١٠٨، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢٥٩/١ ت ٩٥١، ترتيب المدارك ٣٠٠/١ - ٣٠٩، الأنساب ٢٥١/٤ «الحنظلي»، تاريخ ابن عساكر «عبد الله بن قيس - عبد الله بن مسعدة» ٣٠١ - ٣٨٩، صفة الصفوة ١٣٤/٤ - ١٤٧ ت ٦٩٥، المنتظم ٥٨/٩ - ٦٣ ت ٩٧٨، اللباب في تهذيب الأنساب ٣٩٦/١، علوم الحديث لابن الصلاح: انظر «فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء للغات ٢٨٥/١ - ٢٨٧ ت ٣٢٩، وفيات الأعيان ٣٢/٣ - ٣٤ ت ٣٢٢، مختصر ابن عساكر لابن منظور ١٣/١٤ - ٣١، تهذيب

الكمال ٥/١٦ - ٢٥ ت ٣٥٢٠، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤٠٢/١ - ٤٠٥ ت ٢٤٣، تاريخ الإسلام - حوادث ووفيات «١٨١ - ١٩٠هـ» ص ٢٢٠ - ٢٤٨، العبر ٢١٧/١، دول الإسلام ١٠٤، الكاشف ١١٠/٢ ت ٢٩٧٨، تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ - ٢٧٩ ت ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨، ٤٢١، الوافي بالوفيات ٤١٩/١٧ - ٤٢٠، مرآة الجنان ٣٧٨/١ - ٣٨٢، البداية والنهاية ١٧٧/١٠ - ١٧٩، شرح علل الترمذي ٣٥٩/١ - ٣٦١، ٣٦٣ - ٣٦٤، ٣٦٦ - ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٩٩، ٤٢٠، ٤٧٣ - ٤٧٨، ٥٢٠، ٥٥٥، ٧٠٦/٢، ٧٠٧، ٧٢٢، ٧٦٥، ٧٦٦، وانظر «فهرس الأعلام»، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٤٦/١ ت ١٨٥٨، تهذيب التهذيب ٣٣٤/٥ - ٣٣٨، تقريب التهذيب ٤٤٥/١، فتح الباري ١٠٣/٥ حديث ٢٤٥٤، ٥٦٣/٩، كتاب الأطعمة - باب ٣٨، ٥٥/١١، كتاب الاستئذان، باب ٢٨، النجوم الزاهرة ١٣٣/٢، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ٢٤٤ - ٢٤٥ ت ٥٥٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٢٣ ت ٢٤٩، خلاصة تذهيب التهذيب ٢١١ - ٢١٢، طبقات المفسرين للداوودي ٢٥٠/١ ت ٢٣٢، كشف الظنون ٥٧، ٩١١، ١٤١٠، ١٤٢٢، شذرات الذهب ٢٩٥/١ - ٢٩٧، هدية العارفين ٤٣٨/١، الرسالة المستطرفة ٤٨، ٤٩، ٥١، ١٠٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٥٣/٣، ٥٦/٤، السُّنة ومكانتها في التشريع ٢٤٩ - ٢٥٣، تاريخ التراث لسزكين - المجلد الأول، ج ١٧٥/١ - ١٧٦ «علوم القرآن والحديث».



القَاضِي أَبُو يُوسُفَ

(١١١٣هـ - ١١٨٢هـ)

اسمه ونسبه ونسبته:

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيْس^(١) بن سَعْد بن بُجَيْر^(٢) بن معاوية، البَجَلِيّ نَسَباً، الأنصاري حِلْفاً، الكوفي ثم البغدادي.

وسَعْد بن بُجَيْر بن معاوية بن سَلْمَى، من بَجِيلَةَ، له صحبة، ويُعرف بأُمَّه فيقال: سَعْد بن حَبْتَةَ، وأُمُّه حَبْتَةُ بنتُ مالك من بني عَمْرُو بن عوف من الأنصار^(٣).

قال ابن سعد: (وإنما يُعرف سَعْد بأُمَّه، يقال له: سعد بن حَبْتَةَ، وهم حلفاء في بني عَمْرُو بن عَوْف)^(٤).

والبَجَلِيّ: نسبة إلى بَجِيلَةَ، قبيلة عظيمة نزلت الكوفة^(٥).

(١) في سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨: (خُنَيْس)، وهو تصحيف.

(٢) ويقال: (بُجَيْر).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧، المعارف ٤٩٩، أخبار القضاة ٢٥٤/٣، المؤلف والمختلف ١٥٩/١، ٦٩٤/٢، ٨٧٦، ١٤١١/٣، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٠، تاريخ بغداد ٢٤٣/١٤، الانتقاء، ص ٣٢٩، الإكمال ١٩٩/١، وفيات الأعيان ٣٧٨/٦، توضيح المشتبه ٩٢/٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧، أخبار القضاة ٢٥٤/٣، الأنساب ٨٦/٢، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨.

والأنصاري: نسبة إلى الأنصار، وهو مولى لهم وليس من أنفسهم، فجده سَعْدُ نَسَبُهُ فِي بَجِيلَةَ، وَحِلْفُهُ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ مِنَ الْأَنْصَارِ^(١).

كنيته:

يكنى أبا يوسف، وهو مشهور بها، وقد غلبت عليه.

سيرته وشمائله:

نشأ أبو يوسف في بيئة فقيرة، تجلّت عليها العناية الربانية بالرحمة والتربية، فأسلمته إلى واحد من أئمة الدنيا الكبار الذين طبّقت شهرتهم الآفاق، ذلكم هو الإمام أبو حنيفة، حيث ضمّ إليه يعقوبَ وحَدَبَ عليه وتعهده بأخلاقه الرفيعة وجوده العريض، كان يمدّه بالدرهم مئة بعد مئة، حتى أنساه ألم الفقر وأرق الحاجة والعوز، فتفرّغ بالله للعلم، وأقبل أبو يوسف بعقله المتوقّد على شيخه الأجلّ أبي حنيفة، ونهل من علمه الفياض، وتأدّب بآدابه الرفيعة، وتخلّق بأخلاقه السامية وشمائله وفضائله، فكان قبساً من نور شيخه، ولمع نجمه حتى كان واحداً من أئمة الدين الذين خدموا الإسلام بكل ما أعطوا من إمكانيات وطاقات، فرفعهم الله بهذا الدين، وأعلى منزلتهم في العالمين، ولهم إن شاء الله عنده خير الجزاء.

لقد كان أبو يوسف يسرد الصوم، ويصوم رجب وشعبان، ويُطيل الصلاة والقيام، حتى إنه في زحمة أعماله وهو قاضي القضاة كان ورده في اليوم مئتي ركعة.

(١) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧، سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٨، تاريخ الإسلام، ص ٤٩٧.

وقد آتاه الله علماً جماً، ولساناً طلقاً، ومنطقاً حلواً، وحنة قوية، فكان مع ضالة جسمه إذا تكلم حير الألباب.

ومع رفعة شأنه كان يجلبُ أشياخه وأساتيده، وخاصة أبا حنيفة، فلقد كان يدعو له في صلاته قبل أبيه.

وتولى أبو يوسف القضاء لثلاثة من خلفاء بني العباس، وارتفعت منزلته عند الرشيد فأصبح قاضيه ووزيره وزميله في حجّه، وكان يدخل دار الخلافة راكباً مبعجلاً، وقام بواجب القضاء على أتم وجه يستوجه هذا المنصب الخطير، من العدل والإنصاف والجرأة والنصيحة.

وفتحت عليه الدنيا فلم تغيّره، فكان يجود بالمال في وجوه الخير، ويهبُ الجزيلَ لأهل الأمصار وخاصة الحرمين الشريفين، وكان يحضُّ الناس على عمل الخير، والإخلاص لله، وتعظيم أمور الدين، وشكر الله تعالى، والتوجه للعلم وإعطائه ما يستحقه من جهد ووقت، وله في ذلك كلمات قليلة لكنها غالية وعزيزة.

نشأته وطرف من هديه وأخلاقه:

** روى علي بن حزملة التيمي، عن أبي يوسف قال: (كنتُ أطلب الحديث والفقه وأنا مُقلِّ رثُ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفُ معه، فقال: يا بني، لا تمدنَّ رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشويّ، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصّرتُ عن كثير من الطلب، وآثرتُ طاعة أبي، فتنقّدتني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهدُ مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع

إليَّ ضُرَّةً وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحَلَقَةَ، وإذا نَفِدَت هذه فأَعْلِمْنِي، فلزمتُ الحَلَقَةَ، فلما مضت مدة يسيرة دفع إليَّ مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أَعْلَمْتُهُ بِحَلَقَةِ قَطُّ ولا أَخْبَرْتُهُ بنفادِ شيء، وكأنه كان يُخْبِرُ بنفادِها، حتى استغنيت وتمولت^(١).

وقال الخطيب البغدادي: (وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلاً صغيراً، وأن أمّه هي التي أنكرت عليه حضوره حلقة أبي حنيفة)، وساق الخطيب بإسناده إلى علي بن الجعد أنه قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي، قال: (توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أُمِّي، فأسَلَمْتُنِي إلى قَصَّار أَخْدِمَهُ، فكنت أدع القصار وأمرُ إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع، فكانت أُمِّي تجيء خلفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعْنَى بي لِمَا يرى من حضورِي وحرصِي على التعلم، فلما كَثُرَ ذلك على أُمِّي وطال عليها هَرَبِي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فسادٌ غيرك، وهذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أُطعمه من مغزلي، وأملُ أن يكتسب دانيقاً يعودُ به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رَعْنَاءُ، هذا هو ذا يتعلم أكلَ الفالوذجِ بدُهْنِ الفستق، فانصرفتُ عنه وقالت له: أنت شيخ قد خَرِفْتَ ودَهَبَ عقلُك. ثم لَزِمْتُهُ فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدتُ القضاء، وكنتُ أجالس الرشيدَ وأكلُ معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قُدِّمَ إلى هارون فالوذجة، فقال لي هارون: يا يعقوب، كُلْ منه فليس كُلُّ يومٍ يُعملُ لنا مثله،

(١) تاريخ بغداد ٢٤٤/١٤، وفيات الأعيان ٣٧٩/٦ - ٣٨٠، مفتاح السعادة ٢١٢/٢، شذرات الذهب ٣٠٠/١، والخبر في «مناقب أبي حنيفة» للمكي ٤٦٩/١، وللكردري ٣٩٣/٢. قوله: (خبزه مشوي): كناية عن كفايته وغناه. (بِخَلَّة): الخَلَّة: الفقر والحاجة. وتصحفت في تاريخ بغداد إلى: (نحلة).

فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوَدَجَة بَدُهْنِ الفسْتَقِ، فضحكتُ، فقال لي: ممَّ ضحكتَ؟ فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألح عليّ، فخبّرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنياً، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه^(١).

** قال أحمد بن عطية: سمعت محمد بن سَمَاعَةَ، يقول: (كان أبو يوسف يصلي بعدما ولي القضاء في كل يوم مئتي ركعة)^(٢).

وقال الطحاوي: حدثنا ابن أبي عمران، حدثني فرج مولى أبي يوسف قال: (رأيتُ مولايَ أبا يوسف إذا دخل في القنوت للوتر رفع يديه في الدعاء). قال الطحاوي: (قال لنا ابن أبي عمران: لم يحدثنا بهذا عن أبي يوسف غيرُ فرج، وكان ثقةً)^(٣).

وذكر عباس الدُّوري: (أن أبا يوسف كان معظماً لأُمُور الدِّين، لم يكن يرفع يديه تحت الثياب إذا دعا ربه، بل كان يُبرز، وكان يصوم رجب وشعبان)^(٤).

وقال محمد بن الصَّبَّاح: (لَزِمْتُ أبا يوسف، وكان أبو يوسف رجلاً صالحاً، وكان يَسْرُدُ الصَّوْمَ)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٢٤٤/١٤ - ٢٤٥، المنتظم ٧٢/٩ - ٧٣، وفيات الأعيان ٣٨٠/٦ - ٣٨١، مفتاح السعادة

٢١٢/٢. والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٥/١٤، مناقب أبي حنيفة للمكي ٤٨٩، وللكردي ٤١٠/٢.

(٣) الجواهر المضية ٦٩٠/٢ - ٦٩١.

(٤) مفتاح السعادة ٢١٥/٢.

(٥) الثقات ٦٤٦/٧ - ٦٤٧، لسان الميزان ٣٠١/٦.



وقال يحيى بن معين: (حدثنا أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم، وكان يقول في دُبُرِ صلواته: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ولوالديَّ ولأبي حنيفة. وكان يقول: سمعت السَّلَفَ يقولون: مَنْ لا يَعْرِفُ لأستاذِهِ لا يُفْلِحُ)^(١).

وفي رواية: (أنه كان يدعو للإمام أبي حنيفة قبل أبويه، وقال: كان الإمام يدعو لحماد قبل أبويه)^(٢).

** قال علي بن إشكاب^(٣): سمعت أبي، يقول: سمعت أبا يوسف، يقول: (يا قوم أريدوا بفعلكم الله، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أغلّوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أغلّوهم إلا لم أقم حتى أفتضح)^(٤).

وقال القاسم بن زُرَيْق: (كان أبو يوسف صغير الجثة، يكاد يغرق في فراشه، فأخذ في الكلام، فتحيّرتُ وقلت: لو شاء الله أن يجعل العلم في جوف طير لفعل)^(٥).

وعن بشر بن الوليد قال: (كان عيالي يدخلون على عيال أبي يوسف، فحكّت امرأته القديمة أن أبا يوسف كان لا يغيّب عن مجلس الإمام ليلاً ولا نهاراً إلا في بعض الليالي، فذهبتُ إلى الإمام، وشكيتُ من الإقلال، قالت: فوعظني، وقال: إنما هي أيام قلائل وستفتح الدنيا لكم أضعاف

(١) الإرشاد للخليلي ٥٧٠/٢، ومن طريق آخر في: أخبار القضاة ٢٥٨/٣، والانتقاء، ص ٣٣١.

(٢) مفتاح السعادة ٢٦١/٢، وحماد هو ابن أبي سليمان، شيخ الإمام أبي حنيفة.

(٣) هو علي بن الحسين بن إبراهيم، وهو أبوه من رجال التهذيب، وإشكاب لقب أبيه الحسين، وقد لزم الحسين أبا يوسف القاضي.

(٤) أخبار القضاة ٢٥٨/٣.

(٥) مفتاح السعادة ٢١٣/٢.

ما ترجونه، فلم تمرّ الأيام حتى فتحت. فسألتُ أبا يوسف عن مقدار ما يملك، فقال: لا أعرف الجميع، إنما أعرف أن لي سبعمئة بغلٍ ركابهنّ من ذهب، وثلاثمئة فرس^(١).

وقال الذهبي: (كان أبو يوسف مع سعة علمه أحد الأجواد الأسخياء)^(٢).

ونقل الحافظ عبد القادر القرشي عن «كتاب اللؤلؤيات» لأبي مطيع النّسفي: (أنّ أبا يوسف القاضي أوصى بمئة ألف لأهل مكة، ومئة ألف لأهل المدينة، ومئة ألف لأهل الكوفة، ومئة ألف لأهل بغداد)^(٣).

من أقواله وحكمه ونصائحه:

- قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف، يقول: (من طلب غرائب الحديث كُذّب، ومن طلب المال بالكيمااء افتقر، ومن طلب الدين بالكلام تزندق)^(٤).

قال ابن كثير: (كلامه هذا ينبغي كتابته بماء الذهب)^(٥).

- وقال الذهبي: (وما أنبل قوله الذي رواه جماعة عن بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف يقول: العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم)^(٦).

(١) مفتاح السعادة ٢١٣/٢.

(٢) العبر ٢٢٠/١.

(٣) الجواهر المضية ٦١٣/٣، ونقله أيضاً ابن قطلوبغا في تاج التراجم، ص ٣١٦.

(٤) الكامل ١٤٥/٧، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨، مختصر العلو، ص ١٥٤، وفي أخبار القضاة ٢٥٨/٣

من طريق آخر، وانظر رواية أخرى في تاريخ بغداد ٢٥٣/١٤.

(٥) البداية والنهاية ١٨٠/١٠.

(٦) سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٨، وانظر: أخبار القضاة ٢٥٨/٣.



- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: سمعت أبا يوسف القاضي، يقول: (رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها. فأعجبني ذلك)^(١).

- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: أخبرني أبي، قال: سمعت أبا يوسف القاضي، يقول: (صحة من لا يخشى العارَ عارَ يوم القيامة)^(٢).

- وقال علي بن الجعد: سمعت قاضي القضاة أبا يوسف، يقول: (العلمُ شيءٌ لا يُعطيك بعضه حتى تعطيه كُلك، وأنت إذا أعطيته كُلك من إعطائه البعض على غَرر)^(٣).

مع الخلفاء:

** قال ابن عبد البر: (كان أبو يوسف قاضي القضاة، قضى لثلاثة من الخلفاء، ولي القضاة في بعض أيام المهدي، ثم للهادي، ثم للرشيد، وكان الرشيد يُكرمه ويُجله، وكان عنده حظياً مكيناً)^(٤).

وقال بكار بن قتيبة: سمعت أبا الوليد، قال: (لما قدم أبو يوسف البصرة مع الرشيد، اجتمع الفقهاء والمحدثون على بابه، فأشرف عليهم وقال: أنا من الفريقين جميعاً، ولا أقدم فرقة على فرقة. قال: وكان قاضي الآفاق، ووزير الرشيد، وزميله في حجه)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٢٤٨/١٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢٤٨/١٤، وفيات الأعيان ٣٨٣/٦.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٩/١٤، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ١٥٧٠، المنتظم ٧٤/٩.

(٤) الانتقاء، ص ٣٣١. وقاله غير واحد، انظر: وفيات الأعيان ٣٧٩/٦، الجواهر المضية ٦١٢/٣.

تاج التراجم، ص ٣١٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٨.

وذكر عباس الدُّوري: (أن أبا يوسف كلّم الخليفة في أرزاق الأنصار، فأجرى عليهم، وكان هو منهم)^(١).

** وفي «مفتاح السعادة»: (كانت لأبي يوسف عند الرشيد منزلةً رفيعةً، بحيث يَبْلُغُ دار الخلافة راكباً بغلته، فيُرفَعُ له السُّتْرُ، فيدخل كما هو راكباً، والرشيد يبدؤه بالسلام. حتى رَدَّ شهادة بعض قَوّاده، فشكاه، فسأله الرشيد، فقال: سمعته يقول: أنا عبدُ الخليفة، فإن كان صادقاً فلا شهادة له، وإن كان كاذباً فشهادته مردودة! قيل: قال الخليفة له: إن أنا شهدتُ أمراً، هل تقبلها منِّي؟ قال: لا، فسأل عن ذلك، قال: لأنك تنكر على الحق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين، فبنى الرشيد مسجداً في داره، وأذن للعامّة في الصلاة في مسجده، فحضر بعد ذلك الصلاة معهم)^(٢).

(ويروى أن الرشيد حَلَفَ بالطلاق ثلاثاً إن باتت زوجته زُبَيْدَةَ في مَلِكِهِ، وَنَدِمَ وَتَحَيَّرَ، فَقَالَ: إِنَّ هَاهُنَا فَتَى مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ، مِنْهُ يُرْجَى الْمَخْرَجُ، فَدَعَاهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اسْتَعْمَلْ حَقَّ الْعِلْمِ، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: أَنْتَ عَلَى السَّرِيرِ وَأَنَا قَائِمٌ! فَوُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ وَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: تَبَيْتُ^(٣) اللَّيْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا يَدٌ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، فَوَلَّاهُ الرَّشِيدُ قِضَاءَ الْقِضَاةِ)^(٤).

وقال محمد بن سَعْدَانَ: حدثنا أبو سُلَيْمَانَ الْجَوْزْجَانِي، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ يَقُولُ: (دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَفِي يَدِهِ ذُرَّتَانِ يُقَلَّبُهُمَا، فَقَالَ: هَلْ

(١) مفتاح السعادة ٢١٥/٢.

(٢) مفتاح السعادة ٢١٦/٢.

(٣) أي زوجته زبيدة.

(٤) مفتاح السعادة ٢١٤/٢، وللخبر تنمة.

رأيت أحسنَ منهما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: وما هو؟ قلتُ: الوعاء الذي هما فيه، فرمى بهما إليَّ، وقال: شأنك بهما^(١).

** وقد ساق الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في ترجمة أبي يوسف بعض الأخبار الواهية والأفاصيص التالفة، التي تُظهِر هذا الإمام بأنه مفتٍ ماجنٌ، وقاضٍ جائزٌ، يتلاعبُ بالأحكام لإرضاء الحكام وحاشيتهم، لينالَ بذلك دنيا وجوائز، من ذلك (أقصوصة احتيال أبي يوسف للرشيد، ليجمعَ بينه وبين جارية أبي صاحبها بيعها، لكونه حَلَفَ أغلظَ حلفٍ فيما سبق بالطلاق والعَتَاق وصدقة ما يملكه أنه لا يبيعها ولا يهبها، والرشيد حَلَفَ أن يقتله إذا لم يفعل، فأفتى ببيع نصفها، وهبة النصف الآخر، ونال أبو يوسف من ذلك دنيا طائلة)^(٢).

وسَوِّدَ بها صفحتين من تاريخه^(٣)، وقد نقد العلامة محمد زاهد الكوثري هذه الأسطورة، فبين أن في سندها «محمد بن أبي الأزهر مزِيد» الذي قال عنه الخطيب نفسه: (وكان غيرَ ثقةٍ، يَضَعُ الأحاديثَ على الثَّقَاتِ)، ونَقَلَ في آخر ترجمته أنه (كان كذاباً قبيحَ الكذبِ ظاهرةً)^(٤).

وشيخ ابن أبي الأزهر، هو حماد بن إسحاق الموصلي، راوي الأسطورة عن أبيه في سند الخطيب، وهو وأبوه من المغنِّين المشاهير من رجال «الأغاني»، فيكون هو وأبوه من رجال الأسمار، لا ممن يُحتجُّ بهم في تراجم الأئمة الكبار^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٨، تاريخ الإسلام، ص ٥٠٣، النجوم الزاهرة ١٣٨/٢.

(٢) تانيب الخطيب، ص ٣٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٩/١٤ - ٢٥١، ونقلها عنه: ابن الجوزي في المنتظم ٧٧/٩ - ٧٩، وابن خلكان في

وفيات الأعيان ٣٨٤/٦ - ٣٨٦، والياضي في مرآة الجنان ٣٨٤/١ - ٣٨٦.

(٤) تاريخ بغداد ٢٨٨/٣، ٢٩١.

(٥) تانيب الخطيب، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

والحق أن أبا يوسف كان قَوَّالاً بالحق، صدَّاعاً به، جريئاً لا يخاف في الله لومة لائم، ومواقفه في القضاء - كما سيأتي - تؤكِّد ذلك، وما يظهر بجلاء في كتابه «الخراج» أنه لم يكن يُحابي أحداً في بيان الحق، وحسبُك أن تقرأ مقدمته التي يقول فيها للرشيد:

(يا أمير المؤمنين، إنَّ الله - وله الحمدُ - قد قلَّدك أمراً عظيماً، ثوابه أعظمُ الثواب، وعقابه أشدُّ العقاب، قلَّدك أمرَ هذه الأمة فأصبحتَ وأمسيَتَ وأنت تبني لخلقٍ كثيرٍ قد استرعاكهم الله، وائتمنَكَ عليهم، وابتلاكَ بهم، وولَّك أمرهم، وليس يلبثُ البُنيان إذا أُسِّس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد، فيهدمه على مَنْ بناه وأعانَ عليه، فلا تُضيعنَّ ما قلَّدك الله من أمر هذه الأمة والرَّعية، فإن القوة في العمل بإذن الله.

لا تؤخِّر عملَ اليوم إلى غدٍ، فإنك إذا فعلتَ ذلك أضعتَ، إنَّ الأجلَ دونَ الأمل، فبادِر الأجلَ بالعمل، فإنه لا عملَ بعد الأجل. إن الرُّعاة مؤدُّونَ إلى ربِّهم ما يؤدِّي الراعي إلى ربِّه، فأقمِ الحقَّ فيما ولَّك الله وقلَّدك ولو ساعةً من نهار، فإن أسعدَ الرُّعاة عند الله يومَ القيامة راعٍ سعِدت به رعيتُه، ولا تزغُ فتزيغَ رعيتُك. وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب، وإذا نظرتَ إلى أمرين أحدهما للأخرة والآخر للدينا، فاخترِ أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفتنى. وكُنْ من خشية الله على حَذَر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواءً القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم. واحذِر فإن الحَذَر بالقلب وليس باللسان، واتقِ الله فإنما التقوى بالتوقِّي، ومن يتقِ الله يقه.

واعمل لأجلِ مفضوضٍ، وسبيلِ مسلوِكٍ، وطريقِ مأخوذٍ، وعملٍ محفوظٍ، ومنهلِ مَورودٍ، فإن ذلك الموردُ الحقُّ، والموقفُ الأعظمُ،

الذي تطيرُ فيه القلوب، وتنقطع فيه الحُجج، لعزّة ملكٍ قهرهُم جبروتُه، والخلقُ له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته، وكان ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذٍ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يومٌ تزلُّ فيه الأقدام، وتتغيّر فيه الألوان، ويطولُ فيه القيام، ويشتدُّ فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأُولَىٰ﴾ [المرسلات: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الاحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

فيا لها من عشرة لا تُقال، ويا لها من ندامة لا تُنفع، إنما هو اختلاف الليل والنهار: يُبليان كلَّ جديد، ويُقرِّبان كلَّ بعيد، ويأتیان بكلِّ موعود، ويجزي الله كلَّ نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب. فالله الله فإن البقاء قليلٌ، والخطبُ خطيرٌ، والدينا هالكةٌ وهالكٌ من فيها، والآخرة هي دار القرار، فلا تَلقَ الله غداً وأنت سالكٌ سبيلَ المعتدين، فإن ديان يوم الدين إنما يدينُ العبادَ بأعمالهم ولا يدينُهُم بمنزلهم. وقد حَدَرَكَ اللهُ فاحذَرُ، فإنك لم تُخلق عَبثاً، ولن تُترك سُدىً، وإن الله سائِلُكَ عمّا أنت فيه وعمّا عملتَ به، فانظُرْ ما الجواب.

واعلم أنه لن تزولَ غداً قَدماً عبدٍ بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة، فقد قال ﷺ: «لا تزول قَدماً عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن عُمره فيمَ أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقهُ، وعن جسده فيمَ أبلاه»، فاعذُذْ يا أمير المؤمنين للمسألة

جوابها، فإن ما عملت فأثبت فهو عليك غداً يُقرأ، فاذا كُز كشف فناعك فيما بينك وبين الله في مَجْمَعِ الأَشْهَادِ.

وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك الله، وألا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فإنك إن لا تفعل تتوَعَّرَ عليك سهولة الهدى، وتَعَمَى عليك عينك وتتَعَفَى رسومهُ، ويَضيق عليك رَحْبُهُ، وتُنكِر منه ما تَعْرِف، وتَعْرِف منه ما تُنكر فخاصِم نفسك خصومة مَنْ يريدُ الفُلُج^(١) لها لا عليها، فإن الراعي المضيِع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه، وإن تَشَاغَلَ بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضرّ، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووقاه الله أضعاف ما وقى له. فاحذَر أن تُضيِع رعيته فيستوفي رُبها حقها منك، ويضيِعك - بما أضعت - أجرك، وإنما يُدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيما ولأك الله أمره، وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولأك الله أمره، فليست تُنسى، ولا تغفل عنهم وعمّا يُصلحهم فليس يُغفل عنك.

ولا يضيِع حظك من هذه الدنيا في هذه الأيام والليالي كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً، والصلاة على رسوله ﷺ نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ.

وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم، ويبين ما اشتبه

(١) الفُلُج: الظفر والفؤز، وقد قَلَج الرجل على خصمه يَفْلُج فُلْجاً. وفي المثل: مَنْ يَأْتِ الحَكَمَ وَخَذَهُ يَفْلُج.

من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاة الأمر: إقامة الحدود، وردُّ الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين، وإحياء السُّنن التي سنَّها القوم الصالحون أعظم موقِعاً، فإن إحياء السُّنن من الخير الذي يحيا ولا يموت. وجورُ الراعي هلاكٌ للرعية، واستعانتة بغير أهل الثقة والخير هلاكٌ للعامة. فاستبتمَّ ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتَّمسُّ الزيادة فيها بالشكر عليها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد كتبتُ لك ما أمرتُ به، وشرحتُه لك وبَيَّنتُه، فَتَفَقَّهْهُ وتَدَبَّرْهُ وَرَدِّدْ قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدتُ لك في ذلك، ولم ألك والمسلمين نُصْحاً، ابتغاءً وجهِ الله وثوابه وخوفِ عقابه^(١).

وإنما أطلتُ في نقل هذا الكلام ليستبين وجه الحق في قوة نفس الإمام أبي يوسف، وجرأته ومناصحته وقيامه بالحق، ثم بعد ذلك في هذا النص ما يدل على فصاحته وبلاغته وعلوِّ بيانه.

عقيدته:

** قال قتيبة بن سعيد: سمعت أبا يوسف، يقول: (الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)^(٢).

وقال بشار بن موسى الخفاف: (جاء بشر بن الوليد الكِندي إلى القاضي أبي يوسف، فقال له: تنهاني عن الكلام، وبشر المرئسي وعلي الأحول يتكلمون؟! قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: الله في كل مكان، فقال

(١) مقدمة كتاب الخراج: ص ٣ - ٦.

(٢) الفتاوى ٦٤٥/٧.

أبو يوسف: عليّ بهم، فانتهوا إليهم وقد قام بِشْر، فجيء بعلي الأحول وبالآخر شيخ، فقال أبو يوسف - ونظر إلى الشيخ -: لولا أن فيك موضع أدب لأوجعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرَب الأحول وطَوّف به^(١).

وقال أحمد بن حنبل: (كنت في مجلس أبي يوسف القاضي، حين أمر بِبِشْرِ المَرِيْسِيِّ، فَجَرَّ بِرِجْلِهِ فَأُخْرِجَ، ثم رأيتُه بعد ذلك في المجلس، فقيل له: على ما فعل بك رجعت إلى المجلس؟! فقال: لستُ أَضِيْعُ حَظِّي من العلم لِمَا فَعَلَ بي بالأمس)^(٢).

وقال محمد بن إَشْكَاب^(٣): سمعت أبي يقول: (سمعت أبا يوسف، وذكُر بِبِشْرِ المَرِيْسِيِّ، فقال: جيئُونِي بشاهدين يشهدان أنه تكلم في القرآن، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسَّيَاطِ)^(٤).

وقال محمد بن إَشْكَاب: حدَّثني أبي والهيثم بن خارِجَة، قالَا: سمعنا أبا يوسف، يقول: (بخراسان صِنْفَان ما على الأرض شرٌّ منهما: المُقاتلية والجهميّة)^(٥).

وقال أبو يوسف: (أَعْلَى ما يكون بالكلام أَجْهَلُ ما يكون بالله عَلَى)^(٦).

** قال محمد بن شُجَاع: سمعت الحسن بن أبي مالك، سمعت أبا يوسف يقول: (القرآنُ كلامُ الله، مَنْ قال: كيف، ولم؟ تعاظى وراءَ ومُجادلةٌ

(١) مختصر العلو، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) الجواهر المضية ٦١٣/٣.

(٣) هو محمد بن الحسين بن إبراهيم، وإشكاب لقب أبيه، وهو وأبوه من رجال التهذيب، وكذا أخوه علي المتقدم ذكره ص ٥٤٨ حاشية (٢).

(٤) أخبار القضاة ٢٥٧/٣.

(٥) أخبار القضاة ٢٥٨/٣.

(٦) الجواهر المضية ٦٧٥/٢.

استوجبت الحبس والضرب المُبَرَّح. ولا يُفْلِحُ مَنْ اسْتَحْلَى شَيْئاً مِنْ
الكلام. ولا يُصَلِّيَ خَلْفَ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ^(١).

وقال أبو يوسف: (ناظرْتُ أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا على أن
من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر)^(٢).

وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف، يقول: (مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ
مَخْلُوقٌ، فَحَرَامٌ كَلَامُهُ، وَفَرَضُ مُبَايَنَتِهِ)^(٣).

علمه:

بَكَرَ أَبُو يَوْسُفَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ، وَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ
وَالْحَاجَةِ وَالطَّعَامِ الْخَشِنِ، وَلَا زَمَ فِقِيهِي الْعَصْرِ ابْنَ أَبِي لَيْلَى وَأَبَا حَنِيفَةَ،
وَكَانَتْ مَلَاذِمَتُهُ لِأَبِي حَنِيفَةَ أُنْثَى وَأَطْوَلَ، فَصَحِبَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَا فَاتَتْهُ
صَلَاةُ الْغَدَاةِ مَعَهُ، وَلَا فَارَقَتْهُ فِي فِطْرٍ وَلَا أَضْحَى، وَبَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنَّهُ تَوَفَّى
ابْنَ لَهُ فَمَا حَضَرَ جَنَازَتَهُ خَشْيَةً أَنْ يَفُوتَهُ مَجْلِسُهُ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى تَخْرُجَ بِهِ
فَكَانَ أَنْبَلَ تَلَامِذَتِهِ، وَأَرْفَعَهُمْ مَنْزِلَةً، وَأَعْلَاهُمْ شَأْنًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا.

كما أخذ الحديث والآثار عن أئمة الرواية في عصره كيعقوب بن سعيد
الأنصاري، وهشام بن عروة، والأعمش، وسليمان التيمي، وعبيد الله
العمري، والليث بن سعد، وغيرهم، فحمل عنهم حديثاً كثيراً. وكان ذا
حافظة متينة وذاكرة شابة، فيحفظ في المجلس الواحد خمسين أو ستين
حديثاً، ثم يقوم فيملئها.

(١) تاريخ الإسلام، ص ٥٠٢، سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٨.

(٢) مختصر العلو، ص ١٥٥.

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٣/١٤، مختصر العلو، ص ١٥٧.

ووجّه همته العالية إلى المغازي والسّير وأيام الناس، فأخذها عن إمام المغازي غير مُدافع محمد بن إسحاق. وجالس النُّحاة فأخذ عنهم العربية.

وأضحى أبو يوسف واحداً من علماء الأمة وأئمة الإسلام، جمع الحديث والفقه وأصوله والمغازي والسير، وكان مبرزاً في كل ذلك.

قال هلال بن يحيى المعروف بهلال الرأي: (كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقلّ علومه الفقه)^(١).

فأما الفقه فالإليه المنتهى فيه، فهو حامل لواء مذهب أبي حنيفة، وناشر علمه في الآفاق، وواضع أصول فقه المذهب، وقد خالف شيخه في مسائل كثيرة متابعة للنص والأقوى فيما يراه، ويكفي للدلالة على ذلك مطالعة كتابه «اختلاف ابن أبي ليلى وأبي حنيفة»، وكتابه «الرد على سِير الأوزاعي»، للوقوف على بروز الإمام في هذا الباب.

كما كان أبو يوسف قاضي الخلفاء الثلاثة: المهدي والهادي والرشيد، بل أصبح في عهد الرشيد قاضي القضاة، وسُمّي بقاضي قضاة الدنيا، وهي منزلة ليس وراءها منزلة، ولم يتبوأها على مرّ التاريخ إلا القلة النادرة.

وأما في الحديث فقد كان إماماً فيه حافظاً له، وقد ترجم له الأئمة الذين صَنَّفوا في «تراجم الحفاظ»، ومن أطلع على مسنده وكتاب الخراج له، وغيرهما، عَلِمَ منزلة الرجل في الحديث وكثرة محفوظه له، وسعة اطلاعه ومروياته.

(١) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٤ - ٢٤٧، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨.

وقد تحامى أصحاب الصَّحاح والسُّنن والمسانيد إخراج حديثه، فلا تكاد تجد له حديثاً عندهم، وكذلك محمد بن الحسن، وهما البحران الزاخران والعلمان الكبيران، وذلك للجفوة التي كانت بين المحدثين وأئمة الفقه - وبخاصة أهل الرأي - ممن كانوا يستنبطون الأحكام ويفرّعون ويؤصّلون، بخلاف رواة الآثار. ولعمرُ الحق ما أنصفوا في ذلك، رحم الله الجميع، وجزاهم عن خدمة السُّنة وفقهها خير الجزاء.

وحسبُك أن تعلم أنه قد جلس في حلقة أبي يوسف، وروى عنه السنن والآثار أئمة جِلَّة، كالإمام أحمد بن حنبل، وابن معين، وأحمد بن منيع، وعمرو والناقد، وأضرابهم.

طلبه العلم:

• قال الذهبي: (وُلد أبو يوسف بالكوفة سنة ثلاث عشرة ومئة، وطلب العلم سنة ثلاث وثلاثين)^(١).

وقال في موضع آخر: (نشأ في طلب العلم، وكان أبوه فقيراً، فكان أبو حنيفة يتعاهد يعقوب بمئة بعد مئة)^(٢).

وقال إبراهيم بن الجراح: سمعت أبا يوسف، يقول: (لقد طلبنا هذا العلم، وطلبه معنا من لا نُحصيه كثرةً، فما انتفع به منا إلا من دبغ اللبّن قلبه، وذلك أن أبا العباس لما أفضى إليه الأمر بعث إلى المدينة فأقدم إليه عامة من كان فيها من أهل العلم، فكان أهلنا يُعدّون لنا خبزاً يُلطّخونه لنا باللّبّن، فنغدوا في طلب العلم، ثم نرجع إلى ذلك فنأكله، فأما من كان

(١) تاريخ الإسلام، ص ٤٩٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢٩٣.

يَنْتَظِرُ أَنْ تُصْنَعَ لَهُ هَرَيْسَةٌ أَوْ عَصِيدَةٌ فَكَانَ ذَلِكَ يَشْغَلُهُ، حَتَّى يَفُوتَهُ كُلُّ مَا كُنَّا نَحْنُ نَدْرِكُهُ (١).

•• قال بشر بن غياث: سمعت أبا يوسف، يقول: (صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة) (٢).

وقال أبو يوسف: (لَزِمْتُ أبا حنيفة فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء) (٣).

وروى محمد بن قدامة قال: سمعت شجاع بن مخلد، قال: سمعت أبا يوسف، يقول: (مات ابن لي، فلم أخضِرْ جهازَه ولا دَفَنَه، وتركتُه على جيرانى وأقربائى، مخافة أن يفوتنى من أبى حنيفة شيءٌ لا تذهبُ حسرتُه عني) (٤).

وقال عُمر بن حماد: سمعت أبا يوسف، يقول: (ما كان في الدنيا أحبُّ إليَّ من مجلسٍ أجلسه مع أبي حنيفة وابن أبي ليلى، فإنى ما رأيت فقيهاً أفقه من أبي حنيفة، ولا قاضياً خيراً من ابن أبي ليلى) (٥).

•• قال ابن سعد والطبري: (كان أبو يوسف يحضِرُ مجلسَ المحدث فيحفظُ خمسين وستين حديثاً، ثم يقوم فيمليها على الناس) (٦).

وقال عُمر بن حفص بن غياث: سمعت أبي، يقول: (كان الحجاج بن

(١) جامع بيان العلم ١١٧/١.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٢/١٤، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٥/١٤.

(٤) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ٤٧٢/١.

(٥) تاريخ بغداد ٢٤٥/١٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧، الانتقاء، ص ٣٣٠.

أَرْطَاة لَا يُمْلِي عَلَيْنَا، وَكَانَ يَعْقُوبُ أَبُو يَوْسُفَ يَسْأَلُهُ، فَإِذَا قَامَ الْحِجَابُ، قَامَ النَّاسُ إِلَى يَعْقُوبَ فَأَمْلَى عَلَيْهِمْ عَن ظَهْرِ قَلْبٍ. قَالَ حَفْصُ: وَكُنْتُ أَنَا لَا أَكْتُبُ إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَلْوَاحِي^(١).

وقال أحمد بن داود الخُدَّاني: (سمعت عيسى بن يونس وسئل عن أبي يوسف، فقال: يعقوب؟ كان يحفظ الحديث عند الأعمش)^(٢).

** قال أبو يوسف: (أخذتُ الفرائضَ ومسائلَ الحيضِ عن الإمامِ في مجلس، والنحوَ عن رجلٍ حاذقٍ في مجلس)^(٣).

وقال علي بن الجَعْد: سمعت أبا يوسف، يقول: (قال لي يحيى بن خالد: كلُّ شيءٍ تُحسِنَ غيرَ مجالسةِ الملوكِ، فإنه لا عِلْمَ لك بأيامِ الناسِ. قال: فجلستُ في البيتِ شهرًا، ونظرتُ في أيامِ الناسِ، فحفظتُ أمرًا عظيمًا، ثم أتيتُ يحيى بنَ خالدٍ، فتذاكرنا، فقال لي: كأنك لا تُحسِنُ شيئًا إلا هذا، أكنتَ تسترُه؟!)^(٤).

المحدث:

روى عن:

أَبَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ، وَالْأَخْوَصُ بْنُ حَكِيمٍ، وَإِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهَاجِرِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَأَشْعَثُ بْنُ سَوَّارٍ، وَأَيُّوبُ بْنُ عُتْبَةَ، وَثَابِتُ بْنُ أَبِي

(١) أخبار القضاة ٢٥٥/٣.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٨/١٤.

(٣) مفتاح السعادة ٢١٥/٢.

(٤) أخبار القضاة ٢٦٣/٣.

حَمْزَةُ الثُّمَالِيِّ^(١)، وَحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ، وَحَرِيْزُ بْنُ عَثْمَانَ، وَالْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ، وَحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢)، وَحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَدَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، وَالسَّرِيِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَزْرُوبَةَ، وَسَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، وَسُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، وَطَارِقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَجَلِيِّ، وَعَاصِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَحُولِ، وَأَبِي أَيُّوبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ الْإِفْرِيقِيِّ الْكُوفِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَاقدِ الْحَنْفِيِّ الْهَرَوِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْمُزْنِيِّ^(٣)، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثُوْبَانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَسْعُودِيِّ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مُحَمَّدِ الْجُرْجَانِيِّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ جُرَيْجٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سَلِيْمَانَ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ الْعَمْرِي، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، وَفَطْرُ بْنُ خَلِيفَةَ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ، وَاللَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَلَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، وَمَالِكُ بْنُ مِغُولٍ، وَمُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَأَبِي مَعَاوِيَةَ مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرُو بْنِ عَلْقَمَةَ، وَمِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ، وَمُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَمُغْبِرَةُ بْنُ مِقْسَمٍ، وَمَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ، وَهَشَامُ بْنُ سَعْدِ الْمَدْنِيِّ، وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي أَنْيْسَةَ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَيزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، وَأَبِي حَنِيْفَةَ الثُّعْمَانَ، وَأَبِي مَعْشَرَ السُّنْدِيِّ، وَغَيْرَهُمْ كَثِيرٌ.

(١) فِي الْخِرَاجِ، ص ٥٣: (اليماني)، تصحيف.

(٢) وَهُوَ أَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ كَمَا فِي تَذْكَرَةِ الْحِفَافِ ٢٩٣/١.

(٣) أَثْبَتَهُ مُحَقِّقُ «الْخِرَاجِ» ص ٤٩، ٦٢: (المدني)، وَقَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: فِي مَخْطُوطَةِ التَّيْمُورِيَّةِ:

(الْمَزْنِيِّ)، انْتَهَى. قُلْتُ: وَمَا أَثْبَتَهُ فِي الْحَاشِيَةِ هُوَ الصَّوَابُ.

وحدَّث عنه:

ابنُه يوسف، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن أبي طَيِّبَة، وأحمد بن مَنِيع، وإبراهيم بن الجُرَّاح التَّميمي القاضي، وإبراهيم بن محمد بن عَوَّاد الجُرَّجَانِي، وأسد بن الفرات، وبِشْر بن أبي الأزهر يزيد النُّيسَابُوري، وبِشْر بن الوليد الكِنْدِي، والحسن بن شبيب، وأبو بِشْر حَيَّان بن بِشْر بن المُخَارِق الأَسَدِي، وعبد الله بن بِشْر الطَّيَالِسي المُلَقَّب عبدوس، وعلي بن الجَعْد، وعلي بن حَزْمَلَة التَّميمي الكوفي، وعلي بن المَدِيني، وعلي بن مسلم الطُّوسِي، وعَمْرُو بن محمد النَّاقِد، ومحمد بن الحَسَن الشُّبَّانِي، ومحمد بن خالد الحَنْظَلِي الرَّازِي، ومحمد بن سِمَاعَة التَّميمي الكوفي، ومحمد بن عَوَّاد بن راشد الجُرَّجَانِي، ومُعَلَّى بن منصور، ويحيى بن معين، وخلق سواهم^(١).

وليس له رواية في واحد من الكتب الستة^(٢).

** قال الخطيب البغدادي في ترجمة أبي يوسف من «السابق واللاحق»: (حدَّث عنه أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وعلي بن مسلم الطُّوسِي، وبين وفاتيهما مئة وثلاث سنين، وقيل: وستان. وحدَّث عن أبي يوسف الليث بن سَعْد، وبين وفاته ووفاة علي ثمان وسبعون سنة)^(٣).

تجاهي أصحاب الكتب الستة وغيرهم عن إخراج حديثه:

قال ابن عبد البر: قال محمد بن جرير الطبري: (وتَحَايَى حديثه قومٌ

(١) استخرجت أسماء شيوخه وتلاميذه من: الخراج لأبي يوسف، والجرح والتعديل، وتاريخ جرجان، وتاريخ بغداد، وسير أعلام النبلاء، والجواهر المضية.

(٢) وقع في طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤٢١/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢٩٢/١ الرمز (ع)، أي أخرج له الستة، وهو خطأ محض، لا أظنه إلا من النسخ.

(٣) السابق واللاحق، ص ٣٧٥.

من أهل الحديث، من أجل غلبة الرأي عليه، وتفريعه الفروع والمسائل في الأحكام، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء^(١).

وقال العلامة جمال الدين القاسمي: (وقد تجافى أربابُ الصّحاح الروايةَ عن أهل الرأي، فلا تكادُ تجد اسماً لهم في سَنَد من كتب الصّحاح أو المسانيد أو السنن، كالإمام أبي يوسف والإمام محمد بن الحسن، فقد لِيَنهما أهلُ الحديث، كما ترى في «مِيزان الاعتدال» ولعمري لم ينصفوهما، وهما البحران الزاخران، وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما، بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ، وناهيك كتاب «الخراج» لأبي يوسف، و«موطأ الإمام محمد». وإن كنتُ أعُدُّ ذلك في البعض تعصباً، إذا يرى المُنصِفُ عند هذا البعض من العلم والفِقه، ما يَجْدُرُ أن يُتَحَمَّلَ عنه، ويُستفادَ من عقله وعلمه، ولكن لكل دولةٍ من دول العلم سلطَةٌ وعُصْبَةٌ ذاتُ عَصَبِيَّةٍ، تسعى في القضاء على من لا يوافقها ولا يُقلِّدها في جميع مآتيها، وتستعمل في سبيل ذلك كل ما قُدِّرَ لها من مَسْتَطَاعِها، كما عرف ذلك مَنْ سَبَرَ طبقاتِ دول العلم، ومظاهر ما أُوتِيَتْهُ من سلطانٍ وقوة.

ولقد وُجد لبعض المحدثين تراجمٌ لأئمة أهل الرأي، يَخجلُ المرء من قراءتها، فضلاً عن تدوينها، وما السببُ إلا تخالفُ المشرب، على توهم التخالف، ورَفْضُ النظر في المآخذ والمدارك، التي قد يكون معهم الحقُّ في الذهاب إليها، فإنَّ الحقَّ يستحيلُ أن يكون وَفْقاً على فئةٍ معينة دون غيرها، والمُنصِفُ من دَقَّق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم بعدُ.

(١) الانتقاء، ص ٣٣١، وفيات الأعيان ٣٧٩/٦.

نعم كان وَلَغَ جامعي السُّنَّةِ بمن طَوَّفَ البلاد، واشتهر بالحفظ والتخصُّصِ بعلم السُّنَّةِ وجمعها، وعلماء الرأي لم يَشْتَهروا بذلك، وقد أُشِيعَ عنهم أنهم يُحَكِّمُونَ الرَّأْيَ فِي الأَثَرِ، وإن كان لهم مرويات مسندةٌ معروفة، رضي الله عن الجميع، وحشرنا وإياهم مع الذين أنعم الله عليهم^(١).

وقال أبو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: (رَحِمَ اللهُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، بَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي قَلْبِهِ غُصَصٌ مِنْ أَحَادِيثَ ظَهَرَتْ عَنِ الْمُعَلِّيِّ بْنِ مَنْصُورٍ، كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَكَانَ الْمُعَلِّيُّ أَشْبَهَ الْقَوْمِ - يَعْنِي أَصْحَابَ الرَّأْيِ - بِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ طَلَّابَةً لِلْعِلْمِ، وَرَحَلَ وَغْنِي بِهِ، فَتَصَبَّرَ أَحْمَدُ عَنْ تِلْكَ الأحَادِيثِ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ حَرْفًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ وَعَامَّةُ أَصْحَابِنَا فَسَمِعُوا مِنْهُ، الْمُعَلِّيُّ صَدُوقٌ)^(٢).

فاقرأ واعجب! والأمر ليس بحاجةٍ إلى مزيد بيانٍ وإيرادِ أدلةٍ وأخبار، فهو أمرٌ مُتَعَالَمٌ مشهور.

الفقيه:

تتلمذ أبو يوسف على اثنين من كبار فقهاء الإسلام هما ابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فنَبَغَ فِي الفقه وساد، وكان أنبلَ تلامذة أبي حنيفة، ولم يتقيد بكل أقوال إمامه، بل وافقه وخالفه، وأصبح مجتهداً مُطْلَقاً، صاحبَ ملكة كاملة في الفقه ودقة النظر والتمكُّن من الاستنباط المستقل للأحكام من أدلتها، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والثوري وأضرابهم، كما قرر ذلك وأبَّانَه العالم شهاب الدين بن بهاء الدين

(١) الجرح والتعديل: ص ٢٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/١٨٩. والمعلى: ثقة مأمون فقيه، حديثه في الكتب الستة.

المرجاني - المتوفى سنة ١٣٠٦هـ - في كتابه «ناظورة الحق»، ونقله عنه محمد زاهد الكوثري في كتابه «حسن القاضي».

وملاً أبو يوسف بفقهه الخافقين، وأقبل عليه الناس من الآفاق، وتخرج بمدرسته جمع جم وأئمة كبار وفقهاء عظام، حتى إن شيخه الأعمش - وهو هو - قد سأله عن فقه حديث وتعجب من إجابته، ومن تأمل كتب «طبقات الحنفية» وتراجم رجالهم يعجب من كثرة الآخذين عن أبي يوسف والمتفقهين به.

قال ابن عبد البر في ترجمته من «الانتقاء». (وكان قد جالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي، ثم جالس أبا حنيفة، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة، وكان ربما خالفه أحياناً في المسألة بعد المسألة)^(١).

وافتح الذهبي ترجمته في «السير» بقوله: (الإمام المجتهد)^(٢).

وقال العلامة محمد زاهد الكوثري: (الإمام المجتهد البالغ درجة الاجتهاد المطلق، شيخ كثير من المجتهدين العظماء)^(٣).

** قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: (كان أصحاب أبي حنيفة عشرة: أبو يوسف، وزُفر، وأسد بن عمرو البجلي، وعافية الأودي، وداود الطائي، والقاسم بن معن المسعودي، وعلي بن مُسهر، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وجبّان ومندل ابنا علي العنزي، ولم يكن فيهم مثل أبي يوسف وزُفر)^(٤).

(١) الانتقاء، ص ٣٣٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٣٣٥.

(٣) تأنيب الخطيب، ص ٣٣٧.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/٢٤٥.

وعن عُمر بن حماد بن أبي حنيفة، عن أبيه قال: (رأيتُ أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف، وعن يساره زُفر، وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زُفر، ولا يقول زُفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف، إلى وقت الظهر، فلما أذُن المؤذُن رفع أبو حنيفة يده فَضْرَبَ بها على فخذ زُفر وقال: لا يُطْمَع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف. قال: وَقَضَى لأبي يوسف على زُفر)^(١).

وقال الخريبي: (كان أبو يوسف قد اطلعَ الفقهَ والعلمَ اطلاعاً، يتناوله كيف شاء)^(٢).

وقال طلحة بن محمد بن جعفر: (وأبو يوسف مشهورُ الأمر، ظاهرُ الفضل، وهو صاحبُ أبي حنيفة، وأفقُه أهلِ عصره، ولم يتقدّمه أحدٌ في زمانه، وكان النهايةَ في العلم، والحُكْم، والرياسة، والقَدْر، وأولَ مَنْ وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملَى المسائل ونشرها، وبتَّ علمَ أبي حنيفة في أقطار الأرض)^(٣).

وقال يحيى بن خالد البرمكي: (قدِمَ علينا أبو يوسف وأقلُّ ما فيه الفقه، وقد ملأَ بفقهه ما بين الخافقين)^(٤).

**** قال بشر بن الوليد: سمعتُ أبا يوسف، يقول: (سألني الأعمش عن مسألة، فأجبتُه فيها، فقال لي: من أين قلتَ هذا؟ فقلت: لحديثك الذي حدّثتَناهُ أنت، ثم ذكرتُ له الحديث، فقال لي: يا يعقوبُ، إنني**

(١) تاريخ بغداد ٢٤٧/١٤، وفيات الأعيان ٣٨٣/٦.

(٢) تاريخ الإسلام، ص ٤٩٩. قوله: (اطلَع الفقه): أي عِلِمَهُ وأدْرَكَ أسرارَه.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٥/١٤ - ٢٤٦، وفيات الأعيان ٣٨٢/٦. قوله (الحكم): أي القضاء.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨، تاريخ الإسلام ٤٩٩.

لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك، فما عرفتُ تأويله حتى الآن^(١).

قال يحيى بن يحيى التميمي: سمعت أبا يوسف القاضي عند وفاته، يقول: (كلُّ ما أفتيتُ به فقد رجعتُ عنه، إلا ما وافقَ كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِ الله ﷺ). وفي لفظ: (إلا ما في القرآن واجتمع عليه المسلمون)^(٢).

ذِكْرُ طَائِفَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا الْفِقْهَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ:

١ - إبراهيم بن الجراح بن صُبَيْح التميمي الكوفي.

٢ - إبراهيم بن يوسف بن مَيْمُون الباهلي.

٣ - إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

٤ - أشرف بن محمد قاضي نيسابور.

٥ - بشر بن أبي الأزهر النيسابوري القاضي.

٦ - بشر بن الوليد الكندي.

٧ - جعفر بن يحيى بن خالد البزْمَكِيُّ.

٨ - الحسن بن زياد اللؤلؤي.

٩ - الحسن بن أبي مالك.

١٠ - الحسين بن إبراهيم بن الحُرِّ الملقَّبِ إِشْكَابَ.

١١ - الحسين بن حفص بن الفضل الأصبهاني.

(١) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٤، المنتظم ٧٥/٩، وفيات الأعيان ٣٨٢/٦.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٤/١٤، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨.



- ١٢ - حَيَّان بن بِشْر بن المُخَارِق القاضي.
- ١٣ - شعيب بن سُليمان بن سُليْم الكَيْسَانِي.
- ١٤ - علي بن الجَعْد بن عُبيد الجَوْهَرِي.
- ١٥ - محمد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيْبَانِي.
- ١٦ - محمد بن خالد الحَنْظَلِي الرَّازِي.
- ١٧ - محمد بن أبي رجاء الخُرَاسَانِي قاضي بغداد.
- ١٨ - محمد بن عبد الله بن المُثَنَّى الأنصاري.
- ١٩ - معلى بن منصور الرازي.
- ٢٠ - هشام بن عُبيد الله الرازي، وغيرهم كثير^(٣).

قاضي القضاة:

** قال ابن عبد البر: (كان أبو يوسف قاضي القضاة، قَضَى لثلاثة من الخلفاء، وُلِي القضاء في بعض أيام المهدي، ثم للهادي، ثم للرشيد)^(٤).

وقال أيضاً: (ولا أعلم قاضياً كان إليه تولية القضاة في الآفاق من الشرق إلى الغرب، إلا أبا يوسف هذا في زمانه، وأحمد بن أبي دُوَاد في زمانه)^(٥).

وكذا قال الخطيب وغير واحد أن أبا يوسف أول مَنْ دُعِيَ بقاضي القضاة في الإسلام^(٦).

(٣) استخرجت أسماء هؤلاء من «الجواهر المضية».

(٤) الانتقاء، ص ٣٣١.

(٥) الجواهر المضية ٦١٢/٣.

(٦) تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤، ٢٤٣، المنتظم ٧٢/٩، البداية والنهاية ١٨٠/١٠، النجوم الزاهرة ١٣٨/٢.

قال علي بن صالح: (استَقْضِي أبو يوسف لموسى، فكان يقضي في كل شيء)^(١).

وقال علي بن صالح أيضاً: (وكان أبو يوسف يُسافر مع الرشيد، ويوسف يقضي بمدينة السلام. والرشيد ولى أبا يوسف قضاء القضاة)^(٢).

وقال أبو حسان الزِيَادِيُّ: (وَلِي أبو يوسف القضاء سنة ست وستين - ومئة - أيام خرج موسى بن المهدي إلى جُرْجَان، فَوَلِي القضاء إلى أن مات ست عشرة سنة)^(٣).

** روى إبراهيم بن أبي عثمان، عن يحيى بن عبد الصمد قال: (حُوصِمَ موسى أمير المؤمنين إلى أبي يوسف في بستانه، فكان الحُكْمُ في الظاهر لأمر المؤمنين، وكان الأمر على خلاف ما يظهر من الحكم. فقال أمير المؤمنين لأبي يوسف: ما صنعتَ في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ قال: خَصَمْتُ أمير المؤمنين يَسْأَلُنِي أن أُحْلِفَ أمير المؤمنين أن شهودَه شهدوا على حقّ، فقال موسى: وترى ذلك؟ قال: قد كان ابن أبي ليلى يراه، قال: فازدُد البستانَ عليه. وإنما احتال عليه أبو يوسف)^(٤).

وساق ابنُ الجوزي هذا الخبرَ مطوّلاً، عن الحسن بن أبي مالك قال: (سمعت أبا يوسف يقول: وَلَيْتُ هذا الحُكْمُ)^(٥)، وانغمستُ فيه، وليس في قلبي منه شيء، وأسأل الله ألا يسألني عن جَوْرٍ ولا مِثْلٍ مِنِّي إلى أحد، إلا

(١) أخبار القضاة ٢٥٥/٣، وموسى هو ابن المهدي، الخليفة العباسي، ويعرف بالهادي.

(٢) أخبار القضاة ٢٥٦/٣. ويوسف هو ابن أبي يوسف صاحب الترجمة.

(٣) تاريخ بغداد ٢٦١/١٤ وفيات الأعيان ٣٨٨/٣.

(٤) أخبار القضاة ٢٥٤/٣ - ٢٥٥، تاريخ بغداد ٢٤٩/١٤، وفيات الأعيان ٣٨٤/٦.

(٥) أي القضاء.

يوماً واحداً؛ فإنه يقع في قلبي منه شيء، قالوا: وما هو؟ قال: جاءني رجل فقال: لي بستانٌ قد اغتصبني إياه أمير المؤمنين، فقلت: في يد مَنْ هو الآن؟ فقال: في يد أمير المؤمنين، قلت: وَمَنْ يقوم بعمارتِه ومصالحته؟ قال: أمير المؤمنين، فأخذتُ قضيتَه ودخلتُ، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ لك خصماً بالباب قد ادَّعى كَيْتَ وكَيْتَ، فقال: هذا البستان لي، اشتراه لي المهدي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ رأيتَ أن تدعو خصمك فأسمع منكما، قال: فدُعِيَ به، فأذخِل، فادَّعى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تقول فيما ادَّعى؟ قال: البستان لي وفي يدي، اشتراه لي المهدي، قلت: يا رجل، قد سمعتَ فما تشاء؟ قال: خُذْ لي يمينَه، قلت: أيحلفُ أمير المؤمنين؟ قال: لا، قلت: يا أمير المؤمنين، أعرِضْ عليك اليمينَ ثلاثاً، فإنَّ حلفتَ وإلا حكمتُ عليك، فعرِضتُ عليه اليمينَ ثلاثاً، فأبى أن يحلفَ، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد حكمتُ عليك بهذا البستان، فإنَّ رأيتَ أن تأمر بتسليمه إليه، قال: لا أسلِّم، قلت: يا رجل، تعودُ في مجلس غير هذا، فقال: افعلْ لي ما يجب أن تفعل، قلت: يا أمير المؤمنين، بالحبس يُعرِّض، فأمر به فأخرج. فقال الفضل بن الربيع: والله ما رأيتُ مجلساً قطُّ إلا وهذا أحسنُ منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ رأيتَ أن يتَمَّ حُسْنُ هذا المجلس فرُدَّ هذا البستان. قيل له: فأبى شيء في قلبك؟ قال: جعلتُ أحتال في صَرْفِ الخصومة والقضية عن أمير المؤمنين، ولم أسأله أن يقعدَ مع خصمِه، أو يأذَنَ لخصمه أن يقعدَ معه على السرير، وبَعَثَ أبو يوسف بتسليم البستان إلى الرجل^(١).

قال القاسم بن الحَكَم العُرَنيُّ: سمعت أبا يوسف عند موته، يقول:

(١) المنتظم ٧٦/٩ - ٧٧، وبأخصر منه في البداية والنهاية ١٨١/٩.

(ياليتني متُّ على ما كنتُ عليه من الفقر، وأني لم أدخل في القضاء، على أني ما تعمَّدتُ - بحمدِ الله ونعمته - جَوْرًا، ولا حايَّيتُ خصمًا على خصم من سلطانٍ ولا سُوقَةٍ)^(١).

وقال محمد بن سِمْاعة: سمعتُ أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه، يقول: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجْزُ فِي حُكْمِ حَكَمْتُ بِهِ بَيْنَ عِبَادِكَ مَتَعَمَدًا، وَلَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْحُكْمِ بِمَا وَاظَفَ كِتَابُكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ، وَكُلُّ مَا أَشْكَلَ عَلَيَّ جَعَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَكَانَ عِنْدِي - وَاللَّهِ - مِمَّنْ يَعْرِفُ أَمْرَكَ، وَلَا يَخْرُجُ عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُهُ)^(٢).

تصانيفه^(٣):

صنَّف أبو يوسف مصنفات كثيرة جليلة، في الحديث، والفقه، والمغازي والسير، والذِّكر والدعاء، وأدب القضاء، وقد طُبِع كثير من هذه الكتب، ولا يزال بعضها ينتظر جهودَ المحققين المتقنين.

وقد ذَكَر عددٌ من العلماء مؤلِّفات أبي يوسف، وعند بعضهم ما ليس عند الآخر، فجمعتُ ما وقع عند الجميع، فَبَلَغَ ثلاثة وعشرين كتابًا، وهذه المصنفات هي:

١ - الآثار، وهو مسند أبي حنيفة.

(١) تاريخ بغداد ٢٥٢/١٤، المنتظم ٨٠/٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٤/١٤، وفيات الأعيان ٣٨٧/٦ - ٣٨٨.

(٣) جمعت أسماء مصنفات من المصادر التالية: الفهرست، كشف الظنون، هدية العارفين، الرسالة المستطرفة، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، تاريخ التراث العربي لسزكين، الأعلام للزركلي، انظر الأجزاء والصفحات المشار إليها في مصادر الترجمة.

- ٢ - اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
- ٣ - اختلاف الأمصار.
- ٤ - أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة.
- ٥ - اللطائف.
- ٦ - الأمالي في الفقه.
- ٧ - البيوع.
- ٨ - الجوامع، في أربعين فصلاً، ألفه ليحيى بن خالد البرمكي، ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ به.
- ٩ - الحدود.
- ١٠ - الخراج.
- ١١ - الذكر والدعاء.
- ١٢ - الرد على سير الأوزاعي.
- ١٣ - الرد على مالك بن أنس.
- ١٤ - الزكاة.
- ١٥ - الصلاة.
- ١٦ - الصيام.
- ١٧ - الصيد والذبائح.
- ١٨ - الغضب والاستبراء.



١٩ - الفرائض.

٢٠ - المبسوط في فروع الحنفية.

٢١ - المخارج في الحِجَل.

٢٢ - الوصايا.

٢٣ - الوكالة.

نشره العلم:

اشتهر أبو يوسف في أمصار الإسلام، وعلًا ذُكره، وطار صيته، وتصدّر لنشر العلم والفقه والآثار، في الكوفة والبصرة وبغداد وجرّجان وغيرها من البلدان التي أقام فيها أو سافر إليها. وقصده الطالبون والعلماء، واستمعوا إلى أماليه، وكتبوا عنه، ورووا كتبه ونشروها في الآفاق، وأقبل عليه الناس فسألوه واستفتوه، فأجابهم على مسائلهم وحلّ مشكلاتهم. وحرص رَحِمَهُ اللهُ على الإفادة والاستفادة والمباحثة والمذاكرة حتى وهو في مرض الموت، فأفتى بمسألة في آخر ساعة له في الدنيا، ثم فارق الحياة، وفاضت روحه إلى بارئها راضية مستبشرة إن شاء الله.

** قال طلحة بن محمد بن جعفر: (أملَى أبو يوسف المسائل ونَشَرها، وَبَثَّ عِلْمَ أَبِي حَنِيفَةَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ)^(١).

وقال القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي: (مَرَضَ أَبُو يُوسُفَ، فَأَتَيْتُهُ أَعُوذُهُ، فَوَجَدْتُهُ مُغَمًى عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لِي: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَقُولُ فِي مَسْأَلَةٍ؟ قُلْتُ: فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ؟! قَالَ: وَلَا بِأَسْ بِذَلِكَ، نَدْرُسُ لَعَلَّهُ

(١) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٤، وقد مرَّ مطولاً.

ينجو به ناج؟ ثم قال: يا إبراهيم، أيّما أفضل في رمي الجِمَار، أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت: راكباً، قال: أخطأت، قلت: ماشياً، قال: أخطأت، قلت: قل فيها، يرضى الله عنك، قال: أما ما كان يُوقَفُ عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يُوقَفُ عنده فالأفضل أن يرميه راكباً. ثم قمتُ من عنده، فما بلغتُ بابَ داره حتى سمعت الصُّراخَ عليه، وإذا هو قد مات، رحمة الله عليه^(١).

** قال علي بن المَدِينِي: (قدم أبو يوسف القاضي البصرة مرتين، أولاً سنة ست وسبعين - ومئة - فلم آتِه، والثانية سنة ثمانين - ومئة - فكنا نأتيه، فكان يحدث بعشرة أحاديث، وعشرة رأي)^(٢).

أي: يحدثُ بعشرة أحاديثٍ نبويّة مسندة، ويُتبعُها بعشر مسائلٍ فقهية، وهذا أحسنٌ وأكثرُ فائدةً، فكم من السامعين من لا يفقه ما يروي.

وقال العباس بن محمد: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: (أول ما طلبتُ الحديث ذهبُ إلى أبي يوسف القاضي، ثم طلبنا بعدُ فكتبنا عن الناس)^(٣).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، يقول: (كانت في أبي يوسف لُثْغَةً، فكان يحدثنا فيقول: حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بن طَرِيفِ الحارِثِي، وكان أَلْثَغَ، مُطَيِّفُ بن طَيِّفِ الحايثِي)^(٤).

(١) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ٤٨١/١، ومناقب أبي حنيفة للكردي ٤٠٥/٢، والجواهر المضية ٧٦/١.

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٥/١٤.

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٥/١٤، وانظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٨ - ٥٣٧.

(٤) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ١٧٠٦. واللُثْغَةُ تحوّل اللسان من حرف إلى حرف، كقلب السين ناءً، والراء غيناً، وهو أَلْثَغُ، وهي لُثْغَاءُ.

وقال ابن حبان: سمعت ابن قحطبة^(١)، يقول: (سمعت محمد بن الصَّبَّاح، يقول، وقيل له: لِمَ لَمْ تَكْتُبْ عن هُشَيْمٍ؟ قال: لأنني انصرفت يوماً من مجلس هُشَيْمٍ، فَسُئِلْتُ^(٢) مسألة فلم أحسنها، فتركت هُشَيْمًا وَلَزِمْتُ أبا يوسف)^(٣).

وذكر الحاكم في «تاريخ نيسابور» الحسن بن أيوب التيسابوري، وقال: (شيخ قديم من قدمائنا، من أصحاب أبي حنيفة، كانت رحلته إلى أبي يوسف القاضي، مع بشر بن أبي الأزهر القاضي، وأقراهما)^(٤).

وقال عمرو بن الوليد الأَغْضَف: (رحلتُ إلى أبي حنيفة، فلم يكن لي من القوة على العلم ما أقدرُ على مجالسته، فكنْتُ أختلِفُ إلى أبي يوسف أتعلّمُ منه)^(٥).

وقال حمزة السَّهْمِيُّ في ترجمة محمد بن عوَّاد من «تاريخ جُرْجَان»: (له أحاديثُ ومسائلُ، سأل أبا يوسف القاضي عنها بجُرْجَان)^(٦).

** قال إبراهيم بن أبي عثمان: حدثني عبد الله بن عبد الكريم أبو عبد الله الحواري، قال: (كان يوسف بن أبي يوسف عفيفاً مأموناً صدوقاً، قرأ عليه أبو يوسف أكثر كتبه)^(٧).

(١) هو عبد الله بن قحطبة، شيخ ابن حبان، روى عنه كثيراً في «صحيحه».

(٢) في الثقات: (فسألت).

(٣) الثقات ٦٤٦/٧.

(٤) الجواهر المضية ٤٨/٢ - ٤٩، الطبقات السننية ٤٨/٣.

(٥) الجواهر المضية ٦٧٦/٢، وللخير تنمة.

(٦) تاريخ جرجان ٣٧٢، الجواهر المضية ٢٩٤/٣.

(٧) أخبار القضاة ٢٥٦/٣ - ٢٥٧.

وقال عبد القادر القُرشيُّ في ترجمة يوسف بن أبي يوسف: (رَوَى كتاب «الأثار» عن أبيه، عن أبي حنيفة، وهو مجلد ضخمة)^(١).

وقال في ترجمة شَقِيق بن إبراهيم البَلْخِيّ: (صَحِبَ أبا يوسف القاضي، وقرأ عليه كتاب «الصلاة»)^(٢).

وقال الصَّيْمَرِيُّ: (ومن أصحاب أبي يوسف ومحمد جميعاً: أبو عبد الله محمد بن سَمَاعَةَ، وهو من الحفَّاظ الثقات، كتب النوادرَ عن أبي يوسف ومحمد جميعاً، ورَوَى الكتب والأُمالي)^(٣).

ومُعَلَّى بن منصور الحافظ الفقيه: من كبار أصحاب أبي يوسف ومحمد، وروى عنهما الكتب والأُمالي)^(٤).

وقال عبد القادر القُرشيُّ: (بِشْر بن الوليد الكِنْدِي، كان متقدِّماً عند أبي يوسف، وروى عنه كتبه وأُماليه)^(٥).

وقال محمد بن سعد العوفي: (بِشْر بن الوليد الكِنْدِي روى عن أبي يوسف كتبه وإملاءه)^(٦).

وهذا باب واسع غزير المادة، فالذين حَمَلوا عن أبي يوسف العلم والفِقه وتخرَّجوا من مدرسته ونشروا علمه؛ أممٌ لا يُحْصَوْنَ، وإنما أردنا الإلماعَ إلى هذا الجانب.

(١) الجواهر المضية ٦٤٥/٣.

(٢) الجواهر المضية ٢٥٤/٢، ونقله عنه صاحب الطبقات السنيَّة ٧٤/٤.

(٣) تاريخ بغداد ٣٤٢/٥، الجواهر المضية ١٦٨/٣.

(٤) الجواهر المضية ٤٩٢/٣.

(٥) الجواهر المضية ٤٥٣/١، وانظر: تاريخ بغداد ٨١/٧.

(٦) تاريخ بغداد ٨٣/٧.



منزلته وثناء الأئمة عليه، وما روي في جرحه:

أثنى على أبي يوسف جمهور المحدثين والنقاد، ووثقوه، وعلى رأسهم طائفة من تلامذته كابن معين وعمرو الناقد وابن المديني وأحمد بن حنبل، وتلاههم من بعدهم من أئمة الدين وعلماء الأمة، واستفاضت شهرته وعدالته بين الناس، فهو الإمام الذي طبقت شهرته الآفاق.

وروي عن بعض الأئمة أنهم جرحوه وضعفوه، وهي أخبار بعضها لا يصح إسنادها، وبعض منها سببه الجفوة بين حملة الآثار وبين فقهاءها المنقريين عن الأحكام واستنباط المسائل، وبعض آخر من هذه الأخبار ينبو السمع عنها، ويأبى العقل السليم والمنطق القويم قبولها؛ لبشاعتها وقبحها، ويجزم المنصف بأن من نسبت إليه ما قالها قط.

ثناء الأئمة عليه:

١ - قال أسد بن الفرات: سمعت محمد بن الحسن، يقول: (مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه، فعادته أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده، وضع يديه على عتبة بابه وقال: إن يمُت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها. وأوماً إلى الأرض)^(١).

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: قال أبو حنيفة يوماً: (أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، ومنهم ستة يصلحون للفتوى، ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى، وأشار إلى أبي يوسف وزُفر)^(٢).

(١) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٤، وفيات الأعيان ٣٨٢/٦، سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٨.

(٢) تاريخ بغداد ٢٤٧/١٤ - ٢٤٨.

٢ - وقال شجاع بن مخلد: (حَضَرْنَا جَنَازَةَ أَبِي يُوْسُفَ الْقَاضِي، وَمَعَنَا عَبَّادُ بِنِ الْعَوَّامِ، فَسَمِعْتُ عَبَّادًا يَقُولُ: يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يُعْزِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَبِي يُوْسُفَ)^(١).

٣ - وقال هشام بن عمار: سمعت شعيب بن إسحاق يقول، وذكر أبو يوسف عنده، فقال: (لأبي يوسف أن يأخذ على الأمة، وليس للأمة أن يأخذوا على أبي يوسف، لعلمه بالآثار)^(٢).

٤ - وقال الصِّمَرِيُّ: (بَلَّغَنِي أَنَّ الرَّشِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَشَى أَمَامَ جَنَازَةِ أَبِي يُوْسُفَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَدَفَنَهُ فِي مَقْبَرَةِ أَهْلِهِ، فِي مَقَابِرِ قَرِيشٍ بِكَرْخِ بَغْدَادِ بِقَرَبِ أُمِّ جَعْفَرِ زُبَيْدَةَ، وَقَالَ الرَّشِيدُ حِينَ دُفِنَ أَبُو يُوْسُفَ: يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يُعْزِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَبِي يُوْسُفَ)^(٣).

٥ - وقال أبو يعلى المَوْصِلِيُّ: سمعت عمراً الناقد، يقول: (مَا أُجِبْتُ أَنْ أُرْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ إِلَّا عَنْ أَبِي يُوْسُفَ، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ)^(٤).

٦ - وقال ابن سعد: (وكان عند أبي يوسف حديث كثير، وكان يُعرف بالحفظ للحديث، وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين وستين حديثاً فيقوم فيمليها على الناس، ثم لزم أبا حنيفة النعمان بن ثابت فتنقّه، وغلب عليه الرأي وجفا الحديث)^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٢٦٢/١٤، تاريخ الإسلام، ص ٥٠٣.

(٢) الكامل لابن عدي ١٤٥/٧.

(٣) شذرات الذهب ٣٠١/١.

(٤) الكامل ١٤٥/٧، تاريخ بغداد ٢٥٣/١٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧.

قلت: قوله (جفا الحديث) غير صحيح، بل جمع بين الحديث والفقهِ، وكُتِبَهُ ونشره العلم خير شاهد على ذلك.

٧ - وقال إبراهيم بن أبي داود البُرْلُسِيُّ^(١): سمعت يحيى بن معين، يقول: (ما رأيتُ في أصحابِ الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظُ، ولا أصحَّ روايةً، من أبي يوسف)^(٢).

وعن أحمد بن عَطِيَّةَ قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: (ليس أحدٌ من أصحابِ الرأي أثبتَ عندي من أبي يوسف، ولا في أصحابِ أبي حنيفةَ أحفظُ للفقهِ عندي منه)^(٣).

وروى عباس الدُّورِيُّ: عن ابنِ معين قال: (أبو يوسف صاحبُ حديث، صاحبُ سُنَّة)^(٤).

وقال عباس الدُّورِيُّ: سمعت يحيى بن معين، يقول: (كان أبو يوسف القاضي يَميلُ إلى أصحابِ الحديث كثيراً، وكَتَبْنَا عنه، ولم يزل الناسُ يَكْتَبُونَ عنه)^(٥).

وقال عباس الدوري أيضاً: سمعت يحيى بن معين، يقول: (أبو يوسف أنبلُ من أن يكذب)^(٦).

وقال محمد بن سَعْدِ العَوْفِيُّ: سمعت يحيى بن معين، يقول: (كان أبو يوسف ثقةً، إلا أنه كان ربما غَلِطَ)^(٧).

(١) إمام حافظ متقن، وتصحف في الكامل إلى: (النرسي).

(٢) الكامل ١٤٥/٧، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨، تاريخ الإسلام، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٩/١٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨، تاريخ الإسلام ٤٩٩، تذكرة الحفاظ ٢٩٣/١.

(٥) تاريخ الدوري ٦٨٠/٢، الجرح والتعديل ٢٠١/٩ - ٢٠٢، تاريخ بغداد ٢٥٥/١٤.

(٦) تاريخ بغداد ٢٥٩/١٤.

(٧) تاريخ بغداد ٢٥٩/١٤.

قلت: كُلُّ ثِقَةٍ يَغْلَطُ، وَقَدْ وَهَمَ الْكِبَارُ فَمَاذَا؟!.

وقال حُسين بن فَهْم: سمعت أبي يسأل يحيى بن معين عن أبي يوسف، فقال: (ثِقَةٌ إِذَا حَدَّثَ عَنِ الثَّقَاتِ)^(١).

وقال أحمد بن سَعْد بن أبي مريم: (سَأَلْتُ يَحْيَى بنَ مَعِين عن أَبِي يوسُف، فقال: (لَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ)^(٢)).

قلت: هذا مردودٌ بما جاء عن ابن معين من طُرق أنه وثقُّ أبا يوسف، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَكُتِبَ عَنْهُ، وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطِيبُ هَذَا الْخَبْرَ وَرَدَّهُ، وَسَاقَ تَوْثِيقَهُ عَنِ ابْنِ مَعِينٍ^(٣).

٨ - وقال علي بن المديني: (مَا أُخِذَ^(٤) عَلَى أَبِي يوسُف شَيْءٌ إِلَّا حَدِيثُ هِشَامٍ فِي الْحَجْرِ، وَكَانَ صَدُوقًا)^(٥).

٩ - وقال حَنْبَل بن إِسْحَاق: سمعت عمي أحمد بن حنبل، يقول: (كَانَ يَعْقُوبُ أَبُو يوسُف يَرُوي عَنِ حَنْظَلَةَ وَعَنِ الْمَكِّيِّينَ، وَكَانَ مُنْصِيفًا فِي الْحَدِيثِ)^(٦).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (سَأَلْتُ أَبِي عَنِ أَسَدِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: كَانَ صَدُوقًا، وَأَبُو يوسُفِ صَدُوقٌ، وَلَكِنَّ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَوَى عَنْهُمْ شَيْءٌ!)^(٧).

(١) تاريخ بغداد ٢٥٩/١٤، وكذا نقله عنه ابن شاهين في ثقاته، ص ٣٥٨.

(٢) الكامل ١٤٥/٧، تاريخ بغداد ٢٥٨/١٤.

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٨/١٤ - ٢٥٩.

(٤) في تاريخ بغداد: (ما أجد)، وهو تصحيف.

(٥) تاريخ بغداد ٢٥٥/١٤، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨، وحديث الحجر رواه أبو يوسف عن هشام بن عروة، وساقه الخطيب في تاريخه ٢٤٢/١٤ - ٢٤٣.

(٦) تاريخ بغداد ٢٦٠/١٤، سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨.

(٧) علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٥٣٣٢، الضعفاء الكبير ٤٤٣/٤ - ٤٤٤، الجرح والتعديل ٢٠١/٩، تاريخ بغداد ٢٥٩/١٤ - ٢٦٠.

وقال إبراهيم بن هانئ: (سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسئِلَ عن أبي حنيفة يُرَوَى عنه؟ قال: لا، قيل له: فأبو يوسف؟ قال: كأنه أمثلهم. ثم قال: كُلُّ مَنْ وَضَعَ الكُتُبَ من كلامه فلا يُعجبني، أو يُجرِّد الحديث)^(١)

قلت: هذا عجيب!! وكلُّ أحدٍ يُؤخِّدُ من قوله ويثركُ إلا النبي ﷺ، وهذا القول من الإمام أحمد ﷺ لا يُعقل ولا يُقبل، ولو أخذنا به لَطَرَحْنَا كثيرين من فقهاء الأمة وأئمة الإسلام، ولمن يثركُ فقه الآثار واستنباط الأحكام حينئذٍ يا تُرى؟!.

١٠ - وقال سهل بن أحمد الواسطي: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي الفلاس، قال: (أبو يوسف صدوق، كثير الغلط)^(٢).

قلت: قد تقدّم أنه قوي الحفظ متقن، وقول ابن معين: (ربّما غلط)، وقول ابن المديني أنه ما أخذ عليه غيرُ حديث واحد، فقول الفلاس (كثير الغلط)، فيه ما فيه.

١١ - وقال جعفر بن ياسين: (كنتُ عند المُزنسيّ، فوقف عليه رجلٌ فسأله عن أهل العراق، فقال: له: ما تقول في أبي حنيفة؟ فقال: سيِّدهم، قال: فأبو يوسف؟ قال: أتبعهم للحديث، قال: فمحمد بن الحسن؟ قال: أكثرهم تفرّيعاً، قال: فزُفر؟ قال أحدُهُم قياساً)^(٣).

١٢ - وقال أبو حاتم الرازي: (يُكتب حديثه، وهو أحبُّ إليّ من الحسن اللؤلؤي)^(٤).

(١) تاريخ بغداد ٢٦٠/١٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢٦٠/١٤، تاريخ الإسلام ٥٠٠.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٤.

(٤) الجرح والتعديل ٢٢٠/٩.

** ١٣ - قال النسائي: (أبو يوسف القاضي ثقة)^(١).

١٤ - وقال محمد بن جرير الطبري: (كان أبو يوسف فقيهاً عالماً حافظاً، كثير الحديث)^(٢).

١٥ - وقال الحافظ أحمد بن كامل الشَّجْرِي - تلميذُ الطبريِّ وشيخُ الدَّارَقُطْنِي -: (لم يَخْتَلِفْ يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المدني، في ثقته في النقل)^(٣).

١٦ - وقال ابن جِبَّان: (وكان شيخاً مُتَّقِناً، لم يكن يَسْأَلُكَ مسلكَ صاحبيه إلا في الفروع، وكان يُبَايِنُهُمَا في الإيمان والقرآن... ولسنا ممن يُوهَم الرِّعَاعَ ما لا يَسْتَحِلُّهُ، ولا مَمَّنْ يَحِيفُ بِالْقَدْحِ في إنسان وإن كان لنا مُخَالَفاً، بل نعطي كل شيخ حظه مما كان فيه، ونقول في كل إنسان ما كان يَسْتَحِقُّهُ من العدالة أو الجرح، أدخلنا زفرأ وأبا يوسف بين الثقات لِمَا تَبَيَّنَ عندنا من عدالتهما في الأخبار)^(٤).

١٧ - وقال ابن عَدِيَّ بعد أن سَبَرَ حديثه: (ولأبي يوسف أصنافٌ، وليس من أصحاب الرأي أكثرُ حديثاً منه، إلا أنه يروي عن الضعفاء الكثير مثل الحسن بن عُمارة وغيره، وهو كثيراً ما يُخَالِفُ أصحابه ويتَّبِعَ أهلَ الأثر، إذا وَجَدَ فيه خبراً مُسْنَداً، وإذا روى عنه ثقةٌ ويروي هو عن ثقةٍ فلا بأسَ به وبرواياته)^(٥).

(١) رسالة النسائي الملحقة بكتابه الضعفاء ص ٢٦٦.

(٢) الانتقاء، ص ٣٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/٢٤٣.

(٤) الثقات ٧/٦٤٥، ٦٤٦.

(٥) الكامل ٧/١٤٦.

١٨ - وقال الحافظ أبو بكر البزقاني: سألت أبا الحسن الدارقطني عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، فقال: (هو أقوى من محمد بن الحسن)^(١). قلت: والدارقطني قد ذكر محمد بن الحسن في عداد الثقات الحفاظ، حيث يقول في «غرائب مالك» عن حديث الرفع من الركوع: (حدّث به عشرون نفرًا من الثقات الحفاظ، منهم: محمد بن الحسن الشيباني، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الله بن المبارك...)^(٢).

وإذا كان أبو يوسف أقوى من محمد، فيكون أبو يوسف حافظًا ثقة وفوق الثقة عند الدارقطني.

١٩ - وترجم حمزة السهمي في «تاريخ جرجان» لأبان بن أبي عيَّاش - أحد الضعفاء المتروكين - وذكر مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ مِنْ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ وَثِقَاتِ الرِّوَاةِ، فقال: (مَنْ رَوَى عَنْهُ مِنَ الثَّقَاتِ: سفيان الثوري، وحماد بن سلمة.... وأبو حنيفة، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي...)^(٣).

٢٠ - وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في ترجمته من «الإرشاد»: (روى عن الليث بن سعد فأكثر، وهو صحيح المذهب، وكان شديدًا على الجهمية). وقال في موضع آخر: (صدوق في الحديث، ومحلّه في الفقه كبير، سمع الأعمش وأقرانه من أشياخ الكوفة، ويروي عن الضعفاء، ويُخطئ في أحاديث)^(٤).

(١) تاريخ بغداد ٢٦٠/١٤.

(٢) نصب الراية ٤٠٨/١ - ٤٠٩.

(٣) تاريخ جرجان، ص ٥٥١.

(٤) الإرشاد ٤٠٣/١، ٥٦٩/٢.

٢١ - وساق البيهقي في «السنن الكبرى» حديثاً من طريقه، وقال: (وأبو يوسف ثقة إذا كان يروي عن ثقة)^(١).

٢٢ - وترجم ابن عبد البر في «الانتقاء» لأشهر ثلاثة من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وقَدَّمَ أبا يوسف، وقال في صدر ترجمته: (فأولهم وأعلاهم ذكراً أبو يوسف القاضي)، وختم الترجمة بقوله: (كان يحيى بن معين يُثني عليه، ويوثقه، وأما سائر أهل الحديث فهم كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه)^(٢).

٢٣ - وقال السمعاني: (وكان مُتَقِيناً)^(٣).

٢٤ - وقال ابن خَلَّكان: (كان فقيهاً عالماً حافظاً)^(٤).

٢٥ - وأثنى عليه الذهبي في كتبه، ولم يذكر كلمة جَزَح واحدة، وافتتح ترجمته في «السير» بقوله: (هو الإمام المجتهد، العلامة المحدث، قاضي القضاة)، ثم قال: (بَلَّغَ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيدَ عليه، وكان الرشيد يُبالغ في إجلاله).

وقال في «التذكرة»: (الإمام العلامة، فقيهُ العراقيين، صاحبُ أبي حنيفة عليه السلام... وله أخبار في العلم والسيادة، قد أفردته وأفردتُ صاحبه محمد بن الحسن رحمهما الله في جزء)^(٥).

(١) السنن الكبرى ١/٣٤٧، باب المُسْتَحَاضَةِ تَغْيِيلُ عَنْهَا أَنْزَ الدَّم.

(٢) الانتقاء، ص ٣٢٩، ٣٣١.

(٣) الأنساب ٢/٨٦.

(٤) وفيات الأعيان ٦/٣٧٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٥، ٥٣٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٢، ٢٩٣.

٢٦ - وقال العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتّاني في «الرسالة المُستطرفة»: (العلامة الحافظ، فقيه العراق)^(١).

٢٧ - وقال العلامة المحدث الفقيه المحقق أحمد شاکر: (أبو يوسف من ثقات أئمة المسلمين)^(٢).

أقوال جارحيه:

١ - قال يحيى بن آدم: (شَهِدَ أَبُو يُوسُفَ عِنْدَ شَرِيكَ، فَرَدَّ شَهَادَتَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: رَدَدْتَ شَهَادَةَ أَبِي يُوسُفَ؟! فَقَالَ: أَلَا أَرَدُّ شَهَادَةَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٣).

٢ - وقال عبد الرزاق بن عُمر البزيعي: (كنتُ عند عبد الله بن المبارك، فجاءه رجلٌ فسأله عن مسألة، قال: فأفتاه فيها، فقال: قد سألت أبا يوسف فخالفك، فقال: إن كنت صليت خلف أبي يوسف صلوات تحفظها فأعدها)^(٤).

وقال الحسن بن الربيع: (قيل لابن المبارك: أبو يوسف أعلم أم محمد؟ قال: لا تقل: أيهما أعلم، ولكن قل: أيهما أكذب)^(٥).

٣ - وقال رجاء بن السُّنْدِيّ: سمعت عبد الله بن إدريس، يقول: (كان أبو حنيفة ضالاً مُضِلّاً، وأبو يوسف فاسِقاً من الفاسقين)^(٦).

(١) الرسالة المستطرفة، ص ٥٢.

(٢) قال ذلك في تعليقه على كتاب «الخراج» ليحيى بن آدم ص ٨٤، عند الكلام على حديث للقاضي أبي يوسف عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.

(٣) أخبار القضاة ٢٦١/٣، الضعفاء الكبير ٤٤١/٤.

(٤) المعرفة والتاريخ ٧٨٩/٢، تاريخ بغداد ٢٥٦/١٤ - ٢٥٧.

(٥) الكامل ١٤٤/٧ - ١٤٥، ومن طريق آخر وبلطف آخر في تاريخ بغداد ٢٥٧/١٤. وانظر أقوالاً أخرى لابن المبارك في: الضعفاء الكبير ٤٤٠/٤ - ٤٤١، وتاريخ بغداد ٢٥٦/١٤ - ٢٥٧.

(٦) الضعفاء الكبير ٤٤٠/٤، تاريخ بغداد ٢٥٧/١٤.

وقال يحيى بن محمد بن سابق^(١): سمعت ابن إدريس، يقول: (رأيتُ أبا يوسف - والذي ذَهَبَ بِنَفْسِهِ - بعد موته في المنام، يصلِّي إلى غير القبلة)^(٢).

٤ - وقال يحيى بن محمد بن سابق: (سمعتُ وَكيعاً، وسأله رجلٌ عن مسألة، فقال الرجل: إن أبا يوسف يقول كذا وكذا، فحوَّلَ رأسه وقال: أمَّا تتقي الله! بأبي يوسف تحتجُّ عند الله وَكَيْك؟!)^(٣).

٥ - وقال محمود بن غَيْلان: (قلت ليزيد بن هارون: ما تقولُ في أبي يوسف؟ قال: لا تَحِلُّ الرواية عنه، إنه كان يُعطي أموال اليتامى مضاربة، ويجعل الربح لنفسه)^(٤).

٦ - وقال محمد بن بَشْرِ العَبْدِيُّ: حدَّثني أخي، قال: (رأيت أبا يوسف في المنام، وعلى عُنُقِهِ صَليبٌ، قلت: مَنْ أعطاك هذا؟ قال: يحيى اليهودي)^(٥).

٧ - وقال ابن خُزَيْمة: (ليس الحديثُ من صِنَاعَتِهِ)^(٦).

٨ - وقال زكريا السَّاجِي: (يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة مذمومٌ مُرْجِيٌّ)^(٧).

(١) في تاريخ بغداد: (ثابت)، وهو تحريف. ويحيى من رجال التهذيب.

(٢) الضعفاء الكبير ٤/٤٤٢، تاريخ بغداد ١٤/٢٥٨.

(٣) الضعفاء الكبير ٤/٤٤٢، تاريخ بغداد ١٤/٢٥٨.

(٤) الضعفاء الكبير ٤/٤٤٠، تاريخ بغداد ١٤/٢٥٨.

(٥) الضعفاء الكبير ٤/٤٤٤.

(٦) الإرشاد للخليلي ٢/٥٦٩.

(٧) تاريخ بغداد ١٤/٢٥٧.

كلمة الفصل:

قلت: لقد أخطأ الحافظ العُقَيْلِيُّ وأساء إساءةً بالغةً إذ لم يُورد في ترجمة هذا الحافظ الفقيه العَلَمَ سوى كلمات الجرح والظعن والذم، ولم يذكر أدنى كلمة فيها ثناء ومدح، أفهذا إنصاف، أم أنه حَيْدَة خطيرة عن منهج الاعتدال الذي يجب أن يتصف به من يتصدى للكلام في الرجال؟!.

وأما الحافظ أبو بكر الخطيب فقد ساق طرفاً صالحاً من الثناء على أبي يوسف، وجملة من الأقوال التي تناله بالجرح والتضعيف، وقد أوردتُ بعضاً من ذلك ليُستدلَّ به على ما سواه مما هو في بابه.

وإنما أوردتُ طائفةً من هذه الأقوال المجروحة، والأخبار الهالكة؛ للتنبية عليها وبيان وهائها، وحتى لا تُتَّهَمَ بالمحاباة والتعصب، وعدم الإنصاف، والبعد عن الأمانة في النقل والترجمة.

ولستُ حَنَفِيًّا ولا متعصباً لأئمة الحنفية، ولا مُحَابِيًّا لأحدٍ من أئمة المذاهب المتبوعة أو الظاهرية أو سواهم من علماء الأمة، الذين يستحقُّون كلَّ إجلالٍ وتقدير، بَيِّنَد أن المتأمل لهذه الكلمات التي ذكرتها - وفي بعض ما تركته أقبحُ وأشنعُ - يَسْتَبْعُدُّ صدور هذه الأوصاف عن أولئك الأئمة، ويرفض دون تردُّد قبولها على فرض صحة النقل عنهم، فأبو يوسف حسب هذه الروايات المكلومة: فاسقٌ من الفاسقين، ومن أهلِ الباطل، ويَحْتالُ بفقهِه فيعمدُ إلى الحرام فيجعلهُ حلالاً، ورئي في المنام وهو يصلي لغيرِ القِبلة، ويُعلِّقُ في عُنقه صليباً، ومَنْ صَلَّى خلفه يجب عليه إعادةُ صلاته... وغير ذلك من تلك التُّهَم!!

ولستُ أدري كيف استجاز العُقَيْلِي والخطيب - وهما الحافظان

الكبيران - أن يسودا كتابيهما بمثل هذا الهُجْر من القول، وهل أصبحت المناماتُ حجةً في تضعيف الأئمة الحفاظ الثقات؟!.

وأبو يوسف الذي روى عنه أئمةٌ من جبال العلم، وتخرَّج به فقهاء أجلاء عظام، وانتشرت كُتبه وأقواله في المشرق والمغرب، وأخذ بها المسلمون على اختلاف مشاربهم وتنائي بلدانهم على مرِّ العصور، وكان قاضي قضاة الدولة العباسية مدة ست عشرة سنة، واستمرَّ اعتمادُ فقهِه في الأمة أكثر من اثني عشر قرناً، ثم هو بعد ذلك كذاب، فاسقٌ، ضالٌّ، لا يُروى عنه، ولا يُصلَّى خلفه، و... و...؟! مسكينة هذه الأمة إذاً وهي تثقُ بمثل هذا الرجل وتعمل بأقواله وتخضع لأحكامه وأفضيته! أفهذا كلامٌ يُقال ويُعقل ويُدوّن في بطون الكتب على أيدي حفاظ كبار؟!.

وأنا أربأُ بأمثال ابن المبارك وعبد الله بن إدريس ويزيد بن هارون وغيرهم عن أن يقولوا مثل هذا الكلام الفظ في أبي يوسف رحمَهُ اللهُ، وتجاوز عمَّن وقع فيه.

ويردُّ ذلك أيضاً ثناءً جمهرة من الأئمة، وفيهم من عاشره وصاحبه وأخذ عنه، من الخبراء بالرجال، وأئمة الجرح والتعديل؛ كيحيى بن معين وأحمد بن حنبل وابن المديني وعمرو الناقد، وحسبك بهؤلاء.

وممَّا يدعم ما ذهبنا إليه من سقوطِ الأقوال الجارحة له، وعدم الاعتداد بها؛ أن الحافظ ابن عبد البر قد أشاح عنها، ولم يذكر واحداً منها، ولا أشار إليها. وجاء ابن الجوزي فترجم لأبي يوسف في «المنتظم»، فلم يُلَق لها بالاً، ولم يذكر منها حرفاً. وفعل مثله ابنُ عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث»، وكذا الحافظ النقاد أبو عبد الله الذهبي طوى تلك

الأخبار، ولم يرفع بها رأساً، ولم يذكر في «السير، والتذكرة، وتاريخ الإسلام» إلا كلمات الشناء والتوثيق، وكذلك الإمام الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

فهؤلاء الأئمة الخمسة الحفّاظ، ليس فيهم حنفيّ، وقد مرّوا على «ضعفاء» العقيلي، و«تاريخ بغداد» للخطيب، فأسقطوا تلك الأقوال، ولم يوردوا في كتبهم منها حرفاً واحداً، وهذا منهم تصريحٌ بضعفها وعدم الاعتداد بها أو الالتفات إليها.

وأختم القول بكلامٍ عظيمٍ للإمام الحافظ ابن عبد البر في كتابه الفذ الممتع «جامع بيان العلم»، في «باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض»، يقول:

(هذا بابٌ قد غلِط فيه كثيرٌ من الناس، وضلّت به نايبةٌ جاهلةٌ لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيح في هذا الباب: أن مَنْ صحّت عدالته، وثبتت في العلم أمانته، وبانت ثقته وعنايته بالعلم؛ لم يُلْتَفَت فيه إلى قولٍ أحد، إلا أن يأتي في جُرْحَتِه ببيّنةٍ عادلةٍ تصحُّ بها جرحته على طريق الشهادات، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يُوجب قوله من جهة الفقه والنظر. وأمّا مَنْ لم تثبت إمامته، ولا عُرفت عدالته، ولا صحّت لعدم الحفظ والإتقان روايته، فإنه يُنظَر فيه إلى ما اتَّفَق أهل العلم عليه، ويُجْتَهَد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدّي النظر إليه والدليل. على أنه لا يقبلُ فيمن اتَّخَذَه جمهورٌ من جماهير المسلمين إماماً في الدين قولُ أحدٍ من الطّاعنين).

وبعد أن أورد أخباراً كثيرة في هذا الباب، قال في آخره: (فمن أراد أن

يَقْبَلُ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ الْأَثَمَةِ الْأَثْبَاتِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ؛ فَلْيَقْبَلْ قَوْلَ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مَبِينًا. وَكَذَلِكَ إِنْ قَبِلَ فِي سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَوْلَ عِكْرَمَةَ، وَفِي الشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْجُمْلَةِ، وَفِي مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَسَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَلَنْ يَفْعَلَ إِنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَاللَّهُمَّ زُشْدَهُ، فَلْيَقْبَلْ عِنْدَ مَا شَرَطْنَا فِي الْأَيُّمِ قَبْلَ فِيمَنْ صَحَّتْ عَدَالَتُهُ، وَعُلِّمَتْ بِالْعِلْمِ عِنَايَتُهُ، وَسَلِمَ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَزِمَ الْمَرْوَةَ وَالتَّعَاوُنَ، وَكَانَ خَيْرُهُ غَالِبًا، وَشَرُّهُ أَقْلٌ عَلَيْهِ، فَهَذَا لَا يُقْبَلُ فِيهِ قَوْلُ قَائِلٍ لِابْرَهَانَ لَهُ بِهِ، فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَصِحُّ غَيْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١).

من أخباره الشخصية..:

سعد بن بُجَيْرِ المشهور بسعد بن حَبْتَةَ^(٢):

من أصحاب النبي ﷺ، وممن استُصغِرَ يوم أُحُدٍ، هو والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وأبو سعيد الخُدْرِي، وزيد بن حارثة الأنصاري.

عن جابر بن عبد الله قال: (نظر النبي ﷺ إلى سعد بن حَبْتَةَ يوم الخندق، يُقاتل قتالاً شديداً، وهو حديثُ السنِّ، فدعاه فقال له: «من أنت يا فتى؟» قال: سعد بن حَبْتَةَ، فقال له النبي ﷺ: «أسعد الله جدك، اقترب مني»، فاقترَب منه، فَمَسَحَ على رأسه).

(١) جامع بيان العلم ١٨٦/٢، ١٩٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٥٢/٦، أخبار القضاة ٢٥٤/٣، الانتقاء، ص ٣٢٩ - ٣٣٠، الاستيعاب بذيل الإصابة ٤٨/٢ - ٤٩، تاريخ بغداد ٢٤٣/١٤، الإكمال ١٩٩/١، وفيات الأعيان ٣٧٨/٦ - ٣٨٩ - ٣٩٠، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨ - ٥٣٦، توضيح المشتبه ٩١/٣ - ٩٢، الإصابة ٢١/٢.

مات بالكوفة، وصلى عليه زيد بن أرقم، فكبر عليه خمساً.

خنيس بن سعد بن حبة^(١):

ذكر ابن الكلبي أن أمه أتت به إلى النبي ﷺ صغيراً، فمسح على رأسه ودعا له.

وذكر ابن الكلبي أيضاً أن خنيس بن سعد بن حبة جد أبي يوسف، إليه تُنسب رَحْبَةُ خنيس بالكوفة.

ابنه إبراهيم بن يعقوب:

تفقه على أبيه^(٢).

ابنه يحيى بن يعقوب:

ذكره ابن حزم في «الجمهرة» مع أخيه يوسف، وابنه أحمد بن يحيى، وقال: (قضاة كلهم)^(٣).

ابنه يوسف بن يعقوب^(٤).

استخلفه أبوه على القضاء، فكان يقضي معه، وهو خليفة أبيه، فلما مات أبو يوسف أقر هارون الرشيد ابنه يوسف على القضاء إلى أن مات يوسف.

وكان يوسف قد نظر في الرأي وفقه، وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبيعي، والسري ابن يحيى، ونحوهما. وقد حدث شيئاً سيراً.

(١) المؤلف والمختلف ٦٩٤/٢ - ٦٩٥، الانتقاء، ص ٣٣٠، الاستيعاب ٤٨/٢. وانظر الحاشية السابقة.

(٢) الجواهر المضية ١١٥/١.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٠.

(٤) أخبار القضاة ٢٥٥/٣ - ٢٥٧، ٢٨٢، تاريخ بغداد ٢٩٦/١٤ - ٢٩٧، الجواهر المضية ٦٤٣/٣ - ٦٤٥.

توفي سنة (١٩٢هـ).

حفيده أحمد بن يحيى بن أبي يوسف يعقوب^(١):

ولي القضاء ببغداد سنة (٢٥٤هـ). وكان متوسطاً في أمره، شديد المحبة للعالم، وكان صالح الفقه على مذهب أهل العراق.

خاله يحيى بن يعقوب أبو طالب القاص^(٢):

روى عن إبراهيم التيمي، وعكرمة، وعلقمة بن مزند، ومُحارب بن دثار، وغيرهم.

وحدث عنه أبو ثُميلة، والفضل بن موسى السَّيناني، وإبراهيم بن عُيينة. قال ابن أبي حاتم: (سألت أبي عنه، فقال: محلُّه الصدق، لم يرو شيئاً منكراً، وهو ثقة في الحديث، أدخله البخاري في «كتاب الضعفاء»، فسمعتُ أبي يقول: يُحوَّل من هناك).

وذكره ابن حبان في «الثقات».

مولده ووفاته وعمره:

مولده:

قال أبو جعفر الطَّحاوي: مولدُ أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومئة^(٣).

(١) تاريخ بغداد ٢٠١/٥ - ٢٠٢، الجواهر المضية ٣٤٩/١ - ٣٥٠.

(٢) الضعفاء للبخاري: رقم ٤٠٣، التاريخ الكبير ٣١٢/٨، الجرح والتعديل ١٩٨/٩ - ١٩٩، الكامل لابن عدي ٢٣٣/٧، الثقات لابن حبان ٦١٤/٧، ميزان الاعتدال ٤١٥/٤، لسان الميزان ٢٨٢/٦ - ٢٨٣.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٣/١٤.

وكذا قال الشيرازي، وابن خَلْكان، والذهبي. وكان مولده بالكوفة.

وفاته:

- قال ابن سعد، وبِشْر بن الوليد، وخليفة بن خياط في «الطبقات»، والفَسْوي، ويعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزِّيادي. مات أبو يوسف سنة اثنتين وثمانين ومئة.

قال بِشْر بن الوليد وأبو حسان الزِّيادي: في شهر ربيع الأول لخمس خلون منه.

وقال ابن سعد ويعقوب بن شيبة: لخمس خلون من شهر ربيع الآخر. وأزخ وفاته في هذه السنة: ابن قُتَيْبة، وابن عبد البر، والشيرازي، وابن خلكان، والذهبي، وغيرهم.

- وقال خليفة في «تاريخه»: مات سنة إحدى وثمانين ومئة.

- وتردّد ابن حَبَّان في «الثقات» فقال توفي سنة (١٨١هـ) أو (١٨٢هـ)، وجزم في «مشاهيره» بسنة (١٨١هـ).

- ووقع في «وفيات ابن زبر» أنه توفي سنة (١٨٢هـ) على الجادة، لكن قال في موضع آخر: توفي أبو يوسف سنة اثنتين وتسعين ومئة^(١).

وهذا سهوٌ وسَبَقَ قلم، أو خطأً من النُّسَّاح، ففي هذه السنة كانت وفاة يوسف بن أبي يوسف.

وكانت وفاة أبي يوسف ببغداد، سنة (١٨٢هـ) على الصحيح.

(١) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص ١٧٥، ١٨٣.

عمره:

مات أبو يوسف وله من العمر تسع وستون سنة، رحمة الله عليه.

رؤى وبشائر:

قال محمد بن حماد المصيصي: أخبرنا أحمد بن القاسم وأحمد بن أبي رجاء قال: سمعت أبي، يقول: (رأيتُ محمد بن الحسن في المنام، فقلت: إلى ما صيرتُ؟ قال: غُفِر لي، ثم قيل لي: لم نجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نريد أن نغفر لك. قلت: وما فعل أبو يوسف؟ قال: فوقنا بدرجة، قلت: وأبو حنيفة؟ قال: في أعلى عليين)^(١).

وقال محمد بن شجاع: حدثني عبد الرحيم القوَّاس، قال: (قال معروف الكرخي: بلغني أن أبا يوسف عليل ثقيل من علته، فأجبتُ أن تأتي منزله، فإذا مات أعلمتني. قال: فجيئته؛ فحين صيرتُ إلى باب دار الرقيق إذا جنازة أبي يوسف قد أخرجت، فقلت: لا أدرك أن آتي معروفاً فأخبره، فصليتُ عليه مع الناس، ثم أتيت معروفاً فأخبرته، فاشتدَّ ذلك عليه، وجعل يسترجع، فقلت له: يا أبا محفوظ، وما أسفك على ما فاتك من جنازته؟ فقال: رأيتُ كأنني دخلتُ الجنة، فإذا قصرٌ قد بُني، وتمَّ شرفُه وجُصِّصَ، وعلقتُ أبوابه وسُتوره، وتمَّ أمرُه، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأبي يوسف القاضي، فقلت لهم: وبم نال هذا؟ فقالوا: بتعليمه الناس الخير وحرصه على ذلك، وبأذى الناس له)^(٢).

* * *

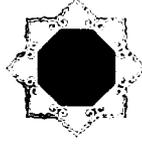
(١) جامع بيان العلم ٥٦/١ - ٥٧.

(٢) تاريخ بغداد ٢٦٠/١٤ - ٢٦١، الجواهر المضية ٤٠١/٢ - ٤٠٢.



مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد ٣٣٠/٧ - ٣٣١، تاريخ الدوري ٦٨٠/٢، تاريخ خليفة ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٦٤، طبقات خليفة ٣٢٨، علل أحمد برواية عبد الله: رقم ٦٧٩، ١٧٠٦، ٢٥٧٥، ٥٣٣٢، التاريخ الكبير ٣٩٧/٨ ت ٣٤٦٣، التاريخ الأوسط ١٠٠/٢، ١٦٣، المعارف ٤٩٩، المعرفة والتاريخ ١٧٣/١، ٢٢٩/٢، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، رسالة النسائي الملحقة بكتابه الضعفاء ٢٦٦، أخبار القضاة ٢٥٤/٣ - ٢٦٤، الضعفاء الكبير للعقيلي ٤٣٨/٤ - ٤٤٤ ت ٢٠٧١، الجرح والتعديل ٢٠١/٩ - ٢٠٢ ت ٨٤١، مشاهير علماء الأمصار ٢٧٠ ت ١٣٥٦، الثقات ٦٤٥/٧ - ٦٤٧، الكامل في الضعفاء ١٤٤/٧ - ١٤٦ ت ٢٠٥٥، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٧٥، المؤلف والمختلف للدارقطني ١٥٩/١، ٦٩٤/٢، ٦٩٥، ٨٧٦، ١٤١١/٣، الثقات لابن شاهين ٣٥٨ ت ١٥٥٦، تاريخ جرجان ٤٨٧ - ٤٨٨، وانظر «فهرس الأعلام»، الفهرست ٢٨٦، الإرشاد في علماء الحديث للخليلي ٣٥٨/١، ٤٠٢ - ٤٠٣، ٥٦٩/٢ - ٥٧٠، جمهرة أنساب العرب ٣٩٠، تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤ - ٢٦٢ ت ٧٥٥٨، السابق واللاحق ٣٧٥ ت ٢٢٩، الجامع لأخلاق الراوي: رقم ٤٢٤، ٦٢٢، ٨٤٧، ١٥٧٠، ١٦٥٠، جامع بيان العلم ٥٦/١، ١١٧، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ٣٢٩ - ٣٣١، الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٨/٢ - ٤٩ «في ترجمة سعد بن حبة»، الإكمال ١٩٩/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤١، الأنساب ٨٦/٢ «البجلي»، المنتظم ٧١/٩ - ٨٠ ت ٩٨٨، وفيات الأعيان ٣٧٨/٦ - ٣٩٠ ت ٨٢٤، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤٢١/١ - ٤٢٢ ت ٢٥٤، تاريخ الإسلام «حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠هـ ص ٤٩٦ - ٥٠٣، العبر ٢١٩/١ - ٢٢٠، دول الإسلام ١٠٥، مختصر العلو ١٥٤ - ١٥٧، تذكرة الحفاظ ٢٩٢/١ - ٢٩٤ ت ٢٧٣، ميزان الاعتدال ٤٤٧/٤ - ٩٧٩٤، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨ - ٥٣٩، مرآة الجنان ٣٨٢/١ - ٣٨٨، البداية والنهاية ١٨٠/١ - ١٨٢، الجواهر المضية ٦١١/٣ - ٦١٣، ت ١٨٢٥، وانظر «فهرس الأعلام»، توضيح المشتبه ٩٢/٣، الإصابة ٢١/٢ «ترجمة سعد بن بجير»، لسان الميزان ٣٠٠/٦ - ٣٠١ ت ١٠٨١، النجوم الزاهرة ١٣٧/٢ - ١٣٨، تاج التراجم ٣١٥ - ٣١٧ ت ٣١٣، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ٤٧٧ ت ١١٨٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٢٧ - ١٢٨ ت ٢٦٠، مفتاح السعادة ٢١١/٢ - ٢١٧، كشف الظنون ٤٦/١، ١٦٤، ١٤١٥/٢، ١٥٨١، ١٦٨٠، شذرات الذهب ٢٩٨/١ - ٣٠١، قواعد التحديث ٣٥٢، ٣٧١، هدية العارفين ٥٣٦/٢، الرسالة المستطرفة ٥٢، تأنيب الخطيب ٣٣٧ - ٣٤٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٤٥/٣ - ٢٤٦، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٣٣٩ - ٣٤١، تاريخ التراث العربي لسزكين - المجلد الأول، ج ٥١/٣ - ٥٤.



الفهرس



١٠- الأوزاعيُّ

- ٥..... اسمه ونسبه ونسبته
- ٧..... كنيته
- ٧..... صفته وحليته
- ٧..... سيرته وشمائله
- ١٠..... بداية أمره
- ١١..... عبادته وخشيته، ورقته وبكاؤه
- ١٣..... حلمه وتواضعه وسخاؤه، وتمسكه بالحق، وأشياء أخرى من كريم أخلاقه
- ١٧..... جهاده ورباطه
- جراته وصلابته وهيئته، ومواقفه من الخلفاء والأمراء، ورسائله إليهم،
 ونصائحه لهم ١٩
- عقيدة الأوزاعي ٣٢
- تمسكه بالثقة وأثار الصحابة وحبه لهم ٣٤
- خوفه من القضاء ٣٦
- فصاحته وترسله، ومواعظه ونصائحه، وجكمه وأقواله ٣٧
- رؤى وبشائر ٤١
- علمه ٤٣

- ٤٤..... طلبه العلم
- ٤٨..... المحدث
- ٥٠..... درجة حديثه في بعض شيوخه
- ٥١..... أصحابه وأثبتهم فيه
- ٥٢..... إرساله، والقول في سماعه من نافع
- ٥٤..... حفظه وإتقانه وتحريه
- ٥٦..... كثرة حديثه، وسعة علمه، وقوة حجته
- ٥٨..... من أقواله وآرائه في علوم الحديث
- ٦٠..... علمه بناقلة الآثار ورواة الأخبار وكلامه فيهم
- ٦١..... الفقيه
- ٦٣..... مذهبه وانتشاره
- ٦٥..... طرف من فقهه وسؤالات الناس له
- ٦٧..... تصنيفه الكتب
- ٦٨..... نشره العلم
- ٧١..... منزلته وثناء الأئمة عليه
- ٨١..... من أخباره الشخصية
- ٨٣..... مولده ووفاته وعمره
- ٨٥..... آخر العهد به
- ٨٧..... جنازته
- ٨٧..... تركته
- ٨٨..... مصادر ترجمته

١١ - سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

- ٩٠..... اسمه ونسبه ونسبته
- ٩١..... كنيته
- ٩١..... سيرته وشمائله
- ٩٤..... صلاته واجتهاده فيها

- ٩٧..... تلاوته القرآن، وحجه ونفقته ورباطه، واهتمامه بأمر المسلمين
- ٩٨..... ورعه، وخوفه ورجاؤه، وخشيته من تبعة الحديث والعلم
- ١٠٥..... رفته وخشيته، وكثرة ذكره للموت وتفكره بالآخرة
- ١٠٧..... تجارته ونظرته للمال، وتورعه عن قبول الهدايا والأعطيات
- ١١١..... زهده الفذ وطريقته فيه، وتواضعه
- ١١٦..... أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر
- ١١٦..... مع الخلفاء والأمراء والولاة
- ١٢٦..... عقيدته
- ١٢٩..... خوفه من البدع ونهيه عنها
- ١٣٠..... موقفه من الصحابة رضي الله عنهم
- ١٣٣..... عمله بعلمه ومتابعته للسنة وحضه على ذلك
- ١٣٤..... صفة مجلسه، وضحكه ومزاحه
- ١٣٦..... درر من أقواله، وروائع من نصائحه ومواعظه
- ١٤٠..... علمه
- ١٤٢..... طلبه العلم
- ١٤٨..... تحزيه في التحمل والأداء، وإيقافه أشياخه على الحديث، ونقده له
- ١٥١..... ذكاؤه المتوقع، وحفظه الوثيق، وإتقانه الباهر
- ١٥٦..... القارئ المفسر
- ١٥٧..... المحذث
- ١٦٠..... عدد أشياخه والرواة عنه
- ١٦١..... تساهله في الرواية عن رجال ضعاف
- ١٦١..... درجة حديثه في بعض شيوخه
- ١٦٤..... أصحابه وأثبتهم فيه
- ١٦٦..... تدليسه
- ١٦٨..... إرساله
- ١٦٨..... كثرة حديثه
- ١٦٩..... أصح أسانيد الكوفة



- ١٧٠..... تحديثه بالمعاني
- ١٧٠..... من أقواله في الرجال جرحاً وتعديلاً
- ١٧٣..... من أقواله في علوم الحديث
- ١٧٥..... مقارنة بين سفيان وشعبة
- ١٧٦..... الفقيه
- ١٨٠..... نشره العلم
- ١٨٨..... تصانيفه
- ١٩٠..... منزلته الرفيعة، وثناء الأئمة عليه، وأقوالهم في علمه
- ٢٠٢..... من أخباره الشخصية
- ٢٠٤..... تركة سفيان وموت ابنه في حياته
- ٢٠٤..... مولده ووفاته وعمره
- ٢٠٨..... رؤى وبشائر
- ٢١٠..... مصادر ترجمته

١٢ - اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ

- ٢١٢..... اسمه ونسبه ونسبته
- ٢١٢..... كنيته
- ٢١٣..... سيرته وشمائله
- ٢١٤..... هديه الكريم وأخلاقه الرفيعة، وعبادته ورقته
- ٢١٧..... صدقته العريضة، وجوده وسخاؤه، وإكرامه العلماء
- ٢٢٣..... مع الخلفاء والأمراء، وتبجيلهم له، ومناصحته لهم، وترشيده أعمالهم
- ٢٢٧..... تمتعه بعقله وصحته، ولباشه وهيئته
- ٢٢٨..... عقيدته، وتمسكه بالسنة، وحبه للصحابة
- ٢٢٩..... علمه
- ٢٣١..... طلبه العلم
- ٢٣٦..... القارئ
- ٢٣٦..... المحدث



٢٣٨	تحزيه وتثبته، وإسناده العالي والنازل، وكراهيته التدليس.....
٢٤٠	درجة حديثه في بعض شيوخه.....
٢٤٣	ما قيل في سهولته في أخذ الحديث.....
٢٤٤	ما قيل في إرساله.....
٢٤٥	الليث وعلوم الحديث.....
٢٤٦	عوالي حديثه.....
٢٤٧	الفقيه، وما قيل في مذهبه الفقهي.....
٢٤٩	نبوغه في العلم ومناقشته بعض علماء عصره.....
٢٤٩	تصانيفه.....
٢٥٠	المؤرخ.....
٢٥١	نشره العلم.....
٢٥٣	منزله وثناء الأئمة عليه، وأقوالهم في علمه وتثبته وصحة حديثه.....
٢٥٩	من أخباره الشخصية.....
٢٥٩	أصله وولائه.....
٢٦١	مولده ووفاته وعمره.....
٢٦٣	جنازته وقبره.....
٢٦٥	مصادر ترجمته.....

١٢ - شريك النخعي

٢٦٧	اسمه ونسبه ونسبته.....
٢٦٨	كنيته.....
٢٦٨	سيرته وشمائله.....
٢٦٩	طرف من شمائله وأخلاقه.....
٢٧٢	حبه للصحابه، وإجلاله للخلفاء الأربعة، وما قيل في تشيعه.....
٢٧٦	مواقفه من الخلفاء والأمراء.....
٢٨١	توليه القضاء، وحكمه بالعدل، ومواقفه الباهرة فيه حتى مع الأمراء.....
٢٩١	عقيدته وشدته على المبتدعة.....

- علمه..... ٢٩٢
- طلبه العلم..... ٢٩٣
- المحدث..... ٢٩٤
- حديثه عن أبي إسحاق الشيباني..... ٢٩٧
- حديثه عن منصور بن المعتمر..... ٢٩٨
- إتقانه وما جاء في خطئه وسوء حفظه..... ٢٩٨
- تحسين بعض مفاريدہ..... ٣٠٣
- ما قيل عن تدليسه..... ٣٠٣
- ما قيل عن اختلاطه..... ٣٠٤
- كلامه في الرجال..... ٣٠٥
- سعة علمه وكثرة حديثه..... ٣٠٥
- الفقيه القاضي..... ٣٠٦
- نشره العلم..... ٣٠٧
- منزلته وثناء الأئمة عليه..... ٣١٠
- من أخباره الشخصية..... ٣١٦
- مولده ووفاته وعمره..... ٣١٦
- مصادر ترجمته..... ٣١٩

١٤ - مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

- اسمه ونسبه ونسبته..... ٣٢١
- كنيته..... ٣٢٢
- صفته وحليته، وملبسه وخاتمه ومركوبه، ومعيشته..... ٣٢٢
- سيرته العطرة، وشماله الكريمة، وأخلاقه الرفيعة..... ٣٢٨
- حبه للصحابة وموقفه ممن يتقصهم..... ٣٣٤
- عقيدته وأقواله في الشئ والأهواء..... ٣٣٦
- مع الخلفاء والأمراء..... ٣٤٢
- محنة مالك..... ٣٤٨

- ٣٥٠..... علم الإمام مالك
- ٣٥٢..... طلبه العلم، وأقواله فيه، وحضه عليه وعلى الالتزام بأدابه
- ٣٥٨..... القارئ المفسر.....
- ٣٦٠..... المحدث
- نقده وتحريه وانتقاؤه للرجال، وروايته عن الثقات، وصحة حديثه،
- ٣٦٤..... وأقوال العلماء في ذلك
- ٣٧٢..... أقواله في الرجال جرحاً وتعديلاً
- ٣٧٥..... متانة حفظه، وكثرة حديثه
- ٣٧٨..... درجة حديثه في نافع
- ٣٧٩..... في الزهري
- ٣٨١..... أصحاب مالك وأثبتهم فيه
- ٣٨٢..... أصح الأسانيد
- ٣٨٢..... من أقواله في علوم الحديث
- ٣٨٤..... الفقيه
- ٣٩٠..... أصول مذهب مالك
- ٣٩٢..... انتشار مذهب مالك
- ٣٩٣..... مقارنة بين أبي حنيفة ومالك
- ٣٩٤..... مصنفات مالك
- ٣٩٤..... مؤوطاً مالك، تصنيف الإمام للمؤوطاً والباعث له على ذلك
- ٣٩٧..... معنى المؤوطاً
- ٣٩٨..... محتواه ومبناه
- ٣٩٨..... مرتبته بين كتب السنة
- ٤٠٠..... رواة المؤوطاً ونسخه، وعدد أحاديثه وآثاره
- ٤٠٣..... اعتناء علماء الأمة بموطأ مالك
- ٤٠٤..... مصنفات أخرى للإمام مالك
- ٤٠٥..... تصدوره لنشر العلم، وصفة مجلسه، وهديه وأدائه في التحديث والفتيا
- ٤١٧..... حديث «ضرب أكباد الإبل في طلب العلم» ومن المراد به

- ٤١٨..... رؤى وبشائر.....
 ٤٢١..... منزلته الرفيعة وطرف من ثناء الأئمة عليه.....
 ٤٢٩..... من أخباره الشخصية.....
 ٤٣٣..... مولده ووفاته ومبلغ عمره وتركته.....
 ٤٣٩..... مصادر ترجمته.....

١٥ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ

- ٤٤١..... اسمه ونسبه ونسبته.....
 ٤٤٢..... كنيته.....
 ٤٤٢..... سيرته الطيبة، وشماله الكريمة، وخصاله الحميدة، وخلاله الفريدة.....
 ٤٤٣..... إمام جمع خصال الخير.....
 ٤٤٤..... عبادته.....
 ٤٤٦..... ورعه وزهده وخشيته ورقته.....
 ٤٤٩..... آدابه وسمته وتواضعه.....
 ٤٥٢..... إجابة دعوته.....
 ٤٥٣..... ملازمته السنته وكراهيته البدع.....
 ٤٥٤..... حبه للصحابة وتقديره لهم وعدم خوضه فيما جرى بينهم من فتنة.....
 ٤٥٥..... جهاده وشجاعته وفروسيته.....
 تجارته العريضة، وجوده وسخاؤه وكرم نفسه، وإنفاقه على المحدثين
 ٤٥٦..... وطلاب العلم، وقضاؤه ديون الناس وحوائجهم.....
 ٤٦٣..... من أقواله وحكمه ووصاياهم.....
 ٤٦٧..... علمه.....
 ٤٦٨..... طلبه العلم، ورحلاته فيه، ومذاكرته له، ومداومته عليه.....
 ٤٧٦..... القارئ المفسر.....
 ٤٧٦..... المحدث.....
 ٤٧٩..... عدد شيوخه.....
 ٤٨٠..... كثرة حديثه، وسعة علمه.....

- ٤٨١..... أمير المؤمنين في الحديث
- ٤٨١..... حديثه عن بعض شيوخه
- ٤٨٣..... أصحابه
- ٤٨٤..... كتابته العلم وتدوينه له، وقوة حافظته
- انتقاؤه الأحاديث، واهتمامه بالأسانيد، وتحاكمهم إليه في الحديث
- ٤٨٦..... في صحته وسقمه، وأقوالهم في إتقانه وضبطه
- طرف من معرفته بعلل الأحاديث ونقد الأسانيد، وكلامه في ناقله الأخبار
- ٤٩٠..... جرحاً وتعديلاً
- ٤٩٦..... كراهيته التدليس وذمه له
- ٤٩٧..... من أقواله وآرائه في علوم الحديث
- ٤٩٨..... الفقيه
- ٥٠١..... طرّف مما أورده الإمام الترمذي في «سننه» من أقوال ابن المبارك الفقيهية
- ٥٠٣..... الشاعر
- ٥١١..... تصانيفه
- ٥١٢..... نشره العلم
- ٥٢٠..... منزلته الرفيعة، وأقوال الأئمة في شمائله وعلمه، وثنائهم العريض عليه
- ٥٣٥..... من أخباره الشخصية
- ٥٣٦..... مولده ووفاته ومبلغ عمره
- ٥٣٩..... رؤى وبشائر
- ٥٤١..... مصادر ترجمته

١٦ - الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ

- ٥٤٣..... اسمه ونسبه ونسبته
- ٥٤٤..... كنيته
- ٥٤٤..... سيرته وشمائله
- ٥٤٥..... نشأته وطرف من هديه وأخلاقه
- ٥٤٩..... من أقواله وحكمه ونصائحه

٥٥٠.....	مع الخلفاء.....
٥٥٦.....	عقيدته.....
٥٥٨.....	علمه.....
٥٦٠.....	طلبه العلم.....
٥٦٢.....	المحدّث.....
٥٦٤.....	تجافي أصحاب الكتب الستة وغيرهم عن إخراج حديثه.....
٥٦٦.....	الفقيه.....
٥٦٩.....	ذكر طائفة من الفقهاء الذين أخذوا الفقه عن أبي يوسف.....
٥٧٠.....	قاضي القضاة.....
٥٧٣.....	تصانيفه.....
٥٧٥.....	نشره العلم.....
٥٧٩.....	منزلته وثناء الأئمة عليه، وما روي في جرحه.....
٥٧٩.....	ثناء الأئمة عليه.....
٥٨٧.....	أقوال جارحيه.....
٥٨٩.....	كلمة الفصل.....
٥٩٢.....	من أخباره الشخصية.....
٥٩٤.....	مولده ووفاته وعمره.....
٥٩٦.....	رؤى وبيانات.....
٥٩٧.....	مصادر ترجمته.....
٥٩٩.....	الفهرس.....